

مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة

مجلة علمية محكمة

المشرف العام

أ.د/ محمد حسين حماد

عميد الكلية

رئيس التحرير

أ.د/ صلاح عبد العزيز على

وكيل الكلية

١٤١٩هـ ١٩٩٩م

الجزء الأول



كلية اللغة العربية

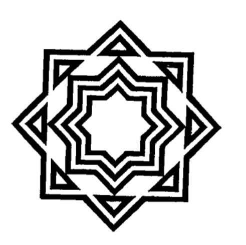
بالمنصورة

مجلة علمية محكمة

العدد الثامن عشر

الجزء الأول

١٤١٩هـ ١٩٩٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

بقلم الدكتور / محمد حسين حماد

عميد الكلية

تواصل كلية اللغة العربية بالمنصورة عطاءها العلمي في مختلف تخصصاتها على نحو يخدم لغة القرآن الكريم . ويسهم في ثرائها ، وكشف دقائقها وأسرارها.

فها هو ذا العدد الثامن عشر من مجلتها العلمية يضم بحوثاً أدبية ونحوية ولغوية وتاريخية ، نشر أكثرها بعد إجازة من اللجان العلمية .

فمن هذه البحوث ما يكشف عن أعلام شبه مغمورين لم يأخذوا حظهم من الدراسة كساعدة بن جؤية الهذلي ، والأديب الكاتب محمد صادق عنبر ،والنحويّ الأندلسيّ أبي عبد الله بن أبي العافية النحوي، ومنها ما يكشف عن مسائل نحوية وصرفية ولغوية مثل (العامل والمعنى النحوي ، والجملة الخبرية بين البصريين والكوفيين ، واستخلاص الآراء النحوية والصرفية من عبارة ابن جني من خلال كتابة (الخصائص) ، والاستدراك على أبنية سيبوية في ضوء الواقع اللغوي ، وغير ذلك من المسائل والقضايا النحوية واللغوية التي تسهم في جلاء العربية وإبراز مكنونها.

ومنها ما يتعلق بالدراسات التاريخية مثل أضواء على حياة نصر بن سيار ، وولاة البصرة .

وقد وقعت بحوث هذا العدد من المجلة فى ثلاثة أجزاء كبيرة ، وختمت بتسجيل موضوعات البحوث العلمية التى قدمت إلى الكلية لنيل درجة التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) حتى تاريخ إخراج هذا العدد ، مما يوفر الوقت والجهد للباحثين فى مختلف كليات جامعة الأزهر .

وبعد

فهذه البحوث العلمية المتخصصة تسهم فى جلاء لغة القرآن، وتكشف عن عميقها ودقائقها ، وجواهرها ويواقيتها ، وتبرهن على ثرائها ، وقدرتها على استيعاب ما جدّ وما سيجدُّ فى الحياة الدنيا إلى أن تقوم الساعة ، وصدق حافظ حين قال على لسان اللغة العربية :

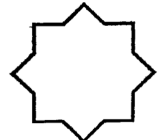
وَسعْتُ كتاب الله لفظاً وغايةً   وما ضِقْتُ عن آى به وعظاتِ
فكيفَ أضيقُ اليوم عن وصف آلةٍ   وتنسيق أسماءٍ لمخترعاتِ

دكتور

محمد حسين حماد

عميد الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم



الحس القصصى

فى شعر

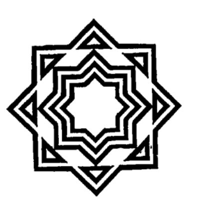
ساعدة بن جؤية

الدكتور

عبدالناصر محمد السعيد

الأستاذ المساعد فى كلية

اللغة العربية بالمنصورة



تقديم :-

الحس القصصى فى شعر الهذليين ، ظاهرة تحدث عنها كل من تعرّض لدراسة الشعراء الصعاليك.

لقد تعرضوا لدراسة هذه الظاهرة عند هؤلاء الشعراء ، ثم نفذوا من وراء ذلك إلى الحديث عن شعراء هذيل، ووجود هذه الظاهرة فى شعرهم. تعرض لذلك الدكتور يوسف خليف تحت عنوان "القصصية" فقال : " وشعر الصعاليك فى مجموعه ، شعر قصصى يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور فى حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التى تصلح مادة طيبة للفن القصصى" [(١)] ثم يشير بعد ذلك إلى أن هذه الظاهرة تتجاوز دائرة الصعلكة إلى شعراء هذيل " فقد اتخذ الهذليون فيه مذهبا قصصيا ، عماده حياة الحيوان الشارد فى أرجائها ، الممتنع فوق جبالها العالية ، يضربون به المثل على أن الموت يدرك كل كائن حىّ مهما يكن بعده عن مواطن الخطر وامتناعه عليه . والصورة القصصية عندهم دائما حيوان آمن فى سربه ، أو فى معقله ، ثم يتيح له القدر صائدا ، تارة يكون إنسانا ، وتارة يكون جارحا من الطير يتربص به ، حتى إذا أمكنته الفرصةُ انقض عليه فأورده موارد الهلاك . ولكن من الحق أن نسجل أن هذه الظاهرة ليست مقصورة

---

(١) الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى .د. يوسف خليف ط ٢ دار المعارف ص ٢٧٨

على شعراء هذيل ، ولكنها ظـاهرة عامـة عنـد الشـعراء الهذليين وعند بعض الشعراء الجاهليين أيضاً"[١] وقـد أشـار إلـى وجود تلك الظاهرة أيضا عنـد الـهذليين ، الدكتـور عبـد الحليـم حفنـى تحـت عنـوان "القصـص والتصويـر " مشـيرا إلـى أن الدارس لشعر الصعاليك لا يشـك فـى أن الذيـن أسَسـوا للقصـة فى شعرنا العربى، بـل والذيـن وصلـوا إلـى مسـتوى القصـة الشعرية الكاملة بمفهومها الفنى فـى شـعرهم ، هـم الصعـاليك ، ثم يضيف موضحا أن هذه الظـاهرة ليسـت خاصـة بالصعـاليك ، وإنما تتعداهم إلى غيرهم من شـعراء هذيـل ، متفقـا بذلـك مـع الدكتـور يوسـف خليـف يقـول : " وإذا كـان شـعر صعـاليك الجاهلية قد وصل إلى هذا المستوى الذى تـراه متكـاملا بالنسـبة للقصة الشعرية ، فإنه قد وضع أسسا كثـيرة عريضـة لمـا يمكـن أن نسميه مبـادئ قصـص شـعرى . وقـد وصـل بعـض هـذه النزعة إلـى درجـة تقـترب جـدا مـن القصـة القصـيرة بكـل مقوماتها الفنية التي يسمح بها الشـعر، ونجـد هـذا كثـيرا فـى قصائد شعر الـهذليين[٢] .

ولم يكتـف الدكتـور عبـد الحليـم حفنـى برصـد هـذه الظاهرة فى شـعر الـهذليين ، ولكنـه أشـار إلـى وجـود معـالم القصة من وصف وحوار وتحليل نفسـى " وهـو أدلّ علـى تـأصل

---

[١] المرجع السابق ص ٢٧٩

[٢] شعر الصعاليك منهجه وخصائصه .د./ عبد الحليم حفنى . الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٤١١

الاتجاه القصصى فى شعرهم ، لأن الشاعر فيه متعمد خلق الموضوع [١] وكذلك أشار الدكتور على عبد الحليم محمود إلى أن ما تعارف عليه النقاد من خصائص تطبع كل قصة بطابعها ، ويتحتم وجودها فى كل عمل قصصى ، موجود فى القصة الجاهلية ، من حدث وسرد وبناء وشخصية وزمان ومكان وفكرة ، وقد طبّق هذه العناصر وتلك الخصائص على بعض القصص الشعرى الجاهلى[٢]

وقد دفعت تلك المقولات المتواترة عن القصة فى الشعر الجاهلى والهذليين بصفة خاصة ، دفعت الدكتورة مى يوسف خليف إلى حشد جهدها لدراسة العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى . وتحدثت عن وجود الشخصية والحوار ، والحدث والعقدة والحل [٣] ثم أتبعت هذه الدراسة بدراسة أخرى تحت عنوان " بطولة الشاعر الجاهلى وأثرها فى الأداء القصصى "[٤]

---

[١] المرجع السابق ص ٤١٤

[٢] القصة العربية فى العصر الجاهلى د . على عبد الحليم محمود دار المعارف ط ٢ ص ٣١٨

[٣] العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى . د. مى يوسف خليف . دار الثقافة للنشر والتوزيع.

[٤] بطولة الشاعر الجاهلى وأثرها فى الأداء القصصى . د. مى يوسف خليف دار قباء للطباعة

وحتى هؤلاء الذين تحفظوا فى تطبيق العناصر القصصية على الشعر الجاهلى مثل الدكتور حسين نصار عندما قال " فمن الخطأ أن نبحث عن قصة تتمتع بالقواعد التى استخرجوها قبل هذين القرنين . ذلك فى أوربا مهد اللون القصصى . ولا شك أن الخطأ يزداد أضعافا حين تبحث عن قصة لها هذه القواعد فى أدبنا العربى القديم . ولا يعنى هذا أنه لم يعرف القصة القصيرة ، بل عرفها ، وأهدى العالم منها ما لا يزال موضع إعجابه وتقديره ، لكنها قصص لها شكلها وقواعدها الخاصة ، التى تطورت مع تطور الأدب العربى ذاته. فقد كان لأدباء العرب تصورهم الخاص للقصة القصيرة ، نثرية كانت أو شعرية . وهذا التصور يجب أن نضعه نصب أعيننا حين نعالج القصة العربية القديمة"[١]

أقول حتى مع تحفظه على تطبيق تلك العناصر القصصية ، فقد تحدث عن القصص عند الهذليين ، واصفا القصة الشعرية عندهم بأنها قد بلغت أعلى مراتب التطور عند الشعراء الهذليين . فلم يقصروا جهودهم على الإشارة الموئة ، أو الخطوط الكبرى ، بل فصلوا القول فى أجزاء القصة جميعا . ووجهوا كل جزء إلى إبراز النهاية التى يريدون . فالرباط محكم بين التفاصيل ، والغاية موحدة ، والوصف

---

[١] مجلة العربى العدد ٢٥ كانون الأول ديسمبر سنة ١٩٦٠

حيّ[١].وبهذا لم أجد – فيما وصلت إليه يدى من مصادر ومراجع – من مُعَارِضٍ لوجود هذه الظاهرة.

ومن هنا كانت دراستى لأشعار الهذليين ، ممثّلة فى "الحسّ القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى ، وهو بحث مطبوع[٢] .وهذا البحث الذى أتناول فيه " الحس القصصى فى شعر ساعدة بن جؤيّة" ، ويتلوه – إن شاء الله – بحث يتناول بقية الشعراء الهذليين بالبحث والدراسة.

قصص ساعدة بن جؤيّة :-[٣]

القصة الأولى وردت فى قصيدة له ، يتحدث فيها عن رحيل المحبوبة ، وترحّل أهلها . وما أصابه من وجد وشوق لمحبوبته . وقد هيّجه رؤيته للدمن والرسوم ، فأصبح سقيما يحتاج إلى عزاء ومواساة ، وقد اشتد وجده بها.

يقول فى مقدمة القصيدة:-

---

[١] كتاب العربى . آراء حول قديم الشعر وجديده . الكتاب الثالث عشر ١٥ أكتوبر سنة ١٩٨٦ ص ٣٨.

[٢] دار الأشقاء للطباعة والنشر والتوزيع.

[٣] ترجم له محقق ديوان الهذليين الشيخ احمد الزينى ، فذكر أنه ساعدة بن جؤيّة أخو بنى كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة. ديوان الهذليين ط ص ١٦٧

أهاجك مغنى دمنة ورسوم لقيلة منها حـــادث وقديـــم

عفا غير أرث من رماد كأنّه حمـــام بألباد القطار جثوم

فإن تك قد شطت وفات مزارها فإنى بها - إلا العزاء - سقيم[١]

هذه هى مقدمـــة القصيـــدة ، أو مقدمـــة القصـــة[٢] . وقـــد أتت فى ثلاثة أبيـــات

فرغ بعدها الشاعر لسوق قصتـــه فقـــال :-

١- وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شمطاء القذال عقيم

٢- رأته على فوت الشباب وأنها تـــراجع بعـــلا مرة وتئيم

٣- فشب لها مثل السنان مبرأ أشم طوال الساعدين جسيم

٤- وألذمها من معشر يبغضونها نـــوافل تأتيها به وغنوم

٥- فأصبح يوما فى ثلاثة فتية من الشعث كل خلة ونديم

٦- وقدم فى عيطاء فى شرفاتها نعائم منها قائم وهزيم

٧- بذات شدوف مستقل نعامها بأدبارها جنح الظلام رضيم

٨- فلم ينتبه حتى أحاط بظهره حساب وسرب كالجراد يسوم.

---

(١) ديوان الهذليين جـ١ ص ٢٨٨

(٢) أثبت فى بحثى " الحس القصصى فى شعر أبى ذؤيب أن مقدمة القصيدة ، ما هى إلا تمهيد للقصة .

٩- فورك لينا لا يثمثم نصله إذا صاب أوساط العظام صميم

١٠- ترى أثره فى صفحتيه كأنه مدارج شبثان لهن هميم

١١- وصفراء من نبع كأن عدادها مزعزة تلقى الثياب حطوم.

١٢- كحاشية المحذوف زين ليطها من النبع إزر حاشك وكتوم

١٣- وأحصنه ثجر الظبات كأنها إذا لم يغيبها الجفير حجيم

١٤- فألهاهم باثنين منهم كلاهما به قارب من النجيع دميم

١٥- وجاء خليلاه إليها كلاهما يفيض دموعا غربهن سجوم

١٦- فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به فـلا ريب أن قد كان ثم لحيم

١٧- فقامت بسبت يلعج الجلد وقعه يقبض أحشـاء الفؤاد أليم

١٨- إذا أنزفت من عبرة يممتهم تسائلهم عن حبها وتلوم

١٩- فبينا تنوح استبشروها بحبها على حين أن كل المرام تروم.

٢٠- فلما استفاقت فجت الناس دونه وناشت بأطراف الرداء تعوم

٢١- وخرت تليلا اليدين ونعلها من الضرب قطعاء القبال خذيم

٢٢- فما راعهم إلا أخوهم كأنه بغادة فتخاء الجناح لحوم

٢٣- يخفض ريعان السعاة كأنه إذا ما تنحى للنجاء ظليم

٢٤- نجاء كدر من حمير أبيدة بفائله والصفحتين كدوم

٢٥- يُرنّ على قب البطون كأنها ربابة أيسار بهن وشوم[١]

أولا عرض القصيدة :

هذه القصة تصور امرأة ، عاشت في مجتمع ، أو في بيئة تنظر إلى المرأة العقيم على أنها أرض قاحلة جرداء. وقد طال انتظار المرأة للولد فلم يأت. وطال أملها في الحمل ولم تحمل . وراح القلق يسرى في حناياها ، والشباب يدبر ويتقهقر ، وجذوته تخبو ، والشعر الأبيض يسرى في رأسها سريان النار في الهشيم ، وتئيم ، ويراجعها البعل وتئيم . وراح الخوف يدبّ في عظامها ، ويسرى بين ضلوعها . والهمس يتمشى حولها . ويتحول الهمس إلى علن . والنظرات إلى تساؤلات تدور . والزوج مبغض لها ، نافر منها كاره لمعاشرتها . والصديقات يقدمّن لها المشورة ، وهى تنفذ كل مشورة بحذافيرها . كم استمعت لنصحهن ، وكم بذلت من أجل هذا الولد . ولكنه لم يأت . ومرّت سنوات العمر ، فإذا هى عجوز شمطاء ينظر إليها زوجها في استهانة ، ولا يأبه بها أحد . يالها من شجرة عتيقة لا تثمر ، ويالها من أرض قاحلة جرداء لا تنبت.

وهى على هذه الحال ، أحسته ، شعرت به يسرى في تلك الأحشاء التي طال انتظارها . شعرت بالحمل . حملت وولدت رأته على فوت الشباب وأنها ،

(١)ديوان الهذليين جـ١ ص ٢٣٥

رأتة على فوت الشباب وأنها تراجع بعلا مرة وتئيم

وشبّ هذا الولد لها . فتيّــا قويّــا مِحاربــا جلــداً عنيــدا ، ويُشمّر برجاله إذا ما الحرب شــبّ ســعيرها.

وعاد إلى المرأة زهوها ، واعتــدل عودهــا بعــد تقــوس ، وصار لها دورها ومكانتها بين قومـــها . وضحكــت لــها الأيــام . وعاشت سعيدة بهذا الفتـــى.

فشبّ لها مثل السنان مبرأ أشمّ طوال الساعدين جسيم

وألذمها من معشر يبغضونها نوافل تأتيها به وغنوم

ومرّت الأيام ، والقبيلــة تتحــدث عــن شــجاعته وبســالته ونجدته . إلى أن جاء هذا اليوم . يوم حمـــل فيــه سـيفه ورمحــه وعدة قتاله ، وسار في نفر من قومــه ووســط هضــاب طويلــة ، ووسط قلال الجبال وشــماريخها ومرتفعاتــها أحــاط بظــهره نفــر كثــير (حســاب وســرب كــالجراد يســوم) . هــى إذن المواجهــة الضاريــة.

فورّك لينا لا يثمثم نصله إذا صاب أوساط العظام صميم[1]

---

[1] في اللسان : ورّك الذنب عليه ، حمله . وقد استشهد بهذا البيت وقال:واستعمله ساعدة في السيف ونصل صميم : أي يصمّم في العظم وورّك للضرب أي أماله للضّرب حتى ضرب به يعني السيف (لسان العرب مادة ورك).

لقد حمل عليهم بسيفه ، بسيف لا ترد ضربته وكذلك راح بقوسه وصوتها مثل صوت الرياح الشديدة التى تحطم ما مرت به . لقد تحصن بعدده هذه ودافع بها عن نفسه.

وأحصنه ثجر الظبات كأنها إذا لم يغيبها الجفير حجيم

وسط هذا الجحيم المستعر ، سقط اثنان من العدو ، والدماء تنزف منهما ، وشغل الباقى بهما ، فاهتبلها فرصة وفر بعيدا عن المواجهة غير المتكافئة بينه وبين هؤلاء.

فألهاهم باثنين منهم كلاهما به قارب من النجيع دميم

وأما خليلاه فقد فرا ، فرا بعد رؤيته وقد أحيط به . ودمعت العيون ، ولم يصدق كل منهما ما حدث . أصحيح أنه قد فقد ؟ ومن منهما يستطيع نقل الخبر إلى أمه ؟ وهل أحد بمستطيع . الخطب جسيم ، والمصاب فادح على وحيد أمه التى رأته على يأس وشماتة عدو ومهانة عشير .

وجاء خليلاه إليها كلاهما يفيض دموعا غربهن سجوم

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

ويالها من لحظة قامت فيها الأم :-

قامت بسبت يلعج الجلد وقعه يقبض أحشاء الفؤاد أليم

قامت كما تقوم أى ثكلى فقدت وحيدها ، فعلت كما تفعل ، وكما هى العادة ، عمدت إلى نعل من جلود البقر ، سيور من

الجلد ، قامت تلطم جلدها بالنعال لطمـــا يحـرق الجلـد ويقطعــه ، لطما يقبض أحشاء الفؤاد ، وأى فائدة لبقائها بعــد ذهـاب ولدهـا ؟ لقد عز عليها أن تبقى بعد فقــد ولدهــا :-

إذا أنزفت من عبرة يممتهم   تسائلهم عن حبها وتلوم

مــع كــل عــبرة مــن عبراتـــها يــأتى الســؤال لـــهؤلاء الأصحاب ، ويأتى معه اللوم والتوبيـــخ والتقريـــع . كيــف ســولت لهم أنفسهم الفرار ؟ وهل هم فى حاجة إلـــى لـــوم أو تقريـــع؟

إن دموعها لهى أقسى من الســـياط.

وبينما هى على هـــذه الحالـــة ، وبعــد أن ألـــهبت نفســـها بسياط من نار ، وبعد أن كلـــت يدهــا وأدمــت جســمها ، راحــت تنوح على ولدها ، راحت تئن وتتوجـــع وبينمــا هـــى علـــى هــذه الحالة ، وبعد أن فــت الخــور و الضعــف فـــى جســـمها بشـــروها بعودة ولدها سليما فى صحـــة وعافيـــة :-

فلما استفاقت فجت الناس دونه   وناشت بأطراف الرداء تقوم

فرقت الناس بيدهـــا ، تقــوم ، تســبح مــن علـــى أكتـــاف الناس ، تطير فى الهواء ثم خرت صريعـــة ضعفــها ، وقــد تحــول النعل إلى قطع صغيرة من إثر الضرب والولـــد يقــدم علـــى أمـــه ، وسط روع الحاضرين فى صحة وعافيــة . يطــرح النـــاس خلفـــه ، ويتقدم نحو هذه الأم الملتاعـــة.

والبقية معروفة سجلها فى بداية قصتـــه بقولـــه :

وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شمطاء القذال عقيم

وبهذا ينهى الشاعر قصته وقصيدته فـــى آن واحــد.

***رؤيـة فنيــة :**

ربما كانت هـــذه القصــة أقــرب القصــص الــهذلى إلـــى الكمال الفنى فى اكتمالها ، وفى نضجــها الفنـــى ، ففيــها العقــدة ، وفيها الحبكة ، وفيـــها الشــخصيات الناميــة المتحركــة ، وفيـــها الحل والنهايــة.

ونتحدث أولا عـــن :-

- **ارتبـاط القصـة بموضـوع القصيـدة:**

وقد بين الشاعر وجه الارتبــاط بقولـــه :-

وما وجدت وجدى بها أم واحد على النأى شمطاء القذال عقيم

لقد ساق الشاعر فـــى بدايــة قصيدتـــه رحيـــل المحبوبـــة ، وكيف بكر أهلها بالرحيل ، وقد كان هذا دأبـــهم دائمـــا ، فـــهم فـــى ترحال دائم وهذا من سوء حظـــه.

لقد راح يفكر فيها ليلـــه ونـــهاره ، يـــرى صورتـــها أمـــام عينيه ، ويؤرقه البرق من ناحيتـــها فيهيجـــه.

ثم يتذكر الأماكن التى رحلـــت إليـــها فـــى حنيـــن وشـــوق ووجد لا يعدله وجد ولا وجد تلـــك المـــرأة العجـــوز التـــى رزقـــت بولد على كبر ، ثم أخبرت بفقده ، ثم تبيـــن كـــذب الخـــبر وعـــودة ولدها فى صحة وعافيـــة.

وهكـــذا نـــرى ارتبـــاط القصـــة بمقدمـــة القصيـــدة وعـــدم انفصالها عنـــها .

- **الشخصيات فى القصة:**

الشخصية الأولى فـــى القصـــة هـــى شـــخصية الأم . وقـــد جاءت فى القصة بأبعادها مبسوطة ، مرســـومة واضحـــة.

فالبعد الجسمى لـــها أنـــها " شـــمطاء القـــذال" عجـــوز قـــد شاب شعرها . وأدبر شبابها وغارت عينـــها ، وانطفـــأ بريقـــها.

وأما البعد الاجتماعى – فـــي بيئـــة تعتمـــد علـــى الولـــد ، رأس مال المرأة وعزَهـــا وجاهـــها وســـيادتها – فـــهو أنـــها لـــم تنجب ، عقيم – ، تراجع بعـــلا مـــرة وتئيـــم . وقـــد راح زوجـــها يعيّرهـــا بذلـــك . وراحـــت النســـوة الأخريـــات ينظـــرن إليـــــها باستهانة "ألذمها من معشـــر يبغضونـــها"

وأمـــا البعـــد النفســـى ، وهـــو جمـــاع ونتـــاج البعديـــــن السابقين ، فقد أصابها اليـــأس نتيجـــة لعـــدم الإنجـــاب ، والفرحـــة الطاغية عندمـــا رزقـــت بولـــد ، وقـــد صـــار زينـــها ونصيرهـــا . ولطمها نفسها بنعل من الجلد حزنا علـــى فقـــده.

كل هذا البعد النفسى ناتج عن البعد الجسمى والبعد الاجتماعى.

وأما شخصية الولد ، فهو مثل السنان مبرأ ، أشم طوال الساعدين ، جسيم هذا هو البعد الجسمى ، وهو عطوف على أمه ، حدب عليها ، وهو بعد نفسى.

*البيئة :

لقد صور الشاعر بيئة القصة أصدق تصوير . فهى بيئة جاهلية ، قوامها الولد . والمرأة إن لم تنجب فقدت قيمتها ، ولاقت من الهوان ما لاقت ، حتى من أقرب الناس إليها ، وأصبحت ولا قيمة لها . يلخص ذلك كله فى قوله " وألذمها من معشر يبغضونها" ومن ذا الذى يأبه بشجرة جافة خاوية ، بل الشجرة الخاوية تنفع لإنضاح الطعام . وهذا هو الجو العام فى القصة . ثم تغيّر الجو العام بعد أن رزقها الله بالولد.

لقد تبدّلت الإهانات إلى نوافل وغنوم ، واعتدل العود بعد ذبول . يعكس ذلك قول الشاعر " فشَبَّ لها وألذمها من معشر يبغضونها " كأنه ما كبر إلا لها ، لإسعادها ، لعزّها . هذا هو الجو العام بعد أن رزقت تلك المرأة بهذا الولد.

وقد ساق البيئة بما فيها من عادات كانت موجودة ، ومنها اللطم بالنعل أو بسير الجلد " فقامت بسبت يلعج الجلد وقعه"

والبيئة المكانية : تلك التى دارت المعركة فيها " عيطاء فى شرفاتها نعائم منها قائم وهزيم" هضاب طويلة ، وفيها نعائم – والنعائم جمع واحدته نعامة تبنى ويطرح عليها شئ من ثمام يستظل بها[1] – هذه النعائم منها القائم ، ومنها المتكسر " بذات شدوف مستقل نعامها" شماريخ ورءوس الجبال ، شخوص بارزة ، قلل للجبال عالية وسط هذه البيئة المكانية المخيفة دارت المعركة وكان الحصار.

والزمان الذى دارت فيه المعركة هو " جنح الظلام"

الأحداث :–

تبدأ القصة بوصف عام لتلك المرأة ، وعدم إنجابها ، وموقف الناس منها ما بين شامت ، وما بين مهين لها . إلى أن يقع الحدث الكبير فى حياتها ، بعد أن كبرت وسيطر عليها اليأس ، فقد حملت وولدت . وهذا هو الحدث الذى حرك الشخوص فى كل اتجاه ، وغير مجرى الأحداث ، فإذا بالمرأة فى عز بعد ذل ،ى وإذا بزوجها يغير من معاملتها ، وإذا بيتها يقصد لهذا البطل للغارات وغيرها.

ثم يأتى حدث آخر يضع هذه الشخصية ، وهذا المجتمع ، وتلك البيئة فى محك أخلاقى آخر . يأتى خبر موت هذا الشاب الفتى القوى.

---

[1] الديوان جـ ١ ص ٢٢٩

وهنا نلمحها هى ، هى بمفردهـــا "فقــامت" فقــامت بســبت ...... ثم يأتى الحدث الأخير بــالحلّ والنهايـــة معــا " استبشـــروها بحبّها صحيحـــا"

الصياغـة:

الطـــرق المســـتخدمة فـــى القصـــة هـــى ســـرد الأحـــداث بطريقـــة مباشـــرة ، يتحـــدث فيـــها الشـــاعر واصفـــا الأحـــداث متناولا الشخصيات ، مخبرا عنها ، محلّــــلا لــــها.

وقد استعان الشاعر فى تصويـــره لتلـــك الأحـــداث بالألفـــاظ الموحية ، والصور المعبرة ، من مثـــل قولــــه : " شـــمطاء القـــذال" " عقيم" و" فوت الشباب" و " مثـــل " " الســـنان " . وتـــأتى الصـــور متلاحقة فى قوله : " تراجع بعلا مـــرة وتئيـــم" فحياتـــها متأرجحـــة لا تهدأ إلا ويعكرها عدم الإنجـــاب . وفـــى قولـــه : " فشـــبّ لـــها " تصوير لهذا الولد ، وأنه ما شـــبّ ومـــا كـــبر إلا لإســـعادها شـــبّ ليدافع عنها وينير حياتها ويرفـــع رأســـها.

والتعبير بقوله : " ألذمها من معشـــــر يبغضونـــها ، نوافـــل تأتيها بـــــه وغنـــوم " يوحـــى بمـــدى قوّتـــه ، وقـــهره للأعـــداء ، فتحولوا من مبغضيـــــن إلـــى مؤديـــن فـــروض الـــولاء لـــهذه الأم المســكينة.

<u>**وتصويـر حـال الأم بقولـه :-**</u>

إذا أنزفت من عبرة يممنهم   تسائلهم عن حبّها وتلوم

وتصويره لفرحتها بعد سماع خـــبر عودتـــه:-

فلما استفاقت فجّت الناس دونه   وناشت بأطراف الرداء تعوم

ونلاحظ التركيز فى الألفاظ . فمثـــلا : " رأتـــه علـــى فـــوت الشباب " هذه العبارة تســـتطيع أن تســـوق تحتـــها قصـــة طويلـــة من الانتظار ، ونصـــائح وتجـــارب مريـــرة ، تفشـــل واحـــدة تلـــو الأخرى ، والشعرات البيضاء تتناثر فـــى قذالـــها ، وبريـــق العيـــن يخبو ، والظهر يتقوس ، وأخيرا رأته. فلغـــة الســـرد هنـــا مركـــزة جداً.

النهايــة :

النهاية هنا فى هذه القصة جـــاءت بغـــير المـــوت . جـــاءت بنهاية سعيدة ، جـــاءت بالنجـــاة ، مـــع أن الموضـــوع فـــى هجـــر المحبوبة . وساعدة بن جؤية لـــــه قصيـــدة أخـــرى [١] فـــى هجـــر المحبوبـــة لـــه ، جـــاءت النهايـــة بـــالموت ، فمـــا الفـــرق بيـــن الموضوعين ؟ وما سر اختـــلاف النـــهايتين؟

هجر المحبوبة فى القصيدة التى جـــاءت نهايتـــها بـــالموت ، هجر غلفه اليأس ولفه انقطـــاع الأمـــل :-

---

[١] مطلع هذه القصيدة:-

هجرت غضوب وحب من يتحبب   وعدت عواد دون وليك تشعب

الديوان جـــ ١ ص ١٦٧.

فاليوم إما تمس فات مزارها   منا وتصبح ليس منها مأرب[١]

وقد انعكس اليأس على نهاية القصيدة فكان الموت ، وأما فى هذه القصيدة التى معنا فالأمل موجود ، والحبيبة وإن كانت ترتحل كثيرا ، فإن البرق من ناحيتها يزوره ويؤرقه ، والأمل موجود فى لقائها . ومن هنا فقد جاءت النهاية – على ما شابها طوال القصة من ألم – جاءت مشرقة سعيدة

مقدمة القصيدة :

لقد أورد ساعدة بن جؤبة فى هذه القصيدة ثلاثة أبيات ، ثم ساق قصته بعد ذلك فى خمسة وعشرين من الأبيات . والباحث لابد وأن يسأل نفسه عن هذه المقدمة ، وما هو دورها فى القصيدة ؟ . الموضوع فى هجر المحبوبة ، وفى وجد الشاعر بها . فهل فرغ الشاعر بتلك الأبيات البسيطة من عاطفته ، ثم بدأ فى سرد قصته على سبيل التسلية ؟ هذا ليس بمعقول ولا بمقبول ، أن يفرغ الشاعر عاطفته وإحساسه فى ثلاثة أبيات ، ثم يعمد إلى التسلية فى خمسة وعشرين بيتا بعد ذلك . أما المعقول والمقبول فهو أن القصة هى القصيدة ، هى ما أراد أن يقوله الشاعر ، هى عاطفته وفكرته. ويظل السؤال قائما : فما دور المقدمة ؟

(١) الديوان جـ١ ص ١٨٣.

ونقول إن المقدمة بأبياتها تُعَدُّ تمهيدا للقصة [١] . فهو يقول لسامعيه : سأحدثكم عن تلك المرأة التى أحببتها ، وتعلق قلبى بها ، ورغم البعد عنها فأنا كلف بها ، ووجدى بها يشتعل أواره يوما بعد يوم كتلك المرأة التى فقدت ولدها ووحيدها .... إلى آخره .

صياغة جديدة للقصة :

موضوع القصة سهل [٢] وتكمن الصعوبة فى خلق الشخصيات وتحريكها وصياغة القصة . والصياغة شعرا تضفى صعوبة أخرى لما فى الشعر من قيود النظم والبحر والقافية والتركيز فى الألفاظ وغير ذلك كثير.

ومع هذا فقد صاغ ساعدة بن جؤية تلك القصة السابقة ، صياغة جديدة ، بقافية مغايرة لقافية القصة الأولى وألفاظ مغايرة لها أيضاً ، وإن جاءت بعض شطرات الأبيات بنصها.

من مثل قوله فى القصة التى معنا:

---

[١] استطعنا أن نثبت أن المقدمة فى القصيدة تمهيد للقصة ، وذلك فى البحث الذى عنوانه " الحس القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى"

[٢] (لو كانت القصة تقاس بحبكها وموضوعها لكانت الحوادث التى تسردها الصحف كل يوم متفننة فى عرضها ، قصصا فنية ولكنها بعيدة عن ذلك).
القصة من خلال تجاربى الذاتية . عبد الحميد جوده السحار ص ٨١.

فشب لها مثل السنان مبرأ   أشم طوال الساعدين جسيم

وقوله فى القصة الثانيـــة :

فشب لها مثل السنان مبرأ   إمام لنادى دارها وأميرها

وقوله فى القصة التى معنا:-

فورك لينا لا يتمثم نصله   إذا صاب أوساط العظام صميم

وقوله فى القصة الثانيـــة :

فورك لينا أخلص القين أثره   وحاشكة يحصى الشمال نذيرها

يقول ساعدة بن جؤية فى هـــذه القصـــة الثانيـــة ، والتـــى بدأها بمقدمة تشبه تماما مقدمة هـــذه القصـــة

أهاجك من عير الحبيب بكورها   أجدت بليل لم يعرج أميرها

تحملن من ذات السليم كأنها   سفائن يم تنتحيها دبورها [1]

إلى أن يصـــل إلـــى بدايـــة قصتـــه ، والتـــى تتشـــابه مـــع القصة الأولى والتى يقول فيـــها :-

١-وتالله ما إن شهلة أم واحد   بأوجد منى أن يهان صغيرها

٢-رأته على يأس وقد شاب رأسها   وحين تصدى للهوان عشيرها

---

[1] الديوان جـ ٢ ص ٢١١

٣-فشب لها مثل السنان مبرأ إمام لنادى دارها وأميرها

٤-عناش عدو لا يزال مشمرا برجل إذا ما الحرب شب سعيرها

٥-تقدم يوما فى ثلاثة فتية بجرداء نصب للغوازى ثغورها

٦-فبيناهم يتابعون لينتهوا بقذف نياف مستقل صخورها

٧-رأوا من قدى الكفيّن قدام عدوة محيطا به من كلّ أوب حضورها

٨-فورّك لينا أخلص القين أثره وحاشكة يحصى الشمال نذيرها

٩-يزحزحهم عنه بنبل سنينة يضرّ بحبّات القلوب حشورها

١٠-فلمّا رأوهم يركبون صدورهم كبدنِ أياد يوم نُجّت نحورها

١١-تملّزمن تحت الظبات كأنه رداة إذا تعلو الخبار ندورها

١٢-بساقِ إذا أولى العَدِىّ تبَدّدوا يخفّض ريعان السعاة غويرها

١٣-وجاء خليلاه إليها كلاهما يُفيض دموعا لا يريث همورها

١٤-ينيلان بالله المجيد لقد ثوى لدى حيث لا فى زينها ونصيرها

١٥-فقامت بسبت يلعج الجلد مارن وعزّ عليها هلكه وغبورها

١٦-فبينا تنوح استبشروها بحبّها صحيحا وقد فتّ العظام فتورها

١٧-فخَرّت وألقت كل نعل شراذما يلوح بضاحى الجلد منها حدورها

رؤيــة فنيــة :-

الموضوع فــى هــذه القصــة هــو الموضــوع الســابق . والأحــداث هــى الأحــداث ، والشــخوص هــم الشــخوص ، وإن اختلفت الصياغــة ، وإن اختلفــت الصــور . فمثــلا شــخصية الأم قد أخذت بعداً اجتماعيا أكبر فى القصــة الأولــى. ومــع ذلــك فقــد جاء الشاعر بصورة لطيفة عندما قال : " وحيـــن تصــدى للــهوان عشيرها " فـــهى تشــعرنا بــأن الــزوج جعــل شــغله الشــاغل ، وحرصـــه وديدنــه هــذه المــرأة " تصــدى للــهوان عشـــيرها " فالعبارة تحمـــل فــى طياتــها كــل أســاليب الــهوان . النظــرات الجارحة ، والأساليب الخارجة ، والتصرفــات غــير اللائقــة.

لقد صوّرت فى القصة الأولـــى ، بأنــها شــمطاء القــذال ، وهى عقيم ، وهــى تراجــع بعــلا مــرة وتئيــم . بعكــس القصــة الثانية . فهى شهلة ، وقد شــاب رأســها. والتعبــير فــى القصــة الثانية عن شجاعة الولد بأنه "عناش عدو" فـــهو معــانق للأعــداء ، كناية عن مداومة الحرب لـــهم . التعبــير بذلــك أضــاف جديــدا عن القصة الأولى بالنسبة لشخصية الابـــن ووصـــف الابــن أيضــا فى القصة الثانية بأنه " إمـــام لنــادى دارهــا وأميرهــا " أضــاف لشخصيته بعدا جديـــدا.

وصـــورة الأم عندمـــا بشّــروها بابنــها قــد بســطت فـــى القصة الأولى عن الثانيـــة.

وفى خلال هذه الموازنة بين القصتين نرى أن واحدة رَبَت وزادت على أختها بأحد عشر بيتا . مما أعطى الشاعر فرصة التصوير للمواقف والرسم للشخصيات ، مما يجعلنا نقول إن الشاعر قد قال القصيدة الثانية فى بداية الأمر ، ثمَّ نقّحها وجوّدها وأضاف إليها مرّة أخرى وغيّر فى معالمها حتى خرجت بهذه الصورة الجديدة.

وتبقى كلمة :

هذه القصة فى مجملها تصور المرأة فى الحياة الجاهلية ، ونظرة المجتمع إليها عندما لا تنجب . لقد ثارت المرأة قديما على هذا الوضع الاجتماعى ، عندما أنجبت جارية ولم تلد غلاما فهجرها زوجها وهجر منزلها ، وصار يأوى إلى غير بيتها . فمرّ بخبائها بعد حول ، وإذا هى ترقّص بنيّتها منه وتقول :-

ما لأبى حمزة لا يأتينا ... يظل فى البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك فى أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهما ، حتى ولج عليها الخباء فقبّلها وقبّل بنيّتها وقال : ظلمتكما ورب الكعبة[1]

---

[1] البيان والتبيين : جـ ٣ ص ٥٨١ ط بيروت.

فهل كان ساعدة بن جؤية يعالج وضعا اجتماعيا في تلك الفترة المبكرة ؟ هل كان يبرزه ويجسده للناس ليتضح مدى الظلم الصارخ الذى يقع على كاهل المرأة التى لا تنجب؟

هل نتزيد ، ونحمل النص ما لا يطيق ونقول : إنها قصة اجتماعية ، راحت تعالج مبكرا صورة المرأة التى لا تنجب ، ومدى معاناتها ، وموقف المجتمع منها حتى نتعاطف معه هذه الإنسانة ؟ أميل إلى إثبات ذلك ولو اتهمت بالتزيد والمبالغة ، وإنطاق القصة بما ليس فيها فأنا أرى فى إلحاح الشاعر على هذه الصورة وسوقها فى قصيدتين مختلفتين ذلك الدافع الاجتماعى.

بين ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيب الهذلى :-

وقد عمد أبو ذؤيب الهذلى ، وقد كان راوية لساعدة ابن جؤية إلى القصة نفسها ، فصاغها فى قصيدة جديدة ، مشبها وجده بمحبوبته بوجد تلك الأم التى فقدت ولدها . وقد بدأها بمقدمة غزلية قال فيها :-

تؤمل أن تلاقى أم وهب بمخلفة إذا اجتمعت ثقيف

إذا بنى القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف

تواعدنا عكاظ لننزلنه ولم تعلم إذا أنى خليف

فسوف تقول إن هى لم تجدنى أخان العهد أم أثم الحليف[1]

وواضح من هذه المقدمة أنه غير حريص على دوام هذه العلاقة ، غير متشبث بها ، قالٍ لها ، مخلف لمواعيدها . فقد واعدته " أم وهب " بأن يلقاها فى عكاظ ، حيث يجتمع الناس لشئونهم الكثيرة ، ولم تعلم أم وهب أنه سيخلف وعده ، وسيتخلف عن موعده ، ولعلها عند ذلك تتحير ، متسائلة عن سبب تخلفه " أخان العهد أم أثم الحليف " لقد عاهدها وأقسم لها فما الذى جعله يتخلف عن موعده ؟

ثم يبدأ أبو ذؤيب فى سوق قصته التى تشبه إلى حد كبير قصة ساعدة بن جؤية فيقول :-

١-وما إن وجد معولة رقوب بواحدة إذا يغزو تُضيف

٢-تنقض مهده وتذبّ عنه وما تغنى التمائم والعكوف

٣-تقول له كفيتك كل شئ أهمّك ما تخطتنى الحتوف

٤-أتيح له من الفتيان خرق أخو ثقةٍ وخرّيقٌ خَسُوف

٥-فبينا يمشيان جرت عقاب من العقبان خائتة دفوف

٦-فقال له وقد أوحت إليه ألا لله أمك ما تعيف

٧-بأرض لا أنيس بها يباب وأمسلة مدافعها خليف

---

[1] الديوان جـ١ ص ٩٨

فقال له :-

٨- أري طيـــــــرا ثقـــالا تبشر بالغنيمة أو تخيف

٩-فألقى القوم قد شربوا وضموا أمام الماء ، منطقهم نسيف

١٠-فلم يرغير عادية لزامـــا كما يتهدم الحوض اللقيف

١١-فراغ وزودوه ذات فرغ لها نفذ كما قد الحشيف

١٢ -وغادر فى رئيس القوم أخرى مشلشلة كما قد النصيف

١٣-فلما خر عند الحوض طافوا به وأبانه منهم عريف

١٤-فقال : أما خشيت – وللمنايا مصارع أن تخرقك السيوف

١٥-فقال : لقد خشيت وأنبأتنى به العقبان لو أنى أعيف

١٦-وقال بعهده فى القوم إنى شفيت النفس لو يشفى اللهيف(١)

وقد علق الدكتور حسين نصـــار علـــى القصيدتيـــن بقولـــه : ولجأ أبو ذؤيب وساعدة إلى قصة واحدة أتيــا بــها لوصــف مــا يشعران به من حزن . ولكنـــه ليــس حزنــا علــى ميــت ، وإنمــا على حبيب مفارق . وقد اتفقـــا فـــى الخطـــوط الكبـــيرة للقصـــة ، واختلفا فى بعض التفاصيل وفى النهايـــــة . ونســتطيع أن نجملــها فى امرأة شابت وأوغل زوجها فى العمر ، وفـــى هـــذه الســـن

أنجبت ابنا أحاطته بكل مظـــاهر الحـب والرعايــة ، حتــى شب جميلا قويا مبرأ مــن كـل عيــب . وخــرج ذات يــوم للغــزو ومع رفقة له ، فــإذا بأعدائــه يحيطــون بــه مــن كـل جــانب ، فراماهم بالنبل ، ثم طاعنـــهم بــالرمح ، ثــم ضاربــهم بالســيف ، وأخيرا طعن – عند أبـــى ذؤيــب – فــهجم علــى رئيــس القــوم وطعنه ، وسقط الاثنان صريعيـــن.

أما ساعدة فأنقذ بطل قصته عــدوا علــي رجليــه ، فأعــاد الحياة والفرحة إلى أمه التى كــادت تمــوت أســى عندمــا أبلغــها رفاقه بموته المظنـــون[١].

وليســت هــذه هــى أوجــه التلاقــى والاختــلاف بيـــن القصيدتين فقط . بل ليست هذه الخطـــوط الكبــيرة بيــن القصتيــن موضع اتفــاق.

فقصة أبى ذؤيب قد بدأت بنهاية الأحــداث ، ثــم عــاد إلــى ســرد قصتــه مسلســلا تطــور الحــوادث التــى أدت إلــى تلـــك النهاية[٢].لقد بدأ أبو ذؤيـــب قصتـــه بـــالأم وهـــى معولـــة علـــى ولدها الذى مـــات :-

---

[١] الديوان جـ ١ ص ٩٩

[١] آراء حول قديم الشعر وجديده . كتاب العربى . الكتاب الثالث عشره أكتوبر لسنة ١٩٨٦ ص ٣٨.

[٢] وهذه طريقة من طرق عرض القصة . وتسمى هذه الطريقة بالإنجليزية (فلاش باك Flash Bake) القصة والرواية .د/ عزيزة مريدن ص٤١

وما إن وجد معولة رقوب　　　بواحدها إذا يغزو تضيف

ثم بعد هذه النهاية يذكر الأحداث التى أدت إلى النهاية بقوله:-

تنفض مهده وتذب عنه　　　وما تغنى التمائم والعكوف

فالبداية عند أبى ذؤيب مختلفة عن البداية عند ساعدة ابن جؤية.

وليست البداية وفقط . ولكن ساعدة قد اهتم بقضية الأم التى لا تنجب ، وأبرز ما تعانيه وما تلاقيه من هذا المجتمع ، وبسط شخصيتها تبعا لذلك . فهى مرة : شاب رأسها ، ومرة : شمطاء القذال .، ومرة : عقيم . وهى تراجع بعلا مرة وتئيم .، وهى من معشر يبغضونها. وهى تصدى للهوان عشيرها . وقد رأته على فوت الشباب ، وقد رأته على يأس . هذا الفصل من القصة – قبل أن يأتى الولد – لا وجود له فى قصة أبى ذؤيب . وهو موجود ومفصل ومبسوط فى قصة ساعدة بن جؤية .

ويقابله فى قصة أبى ذؤيب إشارة أبى ذؤيب الخاطفة إلى تلك العادة التى كانت موجودة وهى العيافة وزجر الطير . فقد أشار إليها فى لمحة خاطفة عندما قال :-

فبينا يمشيان جرت عقاب　　　من العقبان خائتة دفوف

فقال له وقد أوحت إليه　　　ألا لله أمك ما تعيف

بأرض لا أنيس بها يباب　　　وأمسلة مدافعها خليف

فقال له : أرى طيرا ثقالا تبشر بالغنيمة أو تخيف

ولم يتعرض ساعدة فى قصته لتلـــك العـــادة.

والولد فى قصـــــة ســـاعدة هـــو الحـــامى ، هـــو العنصـــر الفاعل ، هو المؤثر والمدافـــع عـــن الأم والحـــامى لـــها . فـــهو " شب لـــــها" يحميـــها ويدافـــع عنـــها وهـــو "ألذمـــها مـــن معشـــر يبغضونها نوافل تأتيها به وغنـــوم " وهـــو " إمـــام لنـــادى دارهـــا وأما عند أبى ذؤيب ، فالأم هى العنصـــر الفـــاعل والمؤثـــر:-

تنفض مهده ، وتذب عنـــه ، تقـــول لـــه كفيتـــك كـــل شـــئ أهمك ما تخطتنى الحتوف ، ما بقيت على قيـــد الحيـــاة كفيتـــك كـــل شئ .

وقد اختلف العنصر الفاعل هنـــا بيـــن القصتيـــن لاختـــلاف الدافع . فالمرأة المحبة عند ســـاعدة مرغوبـــة ومأمولـــة . ولذلـــك جاء الذكر حاميـــا ومدافعـــا ومنقـــذا لـــها مـــن إهانـــات القبيلـــة ، ومخلّصا لها . أما المرأة عند أبى ذؤيب فهى التـــــى ســـتذهب إلـــى عكاظ ، إلى الموعد ، وأبو ذؤيب ســـيخلف موعـــده ، ولـــن يذهـــب إلى هناك " ولم تعلم إذا أنى خليف " ولذلـــك فـــهى تقـــدم وتعطـــى ، والذكر يخلف ويهرب . وجاءت القصـــة علـــى هـــذا النمـــط " هـــى ستذب عنه وهى ستكفيه كل شئ . ومـــع ذلـــك لا غرابـــة أبـــدا ، لا غرابة أن يخذلها الذكر ، وأن يموت فـــى نهايـــة القصـــة ، أو مـــن بدايتها ، ليفجعها فى ولدها ، كما فجعت محبوبة أبـــى ذؤيـــب فـــى محبو بها ، ولا غرابة أن يحافظ ســـاعدة علـــى حبـــه ، وأن يبقـــى

على الولـــد لأمــه . واختـبلاف نـهايـــة القصـــائد تبعـــا لاختـــلاف موضوعها يردً على كثير مــــن البـــاحثين الذيـــن قـــالوا إن نـهايـــة القصة واحدة مكررة ومعــــادة[١]

القصة الثانيـــة :-

"نـهاية العمر"

تقديـم :-

هذه قصة أخرى لساعدة بـــن جؤيــــة ، تحـــدث فيـــها عـــن مرحلة من أخطر مراحل عمــــر الإنســـان ، وهـــى مرحلـــة الشـــيب والـــهرم.

وقد مهّد لقصته ، أو علـــى الأصـــح مـــهّد لقصصـــه الـــذى أورده فى تلك القصيدة عن الشـــيب والـــهرم بمقدمـــة فـــى ســـبعة أبيات ، صوّر فيها حالهٌ مع الـــــهرم وجفـــاف أيامـــه ومـــا يعانيـــه فقال :-

يااليت شعرى ألآ منجى من الهرم — أم هل على العيش بعد الشيب من ندم

والشيب داء نجيس لا دواء لـه — للمرء كان صحيحا صائب القحم

وسنان ليس بقاض نومةٌ أبداً — لولا غداة يسير الناس لم يقم

---

[١] القصة الشعرية . د / عزيزة مريدن ص ٣٢

إن تأته فى نهار الصيف لا تره   إلا يجمّع ما يصلى من الحجم

حتى يقال وراء البيت منتبذا   قم لا أبالك سار الناس فاحتزم

فقام ترعد كفاه بمحجنه   قد عاد رهبا رذ يا طائش القدم

هكذا يتحدث ساعدة بن جؤية عن فترة الضعف والوهن فى عمر الإنسان ، ويصور ما يعانيه من سقم و ألم وضعف فى الحركة ، ووهن فى المناكب والمفاصل ، وما شابه ذلك . ثم بدأ فى سرد قصته ، فساق ثلاثة نماذج ، الأول منها يصور حياة وعل من الوعول :-

(أ)قصة الوعل :-

١-تالله يبقى على الأيام ذو حيد   أدفى صلود من الأوعال ذو خدم

٢-يأوى إلى مشمخرات مصعدة   شم بهن فروع القان والنشم

٣-من فوقه شعف قر وأسفله   جى تنطق بالظيان والعتم

٤-موكل بشدوف الصوم ينظرها   من المغارب مخطوف الحشا زرم

٥-حتى أتيح له رام بمجدلة   جشء وبيض نواحيهن كالسجم

٦-فظل يرقبه حتى إذا دمست   ذات العشاء بأسداف من الغسم

٧-ثم ينوش إذ اد النهار له   بعد الترقب من نيم ومن كتم

٨-دلى يديه له سيرا فألزمه   نفاحة غير ابناء ولا شزم

٩- فراغ منه بجنب الريد ثم كبا علي نضى خلال الصدر منحطم[١]

هذه قصة من ثلاث قصص ساقها ساعدة فى قصيدته، ليرسم بها صورة الشيب والهرم.وتبدأ القصة بمطلعها المعهود عند الهذليين " تالله يبقى على الأيام " أى لا يبقى على الأيام . وبطل هذه القصة " ذو حيد " أدفى صلود من الأوعال ذو حزم " بطلها إذن وعل من الوعول ، قرونه ملتوية ، قد احدوديت ومالت على ظهره . يعيش وحيدا منفردا ، فى يديه بياض . يعيش فى المرتفعات العالية ، وسط تلك الأشجار التى يتخذ منها القسى.

وهو فى هذه المرتفعات يحس بالبرودة الشديدة من فوقه ، ومن تحته مناقع الماء وأشجار الزيتون البرى وغير ذلك.

وهو فزع خائف يرقب فروع الأشجار يحسبها صائدا ، وهو طائر اللب مشعوف الفؤاد.

موكل بشدوف الصوم ينظرها من المغارب مخطوف الحشازرم[٢]

لقد ظل على هذه الحال فى أعالى الجبال ، حتى أتيح له صائد بنصاله وسهامه. ظل هذا الصائد يرقبه ، حتى إذا

---

[١] الديوان جـ ١ ص ١٩١الصوم شجر . المغارب.
[٢] الشدوف : الشخوص . الصوم : شجر المغارب : كل مكان يتوارى فيه زرم : قطع

كانت سدفة الليـــل ، وأرخـــى الليـــل ســـدوله ، رمـــاه مـــن فوقـــه فأصابه . ونفذ السهم حتـــى خـــرج مـــن جنبـــه ، ونضـــخ الـــدم ، وراغ الوعل بسهمه ودمه إلى حرف الجبل ، ثـــم كبـــا وقـــد دخـــل السهم بين الضلـــوع .

رؤيـــة فنيّـــة :-

علاقة القصة بموضوع القصيـــدة :-

موضـــوع القصيـــدة كمـــا عرفنـــا مـــن المقدمـــة ، يرســـم صورة للشيب والـــهرم وقـــد صاحبـــها الوهـــن والضعـــف . وقـــد جاءت القصة لتؤكد ارتباطـــها بـــالموضوع

-فالمقدمة كما قلنا ما هى إلا عنوان للقصة . كأنه يقول : سأحكى لكم قصة عن الشيب والهرم ، وما يصاحبها من ضعف ، ثم يسرد قصته .

وقد اختار بطل قصته وعلا مـــن الوعـــول ، تحنـــىّ قرنـــاه على ظهره وقد احدوبـــت ومـــالت ، يعيـــش منفـــردا "صلـــودا" [1] أوظفته بيضاء ، ذو حزم. هذه الصفات لم تذكـــر عبثـــا ، وإنمـــا

---

[1] وقد فسّر شارح الديوان "صلود" بمعنى يصلد برجله ، أى يضرب بها على الصخرة فيسمع لها صوت . وعلّق محقق الديوان على هذا بقوله : فُسّر فى اللسان "الصلود" بأنه المنفرد . وأنشد هذا البيت ، ولم يذكر الصلود بالمعنى الذى ذكره الشارح هنا . الديوان جـ ١ ص ١٩٣ أقول إن سياق القصة يؤكد صحة ما ذهب إليه المحقق

ساق الوعل بهذه القرون التى طالت ، وانفراده فى أعالى الجبال ، وقد ابيضت أوظفته بما يرمز أو يشير إلى الشيب ، وقد عبّر عنه فى المقدمة ، وصوّر بغضه له بقوله :

والشيب داء نجيس لا دواء له للمرء كان صحيحا صائب القحم[١]

أعتقد أن هذه هى صورة الشيب والهرم فى القصة . ومع انفراده ، فهو يأوى إلى أماكن مرتفعة ، موغلة فى الارتفاع ، فهى مشمخرّات مصعّدات شُمٌّ بها أشجار عالية . من فوقه رءوس الجبال بما تحمله من برد شديد وأسفله جفار المياه ، وأشجار الزيتون ، وما يشبه النسرين .

هو فى هذا المكان حيث البرد الشديد ، والأشجار العالية ، غير مطمئن .

إنه يسيطر عليه الخوف ، ينظر إلى أعلى فلا يرى سوى رءوس الجبال ، وينظر إلى أسفل فلا يري إلا بقايا الماء فى الأجفار . وأين هو ؟ فى أعلى ؟ . فى أسفل ؟. إن الشاعر قد قصد تصويره على هامش الحياة . على هامش الجبل . إنه الشيخ الهرم الخائف المترقب ، مخطوف الحشا .

وظل كذلك حتى أتيح له قدره . أتيح له رام بمجدلة فأعطاه سهما أطبقت عليه الضلوع.

---

(١) الديوان جـ١ ص ١٩١.

والقصة كما نرى مرتبطة ارتباطا وثيقا بموضوع القصيدة ، وهو الشيب والهرم والضعف الذى يوصل إلى الموت .

<u>الشخصيات فى القصة :-</u>

وهل فى القصة شخصيات غير هذه الشخصية الواهنة الضعيفة المنتظرة للموت؟ . وقد أجاد ساعدة بن جؤية فى رسم أبعاد تلك الشخصية ، وتصويرها . فقد تناول البعد الجسمى لهذا الوعل بما يعكس دوره فى القصة ، ويخدم القصة وينميها ويثريها . فهو وعل قد بلغ من الكبر عتيا . قرونه ملتوية طويلة ، أوظفته بيضاء . هجر الدنيا وعاش وحيدا فى الحياة ، أقصد على هامش الحياة . يعيش فى شاهق الجبال بين برودة فى أعاليه ، وماء أجراف فى أسفله ، والبعد النفسى ناتج عن هذا البعد الجسمى . فهو يعيش منعزلا خائفا منكمشا ، يرقب فروع الأشجار يحسبها صائدا . لا يتحرك إلا إذا مال النهار للزوال .

ينوش بعض الأشجار ، ويتناول أوراقها.

أما الشخصية الثانية وهى شخصية الصائد ، فهى شخصية غائمة ، ليس فيها من وصف سوى أنه رامٍ يحمل فى يده أدوات الرمى من سهام وغير ذلك.

البيئة :-

البيئة هنا تلك التى عاش فيها هـذا الوعـل ، هـى الجبـال الموغلة فى الارتفاع . وقد اختـار مكانـا تحـت رءوس الجبـال ، فكانت البرودة الشديدة من ناحيـة ، والأشـجار التـى لا تنبـت إلا فى هذا المكان المرتفع (القـان والنشـم) (الصـوم) وهـى أشـجار على شـكل شـخوص قائمـة ، كريهـة المنظـر ، يقـال لثمـره رءوس الشياطين ، وليس لـه ورق ، وللصـوم هـدب ولا تنتشـر أفنانه ، ينبت نبات الأثل ولا يطـول طولـه هـذا بالنسـبة للبيئـة المكانية ، وهى بيئة فيـها النبـات الخـالى مـن الـورق وفيـها رءوس الجبال الشاهقة ، وفيها القرّ والـبرد الشـديد وهـى بيئـة تساهم فى رسم جو القصة للشـيب والـهرم .

والبيئة الزمانية وقـد تمثلـت فـى الوقـت الـذى اختـاره الصـائد :-

فظل يرقبه حتى إذا دمست ... ذات العشاء بأسداف من العسم

فالبيئة الزمانية هنا مظلمة .(دمسـت، العشـاء) أسـداف ، العسم [١] وحتى عندما ذكر النهار ، ذكره وقد آد ، وقد مال للزوال .

وهكذا نرى البيئة وقد خطط لها الشاعر لتخدم الجو العام فـى القصة.

---

[١] دمست : التبت بالظلمة أسداف جمع سدف وهى الظلمة
الغسم : اختلاط الظلمة وهو غبس الليل وسواده

الأحداث :-

القصة تحكى الشيب والهرم . وهما نهاية الأحداث لا بدايتها . ولذلك لا نجد أحداثا فى القصة سوى حدث واحد . ونرى حركات بسيطة ضعيفة ، تلوح فى ضعف وتخاذل . فهذا الوعل " يأوى" وهى حركة خمول ، يأوى إلى مشمخرّات . وهو "موكّل " بشدوف الصوم ينظرها . وهو " ينوش إذا أد النهار له " بعد الترقب من نيم ومن كتم.

والحركة الأخيرة كانت عند موته "فراغ منه يجنب الريد ثم كبا " وهكذا حركات بسيطة ضعيفة واهنة.

وحتى حركة الصائد "فظلّ يرقبه " وليس هناك من حدث يحرك الشخوص ويدفع القصة إلى نهايتها سوى تحرك الصائد " دلّى يديه له سيرا فألزمه نفاحة " هذا هو الحدث الوحيد الذى يحرك الأحداث إلى نهايتها.

الصياغة والأسلوب :-

لقد صيغت القصة كلّها بطريقة واحدة من بدايتها إلى نهايتها ، وهى طريقة السرد القصصى المباشر . واستخدم الشاعر الوصف في قصته . وصف هذا الوعل والمكان الذى يعيش فيه ، وطريقة تحركه وتناوله لطعامه . ووصف عدّة الرامى وروغان الوعل وكبوته . وجاءت بعض الصور البلاغية غير المتكلفة ،وإن كانت قليلة . من مثل قوله :-

من فوقه شعف قر وأسفله جى

وقوله :-

موكل بشدوف الصوم ، أد النهار

بين البداية والنهاية :

بدأ الشاعر قصته بقوله :-

"تالله يبقى على الأيام ذو حيد"

وهذه البداية القصصية تكررت كثيرا فى شعر الهذليين حتى صارت لازمة من لوازم القصة عندهم . إذا أراد الشاعر أن يحكى قصة بدأها بقوله " والدهر لا يبقى على حدثانه " وهى ليست جملة خبرية أراد الشاعر أن يخبرنا بها عن نهاية قصته ، كما ظن صاحب كتاب " الرؤى المقنعة" عند ما قال معلقا على هذه البداية عند الهذليين " وهذه صيغة فاجعة تماما للحكاية لأنها تقدم النهاية سلفا"[١] . وهى ليست حكما على القصة أشار إليه الشاعر من البداية كما يقول الدكتور حسين نصار " وقد اغترف من قصص الصيد هذه شعراء بنى هذيل فأتوا منها بالقصص الرائع الباهر ، فقد اعتاد شعراء هذه القبيلة فى الرثاء خصوصا أن يحكو قصص الصراع العنيف بين العظيم القوى من الحيوان والطير وبين القدر . والنهاية المحتومة لهذا الصراع . فهم يفرون من مشاعرهم الخاصة إلى

---

[١] الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى دراسة الشعر الجاهلى . كمال أبو ديب ص ٢١٦

المشاعر العامة . أو من حزنهم الفردى إلى سنة الطبيعة فى القضـاء على كل حىّ مهما بلغ.

وكانوا فى هذا القصص يصورون حياة مـا يعـالجون مـن حيوان ، مع زوجته وعشيرته وما تتمتع به من رياض ، وما حظـى به من لهو ، وما نعم به من سعادة . وفى أثناء ذلك يبدو القدر علـى صورة صائد يرافق كلابه ، فتبدأ المطاردة ويشتد الصـراع وتسـقط القتلى.

ويُصرُّ الشاعر الهذلى على إهلاك الحيوان الذى يصفـه فـى النهاية . لأن الفكرة كما يقول ساعدة بن جؤية :-

أرى الدهر لا يبقى على حدثانه　　　أبود بأطراف المناعة جلعد

ويكرّرها أبو ذؤيب :-

والدهر لا يبقى على حدثانه　　　جون السراة له جدائد أربع

ويكرّرها صخر الغىّ ، وأبو خراش وغيرهما)[1]

ويُفهم من كلام الدكتور حسين نصار أن الشاعر قـد أعطـى فكرته ، وهى إهلاك الحيوان منذ البداية . منـذ أن قـال "والدهـر لا يبقى على حدثانه . وهى فكرة تقترب مما قالـه صـاحب " الـرؤى

---

[1] كتاب العربى "أراء حول قديم الشعر وجديده " الكتاب الثالث عشر ١٥ أكتوبر سنة ١٩٨٦ ص ٣٦

المقنعة" وهو ما رفضناه فى بحثنا السابق "الحس القصصى فى شعر أبى ذؤيب الهذلى" لأسباب عديدة منها :-

أن بعض القصص الهذلى قد بدأ بهذه البداية " والدهر لا يبقى على حدثانه" ولم تأت النهاية بالموت ، وإنما أتت بالتشتت أو الضياع أو ما شابه ذلك . وأن هذه البداية أصبحت لازمة عند شعراء هذيل . إذا أراد الشاعر أن يبدأ قصة بدأها بقوله " والدهر لا يبقى على حدثانه " كما نبدأ الحكاية لأطفالنا بقولنا " كان يا ما كان "

وقد جاءت النهاية هنا فى هذه القصة بالموت ، وهى نهاية طبيعية للشيب والهرم . فالنهاية جاءت متساوية مع موضوع القصيدة .

<u>(ب) قصة قطيع البقر :-</u>

<u>نص القصة :-</u>

١-ولا صوار مذرّاة مناسجها   مثل الفريد الذى يجرى من النظم

٢-ظلّت صوافن بالأرزان صادية   فى ماحق من نهار الصيف محتدم

٣-قد أوبيت كلّ ماء فهى طاوية   مهما تصب أفقا من بارق تشم

٤-حتى شآها كليل موهنا عمل   باتت طرابا وبات الليل لم ينم

٥-كأنّ ما يتجلى من غواربها   بعد الهدوء تمشى النار فى الضرم

٦-حيران يركب أعلاه أسافله   يخفى جديد تراب الأرض منهزم

٧-فأسأدت دلجا تحيى لموقعه   لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم

٨-حتى إذا ما تجلى ليلها فزعت   من فارسٍ وحليف الغرب ملئتم

٩-فافتنا فى فضاء الأرض يافرها   وأصحرت عن قفاف ذات معتصم

١٠-أنحى عليها شراعيا فغادرها   لدى المزاحف تلى فى نضوخ دم

١١-فكان حتفا بمقدار وأدركها   طول النهار وليل غير منصود

عرض القصة :-

هذه قصة أخرى فى القصيدة نفسها ، وفى الموضوع نفسه ، تحدث فيها الشاعر عن قطيع من البقر "صوار " أى والدهر لا يبقى على وعل ولا على صوار ، ولا على قطيع من البقر (صوار مذراة مناسجها)، مثل الفريد الذى يجرى من النظم "[1] قطيع من البقر ، تضرب الريح فى مناسجها البيضاء ، واقفة على ثلاثة أرجل عطشى فى يوم قائظ (ظلت صوافن فى الأرزان صادية ، فى ما حق من نهار الصيف محتدم) قد مُنعت الماء ، وأصبحت طاوية ، إذا رأت برقا توسمت منه المطر ، منعها الرماة من الحركة وحاصروها مكانها تبيت على الطوى .

---

[1] الصّوار : بكر الصاد وضمها : القطيع من البقر ، منسج الدابة ما بين مغرز العنق إلى منقطع الحارك فى الصلب . أو ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق . مذراة قد ذريّت بالمذرى . مثل الفريد أى كأنها فريد من بياضها . والفريد ما دوّر

حتى كانت ليلة برق فيها بارق فى الأفـــق ، فبـــاتت تمنـــىّ نفسها الأمانى ، وظل البرق طوال الليل على هذه الصـــورة ، يظـــهر قليلا ويختفى . ويبرق من أعلى مرة ومن أســـفل أخـــرى . وســـار القطيع ليلا متوجها جهة هذا البرق ، سار لا يلوى على شئ . فـــهو إن لم يمت من الصائد مات من العطش ، وسار لا يتعبـــه مشـــى ولا تعوقه ظلمة .

فأسأدت دلجا تحى لموقعه لم تنتشب بوعوث الأرض والظلم [١]

وأخيرا ، وبعد هذه الرحلة الشـــاقة طـــوال الليـــل ، وســـط الظلمة والأهوال ، انجلى الليل عن فارس بســـيفه وقناتـــه ، فكـــان الخوف والفزع ، وكان الهروب فى فضــــاء الأرض ، وكـــان العـــدو والوثب ، وأصحرت و أقفرت ، والتفت الخيل والصائد حولها . ولـــم يضيّع الصائد فرصة . لقد أشرع على القطيع رمحه الطويل ، وغـــادر القطيع وهو ينضخ بالدماء . فأخذت البقر نصيبها وأصابـــها قدرهـــا وحتفها .

رؤية فنية :-

هذه هى القصة الثانية ، أو هى النموذج الثـــانى ، للشـــيب والهرم . وهى تحكى عن قطيع من البقر ، قد حـــاصره الرمـــاة فـــى مكان ما ، ليس به ماء ولا طعام.

---

(١) الاسئاد : سير الليل . لم تنتشب : لم تحتبس

لقد أشرفت على الهلاك ، وظلت تتطلع إلى البرق لعل وراءه المطر ، علّه ينقذها من الهلاك . ولما ابتعد هذا البرق ، وابتعد معه الأمل فى المطر ، ضاع الأمل المنشود ، تحرك القطيع بحثا عن الماء ، سار الليل كله ، حتى انبلج الصباح عن الخيل بفوارسها ، فكان هلاك هذا القطيع.

ونلاحظ أن القصة قد بدأت ، وقد بلغت الروح الحلقوم ، وصلت النهاية وهكذا الشيب والهرم . لقد بدأت القصة بالقطيع وهو محاصر ظمآن .

ولم ينس الشاعر أن يجعل مناسجها بيضاء ، كما جعل أرجل الوعول بيضاء من قبل وهو رمز الشيب وعندما أصاب الصائد القطيع أصابه بمقدار - فكان حتفا بمقدار - وهكذا نرى الترابط الوثيق بين القصة وموضوع القصيدة.

الشخصيات :

شخصية قطيع البقر هنا لها معالم واضحة . فأجسادها بيضاء كالفضة ، ضربت مناسجها الريح ، حوصرت فى مكان ما بعد مطاردة الرماة لها . وقد طالت وقفتها وحصارها حتى ذبلت "صادية" وهى تقف فى شدة الحر وقد منع عنها الماء.

ثم انتقل الشاعر إلى تصوير البعد النفسى للشخصية ، وهو انعكاس ونتاج البعد الجسدى ، فهى تنظر فى الأفق آملة أن تلمح برقا ، وأن يتحول هذا البرق إلى قطرات من الماء ، وهى فرحة

لرؤيتها برقا ضعيفا على بعد . وهى يائسة مغـــادرة عندمـــا انـــهزم البرق وتلاشى . وهى فى سبيل قطرة ماء لا تحس تعبا ولا وهنا .

الشخصية الأخرى وهى شخصية الصائد ، هــــى شـــخصية ليست بذات بال ، فمعالمها غير واضحة ، وأثرها غير واضح أيضـــا . ولم لا ، والظمأ كفيل بالنهاية ، ومرور الوقت يقتلها من الظمأ بـــدون صائد ولا غيره . فالصائد هنا فارس يحمل سهمه وقناته ، يتبع خطى هذا البقر ، ومال عليها برمحه فأصابها قدرها.

الأحداث :

الأحداث هنا قليلة بالقياس إلى النموذج السابق . فالقصــــة تبدأ بهذا الحصار لهذا القطيع من البقر فى مكـــان قفـــر ليـــس فيـــه مقومات الحياة ، مما يوحى لنا أن الحصار قد ســـبقه مطـــاردة مـــن الرماة لهذا القطيع حتى ألجأه إلى هذا المكان الخالى مــــن الحيـــاة . وقطيع البقر لم يرضخ لهذا الحصار ، وإنما هو يتطلع إلـــى الســـماء آملا أن تهطل ، ولم تكتف بالتطلع إلى السماء ، ولكنها راحت تجـــرى وراء هذا البرق . وتسير الليل كله بحثا عن المـــــاء . وهنـــا نـــرى الأحداث فى هذه القصة نامية ومتطورة ومحركة للأحداث . فحصـــــار الرماة لها جعلها تطلب الماء ، وابتعاد البرق جعلها تطوى الليل بحثـــا عنه ، ليسلمها إلى الصائد ، فتفر منه إلى خيل أخرى فتلقى حتفـــــها الذى قدرّ لها

البيئة :-

البيئة هنا تخدم القصة . وقد وصف الشاعر البيئة المكانية والزمانية ، بما يساهم فى رسم قصته . فهى قد حوصرت فى الأرزان ، وهى الأماكن العالية الخالية من المياة . والبرق الذى ظهر برق كليل موهن ، وعندما هربت من الخيل هربت فى قفاف . وهو غلظ من الأرض لا تجرى فيه الخيل .

وأما البيئة الزمانية فهى " ما حق من نهار الصيف " فأسأدت دلجا" . حتى المرة الوحيدة التى انبلج فيها الظلام ، انبلج عن الخطر ، وظهر الفارس بعدته :-

حتى إذا ما تجلى ليلها فزعت   من فارس وحليف الغرب ملتئم [1]

(ج)جماعة الأنس :-

وهى النموذج الثالث الذى ساقه الشاعر فى قصته عن الشيب والهرم وقد بداه بقوله :-

هل اقتنى حدثان الدهر من أنس

كانوا بمعيط لاوخش ولاقزم

كيدا وجمعا بآناس كأنهم

أفناد كبكب ذات الشق والخزم

يهدى ابن جعتم الأنباء نحوهم

لا منتأى عن حياض الموت والحمم

---

[1] الغرب : الحد . حليف اللسان : حدن اللسان ، حليف الغرب حديد الحد

يخشى عليهم من الأملاك بائجة

من البوائج مثل الخادر الرزم

ذا جزأة تسقط الأحبال رهبته

مهما يكن من مسام مكره يسم

يدعون حمسا ولم يرتع لهم فزع

حتى رأوهم خلال السبى والنعم

بمقربات بأيديهم أعنتها

خوص إذا فزعوا أدغمن فى اللجم

يوشونهن إذا ما نابهم فزع

تحت السنور بالأعقاب والحذم

فاشرعوا يزينات محرّبة

مثل الكواكب يسّاقون بالسمم

كأنما يقع البصرى بينهم

من الطوائف والأعناق بالوزم

يجدلون ملوكا فى طوائفهم

ضربا خراديل كالتشقيق فى الآدم

ماذا هنالك من أسوان مكتئب

وساهف ثمل فى صعدة حطم

وخضرم زاخر أعراف تلف

يؤوى اليتيم إذا ما ضَنّ بالذمم

وشرجب نحره دام وصفحته

يصيح مثل صياح النسر منتحم

مطرف وسط أولى الخيل معتكر

كحل قرقر وسط الهجمة القطر

وحرّة من وراء الكور واركة

فى مركب الكره أو تمشى على جشم

يذرين دمعا علي الأسّفاد منحدرا

يرفلن بعد ثياب الخـــال فـــى الـــردم

فاستدبروهم فهاضوهم كأنهم

أرجاء هار زفـــاه اليـــم منثلـــم

فحلزوا بأسارى فى زمامهم

وجامل كحريـــم الطـــود مقتســـم [١]

هذى هـــى القصـــة الثالثـــة ، أو النمـــوذج الثـــالث للـــهدم والشيب . وهو فـــى هـــذه المـــرة نمـــوذج مـــن البشـــر ، كـــانوا يعيشون فى بلاد هذيل ، ما هم بلئـــام ولا بـــأنذال وكـــانوا أصحـــاب عدة وعدد ، ولهم كتـــائب وجيـــوش ، تحربـــهم الكتـــائب وتنمـــى إليهم أخبار الأعداء ، لا يصيبهم خـــوف ولا فـــزع ، وهـــم أعـــزة . أصابهم العدو ، وياله من يوم ، ويالها مـــن إصابـــة .

ماذا هنالك من أسوان مكتئب ، وساهف ثمـــل فـــى صعـــدة حطم ، وخضــــدمُ وشـــرجب نحـــره دام وصفحتـــه ، يصيـــح مثـــل صياح النسر منتحم ، وحـــرة مـــن وراء الكـــور واركـــة ، يذريـــن

---

[١] ديوان الهذليين جـــــ١ ص ٢٠٧

ودمعا علي الأشفار ، يرفلن بعد ثياب الخـــال فـــى الـــردم [١] تلـــك هى النهاية ، وهذا هو فعل الأيام ، وأثر حدثـــان الدهـــر .

رؤية فنيـــــة :

الأشخـــاص :

لقد رسم الشاعر صورة للأشخاص (لا وخش ولا قزم) [٢] .
فما هم بلئام ولا بأنذال . لهم كتائب وجيوش ، وتصلهم أخبار العدو ، ويسميهم الناس بالحمس لعزهم ، وكذلك لا يغزون لعزهم وسمعتهم . وهم أيضاً أوقفوا الخيل مقربات ، استعدادا للغزو ، وهذا يعكس البعد الجسمى والنفسى للشخصيات فى القصة ، وهو وإن كان بعدا غائمـــا ، وغير محدد ، إلا أنه يخدم القصة ، فهؤلاء رغم عزهم وقوتهم لـــم يمهلهم الدهر أيضاً .

معالم ضائعــة :

لقد ذكـــر الشـــاعر فـــى القصـــة أن هـــؤلاء القـــوم كـــانوا يعيشون " بمعيط " وتقـــول كتـــب اللغـــة أن " معيـــط " موضـــع [٣] وموضع ببلاد هذيل [٤] . هذا هو ما تخبرنـــا بـــه المراجـــع .

---

[١] أسوان : حزيـــن . الســـاهف : العطشـــان . الخضـــارم . الواســـع الخلـــق ، الخاضرم : الأشراف . الشرجب : الطويـــل . الانتحـــام : شـــبيه بـــالنفس مـــن الصدر. واركة : أردفت فهى متوركـــة . ثيـــاب الخـــال : بـــردد حمـــر فيـــها خطوط خضـــر

[٢] الوخش : الأنذال . القزم : اللئـــام

[٣] لسان العـــرب : مـــادة عيـــط .ومعجـــم البلـــدان .المجلـــد الرابـــع جـــ٨ صـــ٢٩٠

[٤] الديوان حـــ١ ص ٢٠٠

والذى لا شك فيه أن هذا المكـان كـان لـه مـن السـمات الجغرافية ما يميزه عـن غـيره مـن الأمـاكن [١] مـن ناحيـة ، ويضيف إلى القصة جديدا من ناحيـة أخـرى . فالشـاعر لا يحـدد الأماكن عبثا . وقد ضاعت هذه المعـالم بالنسـبة لنـا ، وأصبحنـا غير قادرين علي تفسـيرها .

الأحـداث :

تبدأ القصة بوصف لـهؤلاء النـاس الذيـن يعيشـون فـى دعة ونعمة ، فى موضع من أرض هذيـل ، لـهم كتـائب وجيـوش كثـيرة يخشـى عليـهم غـيرهم ، ويحرسـهم . يقربـون الخيـل ليكونوا علي أهبة الاستعداد للحـرب .

وبعد هذا الوصف لهم يأتى الحدث الأول فـى القصـة :

فأشرعوا يزنيات محرّبة مثـل الكواكـب يسـاقون بالسـم

لقد بـدأوا فـى القتـال وسـددوا أسـلحتهم الغاضبـة ، وكـانوا يتساقون كئوس المنية ، وراح السيف يعمـل هنـا وهنـاك .

هذا الحدث عمل علي تحريك الشـخوص لتتوالـى الأحـداث بعدها " يجدلون ملوكا فى طوائفهم ماذا هناك من أسـوان مكتئـب " شرجب نحره دام وصفحته يصيح " وهكذا تتولى الأحـداث المترتبـة على الحدث الأول .

---

[١] فنحن الآن مثلا عندما نعـرف أن شـخصاً يسـكن فـى أسـوان ، أو فـى الإسكندرية نتصور المناخ الذى كان يعيش فيه وانعكاس هـذا المنـاخ عليـه .

ونرى المرأة المـــرة وقـــد أخرجــت مــن خدرهـــا ، وهـــى متوركة مركب الكرة ، أو تمشى علي جشـــم ، وتنظـــر دمعـــا علـــي الأسفار منحدراً ، وهـــن فـــى الـــردم بعـــد أن كـــن يلبـــس الـــبردد وغيرهـا .

وهنا يأتى حدث آخر " فاســـتدبروهم " ويـــترتب علـــي هـــذا الحدث " هاضوهم " كسروهم ودقوّهم ، فســـقطوا فـــى جـــرف هـــار ، ومروا بأسارى فى الحبـــال .

بين ساعدة بن جؤية وأبى ذؤيـــب :

لقد كان أبو ذؤيب راوية لســـاعدة بـــن جؤيـــة ، والـــذى لا شك فيه أنه تأثر بأستاذه بصـــورة مـــا . نلمـــح هـــذا التـــأثر فـــى قصيدته " العينية " تلك التى بكـــى فيـــها أولاده الذيـــن تخرمـــوا [١] . وهى تحمل ثلاث قصص ، أو نمـــاذج أو أمثلـــة للدهـــر وحدثانـــه ، وما يصنع بهذه النمـــاذج .

وساعدة بن جؤية كمـــا رأينـــا يقـــدّم فـــى قصيدتـــه ثلاثـــة نماذج ، يقدم النمـــوذج الأول فـــى صـــورة وعـــل ، والثـــانى فـــى صورة بقروحشى ، والثالث فى صـــورة فـــارس . ومعنـــى هـــذا أن ساعدة قـــد قـــام بعـــرض نموذجيـــن للحيـــوان ، ونمـــوذج ثـــالث للإنســـان .

---

(١) أشرت إلى هذه القصيدة بـــالتفصيل فـــى بحثـــى " الحـــس القصصـــى فـــى شعر أبى ذؤيب الـــهذلى " .

وكذلك فعل أبو ذؤيب عندما قدم نموذجيـــن للحيـوان همـــا : الحمار الوحشى والثور ، وقـــدم نموذجـــا للإنســـان فـــى صـــورة الفارســين .

ولا يقتصر الأمـــر علـــي هـــذا التشـــابه الظـــاهر . ولكـــن صفات الثور عند أبـــى ذؤيـــب " شـــبب أفزتـــه الكـــلاب - شـــعف الكلاب الضاريات فؤاده ، فـــإذا يـــرى الصبـــح المصـــدق يفـــزع - ويعوذ بالأرطى إذا مـــا شـــفه قطـــر ، يرمـــى بعينيـــه الغيـــوب - طرفه مغض يصدق طرفه ما يسمع ، وهذه الصفـــات بعينـــها هـــى صفات " الوعل " عند ساعدة بن جؤيـــة . فـــهو " موكـــل بشـــدوف الصوم ينظرها . وهو - مخطوف الحشـــازرم - وكذلـــك النمـــوذج الثالث ، نموذج الفارس عند أبى ذؤيـــب ، وقـــد التحـــم بالفـــارس الآخر وصارا نموذجا واحـــدا . " فتناديـــا " ، وتواقفـــت خيلاهمـــا " - كلاهمـــا بطـــل اللقـــاء - ، " متحـــاميين المجـــد " " عليـــهما مسرودتان " " كلاهمـــا فـــى كفـــه يزينـــة " " كلاهمـــا متوشـــح ذا رونق " " فتخالسا نفسيهما بنوافـــذ " " كلاهمـــا قـــد عـــاش عيشـــة ماجد " . وقد هلكا معا . الفارس والفـــارس الآخـــر وكذلـــك نـــرى النموذج الإنسانى عند ساعدة بن جؤيـــة ، وقـــد تـــوازت وتســـاوت القوتان .فالقوة الولى " لا وخش ولا قـــزم " " كأنـــهم أفنـــاد كبكـــب " والقوة الثانية " بمقربات بأيديـــهم أعنتـــها " " يوشـــونهن إذا مـــا نابهم فـــزع . وتختلـــط القـــوة الأولـــى بـــالقوة الثانيـــة ، ويـــأتى الضمير " فأشرعوا يزنيـــات محربـــة مثـــل الكواكـــب " ولا نـــدرى من هـــم الذيـــن أشـــرعوا ؟ ثـــم ، وبعـــد أن جدلـــوا ملوكـــا فـــى

طوائفهم ، وخضرم زاخر ، وشرجب ، وحـــرّة إلـــى آخــره . بعــد ذلك نجد قـــول الشـــاعر " فاســتديروهم " . ولا نــدرى أى فريــق هو الـــذى اســتدبر الآخــر . مـــن هنـــا نجـــد اختــلاط القوتيـــن ، وتساقى الموت عند الفريقيـــن ، عنـــد ساعدة بـــن جؤيـــة وأبـــى ذؤيب الـــهذلى .

وبمقارنة القصديتين نجـــد أبـــا ذؤيـــب وقـــد اســتفاد مـــن ساعدة بن جؤية من ناحية ، وصهرتـــه تجربـــة مـــوت أولاده مـــن ناحية أخرى ، فجاءت قصيدته أكـــثر نضجـــا . صـــوّر فيـــها حـــال أولاده فى النموذج الأول ، وصـــوّر حالـــه فـــى النمـــوذج الثـــانى ، وصور من حوله من الناس فى النمـــوذج الثـــالث .

يبقـــى أن نقـــول إننـــا اضطررنـــا لفصـــل هـــذه النمـــاذج لدراستها ، ولكنها غير منفصلة عن بعضـــــها ، بـــل تلفـــها كلـــها فكرة واحدة تتعاضد مع بعضها لتشكل الموضـــوع الـــذى قـــال مـــن أجله الشاعر قصيدته . هذه الفكرة هـــى أن الدهـــر لا يبقـــى علـــي أحد ، ضعيفا كان أو قويا ، وحيـــدا أو تحميـــه الكتـــائب المدججـــة بالســـلاح .

القصة الثالثة

وهى تحت عنوان " غضوب "

وقد وردت هذه القصة فى قصيدة تتحدث عن هجر تلك المحبوبة " غضوب " له . وحالت الحوائل دون الاقتراب منها ، والتف حولها قوم حراص عليها ، حراص علي قتله ، يكنون له البغض ، وهى تلج فى الابتعاد . ومع ذلك ، ومع تطاول الأمد ، ومع وقوع كثير من الآلام ، فمازال القلب يهيم بها ، وينبض بحبها ، وينشغل بذكرها . ومع ذلك فهى لا تقبل العتاب ، ولا ترجع عما هى فيه من بعد وهجر .

يقول ساعدة فى مطلع هذه القصيدة :

هجرت غضوب وحب من يتحبب

وعدت عواد دون وليك تشعب

ومن العوادى أن تقتك ببغضة

وتقاذف منها وأنك ترقب

شاب الغراب ولا فؤادك تارك

ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب

هذه هى مقدمة القصيدة ، أو مقدمة القصة ، وواضح أنه لا أمل عند الشاعر من عودة "غضوب" إليه ، فهى تلج فى البعد وتوغل فى الخصام والهجر .

وقد ساق الشاعر قصته بعد هذه المقدمة الطويلة ، والتى انتهت بقوله :

فاليوم إما تمس فات مزارها منا وتصبح ليس فيها مأرب

وإذن فقـد وصـل إلـى حالـة اليـأس مـن مزارهـا ، وأصبحت وليس فيها من مأرب . وقد سـاق قصتـه فقـال :

فالدهر لا يبقى علي حدثانه

أنس لفيف ذو طوائف حوشب

فى مجلس بيض الوجوه يكنهم

غاب كأشطان القليب منصب

متقارب أنسابهم وأعزة

توقى بمثلهم الظلام وترهب

فإذا تحومى جانب يرعونه

وإذا بجيئ نذيره لم يهربوا

بذخاء كلهم إذا ما نو كروا

يتقى كما يتقى الطلى الأجرب

ذو سورة يحمى المضاف ويحتمى

مصع يكاد إذا يساور يكلب

بيناهم يوما كذلك راعهم

ضبر لباسهم الحديد مؤلب

تحميهم شهباء ذات قوانس

رمّازة تأبى لهم أن يحربوا

من كل فج تستقيم طمرة

شوهاء أو عبل الجزارة منهب

خاظى البضيع له زوافرعبلة

عوج ومتن كالجديلة سلهب

وحوافر تقع البراح كأنما

ألف الزماع بها سلام صلب

يهتز فى طرف العنان كأنه

جذع إذا فرع النخيل مشذّب

فحبت كتيبتهم وصدقّ روعهم

من كل فج غارة لا تكذب

لا يكتبون ولا يكت عديدهم

حفلت بجيشهم كتائب أوعبوا

وإذا يجيئ مصمّت من غارة

فيقول قد أنّست هيجا فاركبوا

طاروا بكل طمرّة ملبونة

جرداء يقدمها كميت شرجب

فرموا بنقع يستقل عصائبا

فى الجو منه ساطع ومكثب

فتعاوروا ضربا وأشرع بينهم

أسلات ما صاغ القيون وركبوا

من كل أظمى عاتر لا شانه

قصر ولا راش الكعوب معلب

خرق من الخطىّ أغمض حدّه

مثل الشهاب رفعته يتلهب

مما يترّص فى الثقاف يزينه

أخذى كخافية العقاب محرّب

لذ بهز الكف يعسل متنه

فيه كما عسل الطريق الثعلب

فأبار جمعهم السيوف وأبرزوا

عن كل راقنة تجرّ وتسلب

واستدبروهم يكفئون عروجهم

مور الجهام إذا زفته الأزيب [١]

عرض القصـــة :

تحكى تلك القصة عـــن جماعـــة كثـيرة معـــتزة بنفســـها ، ملتفة متشابكة متماســـكة ، متعـــاضدة (أنـــس لفيـــف ذو طوائـــف حوشب) [٢] تحميهم وتحرسهم كتائب مدججـــــة بالســـلاح ، كأنـــهم أجمة الغاب من كثرتها إيكنهم غــــاب كأشـــطان القليـــب منصـــب) [٣] أنسابهم متقاربة ، فكلهم يضرب فى شـــرف تليـــد وعـــز رفيـــع يخاف ويتقى جانبهم فلا يظلمـــــوا .

إذا تحاشـــى النـــاس جانبـــا وخـــافوه لخطورتـــه ، رعـــوه وأقاموا فيه ، لا يخافون إنذاراً ولا تـــهديداً (فـــإن تحومـــى جـــانب يرعونه ، وإذا يجيئ نذيره لـــم يـــهربوا) يرهـــب جانبـــهم . فـــهم ذو سورة وحدّة ونظر سديد . وهو يحمى مـــن لجـــأ إليـــه . شـــديد المماشقة بالسيف ، إذا احتد أحـــد عليـــه استأســـد واســـتكلب (ذو

---

[١] الديوان حــــ١ ص ١٦٨

[٢] الأنـــس : بـــالتحريك ، الحـــى المقيمـــون (لســـان العـــرب مـــادة أنـــس) والحوشب : المنتفـــخ .

[٣] يكنهم : يسترهم . غاب : أجـــم . الأشـــطان . الحبـــال . القليـــب : البـــئر . منصب : مركوز وثـــابت .

سورة يحمى المضاف ويحتمى ، مصع يكاد إذا يساور بكلب)[١] .

هذه هى صورة هؤلاء الناس ، فهل يتركهم الدهر هكذا فى عزة ومنعة ؟ لا بد من تقلب الحال

لقد صبحهم عدو لا يقل عنهم شأنا ولا قوة وعزة ومنعة . فعدوّهم أيضاً جماعة ، يد واحدة ، يلبسون الدروع ، تحميهم كتيبة مدججة بالسلاح ، شهباء من كثرة بياض الأسلحة فى هذه الكتيبة . (راعهم ضبر لباسهم الحديد مؤلب تحميهم شهباء ذات قوانس رمّازة تأبى لهم أن يحربوا)[٢] . لها فروع تموج من كثرتها ، قائمة علي حراستهم تأبى لهم أن يسلبوا .

ترى الطرق وقد طلعت منها كل دابة مشرفة غليظة القوائم تنهب الأرض بأقدامها ، وأفراس ممتلئة اللحم ، طويلة المتن ، تقرع حوافره الأرض ، وقد ألف الحافر تلك الحجارة الشديدة ، يهتز من حدته فى لجامه ، كما يهتز جذع النخلة إذا اعتلاها المشذّب .

---

[١] ذو سورة : ذو وثبة . المساورة : الوثوب والثورة (لسان العرب مادة : وثب) والمضاف الملصق بالقوم . مصع : شديد المماشقة بالسيف . يكلب . يغضب ,

[٢] الضبر : الجماعة الذى يغزون علي أرجلهم . شهباء : بيضاء من كثرة السيوف ذات قوانس : ذات فروع . رمّازة : كثيرة تموج من كثيرتها يحربوا : تؤخذ حريبتهم . وحريبة الرجل ، ماله الذى يسلبه

من كل فج تستقيم طمرة

شوهاء أوعبل الجزارة منصب

خاظى البضيع له زوافر عبلة

عوج ومتن كالجديلة سلهب

وحوافر تقع البراح كأنما

ألف الزماع بها سلام صلب

يهتز فى طرف العنان كأنه

جذع إذا فرع النخيل مشذب [١]

وبعد أن فرغ الشاعر من وصف قوة الفريقين ، أدار المعركة بينهما . لقد تهيأت الكتيبة للقتال ، وأحست بقرب وقوعه ، وصدق حدسهم فى ذلك . توالت الغارات من كل جانب ، غارات عديدة لا تحصى ، قد استجمعوا كل عدة . يدعوهم الداعى إلى الغارات فيطيرون إليها بكل طويلة ملبنة جرداء . (طاروا بكل طمرة مليونة جرداء يقدمها كميت شرجب [٢] .

---

(١) الطمر : الفرس الجواد . شوهاء : حديدة البصر ، (لسان العرب مادة : شوه) العبل : الضخم . الجزارة : القوائم . خاظئ البضيع . ممتلئ اللجم . زوافر عبلة : وسطه ضخم . متن سلهب : أى طويل مجدول . الزماع : ظلف الشاة والسلام : الحجارة . فرع النخيل : : علاها .

(٢) الطمرة : الطويلة . ملبونة : فرس ملبون ولبين ، قد ربى بالبن . جرداء : قصيرة الشعر . شرجب : طويل الجسم . كميت : لون ليس بأشقر ولا أدهم .

لقد رموا بغبار كثيف من أثر الخيـــل ، فـإذا بــهذا الغبــار من كثرته يشـــكل ســحابة فـــى الســـماء لا تـــبرح ، لقــد تبــادلوا الطعنات ، وأشرعت الرماح ، رمـــاح ســمر تـــهتز دون عيــب ولا خور ، ولكنها مشدودة صلبة ، رمـــاح لطيفـــة الحــد تتلـــهب مـــن شدتها . فأبـــارت الســيوف جمعـــهم ، وانكشـــفت الغــارات عـــن أسلاب من الظعائن ، وفـــر الجمـــع هاربـــا مدبـــرا ، عـــانوا فـــى الأرض وانتشـــروا فيـــها ، كمـــا هـــزت ريـــح الجنـــوب الســـحاب فانتشرت فـــى الأرض .

رؤية فنيـــة :

ارتباط القصة بموضوع القصيـــــدة :

لقد ساق الشاعر هذه القصيدة فـــــى محبوبتـــه " غضـــوب " . أحبها وتعلق بها . ولـــم يلـــق منـــها ســـوى الصـــد والـــهجران والبغضاء ، والرصد والحراس ، والنـــأى والرحيـــل . ومـــع تعلـــق قلبه بها فقد وصل إلى طريـــق مســـدود :

هجرت غضوب وحب من يتحبب

وعدت عواد دون وليك تشعب

ومن العوادى أن تقتكـــ ببغضة

وتقاذف منها وأنك ترقب

شاب الغراب ولا فؤادك تارك .

ذكر الغضوب ولا عتابك يعتب

ثم يروح يكشـــف عـــن أيامـــه الحلـــوة معـــها ، ويصفـــها بالغزال الصغير ، غضيض الطرف . ويفيض بـــه مـــا يعانيـــه مـــن وجد بعد وصفها ، وتذكر أيامها ، فيحلـــف بالأيمـــان العديـــدة أنـــه

يهواها . ويزجر قلبه عن التعلق بـــها لبعـد منالــها . لقــد يــأس من هذا النوال ، بعد مفارقتها وأهلــها للديــار :-

فاليوم إما تمس فات مزارها

منا وتصبح ليس فيها مأرب

وبعد هذا ، وبعـد هـذا اليـأس مـن مزارهـا ، أو مـأرب فيها ، ساق قصته . ولذلك جات نهايـــة القصـــة بـــهذه الصـــورة ، نهاية مفجعة مدمـرة ، لكـل الأنـس الـذى كـان يعيشـه هـؤلاء الناس . هذا من ناحية النهاية وموافقتــها لموضـوع القصيــدة .

وشـئ آخـر ينبغـى أن نلاحظــه ، وهـو وصفــه لـــهذه المجموعة من الناس وكيف كانت تعيش فـــى البدايـــة :

فالدهر لا يبقى علي حد ثانه

أنس لفيف ذو طوائف حوشب

فهم جماعة من الناس كثر " فى مجلـــس بيــض الوجــوه " ولا أرى تبريرا لوصـــف الشـــاعر لـــهذه الجماعــة بأنـــهم بيــض الوجوه ، لا أرى تبريرا لذلك إلا أنـــه وصـــف هـذا الجمــع وفـــى ذهنه " غضوب " وكأنه يصف مجلسه هـــو . ونلاحــظ أنـــه أعقـب هذا الوصف " بيــض الوجــوه " بقولـــه " يكنـــهم غــاب كأشــطان القليب منصب " كأن هــذا المجلـس يحتـاج إلـى حراسـة . وقــد ألمح قبل ذلك إلى الرقبــاء والحــراس عنــد وصفــها فـــى البيــت الثانى فى القصيدة بقولـــه :

ومن العوادى أن تقتك ببغضة

وتقاذف منها وأنك ترقب

أى ترصد وتحرس . ومع أنه بدأ قصته بوصف هذه الجماعة الكثيرة ، وتحدث من بداية قصته بصيغة الجمع " بيض الوجوه " " يكنّهم غاب " ، " متقارب أنسابهم " " أعزة " ، " فإذا تحومى جانب يرعونه " ، " بذخاء كلهم " ومع أن القصة كلها تحكى عن جماعة من الناس وبصيغة الجمع ، فقد جاء التعبير بصيغة المفرد مرة واحدة دون تقديم ولا تمهيد : " ذو سورة : ، " يحمى المضاف " ، " مصع يكاد إذا يساور يكلب " . وليس هناك من تفسير لذلك سوى أن الشاعر وهو يصف هذا الجمع ، ما كان يصف سوى جماعته وقد عرّج بالحديث عن نفسه دون تمهيد مسبق ، فوصف نفسه بأنه ذو سورة إذا قاتل ، وبأنه يحمى من يلجأ إليه ، فهو شجاع كريم ، وإذا استغضب غضب .

والنهاية : فرقت السيوف جمعهم ، ثم ماذا : " أبرزوا عن كل راقنة تجر وتسلب " كشفوا لهؤلاء المغيرين عن كل راقنة – والراقنة : المرأة المتضمخة بالزعفران – أرأيت ماذا فقد هؤلاء ؟ وبعد هذه الحرب الضروس فقدوا كل راقنة تجر وتسلب . ما فقدوه هو ما فقده الشاعر ، وهو ما ساق القصيدة من أجله . وهذا يوضح ارتباط القصة بموضوع القصيدة .

الشخصيات :

الشخصية الأول في القصة ، هي شخصية الشاعر نفسه ، لأنها قصته ، قصة حبه الضائع ، قصة حبيبته التي ضاعت منه . فهو يصف نفسه . أولا . ولكنه يصف نفسه بقومه ، فهو جزء من كل ، هو من قبيلة كبيرة ، " أنس لفيف " ووسط قوم مدججين بالسلاح وأعزة ، ولا يخافون ، عظماء الشأن . ومع أن قبيلته بهذه الصورة ، ومع أنه قوى بقبيلته ، إلا أنه قوى بنفسه أيضا ، فهو ذو سورة ، ويحمي من لجأ إليه . فوصف القبيلة وتحديدها وصف للشاعر وتحديد له .

الشخصية الثانية :

هي الطرف المقابل . لنقل إنهم أهل "غضوب " محبوبته الذين انتزعوها منه ، واللذين حالوا بينه وبينها . وهم أيضا قد حدد صفاتهم . فهم جماعة كثيرة ، لباسهم الحديد والدروع . وهي جماعة مساوية تماما لجماعة الشاعر ، فكما أن جماعة الشاعر " يكنهم غاب كأشطان القليب "

فهذه الجماعة أيضا " تحميهم شهباء ذات قوانس رمازة " [1] وهنا نلمح التوازي في رسم شخصية أهل الشاعر ، مع شخصية أهل المحبوبة ونلاحظ هنا في رسم الشخصيات ، أنها لا تقيم معلما واضحا لكل شخصية علي حدة ، وإنما هذا

---

[1] ذات قوانس : لها فروع كثيرة . رمازة : تموج من كثرتها .

جمع كثير قوى ، قد التقـــى بجمـــع كثـــير قـــوى ، فمعـــالم الشخصيات هنا باهتة وغـــير واضحـــة .

الأحــداث :

لا يوجد ســـوى حـــدث واحـــد فـــى هـــذه القصـــة ، شـــغل الشاعر نفسه به ، وهو ضياع المحبوبة مـــن بيـــن يديـــه . حـــالوا بينه وبينها . وتبدأ الأحداث فى التحرك بقـــول الشـــاعر :

بيناهم يوما كذلك راعهم

ضبر لباسهم الحديد مؤلب

فقد راعهم وفجأهم جماعـــة أخـــرى . تتلـــو هـــذه البدايـــة ركود وتوقف فى الأحداث لوصف هذه القوة التـــى راعتـــهم . ثـــم

فتعاوروا ضربا واشرع بينهم

أسلات ما صاغ القيون وركبوا

وهنا دارت المعركة ، وليس فيها أحـــداث ولا كـــر ولا فـــر ، ولا إقبال ولا إدبـــار ، وإنمـــا ، وحتـــى فـــى أحـــداث المعركـــة ، نرى الشاعر قد شغل بوصـــف السـيوف والرمـــاح . ثـــم " فأبـــار جمعهم السيوف . وترتب على ذلك " أبرزوا عن كـــل راقنـــة تجـــر وتسلب " و " استدبروهم يكفئـــون عروجـــهم " [١] .

فالأحداث فى هذه القصة قليلة من ناحية ، وليس فيها تسلسل ولا نمو من ناحية أخرى .

الصياغة والأســلوب :

---

[١] العروج : الإبل الكثـــيرة .

اعتمد الشاعر هنــا فــى صياغــة الأحــداث علــي طريقــة السرد الإخبارى للقصة من بدايتــــها إلــى نهايتــها . وقــد اعتمــد علي الوصـــف والتصويــر فــى بعـض المواقــف ، وأكــثر مــن التشبيه " غاب كأشـــطان القليــب " ، " يتقــى كمــا يتقــى الطلــى الجرب " ، " يهتز فى طرف العنــان كأنــه جــذع إذا فــرع النخيــل مشذب " أخذى كخافية العقاب " واســـتدبروهم يكفئــون عروجــهم مور الجــهام " .

بين البداية والنهايــة :

بدأ الشاعر قصيدته بقولـــه :

فالدهر لا يبقى علي حدثانه

أنس لفيف ذو طوائف حوشب

وجاءت نهاية القصة بالإبادة والمــوت . وقــد ذكرنــا فــى القصة السابقة أن هذا المطلع قد أصبــح لازمــة للــهذليين ، غــير مرتبط بنهايـــة القصــة ، ولا مخــبر عنــها . وأن نهايــة القصــة مرتبط بموضوع القصيدة ، ويختلــف بــاختلاف موضوعــها .

ولما كان الشاعر قد يئس من وصل "غضـــوب" لـــه ، فقــد اختار هذه النهاية لهذا الأنـــس اللفيــف .

خاتمة البحث

من خلال دراسة وتلمس الحس القصصى فى شعر ساعدة بن جؤية ، نستطيع أن نجمل النتائج التالية :

أولا : قصص ساعدة بن جؤية ، ليست فى الرثاء فقط ، ولكنها فى الرثاء ، والهجر والشيب والهرم ، وفى موضوعات أخرى . فالقصة عند الشاعر ليست مرتبطة بالرثاء ولا قاصرة عليه .

ثانيا : القصة ليست صورة مكررة ومعادة ، لحيوان يصاد ويقتل فى نهاية القصة . أبدا . ولكنها تأتى موضوعا لقصيدة ما ، وتعكس طبيعة هذا الموضوع ، وتأتى مرتبطة به . وقد تجاوز فيها الشاعر الحدث من حيث الملاحظة والشعور به إلى تشخيصه وتعميقه وتحليله ، بحيث نتخيله وقد أدرك البعد المأساوى للأحداث .

ثالثا : البيئة فى القصة ليست وصفا لجبال مر بها الشاعر فوصفها ، ولكنها مقصودة ، رسم الشاعر بها بيئة قصته ، تلك البيئة التى تخدم غرض القصة ، وتوظف من أجل خدمة الموضوع ، وتختلف بيئة القصة من موضوع إلى آخر .

رابعا : فهم الجو العام للقصة يساعدنا فى تحديد الألفاظ المشتركة فى اللغة بما يتناسب مع الجو العام .

خامسا : عرف ساعدة القصة الاجتماعية التى تعالج موضوعا معينا ، و قد أبرزه من خلال القصة وذلك كما فى قصة المرأة التى لم تنجب .

سادساً : تأثر الرواة بالشعراء ، وقد أثبتنا فى خـــلال هــذا البحــث تأثر أبى ذؤيب بساعدة بن جؤيــــة .

سابعاً : بداية الشـــاعر القصـــة بقولـــه : والدهـــر لا يبقـــى علـــي حدثانه " ، هذه البداية قد تحولت إلـــى " لازمـــة " للقصـــة عند الـــهذليين ، ولا تعطـــى نهايـــة للقصـــة ، ولا دلالـــة خبريـــة .

ثامناً : استطاع الشاعر تحريك الصراع النفســـى ، كمـــا فـــى قصـــة الأم وولدها الذى بلغها نبأ قتلـــه ، ثـــم تحـــدث المفاجـــأة المذهلة لتكون حلا سعيدا لهذه المأســـاة الداميـــة .

تاسعاً : تجاوز الشاعر حدود الوصـــف والمشـــاهدة فـــى القصـــة ، إلى ما وراء ذلك إلـــى الوصـــول إلـــى هـــدف عـــام مـــن قصته ، فوصف الشـــاعر ، للوعـــل أو البقـــر ، أو غـــير ذلك ، لم يكن مقصودا لذاته ، بـــل خلـــص الشـــاعر إلـــى تصوير فكرة عامة أرادها لقصتـــــه .

عاشراً : من خلال هذا ا لبحث يتضح لنـــا نمـــو الحـــس القصصـــى عند الشاعر ومعالجته لكثـــير مـــن القضايـــا ، واشـــتمال القصة الشعرية علي كثير مـــن العنـــاصر القصصيـــة فـــى هذا الوقت المبكـــر .

والله المستعان وهو حسبى ونعم الوكيل ،،،

دكتـــــور

عبد الناصر محمد السعيد

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

بكلية اللغة العربية

بالمنصورة

المراجع

١- آراء حول قديم الشعر وجديده كتاب العربى الكتاب الثالث عشر أكتوبر سنة ١٩٨٦

٢- بطولة الشاعر الجاهلى د. مى يوسف خليل دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

٣- البيان والتبيين الجاحظ بيروت

٤- الحس القصص فى شعر أبى ذؤيب الهذلى د. عبد الناصر محمد السعيد دار الأشقاء للطباعة والنشر والتوزيع

٥- ديوان الهذليين الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥م

٦- الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوى فى الشعر الجاهلى كمال أبو ديب الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م

٧- الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى د. يوسف خليف دار المعارف بمصر الطبعة الثانية

٨- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه د. عبد الحليم حفنى الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م

٩- الشعر والشعراء ابن قتيبه

١٠- العناصر القصصية فى الشعر الجاهلى د. مى يوسف خليف دار الثقافة للنشر والتوزيع

١١- القصة الشعرية فى العصر الحديث د. عزيزة مريدن دار الفكر طبعة أولى سنة ١٩٨٤م

١٢- القصة العربية فى العصر الجاهلى د. علي عبد الحليم محمود دار المعارف ط٢ سنة ١٩٧٩

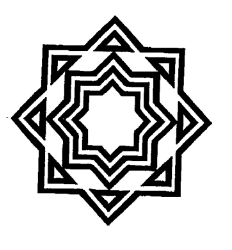
١٣- القصة من خلال تجاربى الذاتية عبد الحميد جودة السحار دار مصر للطباعة

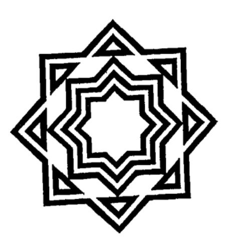
١٤- القصة والرواية د. عزيزة مريدن دار الفكر سنة ١٩٨٠

١٥- لسان العرب ابن منظور

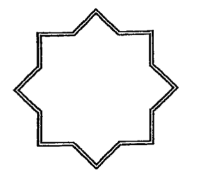
١٦- مجلة العربى العدد ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٠م

١٧- معجم البلدان . ياقوت الحموى . طبعة أولى ٩٧ . دار إحياء التراث العربى.





بسم الله الرحمن الرحيم



العامل والمعنى النحويّ

أ. د/ محمد إبراهيم عبد الرحمن البنا
الأستاذ المتفرغ بقسم اللغويات

العامل والمعنى النحوىّ

يُعَدّ مصطلح العامل الركيزة الأساسية فى النحو العربى ، فهو يمثل منبع العلاقات داخل الجملة ، ومنه تتقـوّم المعـانى النحويـة وتتّضح ، فهو الذى يعطى الأجزاء فى الجملة الفعلية تلك المعانى مـن الفاعلية والمفعُولية ، ومعنى الابتداء والخبر فى الجملـة الاسـمية ، ومعنى الإضافة والتركيب الإضافى، والتبعيّة فى المتبوعات ، ولا شك فى أن للسياق والمقام ودلالة تلك الأجزاء دخـلاً فـى تصـوّر هـذه المعانى ، ولكن يبقى مع ذلك أن العامل هـو المحـور الأساسـىَ ، وبدونه لا يمكن تصوّرها.

وإن المتأمل للأجزاء فى التركيب يجد أنها فى الحقيقة بيانـاتٌ لإبهام ذلك العامل ، أو مكملات يتحقق بها مضمون الجملـة . انظـر مثلاً إلى الفعل : "حضر" تجده يدل علي الحدث والزمان والفاعل دلالة مبهمة ، لكنك إذا صرّحت بالفاعل فقلت : حضر محمد ، فقد أزال ذكرُ "محمد" إبهام الفاعل . وإذا قلت : حضر محمد حضوراً مبكراً ، فقـد أزال المفعول المطلق إبهام الحدث . وكذلك إذا قلت : حضـر محمـد صباحاً فقد أزال الظرف إبهام الزمان . هذا إذا كان الفعل لازماً ، فأما إذا كان مُتَعَّدياً نحو "كتب" أو "أخذ" ، فإن كتب يدل إلى ما تقدم علـي مكتوب مبهم ، وأخذ يدل علي مأخوذ مبهم ، فإذا صرحت بـالمفعول فقلت : كتب محمد الدرس ، وأخذ الكتاب ، فقد أزال ذكـر المفعـول وهو الدرس والكتاب ، ذلك الإبهام . فطلب الفعل لهذه الأجزاء بعـده إنما هو لتحقيق البيان ، وإعرابنا لهذه الأجزاء فاعلاً أو مفعـولاً أو

ظرفاً فيه شيء من التسامح ، فهى فى الحقيقة بيان للفاعل والمفعول والظرف . وقد عَرّف النحاة المفعول المطلق ــ وأعنى به فى عــرف الأوائل ــ تعريفاً يخلو من التجوز والتسامح حين قالوا : "إنــه اسـم يُبَيّن نوع عامله أو عدده " فنصوّا فى تعريفه علي أنه مُبَيِّـن ، ولـو فعلوا ذلك فى تعريف الأجزاء الأخرى لكان فى ذلك تحقيق لوظائفها . ولكن كم فى النحو من مصطلحات تسامح فيها الأوائل ، ولها عندهـم دلالتها العرفية ، فقد قالوا : نعت وتوكيد وعطف وبدل ، وحقائق هذه الأجزاء أنها : ناعت ، ومؤكد ، ومعطوف ، ومبدل . وكذلك مصطلـح العامل مما تسامحوا فيه ، وهم قد تعارفوه بينهم ، وعنوا بــه تلـك الكلمة المبهمة التى تتشبث بما بعدها ، وفاءً لحق البيان فى الجملـة. أمّا من لم يعرف مقالتهم ومصطلحهم فإنه لا يتصــوّر منــه إلا أنــه الكلمة التى ترفع وتنصب وتجر وتجزم ، وهو تصوّر المبتدئين فـــى هذا العلم.

وما قلناه فى الجملة الفعلية يقال كذلك فى الجملة الاســمية ، فالمبتدأ فيها يطلب الخبر لأنه به تتحقق دلالـــة الجملـــة ، ويكتمـل ركناها ، وفرق بين الفعل والمبتدأ ، فالفعل ــ كما رأينــا ــ يعطـى دلالة مبهمة تستتبع بحسب المقام من الأجزاء ما يزيل ذلك الإبــهام ، فأما الاسم إذا ذكر أول الأمر فهو معروف للمخاطب ، ولكـن الـذى يجهله ذلك المخاطب هو ذلك الحكم الذى يجب أن يُسند إليه ، ومـن هنا كان طلب الاسم المبتدأ لذلك الخبر ، ومن هنا قـال النحـاة : إن الخبر معمول للمبتدأ ، وأن المبتدأ هو المقوم لمعنـى الخبريـة ، أى هو الذى جعل تلك الكلمة المذكورة بعده خبراً ، كما كان الإبتـداء ــ

وهو ذكر الكلمة أول الجملة غير مطلوب لشيء قبله ولا بعده ـ هو المقوِّم لمعنى الإبتدائية فيه .

ومن هنا يكون طلبُ الاسم المبتدأ به ، وطلب الفعل لما بعده ، ليتحقق الفهم ويزول النقص فى الدلالة الناشئ عن الإبهام فى الفعل ، وقصور الاسم وحده عن إعطاء حكم خبرى . وتأمل ذلك عندما تفاجئ مخاطبك بأن تقول له : "حضر" وتسكت . أو "محمد" ولا تزيد شيئا ، فسوف تجد المخاطب يقول لك : من الذى حضر ؟ وماذا كان من محمد ؟

وإذا رأينا الاسم يطلب وهو مبتدأ ، فإنه يطلب كذلك فى غير الابتداء كما فى نحو : حضر محمد الكاتب ، واشتريت قنطاراً قطنا ، ففى هاتين الجملتين نجد محمداً طالباً للكاتب لإزالة الاشتراك ، وقنطاراً يطلب قطناً لإزالة الإبهام . ومن هنا قال النحاة : إن العامل فى الكاتب هو محمد، لأنه الذى يطلبه ، وإن العامل فى قطناً هو قنطار ، لأنه هو الطالب .

وانظر كذلك إلى هذه الجملة : محمد فى البيت . تجد الجار والمجرور مطلوبين لكون مقدر ، فما الذى دعا النحاة إلى ذلك ؟ من المعروف أن "فى" من حروف الإضافة ، والمتكلم بهذه الجملة لا يريد أن يضيف محمدا إلى البيت ، وإنما يريد أن يخبره بوجوده فى البيت ، وعلى ذلك يكون المضاف ليس هو محمدا ، وإنما هو ذلك الكون العام المقدر ، ومن هنا قدروه ، ولا فرق من حيث الإضافة بين الكون العام والكون الخاص فى نحو : محمد قائم فى البيت ، غير أن هذا الكون الخاص يظهر ، وذلك الكون العام يقدر ، وهو كون

التزمت إظهاره معظم اللغات الأخرى ، لكنه أضمر أو قُدِّرَ فى اللغة العربية ، والتزمت تقديره ، ولها فى سياق الكلام ومقامه ما يغنى عن ذكره . وإذا حلّلنا هذه الجملة نجد "محمد" طالباً للكون العام ، وذلك الكون طالباً للظرف لإزالة إبهامه ، وبعبارة أخرى لا طلب بين "محمد وبين "فى البيت" .

هذا هو فهم الأوائل لمصطلح العامل ، ومن ينظر فى كتاب سيبويه يجده يعبر عن هذا الطلب بالعمل والعامل ، كما يعبر بمصطلح التعدى والبناء والشغل ، يقول فى الكتاب[1]: "هذا باب الفاعل الذى لم يتعده فعله إلى مفعول " ويمثل له بـ"ذهب زيد" . ويقول أيضاً : "هذا باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعول" . ويمثل له بـ " ضرب عبد الله زيداً " و " ضرب زيداً عبدُ الله " . وقال كذلك: " واعلم أن الفعل الذى لا يتعدّى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذى أخِذَ منه " . ويمثل له بـ " ذهب عبد الله الذهاب الشديد " . ويقول : " ويتعدى إلى الزمان " . ويمثل له بـ " ذهبت أمس ، وسأذهب غداً " . ويذكر أيضاً : " ويتعدى إلى ما كان وقت فى الأمكنة " ويمثل له بـ " ذهبت شهرين " .

ويذكر سيبويه أن الفعل قد يتعدى إلى مفعولين نحو : " أعطى عبد الله زيداً درهماً " . كما كان يذكر تعدِّيه إلى ثلاثة ، ويمثل لتعدِّيه إلى الحال ، وغير ذلك .

---

[1] انظر هذه النصوص فى الكتاب ١/٣٣-٣٤،٤٧،٨٠-٨١.

وقد يعبر سيبويه بالبناء ، فيذكر أن الاسم قد يبنى علي الفعل، وأن الفعل قد يبنى علي الاسم ، ومثل للأول بقوله : ضربت زيدا ، قال : " وهو الحد ، لأنك تريد أن تعمله وتحمل عليه الاسم ، كما كان الحد ضرب زيد عمرا حيث كان زيد أول ما تشغل به الفعل ". ثم يقول : وإن قدمت الاسم فهو عربى جيد ، كما كان ذلك عربيا جيدا ، وذلك قولك : زيدا ضربت . والاهتمام والعناية هنا فى التقديم والتأخير سواء " . ثم يمثل للآخر وهو بناء الفعل علي الاسم بـ " زيد ضربته " . يقول سيبويه[١] : " وإنما تريد بقولك مبنى عليه أنه فى موضع منطلق إذا قلت عبد الله منطلق ، فهو موضع هذا الذى بنى علي الأول وارتفع به ، فإنما قلت : عبد الله ، فنسبته له ، ثم بنيت عليه الفعل، ورفعته بالابتداء " .

فأما مصطلح الشغل فيعبر به سيبويه عما سبق إلى الكلمة الطالبة فاكتفت به عن غيره ، كما فى باب الاشتغال ، سواء أنصب الاسم المشغول عنه أم رفع ، ويذكره فى باب كان فيقول [٢]: "واعلم أنه إذا وقع فى هذا الباب نكرة ومعرفة فالذى تشغل به كان المعرفة، لأنه حد الكلام ، لأنهما شيء واحد" .

وفى باب التنازع كما فى قولهم : " ضربنى وضربتهم قومك " فقد شغل ضربتهم بما استوفاه من حق الضمير عن طلب " قومك " ومن هنا كان مطلوبا للأول .

---

[١] الكتاب ٨١/١ .

[٢] الكتاب ٤٧/١ .

وإذا قارنت هذه المصطلحات بمصطلح العمل تجدهـــا تـــتردد كثيراً ، ولكنه قد يذكر مصطلح العمل ، وقد ذكره فى أول كتابه[1] وهو يذكر مجارى الكلم ، وهى النصـــب والجـــر والرفـــع والجـــزم فـــى المعربات، والفتح والضم والكسر والوقف فى المبينات ، ويقـــول : " وإنما ذكرت لك ثمانية مجارٍ لأفرق بين ما يدخله ضـــربٌ مـــن هـــذه الأربعة لما يحدث فيه العامل ، وليس شئ منها إلا وهو يزول عنـــه ، وبين ما يبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شئ أحدث ذلـــك فيه من العوامل " .

ويقول فى باب التنازع وقد مثّل بقولهم : ضربـــت وضربنـــى زيدٌ ، وضربنى وضربتُ زيداً ، فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين ، وأمـــا فى المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يُعمل فى اســـم واحـــدٍ نصب ورفع " .

وهكذا ترى سيبويه يذكر مصطلحات البناء والتعدى والشـــغل وهو يبين العلاقات بين الطالب والمطلوب فى الجملة ، ويذكر العمـــل حين يبين أثر الكلمة المبنى عليها أو المتعديـــة أو المشـــغولة مـــن علاقات الإعراب .

فمن أين جاء مصطلح العمل هذا ؟ لا نجد تفســـيراً لـــهذا إلا أنهم وجدوه مصطلحاً يحقق الاختصار والاقتصاد ، فبـــدل أن يقولـــوا رفعه المتكلم ، أو هو مرفوع فى لغة كـــذا ، أحـــالوه علـــي الكلمـــة الطالبة. وأياً ما كان فقد رسخ هذا المصطلـــح ، والنحـــاة يدركـــون

---

[1] انظر الكتاب ١٣/١ .

المراد منه ، ويعلمون تمام العلم تسامح النحاة فيه . فهذا السهيلى[١] يصرح كثيراً بأن هناك ارتباطاً بين العامل والمعمول ، وهو أن العامل لا تكتمل دلالته إلا بذكر المعمول فالفعل لما كان دالاً علي معنى فى الفاعل ، وهو كونه مخبراً عنه ، عمل فيه ، والحروف لما دلت علي معنى فى غيرها عملت فيها ، وينبه إلى أن الألفاظ تابعة للمعانى ، وإذا كان تشبث فى اللفظ فمعنى هذا أن هناك ارتباطاً معنوياً ، وقد عُنِى فى كتابه هذا ببيان العلاقات والمعانى بين العامل والمعمول .

وهذا ابن الحاجب يعرف العامل فيقول[٢] : والعامل ما به يَتَقَوَّم المعنى المقتضى للإعراب " . وفسَّره الرضى بأنه ما يحصل بواسطته فى ذلك الاسم المعنى المقتضى للإعراب ، وذلك المعنى كون الاسم عمدة أو فضلة أو مضاف إليه " . فالمعنى النحوى يتقوم – أى يتبين وتستبين قيمته – بذلك العامل . فنظرية العامل إذاً تتحدث عن منشأ المعنى النحوى . فأما اقتضاء هذا المعنى للإعراب فهو اقتضاء عُرْفِيّ ، فمنه ما تعارفت عليه البيئات اللغوية كلها ، ومنه ما تعارفت عليه بيئة دون أخرى ، وهذا ما نجده فى لغات القبائل ، وليس اقتضاءً عقلياً ، بدليل اتحاد العوامل أحياناً واختلاف المقتضيات ، وقد نص النحاة علي ذلك فى غير باب من أبواب النحو

كتاب الرد علي النحاة :

" ثم كان ابن مضاء فى القرن السادس الهجرى ، وكان كتابه الرّد علي النحاة ، وفيه يدعو إلى حذف ما يستغنى النحو عنه من

---

(١) انظر نتائج الفكر ٦٨،٧٥

(٢) شرح الكافية للرضى ١/٢٥

العامل والعلة والتمارين ، وكان ابن مضاء قد سُبق إلى القول بحذف العلة والتمارين ، وكان بما صنع فى كتابه أول من دعا إلى إلغاء العامل . وقد ذكرنا فى نشرتنا لهذا الكتاب أن نظرية العامل قصد بها أساساً بيان العلاقات بين أجزاء التركيب ، وقد طبقها النحاة على مختلف التراكيب ، ووضعوا أصولها التى قد يقع الخلاف بين النحاة حول بعضها ، وابن مضاء بدعوته إلى إسقاط العامل لم يقدم بديلاً له ، بل تراه فى باب يستبدل بـ "أعملت" علّقت ، وفى باب آخر نراه يحيل على السماع عن العرب ــ وقد ذكرنا من قبل أن مصطلح إعمال يمثل نظرية فى بيان العلاقات ومدارها الذى تدور حوله ــ وقد وعدنا ابن مضاء فى كتابه أن يقدم تطبيقه الخالى من نظرية العامل فى كتاب يحيط بأبواب النحو جميعها ، وإذا كان كتابه الموعود به صورة لما قدمه فى الأبواب التى تناولها فهو كتاب عارٍ عن المنهج .

وحتى يسقط ابن مضاء العامل من النحو لم يلتزم الأمانة[1] فى عرض النصوص التى اعتمدها ، فقد وجدناه يقيم خلافاً غير قائم بين ابن جنى وسيبويه فى مسألة العامل ، وقد عرضنا نصوص هذين الشيخين كاملة ، وتبين منها أن أبا الفتح لا يعدو أن يكون شارحاً لمقالة أبى بشر ، كما تبينّ أنه لم يقع خلاف بين النحاة على تعدد اتجاهاتهم حول تحكيم نظرية العامل فى تحليل الجملة العربية ومعرفة العلاقات بين أجزائها .

ولم يُعن النحاة فى عصر ابن مضاء وبعد عصره بدعوة ابن مضاء تلك ، فقد وجدوا أنه إذا حذف العامل من النحو فلن يبقى منه

---

[1] انظر مقدمة تحقيقنا لكتاب الرد على النحاة : ١٢ ، فما بعدها .

شيء ، كما أدركوا أن مقالة ابن مضاء لا تستند إلى أساس علمي ، إلى أن نشر الكتاب لأول مرة في عام (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م) بتحقيق الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، ووجد إقبالاً من المهتمّين بأمر العربية ، وقامت حول الكتاب دراسات ، وقد وجد بعض الدارسين أنه لم يُقدّم جديداً أو بديلاً لنظرية العامل يمكن من خلاله تَبَيُّنْ العلاقات بين أجزاء التراكيب العربية ، لكن بعضهم تأثر بظاهر هذه الدعوى ، وكان من أعجب ما قيل حولها ما ذكره الأستاذ الدكتور شوقي ضيف [١]: " وإنه لحريٌ بنا الآن أن نستجيب إلى هذا النداء ، حتى نخلص الناس من صعوبات النحو التي ترهقهم من أمرهم عسرا ، ولن يكلفنا ذلك جهدا ، فقد مهّد ابن مضاء الطّريق أمامنا ، بما وضع فيها من صُوىً وأعلام ، أليس يدعو إلى إلغاء نظرية العامل وقد طبقها في أبواب النحو ؟ وإذن فلنُعَمِّم هذا التطبيق، فننصرف انصرافاً تاماً عنها وعن كل ما يتصل بها . وما من ريب في أن إلغاءها يتيح لنا أن نُصنّف النحو بشكل آخر ، تستمّر فيه موادّ النحو القديمة ، ولكن يُغيِّر نسيجها ويكيف علي أصل آخر هو العناية بأحوال الكلمات لا بالعوامل الداخلة عليها " .

فترى الدكتور شوقي ضيف يقول : أنه طبَّق دعوته في أبواب من النحو ؟ ولم نر ابن مضاء يقول إلا بمقالة النحاة حين قال علقت بدل أعملت ، ولا يعدو مرادهم بالإعمال إلا تعليق الكلم بعضها ببعض، علي نحو ما قرأنا للسهيلي ولابن الحاجب ، وما ذكرناه من نصوص سيبويه قبلها ، علي أنه كان يعجز أحيانا أن يُعَلِّق الكلم

---

[١] انظر مقدمة نشرته للرد علي النحاة ٤٩-٥٠

فيقول : هكذا سمع عن العرب ، فكيف يمكن القول بأنه طبق دعوته في أبواب من النحو . ثم انظر إلى ما دعا إليه الدكتور ضيف من أن إلغاء العامل يتيح لنا أن نصنف نحوا نعنى فيه بأحوال الكلمات لا بالعوامل الداخلة عليها ؟ فهل يمكن تصور أحوال الكلمات من غير تصور منشأ العلاقات فى الجملة ، ومنشأ تلك العلاقات هو ما يسميه فقهاء النحو العوامل ؟

ولقد تأثر الأستاذ الدكتور شوقى ضيف بدعوة ابن مضاء فألف كتاب " تجديد النحو " وأراد أن يضع نحوا خاليا من العوامل والمعمول ، ومن الواضح من خطة كتابه أنه تفيأ منهجا فى النحو يناسب المبتدئين ، فرأى من التيسير عليهم أن تدمج بعض أبواب النحو فى بعض ، ومما دمج من هذه الأبواب : باب كان ، وباب الحروف المشبهات بليس ، وباب كاد ، وباب ظن ، وباب أعلم . وأن يلغى الإعراب التقديرى ، وألا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها فى صحة النطق ، ومن ذلك أدوات الشرط الاسمية ، إلى غير ذلك من أبواب رأى أن النحو مستغن عنها . وبعض ما دعا إليه قد يكون هينا إذا راعينا غايته من الكتاب وهو تقديم نحو يناسب المبتدئين ، لكن بعض ما دعا إلى حذفه أو دمجه فى أبواب أخرى مما يستحق المناقشة . ونضرب المثل الآن بدعوته إلى حذف باب كان وأخواتها ، وهو أول ما دعا إلى حذفه ، ورد هذا الباب إلى باب الأفعال اللازمة فكان فعل لازم ، والمرفوع بعدها فاعل ، والمنصوب بعده حال . ومال فى هذا إلى مذهب الكوفيين ما عدا الفراء ، فأما البصريون فإعرابهم معروف يقوم علي أن كان فعل ناقص ، والمرفوع ليس فاعلا ، وقد دعا سيبويه المرفوع بعدها بأنه اسم الفاعل ،

والمنصوب بأنه اسم المفعول ، ولم يجعلهما فـاعلاً ومفعـولاً ، ولا فاعلاً وحالاً كما ذهب إليه من ذهب من الكوفيين ، لأن الفعل " كـان " لا يطلب واحداً من الاسمين بعده كما يتعلق الفعل المتعدى فـى نحـو ضرب زيد عمراً ، لأن الضرب واقع من زيد علـى عمْـرو ، وإنمـا مطلوب الفعل الناقص هو مضمون الجملة ، فإذا قلت : كـان محمـد مجتهدا فالمعنى كان قيام محمد ، والأفعال الناقصة فى حقيقتها أدوات لنقل الزمن لا تعلق لها بالأجزاء بعدها ، ومثلها فى ذلك مثل حـروف النفى ، فإذا كانت هذه تنفى المضمون ، فكان وأخواتها كذلـك تنقـل مضمون الجملة إلى الماضى إذا كانت أفعالاً ماضية ، وإلى المسـتقبل إن كانت دالة علي الزمن المستقبل . وانظر إلى مقالة السهيلى وهـو يشرح قول الزجاجى فى تعريف الاسم [١]:

" ما جاز أن يكون فاعلاً أو مفعولاً " ، فقد ذهب إلى أن كـان فى هذا التعريف تامة وليست ناقصة ، وقال : إن المعنـى وسـياقة الكلام يمنعان أن تكون " كان " ناقصة ، " فإن الكلام ورد فى معـرض التبيين لماهية الاسم وحقيقته ، فوجب أن يكون تأويله : ما جـاز أن يوجد فاعلاً أو مفعولاً ، لأن كان التى هى عبارة عن الزمان إنما هـى داخلة علي المبتدأ والخبر ، فلا تدخل إلا علي ما ثبت وعرف وجـوده ، والأمر هنا بخلاف ذلك " . فهذا فرق بين كان التامـة والناقصـة ، وحيث إن سياق كان الناقصة ومقامها إنما يكون عن شىء قد ثبـت ، فأنت تقول : كان محمد مجتهداً ، لمخاطب يذكر اجتهاد محمـد الآن ، فاجتهاده ثابت ، وأنت إنما تردّ ثبوتـه الآن ، وتنقلـه إلـى الزمـن

---

[١] نتائج الفكر ٦٥

الماضى . فأما كان التامة فأنت معها مخبر ابتداءً بأمر قــد كــان إذا كانت ماضية ، أو بأمر يكون إذا كانت مضارعة . ومن المعلــوم أن مثل هذه الفروق والمعانى لا يناسب المبتدئين ، ومكانه فى مرحلــة تناسب دارسين قد قطعوا شوطا فى مجال النحو .

هذا وفى كتاب " تجديد النحو " أمور تستحق وقفات ينبغـى أن ينبه عليها حتى نتعرّف حجج الأوائل ومقالاتهم . علي أن ما عرضــه الأستاذ الدكتور شوقى ضيف من نحو فى كتابه نراه لا يخالف مقالــة النحويين فى قضية العامل ، فإذا أعرب الاسمين بعد كان فاعلاً وحــالاً فهو يقيم علاقة بينهما وبين كان ، وهى علاقة الفاعلية والحاليــة ، والقول بالعامل لا يعدو ذلك ، أعنى إقامة علاقة بينه وبين الأجــزاء معه فى التركيب ، وإن كنا نخالفه فى تسمية هذه العلاقة ونوعــها . ومما ينبغى التنبيه عليه أن ما عرضه الدكتور شوقى ضيف فى كتابه " تجديد النحو " من نماذج وأمثلة للأبواب لا يعدو أن تكــون نمــاذج أوّلية من نحو : ظل زيد مسافراً ، وجاء محمــد مبتســماً ، فعــرض النحو من خلال هذه الأمثلة ونحوها ، وإن القارئ لكتابه لا يســتطيع أن يعتمد عليه فى تخريج كثير من الآيات ، أو إعراب قصيــدة مــن القصائد ، علي نحو ما نرى من مشكلات نبه عليها الفراء فى معــانى القرآن ، وابن هشام فى مغنى اللبيب ، وأعنى بها مشكلات التطبيــق تلك التى تحتاج إلى فقه الأوائل للنصّ وفهم مراد علماء العربية فيمــا وضعوا من أصول وفروق بين مختلف التراكيب .

هذا ما كان من كتاب الردّ علي النحاة وبعض آثاره الحديثــة فى الفكر النحوى ، ولا يزال من الدارسين من تعلّق بظــاهر قولــه ، فلم يتصور من العامل إلا أنه يرفع وينصب ويجر ويجزم ، فســارعوا

إلى مناهج غربية تعنى بشكل التراكيب ، ورأوا أن العامل خرافة ، والخرافة الحقيقية هى ما هم عليه من فهم خاطئ لفكر أعلام كانوا مؤيدين بالتوفيق فيما شرعوا من منهج لدراسة نحو العربية ، ولو أن هؤلاء المتحاملين علي منهجهم صبروا أنفسهم علي دراسته لعرفوا أن منهج العامل ، أو نظرية العامل ، تقوم علي بيان العلاقات فى التركيب ، وما بين أجزاء الجملة من تجاذب ، وأن السطح الظاهر للجملة من حيث الصيغ والشكل الإعرابى هو أثر من آثار تلك العلاقات ، وأن النحوى وهو يعرب إنما ينظر إلى تلك العلاقات ، علي أى وضع كان شكل الجملة وعلى أية صيغة كانت أجزاؤه ، وعلى أى إعراب كان .

اللغة العربية معناها ومبناها :

أصدر الأستاذ تمام حسان كتابه " اللغة العربية معناها ومبناها " فى سنة ١٩٧٣م ، وهو من الكتب التى عنى بها كثير من الدارسين ، وتأثروا فى بحوثهم منهجه . وقد ذكر فى تقديمه أن مجال هذا الكتاب هو اللغة العربية الفصحى بفروعها المختلفة ، وأن المعنى هو الموضوع الأهم الذى أولاه كل عناية ، لأن الارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة ومن أجل هذا درس النظام الصوتى ، والصرفى ، والنحوى ، والمعجم والدلالة . ويهمنا من هذه الأنظمة الآن النظام النحوى . وقد أخذ علي النحاة أن دراستهم للنحو كانت تحليلية لا تركيبية [١]، فلم يعطوا المعانى التركيبية ما ينبغى لها من العناية ، فلا تجد لهم حديثا عن الإسناد وأقسامه ووظائفه ، والمبنى

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها ١٦-١٧

المعبرة عنه ، وأنهم أهملوا أثر السياق فى المبانى ، ويضرب المثل لذلك بأن النحاة درسوا زمن الأفعال علي المستوى الصرفى ، وهى فى عزلتها عن التراكيب . وفى حديثه عن النظام النحوى أنه يقوم علي مجموعة من الأسس[1]، أولها طائفة من المعانى النحوية العامة، ويعنى بها معانى الجمل أو الأساليب ، وثانيها مجموعة من المعانى النحوية الخاصة كالفاعلية والمفعولية ، ومجموعة من العلاقات التى تربط بين المعانى الخاصة ، كعلاقة الإسناد والنسبة والتبعية ، ثم ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من القرائن ، وأخيراً تلك القيم الخلافية أو المقابلات بين العناصر السابقة

ثم ذكر أن الكشف عن العلاقات السياقية ، أو التعليق كما يسميه عبد القاهر هو الغاية من الإعراب ، وأننا حين نعرب " ضرب زيد عمراً " ، فإننا نعرب " زيداً " فاعلاً اعتماداً علي قرينة الصيغة ــ ويعنى أن صيغته صيغةٌ اسمية ــ وعلى قرينة الرفع ، وهى العلاقات الإعرابية ، وعلى قرينة الإسناد أو التعليق ، فقد أسند ضرب إلى زيد ، وقرينة الرتبة ، فموقع الفاعل بعد الفعل ، وقرينة صيغة الفعل فهو مبنى للمعلوم . ثم ينتقل إلى إعراب " عمرو " فيذكر كذلك هذه القرائن ، فهو مفعول اعتماداً علي الصيغة الاسمية ، وأنه منصوب ، وأن الفعل تعدّى إليه ، وأن رتبته بعد الفاعل .

ويُعقّب علي ذلك بأن أصعب هذه القرائن من حيث إمكان الكشف عنها قرينة التعليق فهى أم القرائن جميعها .

---

[1] انظر ص ١٧٨

ويذكر بعد ذلك أنه إذا اتضح المعنى الوظيفى أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام ، ومثل لذلك ببيت صنعه من صور بنائية خالية من الدلالة المعجمية وهو :

قاص الشجين شحاله بتريسه الــ فاخى فلم يَسْتَفِ بطاسية البردن

ثم أعرب البيت اعتماداً علي أن المبانى الصرفية فى البيت قلّد فيها المبانى العربية ، واعتماداً كذلك علي القرائن التى سبق أن ذكرها ، وقال : إنه أمكن إعراب هذا البيت الهرائى اعتماداً علي المعنى الوظيفى .

هذا ما رآه الدكتور تمام حسان كافياً فى تحليل الجملة العربية ، وانتقل من ذلك إلى القول بأن النحاة اعتمدوا علي العامل فى تفسير العلاقات النحوية ، وأن ابن مضاء قد تناول نظرتهم هذه بالنقد والتفنيد والتجريح ، " ولكنه بعد أن أبان فسادها بالحجج المنطقية لم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعانى النحوية ، ولم يقم مقام العامل فهماً آخر لهذه العلاقات غير قوله : إن العامل هو المتكلم ، فجعل اللغة بذلك أمراً فردياً يتوقف علي اختيار المتكلم ، ونفى عنها الطابع العرفى الاجتماعى "[١] .

ويرى الدكتور تمام حسان أن أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية فى تاريخ التراث العربى إلى الآن هى ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجانى ، صاحب مصطلح التعليق ، وذكر أن عبد القاهر الجرجانى ذكر فى دلائله أربعة مصطلحات هى : النظم ، والبناء ، والترتيب ، والتعليق . وفسر الدكتور تمام النظم بأنه تصور العلاقات النحوية ، كتصور العلاقة بين المسند إليه والسند ، وجعل مصطلح البناء للمبانى بحسب المعانى النحوية ، كأن تبنى لمعنى الفاعلية

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٥

مبنى هو الاسم المرفوع ، وأما الترتيب فإنه وضع العلاقات المنطوقة أو المكتوبة فى سياقها الاستعمالى حسب رتب خاصة ، تظهر بها فوائد التقديم والتأخير ، ويذكر أخيراً أن أخطر شىء تكلم فيه عبد القاهر هو التعليق ، ويزعم أنه قصد به العلاقات بين المعانى النحوية.

ويعود الدكتور تمام مرة ثانية فيقول : " وفى رأيى ـ كما فى رأى عبد القاهر علي أقوى احتمال ـ أن التعليق هو الفكرة المركزية فى النحو العربى ، وأن فهم التعليق علي وجهة كاف وحده للقضاء علي خرافة العمل النحوى والعوامل النحوية ، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معانى الأبواب فى السياق ، ويفسر العلاقات بينها علي صوت أوفى وأفضل " .

هذا موجز كلامه عن النظام النحوى ، وتحليل الجملة أو إعرابها ، وقرائن هذا التحليل ، وقد رأى ذلك تطبيقا للمنهج الوصفى فى دراسة اللغة ، وكان قد وصف محاولته هذه بأنها " أجرأ محاولة شاملة إعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجرى بعد سيبويه وعبد القاهر ... ولو أن جمهور الدارسين أعطى هذا الكتاب ما يسعى إليه من إثارة الاهتمام ، فإنه ينبغى لهذا الكتاب أن يبدأ عهدا جديدا فى فهم العربية الفصحى مبناها ومعناها ... " .

*****

هذا ومع تقديرى لما بذله الأستاذ الدكتور تمام حسان من جهد فى كتابه فإن لى معه وقفات حول ما أثاره من قصور النظام

النحوى عند النحاة العرب ، ونظرية النظم عند عبد القـــاهر ، ومـــا وصف به نظرية العامل من أنها خرافة لا يمكن الاعتمـــاد عليـــها . وكذلك حول نظرية القرائن التى رآها كفيلة بحل مشكلة تحليل الجملـة أو إعرابها .

١-قصور النظام النحوى:

ذكر الدكتور تمام قصور النظام النحوى حين لم يعن النحـــاة بالمعانى التركيبية وأنهم أفرغوا جهدهم لتحليل الجملة ، فخلا الدرس النحوى من دلالات التراكيب ومعانيها السياقية وهذا نقد يمس طبيعـة منهج النحو . ويعلم الدارسون أن نحاة العربية قد عنوا منذ الزمـــن الأول بالمعانى التركيبية ، وأنهم وحدهم هم الذين قدموا لنـــا معـــانى القرآن الكريم ومعانى الشعر ، وحققوا القول فـــى الإنشـــاء والخـــبر ومنهم من نازع فى الفرق بين الأسلوب الخبرى والإنشـــائى . علـــي أنى أضيف أن صناعة النحو عنيت فى الجانب الأول بشـــكل الجملـــة المعربة ــ صيغا ، وترتيبـــا ، وأداء ، وإعرابـــا ــ وكـــان وصـــف الإعراب ــ وأعنى به حركة أواخر الكلم سواء أكانت معربة أم مبنيـــة ــ هو شغل النحاة الأول ، لأمور ذكرناها فى كتابنا " الإعراب ســـمة العربية الفصحى " . فأما تلك المعانى التركيبية فلها فرع من العلـــم ، نبه إليه النحاة وفصل القول فيه البلاغيون ، فإذا كان لنحـــو اللغـــات الأخرى منهج فى دراسة اللغة فإن للعربية منهجـــها الـــذى فرضتـــه طبيعتها وقد تكامل علم المعانى مع علم النحو فى بيان تلك المعـــانى التركيبية ، وبحسب الدارس أن يرجع إلى دلائل الإعجاز للإمام عبـــد القاهر ، وتفسير الكشاف للإمام الزمخشرى ، وهمـــا نحويـــان فـــى

المقام الأول ، ليرى ما قدمه هذان العالمان فى بيان المعانى التركيبية، علي أن هذه الدلالات التركيبية مما يحكمه الذوق غالبا ، ويختلف الحكم عليها ، وإن المتذوق الواحد قد يرى فى تركيب ما دلالات متعددة ، وما كان هذا شأنه فليس مجاله علم النحو ، وإنما فن البلاغة ، ولذلك ينبغى أن لا تعد المعانى التركيبية من النظام النحوى .

ولقد أثار الدكتور تمام قضية الزمن النحوى ، وأن النحاة درسوه علي مستوى الصيغة فى عزلة عن التراكيب ، ويعلم الدارسون للنحو أن النحاة نبهوا علي أثر السياق فى دلالة الفعل علي الزمن . ولقد وجدنا من متأخرى النحاة من رجع دلالة الفعل علي الزمن إلى السياق ، حتى إن الأصوليين فيما بعد استثمروا إشاراتهم ، وأنكروا دلالة الفعل علي الزمن .

٣-القرائن النحوية :

ذكر الدكتور تمام أن أصعب القرائن النحوية هى قرينة التعليق ، وأننا حين نعرب نستعين بقرائن ، وذكر منها الصيغة ، والرتبة ، والإعراب فى مثاله المتقدم : ضرب زيد عمرا . وقد ذكر أنه اجتمع فى زيد قرينة الصيغة الاسمية ، وقرينة الإعراب ، وقرينة الرتبة . ومن هذه القرائن الثلاث أعربنا زيدا فاعلا ، وهذا بمعونة صيغة الفعل فهو مبنى للمعلوم .

فهل الصيغة قرينة علي الفاعلية ؟ أليست هذه الصيغة صالحة لأن تكون مفعولا به . وهذا إذا كان الفاعل اسم ذات ، فأما إن كان اسم معنى نحو ناسب فهم زيد فهمنا ، فإن هذه الصيغة فى

سياق صالحة أن تكون مفعولا به ومفعولا مطلقا فالصيغة وحدها بعيدة عن القرائن الأخرى لا يمكن الاحتكام إليها فى أداء المعنى النحوى .

ثم هل نحن نعرب من الرتبة ، فهل الفاعلية تنبع من تقدم الفاعل ، لقد نبه النحاة علي أن رتبة الفاعل التقدم علي المفعول ، ولكنهم لم يقولوا لنا : أن معنى الفاعلية ينبع من تقدم الفاعل ، كيف وأنهم يقولون : إن الفاعل قد يتأخر عن المفعول .

ولقد ذكر الدكتور تمام أن من قرائن الفاعلية فى المثال ، المتقدم بناء الفعل للمعلوم ، وهذه قرينة معتمدة حقا ، ذلك أن بنية الفعل الطالب لها أثرها فى بيان المعنى النحوى فى الأجزاء بعدها .

أما ما ذكره من قرينة الإعراب فى زيد وعمرو ، وأن رفع الأول ونصب الثانى مما ساعد مع القرائن الأخرى فى تبين المعنى النحوى فيهما ، فشىء لا يقف أمام الدراسة الأسلوبية .

فقد انتهيت بعد مدارسة النصوص فى القرآن الكريم وأشعار العرب إلى أننا لا نجد فى العربية مثل هذا المثال : ضرب زيد عمرا ، من كل جملة كان فيها الفاعل اسما ظاهرا والمفعول اسما ظاهرا ، إلا وفى التركيب من الدلالة أ وحوله فى السياق ما يعين فاعلية زيد ومفعولية عمرو . ولقد غر مثل هذا المثال النحاة متقدمين ومتأخرين فظنوا أن الفيصل فى تعيين الفاعل والمفعول هو الإعراب وحده ، يقول ابن جنى[1] : " باب القول علي الإعراب ، هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه ، وشكر

---

[1] الخصائص ١/٣٥

سعيدا أبوه ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر ، الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه " ، وكان لابن قتيبة وابن فارس مثل هذا الفهم[1] ، ومضى الزمن على ذلك . على أنك إذا رجعت إلى كتاب سيبويه فإنك لا تجد فيه نصا يبنى فيه المعنى النحوى على الإعراب ، بل تجد الإعراب من مقتضيات المعنى النحوى ، عكس ما تعارف عليه النحاة فيما بعد ، ولقد كان قطرب أعرف الناس بكتاب سيبويه حين قال : إنه لم يدخل الإعراب الكلام للدلالة على المعانى والفرق بين بعضها وبعض " .

لقد أحصيت مثل هذا التركيب فى القرآن الكريم ــ أعنى : ضرب زيد عمرا ــ فلم يتجاوز إحصائى له حتى الآن ٣٩٦ تركيب ، وهو يمثل نسبة ضئيلة بالقياس إلى التراكيب التى حلت فيها الضمائر محل الاسماء الظاهرة ، فهذه تمثل الظاهرة الغالبة فلا تجد فى سورة البقرة من نحو " ضرب زيد عمرا " إلا نيفا وثلاثين آية ، وهناك سور خلت منه نحو سورة : فصلت ، الأحقاف ، الذاريات ، الرحمن ، الممتحنة وغير ذلك من قصار السور .

وقد قسمت هذه المجموعة المحدودة من نحو ضرب زيد عمرا فى القرآن إلى أربعة مجموعات :

المجموعة الأولى : وهى الغالبة ، الفاعل فيها متميز من المفعول ، لاستحالة إسناد الفعل إلى المفعول ، نحو قوله تعالى :

---

[1] تأويل مشكل القرآن ١١ ، والصاحبى ٤٢-٤٣

(يوم يتذكر الإنسان ما سعى) ، ونحو : (وإذا حضرَ القسمة أولوا القربى) .

المجموعة الثانية : وهى آيات قد يتوهم فيها جواز إسناد الفعل إلى كل واحد من الاسمين ، ويصرف السياق ذلك الوهم نحو : (وجاء السحرة فرعون) ، فالمجيء واقع من السحرة بدليل قوله تعالى : (قالوا : أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين . يأتوك بكل ساحر علم ، وجاء السحرة ...) .

المجموعة الثالثة : وفيها لا يكون أحد الاسمين أولى بالإسناد إليه من الآخر ، لأنه ليس بمميز منه نحو : (ولا يسأل حميم حميما) ، (ويلعن بعضهم بعضا) ، وفى هذه المجموعة لوحظ تقدم الفاعل وتأخر المفعول .

المجموعة الرابعة : وهى بضع آيات أسند الفعل فيها فى قراءة إلى أحد الاسمين ، وفى أخرى إلى الاسم الآخر ، فما كان فى أولاها فاعلا ، تراه فى الأخرى مفعولا به ، وقراءة الجمهور توافق استعمال الفعل فى غير هذه الآية وتجعل الإعراب الآخر فى القراءة الأحادية أو الشاذة يمثل مشكلة بدل أن يكون معينا علي المعنى ، فأخذ النحاة يؤلون الفعل حتى يقتضى ما كان فاعلا مفعولا، وما كان مفعولا فاعلا ومن هذه الآيات وهى تسع : (فتلقى آدم من ربه كلمات) ، قرأ الجمهور برفع آدم ونصب كلمات ، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات . هذه الآيات التسعة كان ينبغى أن تكون من المجموعة الأولى ، ولكن ورود القراءة الأخرى ميزها ، وواضح أن الفاعل الحقيقى فى هذه الآيات هو الذى جاء فى قراءة الجمهور ،

وأن إسناد الفعل إلى الاسم الآخر فى القراءة الشاذة إسناد يقوم علي التوسع والتجوز . ولما رأى ابن الطراوة هذه الآيات ونظائرها في الشعر أجاز الرفع والنصب ، أى أجاز أن يرفع المفعول ، وينصب الفاعل ، وذلك إذا كان معنى الكلام يميز بين الفاعل والمفعول .

من كل ما تقدم يتبين أن تحليل الجملة الفعلية التى أسند فيها الفعل إلى اسم ظاهر ووقع علي اسم ظاهر لا يتوقف علي الإعراب ، وأن ما تصوره بعض النحاة من أن الإعراب أساس فى بيان المعنى النحوى فى نحو ضرب زيد عمرا ، هو تصور يفتقر إلى مدارسة أساليب العربية .

وإذا لم يكن الإعراب قرينة علي المعنى النحوى فما وظيفته ؟ تلك قضية أخرى يمكن الرجوع إليها فى كتابنا " الإعراب سمة العربية الفصحى " .

علي أن الأستاذ الدكتور تمام حسان يعود فلا يرى الإعراب قرينة بمفرده ، ولقد كفانا بمقالته التالية أن نقول : إن الصيغة والرتبة مثل قرينة الإعراب لا يمكن أن ينبع منها المعنى النحوى إذا انفردت ، ، قال [١]: " ولا أكاد أمل ترديد القول : إن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين علي تحديد المعنى ، فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم " تضافر القرائن " ، وهذا القول صادق علي كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية " ! ونزيد علي

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها ٢٠٧ .

مقالته أنه لا يمكن أن تنفرد كل واحدة بالدلالة علي المعنى النحوى ، لأنا لا نجد تركيبا نحويا إلا وقرينة التعليق قائمة فيه.

وإنه إذا كنا لا نرى للصيغة ولا للرتبة ولا للإعراب أثرا فى تصور المعنى النحوى ، فمن أين ينبع المعنى النحوى إذا ؟ نكرر القول بأن المعنى النحوى ينبع من الكلمة الطالبة ، وهو ما ذكرنا أول مقالتنا هذه ، وهو ما عبر عنه سيبويه بالعامل ، أو بالكلمة التى نبنى عليها ، ويحكم الوظيفة النحوية دلالة الفعل اللغوية ــ أو المعجمية ــ ودلالة الأجزاء ، ثم السياق . ولقد ذكرنا أن المعنى اللغوى بين الكلمة الطالبة والمطلوبة ، أو بين العامل والمعمول أساس فى تصور المعنى النحوى إلى جانب المعنى الصرفى فى دلالة الفعل . فالفعل يدل علي الحدث والزمان ، وهذا معنى حرفى ، لكنه قد يكون فعلا لازما ، وقد يكون متعديا ، وهذه معان معجمية لها أثرها فى الطلب ، فالفعل المتعدى يكسب الجزء معنى المفعولية ، والفعل اللازم لا يطلبه . وقد يكون الفعل ناقصا ، ونقصانه معنى حرفى لا يطلب به الأجزاء بعده كما بينا فى دلالة كان الناقصة ، ولذلك كان غريبا أن يقول الدكتور تمام حسان [١] : " إنه إذا اتضح المعنى الوظيفى أمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام " ، وأتساءل : كيف يتضح المعنى الوظيفى من غير دلالة المعجم فى الفعل الطالب ؟ بل كيف يتضح المعنى الوظيفى فى الكلمة المطلوبة دون معرفة دلالتها اللغوية . ولقد دلل علي ذلك بالبيت الذى صنعه خاليا من الدلالة المعجمية ، وهو :

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٢.

قاص الشجين شحاله بتريسه الـ   فاخى فلم يستف بطاسية البردن

وأعرب " شحاله " مفعولا به . وأقول : ألا يمكن أن يكـــون " قاص " فعلا لازما ، وأن" شحاله " تمييز علي حد قولهم : سفه زيـــد نفسه ، وألم رأسه ، وبطرت معيشتها . ولقد أعرب " الفاخى " نعتـــا لـ " تريس " وما الذى يمنع أن يكون نعتا لـ " شـــحاله" . وإســـكان الاسم المنقوص كثير فى لغة العرب ، أو أن يكون نعتا للفاعل وهـو " الشجين " ؟!

فالمعنى النحوى ينبع من الكلمة الطالبة ، ولدلالتها اللغوية أو المعجمية أثر فى توجيه المعنى الصرفى للفعل ، وللسياق أثـــره فـــى تشكيل المعنى النحوى انظر إلى قوله تعالى : (ولا تـــزر وازرة وزر أخرى) ، فلو احتكمنا إلى ظاهر لفظ (وزر) لأعربناه مفعولا مطلقـــا مبينا للنوع ، فالوزر قد يكون مصدرا ، يقال : وزر وزرا ، و وزرا : أثم ، وقد يراد بالوزر أثر المصدر ، أو ما يسمى باسم المصـــدر ، أو الشىء المفعول ــ والفرق بين المصدر واسمه هو الفرق بين حركـــة الفاعل وناتج هذه الحركة ــ وسواء أكان مصـــدرا أم اســـم مصـــدر فكلاهما يقع مفعولا مطلقا ، فكان الظاهر أن نعرب (وزر أخرى) فى الآية مفعولا مطلقا ، ولكن السياق لا يقتضيه علـــي هـــذا المعنـــى ، فليس المراد معنى المثلية الذى يعطيه المفعول المطلـــق فـــى قولـــه تعالى : (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) ، أى : يدعو دعاء فى الشر مماثلا لدعائه فى الخير ، وإنما المراد فى الآية الكريمة أنـــه لا

تحمل آثمة وزر نفس أخرى ، وعلى هذا فوزر أخرى مطلوب للفعل مفعولا به لا مفعولا مطلقا ، والذى وجه إلى هذا السياق .[١]

٣-نظرية النظم عند عبد القاهر :

لقد نقلنا من قبل حديث الدكتور تمام عن نظرية النظم ، ووصفه لها بأنها أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية ، وقوله إن عبد القاهر قد أورد أربعة مصطلحات هى : النظم ، البناء ، التركيب ، والتعليق .

وقد فسر الدكتور تمام النظم بأنه تصور العلاقات النحوية . والذى كان يردده عبد القاهر دائما[٢]هو أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل علي قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها ، أو يقول : توخى معانى النحو فيما بين الكلم. وواضح من هذه النصوص وأمثالها هو أن علي الناظم أن يتحرى معانى النحو ، وألا يخرج عن الرسوم التى وضعها النحاة عند تعليق الكلم بعضها ببعض ، وليس تصور هذه المعانى . ثم إنى لا أرى النظم إلا الترتيب . وهذا ما يتبين فيما بعد . ولقد جعل الدكتور تمام البناء والتعليق شيئين مختلفين ، فقال : " وأما البناء فأنا أفهم من عرض عبد القاهر للموضوع أنه جعله للمبانى بحسب المعانى الوظيفية ، كأن تبنى لمعنى الفاعلية مبنى هو الاسم المرفوع ... " . وقال إنه قصد بالتعليق إنشاء العلاقات بين المعانى النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية

---

[١] انظر فى هذا الأمالى الشجرية ١/٥٧-٥٨.

[٢] انظر الدلائل ٨١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ .

والحالية " . كذا تصور الدكتور تمام . والحقيقة أن عبـــد القـــاهر لا يفرق بين هذين المصطلحين ، وأنه فيما قال نحوى لا يخــــرج عمـــا تعارف عليه النحاة ، فهو يقول مثلا[١]: واعلم أنك إذا رجعـــت إلـــى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك ، أن لا نظم ولا ترتيب حتى يعلـق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها علي بعض ، وتجعل هذه بســبب مــن تلك " . فتراه عطف الترتيب علي النظم ، وعطف أيضا البناء علــــي التعليق . ولقد ذكرنا من قبل أن مصطلحات البناء والتعدية والشـــغل أوردها سيبويه للتعبير عن تعليق الكلم بعضه ببعض ، وكذلـــك أورد عبد القاهر هذه المصطلحات فى دلائله كما وردت فى الكتاب ، وكثيرا ما أورد نصوص سيبويه . بل إنه يصرح بمصطلح العمل ، انظر إلــى قوله ــ وهو من كلماته الجامعة ــ [٢]: " واعلم أن مثل واضع الكـلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها فى بعض حتــى تصير قطعة واحدة ، وذلك أنك إذا قلت : ضـــرب زيـــد عمـــرا يـــوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له " ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلــــم كلها علي مفهوم واحد ، هو معنى واحد لا عدة معان ، كما يتوهمــــه الناس وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها وإنما جئــت بها لتفيده وجوه التعلق التى بين الفعل الذى هو ضرب ، وبيـــن مـــا عمل فيه ، والأحكام التى هى محصول التعلق " .

وأزيدك لعبد القاهر نصا آخر يذكر فيه العمل ، وهـــو يمثـــل ببيت بشار :

---

[١] انظر الدلائل ٥٥ ، ١٣١ ، ١٤٥ .

[٢] انظر الدلائل ٤١٣.

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه .

علي أن النظم يكون في معاني الكلم دون ألفاظها ، يقـول [١]:

" وذلك أنه إذا ثبت الاتحاد ، وثبت أنه في المعاني ، فينبغي أن تنظـر إلى الذي به اتحدت المعاني في بيت بشار ، وإذا نظرنا لـم نجدهـا اتحدت إلا بأن تجعل " مثار النقع " اسم كأن ، وجعل الظرف الذي هـو " فوق روءسنا " معمولا لمثار ومعلقا به ... " إلى آخر كلامه .

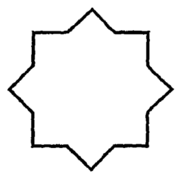
إن نظرية النظم عند عبد القاهر تقوم علي فهم جيد لنظريـة العامل ، وإن حديث عبد القاهر عن التعليق والبناء والشغل والتعـدى لا يرى فيه النحوى جديدا ، لكن الجديد في الدلائل هو مـا أراك مـن فروق بين وجوه التعلق التي تتيحها نظرية العامل ، والتي تؤدي فيها صور الأبنية ، والكيفيات التي يكون عليـها الـتركيب مـن التقديـم والتأخير والذكر والحذف ، ووصل الكلم وفصله ــ إمكانات للأديـب ، يتحرك فيها ليعبر عن مشاعره ، أو يتواءم بها مع مقتضيات الأحوال

وبعد فقد تصور نفر من المحدثين مصطلح العمل علي غـير وجهه ، وظنوا أنه يرفع وينصب ، وأن النحاة المتقدمين لا يعرفـون منه غير هذا ! وهو فهم خاطىء سرى إليهم من ابن مضاء ، وأشـاع ذلك النفر فهمهم بين الدارسين . وقد بينا أنه يعبر عن تعليق الكلـم بعضه ببعض ، وأن العامل لا يرفع ولا ينصب ، وأن إدراكنا للمعنـى النحوى الذي ينبع من العامل ، وموقعه ، والدلالة اللغويـة ، ودلالات الأجزاء المطلوبة ، وسياق الكلام . فهل بعد هـذا يقـال إن العـامل خرافة ، أو إن القرائن النحوية إذا تضافرت عينت المعنى النحـوى ، وأننا نعرب ــ أي نحلل ــ من الحركات الإعرابية ؟!

---

[١] انظر الدلائل ٤١٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم



الأديب الكاتب

محمد صادق عنبر

د/ عبد الحميد حامد شعبان

تمهيد

حظى جيل من الكتاب المعاصرين بالدراسة الواسعة فغدا أمام الباحث للدراسات الأدبية قدر لا بأس به من المؤلفات النافعة.

ويقابل هذه الوفرة فى رصيد المكتبة الأدبية تجاهل صارخ لعدد من الكتاب المعاصرين. إذا قدر لأحدهم أن يشار إليه من الدارسين فهى الإشارة الموجزة واللمحة الخاطفة ، مما لا يتناسب وما قدموه من عطاء.

أسوق هذه الخاطرة لأنبه إلى واحد من هؤلاء الكتاب صاحب ـ زمانا ومكانا ـ رموزا من الكتاب أمثال: مصطفى صادق الرافعى ، وعبد العزيز البشرى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وغيرهم.

ولم أجد من وقف مع هذا الكاتب منقبا عن آثاره ، دارسا لها غير علمين من أعلام الكتاب فى عصرنا الحاضر.

أولهما : الكاتب المغفور له محب الدين الخطيب ، إذ انتقى من فكر محمد صادق عنبر دررا من بيانه أتحف به قراء كتابه " الحديقة " .

ثانيهما : الكاتب الناقد الدكتور محمد رجب البيومى ، الذى قدم بحثا شافيا عن الكاتب ضمن سلسلة بحوثه فى الدراسات الأدبية.

وقد جاء بحثه عن (محمد صادق عنبر) شاملا لكل جوانب إبداع الكاتب ، ولعله قصد ذلك ليفتح نوافذ يطل منها دارسو أدب الرجل.

وإن الأمانة العلمية تقتضى منا ألا نغفل الأستاذ محمد فـــهمى عبد اللطيف فى كلمته الموجزة عن الأديب محمد صادق عنبر ، حيـث أجاب عن سؤال وجه إليه من أحد الدارسين بشأن التعريف بالكاتب.

وشغلت زمنا بقراءة المنتقى من بيان الكاتب على صفحـــات كتاب الحديقة ، فرأيت تجويدا للأداء البيانى دل على عناية الكاتب لما يعرضه على القراء ، ومن ثم حرصت على إضافة لبنة إلى لبنات فـــى إطار الدراسة للأعلام المغمورين.

ويتلخص ما أقدمه ــ فى دراستى عن الكاتب محمد صـــادق عنبر ــ فى التعريف الوجيز له ، ثم العرض التحليلى لنمـــاذج مــن كتاباته ، صنفتها إلى موضوعات ثلاث :

أولها : مقالاته الإجتماعية .

ثانيها : مقالاته عن اللغة العربية .

ثالثها : المقالات النقدية .

ولا أدعى أنى أتيت بالجديد ، وإن لم يخل كلامى من المفيـد ، كما لا أدعى أنى أوفيت الرجل حقه من الدراسة ، وإنما هـــى خطـــوة تضاف إلى جهود سابقة تعقبها دراسات لاحقة .

" محمد صادق عنبر " فى سطور

هو الأديب المصرى من أهل القاهرة ، عمل فــــى الصحافــة زمنا من حياته ، توفى عام ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٨م [١].

ــ آثاره : رسالة الحب والجمال على لسان قيس وليلى قصــد منها تقديم عمل يقارب ما قدمه الكاتب الكبير مصطفى صادق الرافعى فى كتابه " أوراق الورد "

وللدكتور محمد رجب البيومى ــ فى الموازنة بين الكاتبين ــ خلاصة نقدية يقول فيها " [٢] هى نفحة من نفحات أوراق الورد قــــد كتبها الأستاذ صادق عنبر بعد أن تمكن من رافعيتــه بحيــث تدانــت الشقة قريبا قريبا من الأديبين الكبيرين " .

ومن آثاره : ذكرى أمين الرافعى . جمع فيه ما قاله الشــعراء والكتاب فى أمين الرافعى بعد رحيله .

وللكاتب كلمة نشرت فى الأهرام قبل أن يضمها هــذا الســفر أفصحت عن صدق العاطفة ، وبراعة فى السبك يقول منها :

" أيها النائى وما أقرب مزاره ، النائم على يقظات الأســـى ، الساكن النفس ، ومن سكونه فى نفس كل مصرى قلق لا فرار منـــه ... الساكن القلب وله فى كل قلب سكن الساكن القلم ولا يـــزال فـــى الأفق من صريرة لحن يستفاد ، ورجع ليت العمر مثلـــه إذ ينطـــوى

---

[١] الأعلام خير الدين الزركلى .

[٢] دراسات أدبية صـــ ١٠٨ مطبعة السعادة ١٩٨٢.

يستفاد. أمين يا مالئ شعاب الوادى بالأمس نـورا مـن عقيدتـه ، ومالئها اليوم نارا من فجيعته " [١].

من آثاره أيضا : نقيب الأدباء ، وكلمات فى كلمـة ، وهـذا العمل الأخير قد نشره فى بعض المجلات ، وكان ينوى جمعـه فـى كتاب [٢].

العرض التحليلى لنماذج من مقالاته

تتوزع مقالات عنبر بين ألوان كثيرة منـها : الإجتمـاعى ، واللغوى ، والنقدى .

يضاف إلى ذلك حديثه عن نخبة من رجال الشعر والنثر .

ويقف فى مقالاته الاجتماعيـة عنـد جملـة مـن القضايـا الإجتماعية التى أفرزها المجتمع المصرى فى ذلك الحين ، فيشـخص الكثير من الأمراض الإجتماعية واضعا النصح بين أيدى أبناء الأمـة المسلمة حتى لا ينتشر بينهم الظلم والقطيعة ، فيصير حال المجتمـع إلى فوضى لا ضابط لها .

وأول مقال نعرضه له هنا مقاله عن (الرجل الصغير) .

---

[١] الأهرام ٥ من يناير سنة ١٩٢٨ نقلا عن ذكرى فقيد الوطن المغفور له أمين الرافعى ط الأولى ١٩٢٨.

[٢] الأعلام للزركلى.

والمقال فى جملته وصف لذلك الطفل المولود الـــذى يـتـرأى على محياه جمال خلق الله سبحانه فكل من ينظر إليه مـــن أبويــــه أو أقاربه يمتلىء قلبه بالسرور .

والمقال مشحون بالأفكار القوية ، بيد أن تكلف الكـــاتب فـــى بعض عباراته أضاع كثيرا من حلاوة هذه المعانى ، ولو أنه أرســـــل الكلام إرسالا فأتى به على سجيته لظهر فى مظهر أحسن .

أنظر مثلا إلى قوله : " وهو قلـــب الأب ، وعنـــوان كتابـــه ، ورجاء شبابه ، وضنه من بين أحبابه ، يقظته لمستقبل عمل ، ونـــوم فى رجولته أمل "[١].

ولو تجاوزنا عن هذا لرأينا المقال فـــى جملتـــه حلقـــة فـــى الصياغة النثرية متشحة بالإيجاز ، مع تطعيم الأسلوب ببعض الصـور البلاغية التى يحاول بها الكاتب أن يعيد إلينا شيئا من بلاغة الأقدميـن وفصاحتهم.

وانظر إليه فى بداية مقاله لترى جمـــــال التقسـيم وروعـــة الإستفهام الذى يثير يقظة فى المتلقـــى ، ولا عجـــب فـــهذه براعـــة استهلال من الكاتب يشد بها انتباه السامع والقارىء فيقول :-

" أهو طفل وليد ساعته ، أم ملك . أم كوكب جديد طلـــع فـــى هالته من فلك . فهذه غرته على رسم هلال ، وهذه طرته تبـــارك الله ذو الجلال "[٢]. والكاتب يتنقل فى مقالاته الإجتماعية بين كثـــير مـــن

---

[١] الحديقة جـ ١٤ صـ ١٥٨ .

[٢] السابق صـ١٥٧ جـ١٤ .

معطيات الحياة الإجتماعية فنراه فى مقاله السابق (الرجل الصغير) يشخص طابع الأمل حيال البرعم الصغير إلى مقاله اللاحق عن (عتاب صديق) فيوقفك على صورة من الواقع الذى يتقلب فيه الناس بين مودة إلى علاقة يعكر صفوها سوء الظن فتحدث القطيعة ثم يكون الخصام .

ولو تريث كل إنسان ينزع إلى ما تمليه عليه شهوة نفسه لأدرك أنه واهم .

ونقدم جزءا من مقاله (عتاب صديق) يبدأه الكاتب بخطاب صديقه الذى حالت الوشاية دون الود والوصال فيقول :

" صديقى الحميم : أما السلام فعلى ود أضعته ، وعهد نقضته، بل على أيام شربنا فيها الصفو على غرة من الليالى ، وليال تساقينا فيها الحب على غفلات الأيام "[١].

ويستمر الكاتب فى مقاله على هذا النحو من الأسلوب السهل الممتع ليصل إلى نهاية مقاله فى تسلسل للمعانى ، فندرك أن المقال وحدة متناسقة متناغمة يتسق فيها جمال اللفظ مع صدق المعنى وقوته.

والمقال صورة من العتاب الرقيق من صديق لصديقه تنفتح له القلوب ، وتستجيب له العقول ، لأن دافع الحرص على إبقاء الصداقة هو الذى أجرى هذه الكلمات على لسان من يخشى القطيعة بعد طول الوئام .

---

(١)الحديقة جـ٩ صـ٥٢

والمقال فى إفتتاحه ينبيك عن معان طويت فى نفس المتكلم ، يدركها القارىء ، وإن لم يصرح بها الكاتب .

وهذا لون من الإيجاز يقترب النثر به من طابع التركيز فـــى الشعر.

ومرة أخرى يطالعنا فى اجتماعياته بلون من ألـــوان حديثـه يمتزج فيها الرضا بالإعجاب .

وإن عواطفه هنا لتختلف عن ذى قبل ، فحديثه عن صديـــق له يعاتبه تترأى لنا فيه نغمة الحزن والحسرة ولكنه العتـــاب الليـــن الرقيق الذى يحرص فيه الصديق على استبقاء المودة لأن لها رصيدا سابقا.

أما مقاله عن (الصديق الكامل) فكله حـــب وعرفـــان لـــهذه الصداقة التى تأكدت عبر سنوات ذاق فيها الصديقان لـــذة المـــودة ، ونزاهة المعاملة وصدق المشاعر ولمسة الوفاء.

ولقد عدد فى مقال (الصديق الكامل) جملة خصال ترتفع إلـــى صورة النقاء والطهر.

وماذا بعد هذه الأوصاف التى نوقف القـــارىء علـــى جملـــة منها:

" كان بصيرا بورد الأمور وصدرها ...... كان أكتم ما يكـــون للسر إذا باحت الألسنة من الأسرار بمصونها .. كان صلـــب العـــود

---

(١)الحديقة جـ٩ صـ٥٢

على النوب ، إذا رماه الدهر يبلوه بلى منه الخطب بالنفس المـــرة .. والصدر الذى تضل فى ساحة صبره كل نائبة .. كان يقنع بـــالقليل ، فما أكل فبلغ الشبع ، ولا شرب إلا دون الرى .. كان أملك ما يكـــون لنفسه إذا رضى ، ولحلمه إذا غضب، ولجده إذا لعب ، ولوقـــاره إذا طرب"[١].

ولولا خشية الإطالة لأوقفنا القارىء على كل هذه الصفات.

أما مقاله (مأساة مصرية) فهو لون آخر مـــن التعبـــير عـــن بعض وقائع الحياة الإجتماعية فى أسلوب قصصى .

ويكاد يصل هذا المقال إلى أن يكون قصـــة. ففيـــه الحـــوار والعقدة والحل والشخصيات والمكان.

ويمكننا القول أن هذا العمل هو ما يسمى اليوم بالأقصوصة.

وقد استخدم الكاتب الكلمات اســـتخداما فائقـــا ، حيـــث أدت الألفاظ التى انتقاها والعبارات التى اختارها إلى استحضار لصورة هذا الحدث ، وامتلك من القارىء كل أحاسيسه ، ليصل إلى غاية التـــأثير على القلوب فتعشش فيها الرحمة بدلا من الغلظة.

والحق أنه يشق علينا أن تجتزىء بعـــض المقـــال لإطـــلاع القارىء على جمال السبك وحسن الأداء ، لأن لهذا المقـــال طبيعـــة القص الذى يحتم على القارىء النظر فيه من أوله إلى منتهاه .

ولذا فإن من واجبنا هنا كتابة المقال بعد هذا التعليق.

---

[١] الحديقة جـ٤ صـ١٥٥،١٥٦،١٥٧

وعود على بدء نقول : أن الكاتب فى مقالاته الثلاث الإجتماعية (الرجل الصغير) و (عتاب صديق) و (مأساة مصرية) قد جمع بين أسلوب السرد فى الأول ، وأسلوب الحوار فى الثانى ، والأسلوب القصصى فى الثالث .

وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على أن الرجل يمتلك وسائل وطرقا فى التعبير يمكنه من أن يلون الأداء ، فلا يقف عند طريقة واحدة يمجها ذوق القارىء ، بل يصوغ أفكاره عن طرائق تطبع أدبه بطابع التجدد والقوة .

وإلى القارىء مقال (مأساة مصرية) :

" عرفت فلانة عليلة لم تكد تدع منها العلة بعد أن أبدلت لونها ، وأحالت كونها وقد خرجت إلى الناس فى ثوب كأنه ـ لكثرة ما تمزق منه ـ عرض ظنين ، لا بل كأنه كفن ألح عليه البلى ، وقد لف منها على شبه دين.

وكان الجوع قد شد عليها حتى دارت فى رأسها عيناها فبسطت يدها فانقبضت عنها الأيدى ، خلا يدا تحسن أن تنهب لا أن تهب ، وهى يد الموت.

فمشت تتحامل لا تدرى أين تذهب ، وكاد الجوع ينسخ ما بقى منها فتسقاطت من الضعف والإعياء ، ثم جعلت تنهض نهوض الحجة على لسان الألكن ، وقد نفضتها العلة كما ينفض الثوب .

وقد نظرت فإذا شاب آنق غرة من الدينـــار ــ وعليــه ممــا يلبس لونا الجنة والنار . فرنت إليه بعينين يموج فيهما الدمع شــعرا، ويستحيل فيهالشعر دمعا ، لعله يرفدها . فذوى وجهه عنها ، وذهــب بنفسه ما يملك عطفيه من الكبر والخيلاء ، فمشت من ورائه صامتــة وقد عقد الضعف لسانها وحل عقد صبرها. فجعل ذلك الضعيف بقوتــه يحتث رجليه وضعفت تلك القوية بضعفها. تلاحقه حتى ملأت عليــــه الطريق ، وكانت وجهه كيفما نظر فضاق بها فدفعها فارتمت ، ونبعت من عينيها قطرتان هما كل ما يملكه الضعيف ، وحدر الذهول برقعــها عنها فاذا تحته وجه كالدينار الزائف فى صفرته، على قوام لو حــط عليه طائر لهدمه بجملته.

ولم تكد المسكينة تنهض من عثرتها حتى دعا الفتى شـــرطيا فلباه مفتول الساعدين حاسرا عن الزندين ، وأقبل يشق الزحام إلـــى الفتاة وحمل عليها كما يحمل الدهر على الحر ومشى يسوقها ، ويــده عليها أثقل من المن على الكريم وذهب الفتى ثملا بنشـــوة الظفــر ، وذهبت الفتاه إلى الشرطة ، كأنما كان يذهب بها إلى قبرها. على أنها لم تجزع إذ كانت حياتها مرانا على الموت. ثـــم دار الفلــك دورتـــه فرأيت تلك التى كانت معذبة بحياتها وقد صقلتها النعمة وبدا عليـــها عز الغنى من ذلة الفقر وكانت تزاول التمريض فى المستشفى.

فبينما هى فيه يوما إذ دخل عليل يشكو البطنة ، وقد ضربت فيه العلة فأثقلت ، وتمكنت منه فأعضلت. فتبينته فإذا هو صاحبها منذ عام وكان هذا الفتى نهما لا يرفع يديه عن الخوان أو يرفع الخوان أو من بين يديه.

أما الفتاة فنسيت موقفه حيالها وقامت بواجبها حياله ، وفيما هو يلفظ أنفاسه نظر فإذا صاحبته تتوجع له فى صمت ، وتتفجع عليه فى سكون ولعله أراد أن يستغفرها ولكن الموت أعجله ، فكانت بطنته هذه عقوبة مسغبتها تلك"[١]

ومن حديثه عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية إلى حديثه عن اللغة العربية ، فيعلو زفيره وتتأجج مشاعره حرصا على لغة الضاد.

ويقدم الكاتب فى هذا الاطار مقالين عنون لهما باسم " اللغة والأمة " و" لغة الضاد".

وفى مقالة الأول يدفع بالبراهين القوية والحجج الثابتة فى وجه أعداء الفصحى ، والمفرطين فى حق هذه اللغة.

ويبدأ مقاله ببيان قدر هذه اللغة للأمة فيقول : " اللغة من الأمة كالقلب من الجسم ، كلاهما الطف شئ وأدقه ، وكلاهما لا تكون بدونه الحياة ، وما من امة خلعت دهرا لبسته فخرجت بذلك من

---

(١) الحديقة ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ جـ ٨.

ماضيها ، وطفقت تعمل لحاضرها وتمهد لمستقبلها الا كانت لغتها معقدا لهذه الأطراف الثلاثة من التاريخ"[١]

والكلام هنا واضح جلي لا يحوج إلى التعليق ، وتكفي فيه الإشارة الموجزة إلى أنه يعني أن حياة الأمة مرهونة ببقاء لغتها ، كما أن الجسم لا يبقى بدون قلب . والحكم على ذلك شامل للماضي والحاضر والمستقبل.

ثم يستطرد الكاتب إلى ذكر جملة من الحقائق التي لا يجادل فيها احد ، ولا يغفل عن مراميها الا أصحاب الأهواء الفاسدة والألباب المنحرفة.

يقول الكاتب :" ذلك أن اللغة من مشخصات الأمة الناطقة بها، فما فرطت أمة في جانب لغتها الا كان ذلك ايذانا بفدح مصابها أو ايذانا بوشك ذهابها"[٢]

ثم يعود لتأكيد مكان اللغة من الأمة في أدوار حياتها إلى اللغة فيقول : الا أن اللغة تركة الماضي ، وغنى الحاضر وميراث المستقبل ، وهذه الثلاثة الأزمنة هي كل أعمار الأمم في التاريخ.[٣]

ويختم مقاله ببيان الجهود المبذولة من أولئك الكتاب الغيورين على لغة الأمة فيقول " ولقد أراق الكاتب كثيرا من المداد

---

(١) السابق جـ ٥ ص ١٠٨ .

(٢) الحديقة جـ ٥ ص ١٠٨

(٣) السابق ص ١١٠ جـ ٥.

فى بيان أن اللغة هى الأساس الذى يقام عليه بنيان الوحدة فـــى كـــل جنس ، وأنها هى الصلة الحسية بين المتكلمين بها " [١]

وفى مقاله الثانى ينتقل إلى التخصيص بعد التعميم فيجعل من حديثه اللاحق تأكيدا لدور لغة الضاد فى بناء كيان الأمة العربية.

ولم يتوقف الكاتب عند بيان حاجتنا إلـــى هــذه اللغـــة فـــى الحاضر، إذ أن التاريخ يكشف عن التحول الذى أحدثته هذه اللغة فى ماضى الأمة العريق فيقول : " نزلت على ألسنة العرب فجرت علـــى أسلاتها سحرا ، كل سحر غيره باطل ، ولا بدع فكل بلد هى حل بـــه بابل.

أجل لقد انقطعت ألسنة من منابتها واجتثت لغات من أصولـــها فلم يبق منها الا اثار تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد ، وتلك اللغـــة تدور مع الفلك ، لا تخلق ديباجتها ولا يلم بها قدم.[٢]

ولبيان قوة هذه اللغة فإن تأثيرها فى أهل البلاء التى فتحـــها المسلمون لهو اشد وأقوى من السيف.

"وأية ذلك انك ترى كيف عجز السيف على ســـعة الزمـــن أن يحول أمة عن لغتها ، وقد استطاعت ولم تجرد سيفا أن تشـــق لـــها طريقا إلى السنة أعيا على غيرها علاجها ، وتقتحـــم العقبـــات إلـــى

---

[١] الحديقة جـ ٥ ص ١١١.

[٢] السابق ص ١٥٠ جـ ٧.

قلوب كان محكما عليها رتاجها ، فكأنها كانت دينا لفطـــرة الألســنة ليكون بعد ذلك لسانا لدين الفطرة"[١].

وإذا كانت هذه اللغة قد احتضنتها شبه جزيرة العرب فــى أول أمرها وأخذت تمدها هذه البيئة بكثير مما يعيش فى دروبها فوســعت هذه اللغة كل معالم حياة أهل البادية فإنها أيضا تجاوبت مع كل جديــد فى كل ميدان مشت إليه ، ولم تضق يوما بأى مصطلح مـــن روافــد الحياة العلمية فكانت على حد تعبير الشاعر حافظ إبراهيم.

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن أى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدفات

يقول صادق عنبر : " لقد وسعت اللغة العربيـــة مـــا تضيــق ببيانه هذه الأوراق فكانت وما فتئت تساير كل آخذ بحجزاتها إلى كـــل غرض يمشى إليه ، فلم تضق ذرعا باصطلاح ، ولا برمت بالكشـــف

---

[١] الحديقة جـ ٧ ص ١٥٠ ، ١٥١

عن معنى ولا نشزت على قلم غذته بلبانها ولا وقع بـــها العـــى دون حاجة فلم تنهض ببيانها .[١]

ويستطرد الكاتب إلى جملة حقائق عن اللغة فيسمو بيانه إلـــى مستوى يليق بالمقام حين يتحدث عن لغة البيان فيقول :-

" أما أين بلغت فكل مبلغ : فقد تسربت بين العصا ولحائـــها ، وتغلغلت بين الذرة وأجزائها ، ومادت العلم حبلها ، وقد ظل ما بينـــه وبينها مبلولا فلم ييبس الا حقبا معدودات .... وماذا عســـى أن يقول القائل فى لغة رقت حتى كأنها نفس الزهر ، ولطفت حتى كـــأن ألفاظها بسمات ألحسان يعدن الوصل بعد الهجر[٢].

" محمد صادق عنبر وأدباء عصره "

وقسم آخر من أقسام مقالاته يخص الحديث فيها عـــن نخبـــة من شعراء ، وكتاب عصره مثل : إسماعيل صبرى ، وأحمد شـــوقى ، وحافظ إبراهيم ، ومحمود عماد. وجاء الحديث عن الآخرين متصـــلا ببعض أعمالهما الأدبية.

فاذا كان حديثه عن إسماعيل صبرى ، وأحمد شـــوقى عامـــا فانه قد خص مقاله عن حافظ إبراهيم بكتاب البؤساء فجعـــل عنـــوان مقاله (سياحة فى كتاب البؤساء) وكذلك حديثه عن الشاعر محمـــود

---

[١] الحديقة جـ ٧ ص ١٥٣

[٢] السابق جـ ٧ ص ١٥٣

عماد ، فإنه توجه فيه لتقريظ قصة "كليوباترا" وهى القصة الشعرية التى ضمها ديوان (عود على بدء)

ويضمن مقالاته عن الأدباء بعض الشذرات النقدية المجملة مما نشير إليه فى حينه.

ولقد استهل حديثه عن إسماعيل صبرى ببيان مكانته بين شعراء عصره قائلا :" ثانى ملوك دولة الشعر فى هذا العصر ، وأجملهم فى هذا الملك سيرة ، وأفخمهم فيه أثرا"[١].

ويفصح عن أحقيته لتلك المنزلة قائلا : " قال الشعر للشعر لا للناس"[٢].

وفى هذه العبارة الموجزة تأكيد لما قرره النقد الحديث من قضايا الصدق ، أى صدق الشاعر لما يعتقده ، وما يتوافق مع أحاسيسه ومشاعره.

وأخذ يفصل القول فى موضوعات شعره ودوافعه ، فقال : وكان أبدع ما يكون شعره وأشجى إذا أخذته هزة لذكرى صباه ، أو حن إلى معهد كان فيه هواه . ولقد بكى الربوع حتى خيل لك أن شعره دمع ترقرق على طلل بال , وكاد يسمعك وجيب قلبه لذكرى حبيب أو تذكر دار . وضحك للطبيعة . فأراك ابتسام ثغرها وتضاحك زهرها .... وشجاه هواه فأطلعك من قلبه على موضع ناره ، وأسمعك رنين أوتاره ، وشكا تغير الصديق له فكان يزهدك فى

[١] الحديقة جـ ٧ ص ٢٥٠.

[٢] السابق جـ ٧ ص ٢٥٠.

الصداقة والأصدقاء وإن كان علمك على ذلك كيـــف يكـــون الصفـــح والغفران[١].

وتفصيل ما أجمله محمد صـــادق عنـــبر فـــى حديثـــه عـــن الموضوعات الشعرية للشاعر إسماعيل صبرى ، التى استجاب فيـــها لما تمليه عليه العواطف الصادقة تفصيل ذلك فيما يأتى :

أولا :- أن شعر إسماعيل صبرى أقرب ما يكون للطبع منـــه إلى شعر التصنع أو التصنيع.

ثانيا :- أن شعره قد خلا من التكلف المفتعل ، كما هو الشأن فى بعض القصائد التى عدها النقاد من شعر المناسبات ، ولذا فإنـــه " كان أشبه بالبلبل يرسل أغاريده الساحرة إذا ما جاشت فى صـــدره عاطفته ، أو تأثرت نفسه بحادثة ، أو خطرت له ذكرى "[٢]

ويؤكد ذلك ويقرره الدكتور طه حسين حين قال فـــى أوجـــز عبارة: " ولم يكن صبري يتخذ الشعر صناعة ، وإنما كان يتخذه لونـــا من ألوان الترف وفنا من فنون الامتياز الأدبى والعقلى الرفيع "[٣]

ثالثا : التوافق التام أو الانسجام مع طبيعة الموضوع وهـــذا الانسجام يؤدى إلى صدق التجربة ، أو التجربة الشعرية الصادقة.

---

[١] الحديقة جـ ٧ ص ٢٥٠.

[٢] من كلام الأستاذ حسن رفعت فى إفتتاحية ديوان اسماعيل صبرى ــ لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٣٨.

[٣] السابق صـ٧.

رابعا : أن اسماعيل صبرى صاحب عاطفة إنسانية رفيعة تستجيب لدوافع التأثير علي تعدد صوره وأشكاله فهو صاحب عاطفة جياشة.

خامسا : تميزه بين شعراء عصره فى طرقه لموضوعات أوحى بها واقع الحياة التى عاشها ، فجاء شعره يحكى نمط حياته ، وألوان تصرفاته. وإذا كان الكاتب محمد صادق عنبر قد ترك القارىء أمام الديوان يقرأه ويتأمله ، ليطابق بين ما ذهب إليه وواقع شعر إسماعيل صبرى فإنا نقدم بعض أمثلة للشاعر توضح ما قرره الكاتب.

يقول الشاعر "[1]:

يا سرحة بجوار الماء ناضرة

سقاك دمعى إذا لم يوف ساقيك

عار عليك ــ وهذا الظل منتشر

فتك الهجير بمثلى فى نواحيك

فمن معيرى جناحى طائر غرد

كى أقطع العمر شدوا فى أعاليك

فلا أنفر عن أرض غرست بها

ولا يرن بصوتى غير واديك

---

[1]ديوان إسماعيل صبرى صــ١٢٨،١٢٩.

ويقول : [١]

إذا خاننى خل قديم وعقنى

وفوقت يوما فى مقالته سهمى

تعرض طيف الود بينى وبينه

فكر سهمى فانثيت ، ولم أرمى

ويقول : [٢]

إذا ما دعا داع إلى الشر مرة

وهزت رياح الحادثات قناتى

ركبت إليه الحلم خير مطية

وسرت إليه من طريق أناتى

وإعجابه بشعر إسماعيل صبرى لم يمنعه أن يبوح عما فى شعره من هنات تعود إلى الدلالة اللغوية للكلمات واتساقها مع سياق المعنى .

ويختم مقاله برسم صورة جامعة لشخصية الشاعر فيقول : " أما خلق إسماعيل فخلق كرام الناس ، فقد كان سمح النفس كبيرها ، طلق المحيا بسامه ، وفيا أمينا على شيوع الغدر فى الناس ، جم

---

[١] السابق صـ١٤٤.

[٢] ديوان إسماعيل صبرى صـ١٣٧.

التواضع على رفعة وقد بلغ من تواضعه ان ينكر على نفسه شاعريتها ، ويصغر من شعره ما يكبره الشعراء . وكان رواية واسع الحفظ حاضر الخاطر ، سرى الملكة ، وأن بديهته لتفضل روية كثير من الشعراء"[١].

وجاء مقاله عن شوقى أكثر إيجازا من سابقه ، إذ تكلم فيه عن العبقرية كمقدمة للحديث عما تحلى به شوقى من صفات بز فيها أقرانه ، ولم يجد ما يشبهه فى عالم الشاعرية غير المتنبى ، فهما رمزان قد تفردا فى عالم الشعر.

ولم يتوسع الكاتب فى تبيان مظاهر عبقرية شوقى فى شاعريته ، وإنما أوجز الحديث عن زاوية من جملة ما كان ينفرد به شوقى بين معاصريه فأطلعنا على براعته ودقته فى وصفه فقال: " وقد وصف شوقى ما دق كما وصف ما جل ، وصور ما خفى كما صور ما بدا ، ومثل ما بعد كما مثل ما دنا ، وما لم ير كما قدر أن يرى .. أما وصفه لما دق وخفى فإنك لتصيب من ذلك وصفه لهمس السر فى ساحة السريرة . وأما تصويره لما جل وما بدا فإنك واجد من ذلك فى تصويره الأفخم بين طبيعتين كلتاهما خيال للأخرى وكلتاهما إذا شئت حقيقة منها "[٢]

وأكتفى هنا بالكلام النظرى تاركا للقارىء حرية الوقوف أمام شعر شوقى يتخير منه ما يشاء.

---

(١) السابق جـ ٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤.

(٢) الحديقة جـ٩ صـ١٥٠.

ثم راح الكاتب يتكلم عن موقف النقاد حيال شـــعر المتنبـــى وشوقى فرأى إجحافا من بعض النقاد فى تقدير مكانة كل منهما .

وكان السبب فى ميل النقاد عن الجادة فى أحكامـــهم أنـــهم " تنقصهم الحاسة الفنية ... وهى القوة التى تتميز دقائق هذا الفـــن ، وتتبين أسرار هذه الدقائق ، وتتعرف مكامن هذه الأسرار "[١].

والذين ينكرون على شوقى مكانته يقرون فى حقيقة الأمر لما تعارف عليه أصحاب الفكر المستقيم يقول الكاتب: فليس الإنكار علـــى لسان المنكر إلا ضربا من الإعتراف ، ولكنه اعـــتراف مقلـــوب. وإن الحقيقة لتتبرج فى منطق المكـــابر ، ولكـــن فـــى معـــرض التمحـــل والمكابرة "[٢].

وينتقل من حديثه عن إسماعيل صبرى وأحمد شـــوقى إلـــى حديثه عن حافظ إبراهيم ومحمود عماد.

وحديثه عن الأخيرين يأخذ منحى يتباين فـــى عرضـــه عـــن السابقين ، كما أشرنا من قبل.

فلقد ربط حديثه عن حافظ بنظرته فى كتاب البؤساء فأطلعنـــا على علو شأن حافظ فى صياغة القصة من اللغة الفرنسية إلى اللغـــة العربية.

---

[١] الحديقة جـ٩ صـ١٥٢.

[٢] السابق جـ٩ صـ١٥٣.

وبدت براعة حافظ فى نقله القصة من لغة إلى لغة أنه استطاع أن يتمثلها فى نفسه أولا ، ثم خرجت على لسانه كشعاع سطع على أفق الأدب العربى سطوع الفجر فى الأفق ، فكان فى ترجمته فكر الوحى كما كان فى أصله وحى الفكر.

ولكى يتقرر لك ما رآه الكاتب بشأن دور حافظ فى هذا العمل فإنه يتحدث عن شأن بعض المترجمين من الفرنسية إلى العربية فيقول: " ولقد نقل المترجمون من تلك اللغة إلى هذه ما نقلوا وإن منهم من أحالوا العربية إلى فرنسية ... على أن من المترجمين من يمزق من اللغة التى ينقل منها ليرفع اللغة التى ينقل إليها فيترك إحداهما عارية تتوارى ، ويترك الأخرى ـ وهى كاسية ـ أشد تواريا. وقد نجد من هؤلاء من ينقل صحيحا ويؤدى فصيحا ، بيد أن فوق هذه المنزلة منزلة أخرى فى الصياغة العالية تشرف على نفسك بالمعنى المنقول من موقع الطرب ، حتى لتحس من فرط الروعة والإعجاب أنه وحى يوحى " [١] .

وإن شأنه فى حديثه عن قصة " كليوباترا " لمحمود عماد كشأنه فى تعليقه على كتاب "البؤساء" لحافظ إبراهيم .

فموقفه فى تقديمه للأثرين موقف المقرظ الذى يهمه أن ينقل إعجابه للقارىء معللا أحيانا لهذا الإعجاب ، وطاويا علة إعجابه حينا آخر.

---

[١] الحديقة جـ٤ صـ٢٥٨.

وموقفه هنا يختلف عنه فى مواقفه النقدية. ففى نقده السابق لشعر إسماعيل صبرى لم يتوقف عند جملة المزايا بل شفع ذلك ببيان بعض خطئه.

ولعل المجال هناك (أى فى حديثه عن شعر إسماعيل صبرى) أوسع من المجال هنا ، فهو يبدى استحسانه فى عبارات موجزة ، تاركا النظرة المتأنية لموقف ومجال آخر .

ونحن لا نعترض على الكاتب فيما ادعاه ، ولكنا نفرق بين موقفين: موقف الناقد ، وموقف المقرظ .

ولننقل جملة من كلامه عن قصة " كليوباترا " يقول الكاتب: لقد عرفتك أمس مبتكرا فى الشعر ، ترسله كأنه من قلب الغيب خطرات ، بل كأنه من أعين الوحى نظرات. واليوم أعرفك مبتكرا فى التأليف ، فإنى تناولت من كتابك مرآة أبصرت فيها مصر الغابرة كلها ... ولقد عكفت على كتابك آخذ منه قدر ما ياخذ منى ، وأنا أجد كل قطعة ... كأنها فن يرف عليه زهره ويتألف عليه ثمره. ولقد أحسنت إلى التاريخ بما ذدت عن وضح حقيقته من الأوهام ، كما أحسنت إلى الأدب العربى بتلك الكلم التى لطفت فكأنها أنفاس الزهر "[1].

---

[1] عود على بدء . شعر محمود عماد صـ١٥٨،١٥٩ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٦٧.

إذا كان قد أطل علينا كاتبنا فى مقالاته السابقة عن فريق من الأدباء ببعض نظراته النقدية فهو فى مقالاته اللاحقة يؤسسها على أحكام نقدية شغلت حيزا من تفكيره ، وكانت مجال تحاور لدى النقاد.

ومن مقالاته فى هذا الصدد نعرض لمقاله (ما بين النظم والشعر) ومقال (أدب فى المذهب، لا مذهب فى الأدب) وفى مقاله الأول يوضح الفرق بين النظم والشعر كما عرفه الخليل بن أحمد " إنه الكلام الموزون المقفى. " أما الشعر ففيه من الديباجة والمعنى ما يرتفع به عن مجرد نظم كلام على وزن وقافية. وهو لا يخطىء الخليل ابن أحمد ، لأنه نظر إلى الشعر من جهة بنيته وقوافيه ، فعرف القالب الذى يفرغ فيه .

يقول الكاتب فى مطلع مقاله:

" ما عرف الخليل الشعر إذا قال : " أنه الكلام الموزون المقفى. ولكنه نظر إليه من جهة بنيته وقوافيه ، فعرف القالب الذى يفرغ فيه وذلك هو النظم . نعم إنه عرف النظم وحده وبقى الشعر على حده ، ولو كان الشعر كما قال لكانت الشاعرية بين القافية والوزن لا فى الديباجة والمعنى ، ولكان كل من وضع قافية وأقام وزنا شاعر .. [1] .

---

[1] الحديقة جـ٣ صـ٢١٤.

ثم شرع فى بيان عمل النظامين الذين وقفوا عند حد الظاهر من كلام الخليل فظنوا أن معرفة بحور الشعر كالخفيف والبسيط والكامل والوافر تؤهلهم لمرتبة الشاعرية. يقول عنهم: " ولعل تعريف الخليل هو الذى حدا جماعة النظامين على النظم ، فما يكاد أحدهم يقف بهذا الباب ويلم بالخفيف والثقيل من الأسباب حتى يغامر فى النظم يحسبه شعرا " [1].

ثم وجه كلامه إلى نقد أمثله من شعر أولئك النظامين فنظر إليه من جهة لفظه وديباجته وخياله.

والكلام الذى يسوقه الكاتب هنا إستنتاج لقراءته ومعايشته لنتاج هؤلاء الذين ادعوا الشاعرية.

ومواضع الزلل فيما ينظمه هؤلاء أن أحدهم يخرج " بأسطار فى شكاية الهوى فإذا نفضها على مسمعك مر به منها فى ألفاظ متنافرة شد إلى أوتار من الوزن وثاقها ورأيت ديباجة كأنها الطلل البالى ، وبصرت بالخيال يظل يساير صاحبه فآونة تحت قدميه وأخرى إلى أحد جانبيه "[2].

وآخر يجيبك بكلام موزون مقفى فى الحماسة فإذا جلس إليك طفق برميك منه بما يغرى بك الكرى ، ثم نقلك على جناح من خياله إلى أحد القطبين فافترقتما وكلاكما فى مكانه قائم ... ويلقاك ثالث ... بثالثة الأثافى فى وصف الحرب وهولها ، فإذا أعرته أذنك سمعت

(١) السابق جـ٣ صـ٢١٤.

(٢) الحديقة جـ٣ صـ٢١٥.

براعة مطلعه . عتاب حبيب أو شكوى رقيب ، فإذا جاوز المطلع وانحدر إلى ما يليق لم يزد على أن يريك صديقين يتعانقان ، لا جيشان يقتتلان "[١]

ويعقب على هذا الكلام السابق بوضع المقاييس والقواعد النقدية التى تأخذ بأيدى هؤلاء ، إلى المنزلة الصحيحة بين الشعراء فيقول لمن يقرض الشعر فى الغزل : ... لو كان شاعرا كما زعم لأطلعك من قلبه على موضع ناره ، وأسمعك منه رنين أوتاره "[٢] .

وهذا ما يسميه النقاد " بالصدق الفنى " .

ويقول عمن يقرض فى الحماسة " ولو كان شاعرا كما يقول لهز من قلبك وترا جامدا ، وابتعث من عزمك ما كان خامدا ، واقتادك بحاد من شاعريته إلى السبيل التى يريد "[٣].

وعن الثالث الذى يصف الحرب " ولو كان شاعرا لدرج بنفسك بين مسل السيوف ومسيل الحتوف ، وخاض بها من شعره بحرا من الدم ، ثم مشى بها على جسر من الأشلاء "[٤].

والكاتب كما تلاحظ معى هنا يركز على جملة من القضايا النقدية المقررة من مثل صدق العاطفة وقوتها ، وعدم التكلف

---

(١) السابق جـ٣ صـ٢١٦.

(٢) الحديقة جـ٣ صـ٢١٦.

(٣) السابق جـ٣ صـ٢١٦.

(٤) الحديقة جـ٣ صـ٢١٦،٢١٧.

والإدعاء ، أى أن يعايش الشاعر موضوعه فى تجربة صادقة ، لا مبالغة فيها ولا فتور .

ويطبق على ثلاث من موضوعات الشعر كالغزل والحماسة ووصف الحرب .

وهذه الموضوعات من أقوى وأغزر الموضوعات فى تحريك الشاعرية وإمداد الشاعر بالمعانى المتدفقة .

ويواصل الكاتب القول فى التمييز بين النظم والشعر فيوقفنا على خاصية يلحظها القارىء حال السماع للشعر فيقول: " ومن أراد أن يميز ما يمر بسمعه من القول ليعرف أشعر هو أم نظم ؟ فإذا شعر أن فى كل بيت من معانيه محيا جميلا يشرق من نافذته وحسنا يترقرق على قافيته فلم يتمالك أن يهش له ويطرب ، وينقاد إلى الشاعر بزمام ، فذلك هو الشعر ، وإن مر به القول فلم يحدث فى نفسه من الأثر إلا مثل ما يحدثه مر الطائرة فى الهواء ، ولم يجد فيه من روعة الشاعرية ما يشغف به القلب حنانا أو يصيب من النفس مكانا ، فذلك هو النظم "[1].

وهكذا نرى أسلوب المقابلة بين الناظم والشاعر حيث يشقق الكاتب القول تشقيقا يستجلى القارىء من ورائه أهم الصفات الكاشفة لحال الفريقين.

(١) الحديقة جـ٣ صـ٢١٧،٢١٨.

أما مقاله (أدب فى المذهب ، لا مذهب فى الأدب) فهو فى اختصار ـ رد على سؤال توجه به الكاتب الألمعى (عبد العزيز البشرى) .

وكان البشرى قد استفتى بعض فحول الكتاب فى هذا الذى يدعى أدبا جديدا. ومن بين هؤلاء المسئولين كاتبنا (محمد صادق عنبر) .

وجاءت إجابته بعد براعة إستهلال لتحدد فحوى هذه الدعوى من أرباب من وصفوا أنفسهم بأنهم من أنصار الجديد .

وبداية إجابته تفصح عن موازنة دقيقة بين مفهومين للتجديد فى الأدب :-

أولهما : دعوة الصفوة من الأدباء إلى الأصالة والعمق والقوة .

وثانيهما : دعوة الإنحراف بالأدب ولغة الأدب عن الذى تعارفت عليه الأجيال ، واستقر عليه الرأى لدى عمالقة الأدب .

وعن المفهوم الصحيح للتجديد يسوق الكاتب عبارات تكشف عن العمد التى يؤسس عليها العمل الأدبى فيقول : ... لا أعرف فى الأدب مذهبا جديدا وإنما أعرف من صفوة من أدبائنا من دعوا إلى نسق يوزن فيه المعنى بمعياره ، أو يعتبر فيه اللفظ بمقداره ويتزه

به الكلام عن الفضول أيا كان مأتـاه . ويـرد ذلـك إلـى الإبـداع لا غير ... "[١].

أما المفهوم الآخر فهو لدى آخرين أولوا هذه الدعوى علـى نحو ما ولا عذر لهم ، لأنهم يجهلون الأدب العربى. يقول عن هؤلاء:

" ولكن آخرين جهلناهم قراء ، فأرادوا أن نعرفهم كتابا أولـوا هذه الدعوة على نحو ما ، فجعلوها عذرا عن جهلهم بالأدب العربـى جملة وتفصيلا ، ثم قوى عندهم هذا العذر حتى عاد رأيا . وسـرعان ما فتنهم ما رأوا ، فبصرنا بهم وبين أنامل كل من يخط منـهم مثـل قرن الوعل ، يحاول أن يضرب به فى الجبل ، ثم ما لبثنا أن سـمعنا أن هناك مذهبا جديدا "[٢].

وأنت ترى فى مضمون كلامه سخريته من أربـاب الدعـوة الذين يحيدون بالأدب إلى الفوضى.

ثم يسترسل فى مقاله إلى أن أنصار المذهب الجديد هم دعـاة العامية المعربة.

وراح يكشف عن نواياهم والغايات التى يخططون لـها فقـال عنهم: " هم يريدون العربية بلا قواعد ثابتة ، لينحتوا لها من ملكاتهم قواعد متحركة ويبغونها عوجا ... وقصارى أمرهم أنهم يريـدون أن

---

(١) الحديقة جـ٤ صـ٧١

(٢) الحديقة جـ٤ صـ٧١

يفصلوا هذه اللغة على قياس آخر من خطرات أقلامـــهم ، وهجســات أحلامهم ويزعمون على هذا ... أنهم يحررونها من رقها القديم "[١].

والمقال كما يرى المطلع عليه أن الكاتب استفتحه بـــالحديث العام عن الأدب الهادف وأنصار الدعوة إلى الإنحطاط ثم يتحول مـــن العام إلى الخاص فيتحدث عن لغة الأدب وبيان المحاولات لإضعـــاف الأدب من أهم ركن فيه وهو اللغة ... ولا يستقيم الأدب إذا تصـــدع أسس بنيانه.

وبعد هذا العرض لجملة مقالات الأديب محمد صـــادق عنـــبر يمكننا إيجاز القول فى أهم ما يتميز به أدبه موضوعيا وفنيا.

فمن الناحية الموضوعية رأينا الكاتب تنقل فى حديثـــه بيـــن الموضوعات الاجتماعية والنقدية.

أما اجتماعياته فقد دعا من خلالـــها إلـــى التمســك بـــالقيم الصحيحة والمبادىء الرفيعة من مثل الرحمـــة والعطـــف والصـــدق والإخلاص ، كما نفر من جملة رذائل وآفات تصيب أبنـــاء المجتمـــع فتحول دون إقامة مجتمع نظيف.

وأما مقالاته النقدية فقد تفرع فيها الحديث إلى قضايا اللغـــة العربية والشعر.

وإذا كان قد ركز فى حديثه عن اللغة علي أهمية الحفاظ علـــى الفصحى أمام دعوات الإنحراف بها إلى العامية وغير ذلك ، فإنه قـــد

---

[١] الحديقة جـ٤ صـ٧٢.

فصل القول فى قضية الشعر والشعراء فأفصح حديثه عن مفاهيم نقدية ساقها فى نظريات يدعو إلى تطبيقها أحيانا مستخلصا إياها من واقع تطبيقى أحيانا أخرى.

وموافقة النقدية النظرى منها والتطبيقى لتكشف عن سعة ثقافته ومدى دقته وفهمه.

ولم يتحيز الكاتب فى آرائه النقدية لفريق دون آخر بل كان رائده دائما الاحتكام إلى المنطق الصحيح والواقع المقرر.

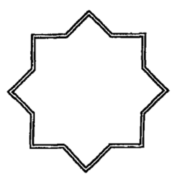
ومن الناحية الفنية فقد تميز أسلوبه بطابع الإيجاز غير المخل فلا استطراد ولا حشو ، وقل أن نجد عبارة يستغنى عنها السياق ، أو جاءت زائدة عن المعنى المقصود.

ومما ظهر لنا من أسلوب الكاتب ذلك الأسلوب التصويرى الذى يبتعد فيه عن التقريرية الممجوجة ، ليشد انتباه السامع ، ويشحذ ذهن القارىء ، فيحدث التجاوب التام بينه وبين المتلقى.

ومن الظواهر البارزة لأسلوبه تلك المقابلات التى بنى عليها كثيرا من تراكيب كلامه. مثل قوله ــ فبسطت يدها فانقبضت منها الأيدى وقوله : وبدا عليها عز الغنى من ذلة الفقر ، وقوله : فجعل ذلك الضعيف بقوته يحتث رجليه وضعفت تلك القوية بضعفها تلاحقه.

ومن الطابع العام لأسلوبه تراوحه بين الترسل والسجع ومزاوجته أيضا فى كلامه بين طول الفقرات وقصرها. فلا يقف عند طريقة واحدة فى عرض أفكاره ، وإنما يتشكل فى أسلوبه وفق ما يقتضيه السياق.

بسم الله الرحمن الرحيم



أمثلة المبالغة بين القياس والسماع

دراسة نحوية من خلال الأسلوب العربى

إعداد

الدكتور / عادل محمد على الطنطاوى.

مدرس اللغويات فى كلية اللغة العربية

بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد "صلىَ الله عليه وسلم " وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على دربهم إلى يوم الدين وبعد

فقد تميزت اللغة العربية بين سائر اللغات برحابة صدرها ، وغزارة موادها ، وقدرتها على الغوص وراء المعانى الدقيقة ، ودقتها فى التعبير عن خلجات الصدور ونبضات القلوب ولذلك ظلت الروضة الغنّاء التى يستروح الأديب شذا أساليبها ، ويسحر البلاغى جمال رونقها وترتيبها ، ويبهر النحوىَّ دقة تنسيقها وتركيبها وصيغها وأمثلتها ومن بين هذه الصيغ والأمثلة التى استوقفتنى وأبهرتنى "أمثلة المبالغة بين القياس والسماع دراسة نحوية من خلال الأسلوب العربى "وقد دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع أمور منها : أن المشهور فى هذه الصيغ أنها خمس صيغ ولكنى وجدت أن العلماء لم يتفقوا على ذلك بل جعلها بعضهم ضعف هذا العدد بل أكثر منه . ومنها : أن العلماء قد أختلفوا حول القياسى والسماعى من هذه الأمثلة فمنهم من جعلها كلها مقيسة ، ومنهم من جعل ثلاثة فقط مقيسة والباقى سماعى فأحببت أن أعايش ذلك دراسة ومناقشة من خلال الأسلوب العربى . ومنها : كثرة ورود هذه الأمثلة فى القرآن الكريم وأكثرها وروداً صيغة "فعَّال" ومنها : ما ورد من صفات الله تعالى على صيغة المبالغة والمعلوم أن صفات الله تعالى متناهية فى

الكمال لا تقبل الزيادة ولا النقصان فأردت أن أقف على تخريج ما ورد من صفات الله تعالى على هذه الصيغ وخاصة مثل قوله تعالى : ﴿ وما ربّك بظلّام للعَبيد﴾ [١] . ومنها : كثرة ورودها فى الأساليب العربية حيث يقولون فى مقام المدح : فلان عَلامة وفهّامة وفعَّال للخير . ومنها : أن هناك اشتراكاً بين بعض صيغ المبالغة وغيرها من الصيغ الأخرى كاشتراك صيغة "فعَّال بين المبالغة والنسب فكيف نفرق بينهما ؟ واشتراك صيغة مِفْعال " بين المبالغة والنسب والآله فكيف نفرق بين هذه الصيغ فى الأساليب . واشتراك صيغة " فَعِل " بين المبالغة والنسب كذلك ، واشتراك صيغة "فعيل" بين المبالغة والصفة المشبهة . كل ذلك دفعنى الى اختيار هذا الموضوع فأحببت أن أعيش معه متتبعاً فى ذلك آراء العلماء وأقوالهم واختلافهم بداية من سيبويه (ت ١٨٠ هـ) (رحمه الله) ومنتهياً بالمجمع اللغوى القاهرى ، مؤيداً الرأى الراجح بالدليل والحجة ومستشهداً على ذلك بآيات القرآن الكريم ، وبما ورد عن العرب شعراً ونثراً .

وقد جاء هذا البحث فى ستة مباحث تسبقها مقدمة ذكرت فيها سبب اختيارى لهذا الموضوع ، والمنهج الذى سرت عليه وتتلوها خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التى أنتهى البحث إليها بعد هذا الجهد ، ثم فهرس المراجع والمصادر التى اعتمدت عليها فيه .

---

[١] فصلت / ٤٦ .

المبحث الأول : تعريف صيغ المبالغة والمشهور من أوزانها خمسة قياسية .

المبحث الثانى : آراء العلماء فى قياسية أمثلة المبالغة .

المبحث الثالث : الخلاف بين العلماء فى أعمال "فعيل" و "فَعِل" .

المبحث الخامس : صيغ المبالغة فى القرآن الكريم .

المبحث السادس : اشتراك بعض الصيغ بين المبالغة وغيرها .

وقد بذلت فى هذا البحث كل ما استطعت من جهد ، ولم أدخر وسعاً فى إعداده ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

د/ عادل محمد على الطنطاوى

مدرس اللغويات فى كلية اللغة العربية

بالمنصورة

تمهيد

قبل أن أبدأ فى الحديث عن المباحث التى تتحدث عن أمثلة المبالغة من حيث عددها والاتفاق والاختلاف فى العامل منها ، والقياسى والسماعى من هذه الصيغ ينبغى أن أقدم تعريفاً موجزاً عن المراد بالسماع والقياس فعنوان البحث "أمثلة المبالغة بين القياس والسماع دراسة نحوية من خلال الأسلوب العربى " وذلك حتى يتضح مفهوم القياس والسماع لدى القارئ .

أما السماع فقد عرفه الإمام السيوطى (ت ٩١١ هـ) (رحمه الله) فقال : "وأعنى به : ما ثبت فى كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى ، وهو القرآن الكريم ، وكلام نبيه " "صلى الله عليه وسلم" وكلام العرب قبل بعثته وفى زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين ، نظماً ونثراً ، من مسلم أو كافر ، فهذه ثلاثة أنواع لا بد فى كل منها من الثبوت " [1] .

أما القياس : فقد عرفه فقال : "قال الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) فى جدله : "هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه " قال : وهو معظم أدلة النحو ، والمعول فى غالب مسائله عليه ، كما قيل : "إنما النحو قياس " يُتَّبع " ولهذا قيل فى حده : إنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب . وقال صاحب

---

[1] انظر (الاقتراح فى أصول النحو للسيوطى ص ٤٨ .

المستوفى: كلّ علم ، بضعه مأخوذ بالسماع والنصوص ، وبعضه بالاستنباط والقياس ، وبعضه بالانتزاع من علم آخر " [١].

وعرف بعضهم القياس فقال : " بأنه استنباط القوانين التي يجرى عليها العرب الخلص فى كلامهم ليؤمن باحتذائة اللحن والخطأ اللغوى عامة . وقد كانوا يعنون بالقياس جملة ما يستظهرونه من التأمل فى واقع الكلام من أحكام وأوضاع كما يطلقونه أيضاً على أسلوب النظر فى الكلام لاستخراج هذه الأحكام والأوضاع ونظمها فى قوانين خاصة تضبطها " [٢] وقال بعضهم : القياس "قانون مستنبط من تتبع لغة العرب ، أعنى مفردات ألفا ظها الموضوعة وما فى حكمها كقولنا : كل واو متحرك ما قبلها تقلب ألفاً ، ويسمى قياساً صرفيا كما فى المطول فى بحث الفصاحة ، ولا يخفى أنه من قبيل الاستقراء الفعلى ، فعلى هذا : القانون المستنبط من تراكيب العرب إعرابا وبناء يسمى قياساً نحوياً " [٣]

وعرف الجرجانى (ت ٧٤٠ – ٨١٦ هـ) القياس فقال : "مالايمكن أن يذكر فيه ضابطة عند وجود تلك الضابطة يوجد هو(٤) وعرف السماع فقال : هو ما لم تذكر فيه قاعدة كلية مشتملة على جزئياته. وعرف ابن منظور (ت٧١١هـ) السماع فقال :ما سَمَّعت به فشاع

[١] انظر المرجع السابق ص ٩٤ والقياس فى النحو ص ٢٠ / منى إلياس .

[٢] انظر القياس فى النحو ص ٢٠

[٣] انظر المرجع السابق ص ٧٩ .

[٤] انظر التعريفات للجرجانى ص ١٦٠،ص٢٣٣ .

وتُكلّم به "[١] وبعد هذه التعريفات للسماع والقياس تكــون قــد اتضحت الرؤية للقارئ عن المراد بهما عند النحويين ، انتقل للحديث عن المبحث الأول وهو تعريف صيغ المبالغة والمشهور من أوزانــها خمسة قياسية .



(١) انظر اللسان سمع .

المبحث الأول

تعريف صيغ المبالغة والمشهور من أوزانها خمسة قياسية

الأسماء التى تعمل عمل الفعل عشرة : المصدر واسم الفاعل وأمثلة المبالغة واسم المفعول والصفة المشبهة واسم الفعل والظرف والمجرور المعتمدان واسم المصدر واسم التفضيل والمقصود بالحديث من هذه الأسماء فى هذا البحث أمثلة المبالغة لأمور سبق ذكرها فى المقدمة .

أما المبالغة فقد عرفها الإمام السيوطى (ت ٩١١ هـ) فقال : "أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ فى المعنى الذى قصده وهى ضربان : مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حد الاستحالة ومنه قوله تعالى " يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ ولَو لَم تَمْسَسَهُ نَارٌ "[(١)] وقوله تعالى " ولا يَدْخُلُون الجَنَّة حتَّى يَلِجَ الجملُ فى سَمِّ الخياطِ . "[(٢)] ومبالغة بالصيغة : وصيغ المبالغة : فَعْلان كالرحمن وفعِيل كالرحيم وفعَّال كالتواب والغفّار وفَعُول كَغفورٌ وشكور وفَعِل كحِذر وأشِر وفُعال بالتخفيف كعُجاب وبالتشديد ككُبّار وفُعُل كلُبد وكُبَر وفُعْلى " كالعليا والحسنى وشورى والسوءى " [(٣)]

وعرفها الإمام الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) فقال : المبالغة هى أن تثبت للشئ أكثر مما له " [(٤)]

---

(١) النور / ٣٥ .

(٢) الاعراف / ٤٠ .

(٣) أنظر (الاتقان فى علوم القرآن ٣/٢٥٣ .

(٤) انظر البرهان فى علوم القرآن ٢/٥٠٧ .

وبالتأمل فى كلام الإمام السيوطى نجد أنه عرف المبالغة وأنها تكون بالوصف حتى تخرج إلى حد الاستحالة وأنها تكون بالصيغة وقد جعل صيغ المبالغة تسع صيغ فقد زاد على المشهور أربع صيغ فالمشهور أنها خمسة أوزان قياسية .

وعرف صاحب التبيان فى تصريف الأسماء أمثلة المبالغة فقال : "هى صيغ تأتى بدلاً من اسم الفاعل للدلالة على المبالغة فى معنى الفعل وذلك أن صيغة فاعل تحتمل فى دلالتها على الحدث القلة والكثرة ، فإذا أريد الدلالة على كثرة الحدث ، كمًّا أو كيفاً حولت فاعل إلى إحدى هذه الصيغ وهى : فعَّال كغفَّار وعَلاَّم وتوّاب ، فعُول كغفُور وشكُور ويستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال امرأة صبور ورجل صبور ، ومِفْعال نحو : مِنْحاز ومِهْذار وهو أيضاً مما يستوى فيه المذكر والمؤنث وفعيل كعليم وبصير ، وفَعِل كَحِذر . وتسمى هذه الصيغ أمثلة المبالغة ، لأنها تدل نصا على المبالغة فى الحدث وهى لا تسعمل إلا حيث يمكن التكثير ، فلا يقال : موّات لزيد ، ولا قتّال لعلى ، بخلاف موّات وقتّال للأعداء " [١] .

وفائدة أمثلة المبالغة كما يقول الإمام الزركشى : "تجئ اللفظة الدالة على التكثير والمبالغة بصيغة من صيغ المبالغة كفَعَّال وفَعِيل وفعلان ، فإنه أبلغ من فاعل ويجوز أن يعد هذا من أنواع الاختصار، فإن أصله وضع لذلك فإن "ضروبا " ناب عن قولك : ضارب وضارب وضارب "[٢]

[١] انظر التبيان فى تصريف الأسماء أ د / أحمد كحيل ص ٦٣ .

[٢] انظر البرهان للزركشى ٢/٥٠٢ .

فمن يتأمل حديث الإمام الزركشى يجد أنه بين فائدة أمثلة المبالغة وأنها نوع من أنواع الاختصار فاللفظة الواحدة تدل على التكثير والمبالغة ولا شك أن قولك "ضروب " فيه إيجاز واختصار من قولك : ضارب وضارب .

وإذا كان المشهور فى أبنية المبالغة بأنها خمسة أبنية فقد جعل الإمام السيوطى فى المزهر أبنية المبالغة أثنى عشر بناء فقال :

"قال ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) فى شرح الفصيح : العرب تبنى أسماء المبالغة على اثنى عشر بناء : فَعَال كفسَاق . وفُعَل كغُدَر. وفَعّال كغدّار . وفَعُول كغَدُور ومِفْعيل كمِعْطير . ومِفْعال كمِعْطار . وفُعَلة كهُمَزه ولُمزَة . وفَعُولة كمَلُولة . وفَعَّالة كعلاَّمة وفاعلة كراوية وخائنة . وفَعّالة كبَقّاقة ، للكثير الكلام . ومِفعالة كمجزامة [1] .

فمن يتأمل هذه الأبنية يجد أنه جعلها اثنى عشر بناء ووجدت صيغة فعّاله كبقّاقه مضبوطة بتشديد العين – وعلى ذلك يخيل للقارىء أن هناك تكرار فى كلام ابن خالويه لأنه ذكر فعّاله بتشديد العين قبل ذلك نحو : علامة ، ولكن بالرجوع إلى اللسان والقاموس – بقق – وجدت أن – بَقَاقَة – مخففة العين رجل بقاقه – أى كثير الكلام والهاء للمبالغة ، وعلى ذلك فلا تكرار فى كلام ابن خالويه وإنما حدث اللبس إما من السيوطى فى نقله فى المزهر وإما من ضابط المزهر .

---

[1] انظر المزهر ٢٤٣/٩٢ .

وقد جعل أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) أمثلة المبالغة سبعة فقال تحت باب المثال :

"والمثال : هو ما حول من اسم الفاعل للمبالغة الى فعول ، وفعال ، ومفعال وفعيل وفعل وفعيل ، وفعال [١] . فمن يتأمل كلامه يجد أنه زاد صيغتين على المشهور بين العلماء أنها خمس صيغ قياسية .

ويدل على أنها خمس صيغ ما قاله سيبويه رحمه الله (ت ١٨٠ هـ) وهو يتحدث عن صيغ المبالغة وأوزانها وعملها :

"وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا فى الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل ، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة فما هو الأصل الذى عليه أكثر هذا المعنى : فعول وفعال ، ومفعال ، وفعل وقد جاء فعيل كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير ، يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التقديم والتأخير والإضمار والإظهار لو قلت : هذا ضروب رءوس الرجال وسوق الإبل ، على : وضروب سوق الإبل جاز كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا . تضمر وضارب عمرا "[٢] .

---

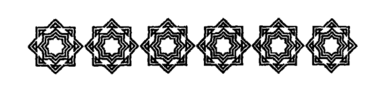
[١] انظر ارتشاف الضرب ٣/١٩١ – ١٩٤ .

[٢] انظر الكتاب ١/١١٠ هارون .

فمن يمعن النظر فى كلام سيبويه يجد أنه جعل صيغ المبالغة خمس صيغ وهو الأصل الذى عليه أكثر هذا المعنى وأنه يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التقديم والتأخير والإضمار والإظهار .

وكذلك ذكر المبرد (ت ٢٨٥ هـ) أمثلة المبالغة التى ذكرها سيبويه على خلاف فى "فعيل" وفَعِل" وسوف يأتى الحديث عنه إن شاء الله فى مبحث خاص وهو "الخلاف بين العلماء فى إعمال " فعيل وفَعِل" حيث يقول المبرد :

"هذا باب معرفة أسماء الفاعلين فى هذه الأفعال وما يلحقها من الزيادة للمبالغة [(١)]



(١) انظر المقتضب ١١٢/٢ – ١١٨ – بتصرف .

"أعلم أن الاسم من فعل على فاعل نحو قولك : ضرب فهو ضارب وشتم فهو شاتم وكذلك فعل نحو : علم فهو عالم وشرب فهو شارب .

فإذا أردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنية :
فمن ذلك : قتّال نقول : رجل قتّال ، إذا كان يكثر القتل فأما قاتل فيكون للقليل والكثير لأنه الأصل ، وعلى هذا تقول : رجل ضرّاب وشتام .
ومن هذه الأبنية : " فعول " نحو : ضَرُوب وقتُول وركوب تقول : هو ضروب زيدا إذا كان يضربه مرة بعد مرة .
ومن هذه الأبنية : مِفْعال " نحو : رجل مضراب ، ورجل مِقْتال .
فأما ما كان على "فعيل " نحو : رحيم وعليم فقد أجاز سيوبه النصب فيه ولا أراه جائزا ، وكذلك ما ذكر فى "فَعِل" أكثر النحويين على رد ه ، وفعيل " فى قول النحويين بمنزلته " وكما سبق أن أشرت سوف يأتى الحديث عن هذا الخلاف فى مبحث خاص إن شاء الله تعالى .
وكذلك ذكر ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) فى شرح التسهيل [١] صيغ المبالغة وأنها خمس صيغ حيث قال " يساوى اسم الفاعل العامل بالشروط المذكورة فى إفراد وغيره ما قصد به المبالغة من موازن : فعال وفعول ومفعال كقول من سمعه سيبويه : أمام العسلَ فأنا شرّاب ثم يقول " وألحق سيبويه بالثلاثة : فعيلا وفعلا مقصودا بهما المبالغة ثم قال " وفعل أقل من فعيل بكثير " [٢] .

---

[١] انظر شرح التسهيل ٣/٧٩- ٨٢ بتصرف .
[٢] انظر الكتاب ١/٥٨ .

وكذلك ابن يعيش (٦٤٣ هـ) فى شرح المفصل وهو يتحدث عن أمثلة المبالغة ذكر أنها خمسة : حيث قال : " وتلك الأسماء : فَعُول وفَعَّال ومِفْعَال وفَعِل وفَعِيل فجميع هذه الأسماء تعمل عمل فاعل وحكمها فى العمل حكم فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار فتقول : هذا ضروبٌ زيدا كما تقول : هذا ضارب زيدا وضَرَّاب عمرا ومِنْحار إبله وحَذِر عدوه ورَحيم أباه والتقديم فى ذلك كله والإضمار جائز كما كان فى فاعل وتقول: هو ضروب زيد وعمرا وإن شئت وعمرو كما فعلت فى ضارب وتقول : أزيدا أنت ضروبه كما تقول : أزيدا أنت ضاربه "[1]

فابن يعيش ذكر أن أمثلة المبالغة خمسة وأنها فى العمل تأخذ حكم فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار وقد أيد سيبويه فيما ذهب إليه من إعمال "فعيل وفَعِل" وسيأتى الحديث إن شاء الله عن هذا التأييد فى مبحث خاص وهو " خلاف العلماء فى إعمال فعيل وفعل "

ويقول ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) وهو يتحدث عن أمثلة المبالغة :
" وما وضع منه للمبالغة كضَرَّاب وضَرُوب ومِضْراب وعَلِيم وحَذِر مثله والمثنى والمجموع مثله " [2] فابن الحاجب جعل أمثلة المبالغة خمسة وهى فَعَّال وفَعُول ومِفْعَال وفَعِيل وفَعِل وأن المثنى والمجموع من أمثلة المبالغة يعمل عمل المفرد كاسم الفاعل.

والإمام السيوطى فى الهمع ذكر كذلك أنها خمسة حيث يقول :

---

[1] انظر شرح المفصل ٧٠/٦ .

[2] انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢ .

"يعمل بشرطهِ وفاقا وخلافا ما حوّل منه للمبالغة إلى : فعَال وفعُول ومِفعال وفعيل وفعِل [١]

ثم أخذ يذكر أمثلة لهذه الصيغ .

وفى شرح الألفية للمكودى (ت ٨٠٧ هـ) وهو يشرح قول ابن مالك

فعّال أو مِفعَال أو فعُول   فى كثرة عن فاعل بديل

فيستحق ماله من عمل   وفى فعيل قل ذا وفعل

يقول : " يعنى : أن هذه الأمثلة الخمسة التى هى : فعّال ومِفعال وفعُول وفعيل وفعِل متساوية فى أنها تعمل عمل اسم الفاعل بالشروط المتقدمة فيه " [٢]

وابن هشام (٧٦١ هـ) فى شذور الذهب ذكر كذلك أنها خمسة فيقول " والثالث من الأسماء العاملة عمل الفعل : أمثلة المبالغة : وهى عبارة عن الأوزان الخمسة المذكورة ، مُحَوّلة عن صيغة فاعل لقصد إفادة المبالغة والتكثير وحكمها حكم اسم الفاعل : فتنقسم إلى ما يقع صله لأول فتعمل مطلقاً ، وإلى مجرد عنها فتعمل بالشرطين المذكورين " [٣]

وكذلك ذكر ابن هشام فى قطر الندى وبل الصدى فقال :

"النوع الرابع من الأسماء التى تعمل عمل الفعل : أمثلة المبالغة وهى خمسة :

---

[١] انظر همع ٢/٩٦ .

[٢] انظر شرح الألفية للمكودى ص ١١٣ .

[٣] انظر شذور الذهب ص ٣٩٢ .

فَعّالٍ وفَعولٍ ومِفْعَالٍ وفَعِيلٍ وفَعِلٍ [١] " ثم أخذ يذكر أمثلة لهذه الصيغ وتحدث الشيخ خالد (ت ٩٠٥ هـ) فى شرح التصريح وذكر أنها خمسة فقال :

"تحول صيغة فاعل للمبالغة فى الفعل والتكثير إلى خمسة أوزان "[٢]

وابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)وهو يشرح قول ابن مالك :

فَعَّالٌ أو مِفْعَالٌ أو فعول فى كَثْرة عَن فَاعِلٍ بَديلُ

فَيَسْتحِقُ مَالهُ مِنْ عَمَل وَ فى فَعيل قلَّ ذا وفَعِل .

يقول : " يصاغ للكثرة فَعَّالٌ ومِفْعَالٌ وَفعولٌ وفَعِيل وفَعِل فيعمل عمل الفعل على حد اسم الفاعل ، ، وإعمال الثلاثة الأولى أكثر من إعمال فَعِيل وفَعِل ، وإعمال فعيل أكثر من إعمال فَعِل " [٣] فابن عقيل ذكر أنها خمسة وذكر أن أعمال الثلاثة الأولى أى : فعَّال ومِفْعالٌ وفَعُولٌ أكثر من إعمال فعيل وفَعِل .

وكذلك المرادى (ت ٧٤٩ هـ) فى شرح الألفية وهو بشرح البيتين السابقين بقول :

"إذا اقصدواالتكثير والمبالغة باسم الفاعل الثلاثى حوّل إلى فَعّال كغفّار أو مِفْعال كمنحار أو فَعُول كضروب أو فعيل كعليم أو فَعِل محذر " [٤]

والإمام الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) فى البرهان عدها ثمانية :

منها : فَعْلان نحو : الرحمن ، وفَعِيل نحو : رحيم وسميع وقدير وحكيم وعليم .

---

[١] انظر قطر الندى ص ٢٩٨ .

[٢] انظر شرح التصريح ٦٧/٢ .

[٣] انظر شرح ابن عقيل ١١١/٣ .

[٤] انظر شرح الألفية للمرادى ١٨/٣ .

وفَعَّال نحو : غَفَّار ومنان وتوّاب ونحو قوله تعالى " لِكُلِّ صَبَّار شكور " [١] .

وفُعَال : بالتخفيف والتشديد نحو قوله تعالى " إنَّ هَذَا لَشَىءٌ عُجَابٌ " [٢] وقوله تعالى " ومَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً "[٣] . وفَعُول نحو قوله تعالى " إنَّ الإنسَانَ لَظلومٌ كَفَّار " [٤] ونحو : غفور وشكور وودود وقوله تعالى فى نوح " إنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً " [٥] .

وفَعِلَ نحو قوله تعالى " وإنَّا لَجميعٌ حَاذِرُونَ " [٦] وقوله تعالى : " كَذَّابٌ أشِرْ " [٧]

وفُعَل فيكون صفة كقوله تعالى : " أهلَكتُ مَالاً لُبَداً " [٨] اللبد الكثير ويكون مصدراً كهدى وتُقى .

وفُعلى ويكون اسما كالشورى والرجعى نحو قوله تعالى " إنَّ إلَىَ رَبِّكَ الرجْعَىَ" [٩]

ويكون صفة كالحسنى فى تأنيث الأحسن والسوءى فى تأنيث الأسوأ نحو قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذين أسَاءُوا السُّوَى أنْ كَذَّبوا بآيات اللهِ "[١٠] .

---

[١] إبراهيم / ٥ .

[٢] ص / ٥ .

[٣] نوح / ٢٢ .

[٤] ابراهيم /٣٤.

[٥] الإسراء /٣ .

[٦] الشعراء /٥٦ .

[٧] القمر /٢٥ .

[٨] البلد /٦ .

[٩] العلق / ٨.

[١٠] الروم /١٠ وانظر البرهان ٥٠٢/٢ – ٥١٥ بتصرف .

وسوف يأتى الحديث إن شاء الله مفصلاً فى مبحث خاص عما ورد من صفات الله عز وجل على صيغة من صيغ المبالغة كغفار ورحيم وغفور فقال بعضهم : كلها مجاز إذ هى موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشىء أكثر مما له ، وصفات الله متناهية فى الكمال ، ولا يمكن المبالغة فيها ، والمبالغة أيضاً تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك."[1]

ومن النحاة الذين قالوا بأن أمثلة المبالغة خمسة : أبو محمد عبد الله بن اسحاق الصَّيْمَرى قال : وأعلم أن الصفات المعدولة عن اسم الفاعل للمبالغة تعمل عمل اسم الفاعل وتجرى مجراه كقولك : فَعَّال وفَعول ، ومِفعَال ، وفَعِل ، وفعيل نحو : قَتَّال وضَرُوب ، ومِطْعام ورَحِيم وحَذِر تقول : زيدٌ قَتَّالٌ أعداءَهَ ، وضروب غِلْمانه ، ومِطْعامٌ ضيفانهُ ، ورحيمٌ المساكينَ ، وحذرٌ أمرَك كما تقول : هو يقتل أعداءَه ، ويضرب غلمانَه ، ويطعم ضيفانه ، ويرحم المساكينَ ، ويحذر أمرك [2]) ثم أخذ ينشد الشواهد الشعرية لذلك .

والخلاصة : أن المبالغة : أن تثبت للشىء أكثر مما له كما قال الزركشى فى البرهان ، أو : أن يذكر المتكلم وصفا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ فى المعنى الذى قصده ، وهى نوعان : مبالغة بالوصف بأن يخرج الى حد الاستحالة ومبالغة بالصيغة وهى المبالغة كما قال الإمام السيوطى فى الإتقان أو هى : صيغ تأتى بدلاً من اسم الفاعل

---

(1) انظر البرهان ٢/٥٠٧ .

(2) انظر المبتصرة والتذكرة للصيمرى ١/٢٢٥ .

للدلالة على المبالغة فى معنى الفعل وذلــك أن صيغــة فــاعل تحتمل فى دلالتها على الحدث القلة والكثرة ، فإذا أريد الدلالة علــى كثرة الحدث كمًا أو كيفا حولت فاعل إلى إحــدى هــذه الصيــغ .وأن المشهور بين العلماء أن هذه الصيغ خمس صيــغ وهــى : فَعَّــال / مِفْعَال ، فَعُول فَعيل ، فَعِل كما قال بذلك سيبويه وابــن مــالك وابــن يعيش والرضى والمرادى والمكودى والصَّيْمَرى وغيرهم من العلمــاء كالصبان والأشمونى ، والسجاعى ، والخضرى ، وابن هشام وأن من العلماء من جعلها ثمانى صيغ كالزركشى فى البرهــان ومنــهم مــن جعلها تسع صيغ كالسيوطى فى الاتقان .

ومنهم من جعلها اثنى عشر بناء كما نقــل الســيوطى فــى المزهر عن ابن خالويه فى شرح الفصيح وقد سبقت الإشارة إلى مــا حدث من لبس فى نص المزهر فلا أدرى أهو من نقل الســيوطى أو من ضابط المزهر.

ومنهم من جعلها سبعة أمثلة كأبى حيان فى ارتشاف الضرب

وأن فائدة أمثلة المبالغة : أنها نوع مــن أنــواع الاختصــار فاللفظة الواحدة تدل على التكثير والمبالغــة ولا شــك أن قولــك :" ضروب " فيه إيجاز واختصار من قولك :"ضارب وضارب وضارب "

المبحث الثاني

آراء العلماء في قياسية أمثلة المبالغة

وقد اختلف في قياسية هذه الأبنية : فقيل : إن الصيغ الخمس قياسية من الثلاثي المتعدى ونسب بعضهم ذلك للبصريين ، وذهب فريق : إلى أنها سماعية ، وبعض العلماء ذهب إلى أن الصيغ : فعال ، ومفعال ، وفعول قياسية لكثرتها ، وأما غيرها فسماعي ، ونسب إلى أبي حيان كما في حاشية يس (١٠٦١ هـ) على التصريح وقد رأى المجمع اللغوى أنه قد ورد في اللغة على فعال " ألفاظ كثيرة من المتعدى واللازم تصلح أساسا للقياس ، فقرر أن صيغة فعال تأتي للمبالغة قياسا من الثلاثي المتعدى واللازم [١].

وقد جاءت من أفعل شذوذا : مفعال نحو معطاء ، ومعوان ، من أعطى وأعان . وفعال ، نحو : دراك من أدرك ، وفعيل ، نحو : نذير ، وأليم ، وسميع ، من أنذر ، وآلم ، وأسمع .

وهناك صيغ أخرى قليلة الاستعمال مثل : فعلان كرحمن ، وفعيل نحو :شريب ، وفعال نحو : وضاء ومنه قوله تعالى ﴿ ومكروا مكرا كبارا﴾ [٢] وفعال نحو قوله تعالى " إن هذا لشيء

---

[١] انظر مجلة المجمع اللغوى ٤٥/٢ التبيان في تصريف الاسماء ص ٦٤/٢ النحو الوافي ٢٦٠/٣ .

[٢] نوح /٢٢.

عُجَاب "[٣]وفُعَلة كهُمَزة ، وضُحَكة ومن ذلك أيضا : علاّمة ، ومِعْطير ، وراوية وفروقة .[٤] .

ويقول المرادى فى شرحه على الألفية وهو يشرح قول ابن مالك :

فَعَّال أو مِفْعَال أو فَعُول فى كَثْرة عن فاعل بديل .

فيستحق ماله من عمل وفى فعيل قل ذا وفعل

فإن قلت : ما معنى قوله فى كثرة ؟ قلت : يعنى أن هذه المثل إنما يعدل عن فاعل إليها للدلالة على الكثرة والمبالغة . فإن قلت : من أين يعلم من كلامه اختصاص ذلك بالثلاثى ؟ قلت : من قوله " عن فاعل "فإن اسم الفاعل غير الثلاثى لا يكون على فاعل . وقد يبنى : فعال ومفعال ، وفعول وفعيل من أفعل كقولهم : دراك ومهوان وزهوق ، ونذير من أدرك وأهان وأزهق وأنذر وذلك قليل . وقوله "فيستحق ماله من عمل " يعنى : هذه الأمثلة تستحق مالاسم الفاعل من العمل بالشروط المذكورة على التفصيل المتقدم .

وقوله "وفى فعيل قل وفعل " الإشارة إلى عمل اسم الفاعل أى : قل فى فعيل وفعل أن يعمل اسم الفاعل .

ومذهب سيبويه جواز إعمال هذه الأمثلة الخمسة ، ومنع أكثر البصريين منهم المازنى (٢٤٩ هـ) والمبرد إعمال فعيل وفعل . وفصل الجرمى (٢٢٥ هـ) فأجاز إعمال فَعِل لأنه على وزن الفعل ،

---

(٣) ص/٥ .

(٤) أنظر التبيان فى تصريف الأسماء د /كحيل /٦٥ .

ومنع إعمال فعيل ، ومنع الكوفيون إعمال الخمسة لأنـــها لمــا جاءت للمبالغة زادت على الفعل فلم تعمل عندهم لذلك [١] .

وقال الشيخ خالد الأزهرى : "وإعمال أمثلة المبالغــة قــول ســيبويه وأصحابه وحجتهم فى ذلك السماع والحمل على أصلها وهو اسم الفاعل لأنها متحولة عنه لقصد المبالغة ، ولم يجز الكوفيون إعمـــال شىء منها لمخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه وحملـــوا المنصــوب بعدها على تقدير فعل ومنعوا تقديمه عليها ويرد عليهم قول العــوب : أما العسلَ فأنا شرَّاب ، ولم يجز بعض البصرين إعمال فعيـــل وفَعِـل وأجاز الجرمى إعمال فَعِل دون فعيل لأنه على وزن الفعل كعَلِم وفَــهِم وفَطِن " [١] .

وقال الشيخ يس فى حاشيته: قوله : والحمل علـــى أصلــها " قــال بعضهم : " إنما أعملت لأنها واقعه موقع مُفَعِّل الذى هو اسم فـــاعل المضعف وهو فعّل بتشديد العين لأنـــه الموضــوع لإفــادة المبالغــة والتكثير، هذا حاصل ما فيه "[٢]

ويقول ابن هشام فى شذور الذهب : "وإعمال هذه الثلاثة كثــير – أى : فَعَّال مِفْعال فَعُول – فلهذا اتفق عليه جميع البصرييـــن ، وإعمـــال فعيل وفَعِل قليل فلهذا خالف سيبويه فيها قوم من البصريين ووافقـــه ،منهم آخرون ، ووافقه بعضهم فى فَعِـل لأنـــه علـــى وزن الفعــل ، وخالفه فى فعيل لأنه على وزن الصفة المشــبهة كظريــف وذلــك لا ينصب المفعول .

---

[١] انظر شرح الألفية للمرادى ١٩/١٨/٣ .

[١] انظر التصريح ٦٨/٢ .

[٢] انظر يس ٦٨/٢ .

وأما الكوفيون : فلا يجيزون إعمال شيء من الخمسة ومتى وجدوا شيئاً منها وقع بعده منصوب أضمروا له فعلا وهو تعسف"[١]
من يتأمل كلام ابن هشام يجد أنه بين رأى سيبويه وأنه أجاز إعمال الأمثلة الخمسة وأن إعمال الثلاثة الأول كثير فلهذا اتفق عليه جميع البصريين وأن إعمال فعيل وفَعِل قليل فلهذا خالفه فيها قوم من البصريين ، ووافقه بعضهم فى فعِل لأنه على وزن الفعل نحو : عَلِمَ وفَهِمَ وفَطِنَ ، وخالفه فى فعيل لوروده على وزن الصفة المشبهة كظريف . وأن الكوفين لا يجيزون إعمال شىء من الخمسة والمنصوب بعدها يضمرون له فعلا وقد حكم ابن هشام على رأى الكوفيين بأنه تعسف فهذا ميل منه وترجيح لمذهب سيبويه ومن وافقه من البصريين وأن مذهبهم هو الصحيح وحجتهم فى ذلك السماع لوروده نظما ونثرا ، وسوف يأتى إنشاء الله تعالى الشواهد على ذلك وللحمل على اصلها وهو اسم الفاعل لأنها متحولة عنه لقصد المبالغة .

وقال ابن هشام مثل ذلك فى قطر الندى : حيث :يقول : "وأكثر الخمسة استعمالاً الثلاثة الأول – أى : فعَّال مِفعَال فعول – وأقلها استعمالاً الأخيران – أى : فعيل وفِعَل وكلها تقتضى تكرار الفعل ، فلا يقال : ضَرَّاب لمن ضرب مرة واحدة وكذا الباقى وهى فى التفصيل والاشتراط كاسم الفاعل سواء .

---

[١] انظر شذور الذهب ص ٣٩٤ – ٣٩٦ .

وإعمالها قول سيبويه وأصحابه وحجتهم في ذلك السماع والحمل على أصلها وهو اسم الفاعل – لأنها محولة عنه لقصد المبالغة ، ولم يجز الكوفيون إعمال شيء منها ، لمخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه وحملوا نصب الاسم الذى بعدها على تقدير فعل ، ومنعوا تقديمه عليها ، ويُرَدُ عليهم قول العرب : أما العسلَ فأنا شرَّاب . ولم يجز بعض البصريين إعمال فَعيل وفَعِل ، وأجاز الجرمى إعمال فَعِل دون "فعيل" لأنه على وزن الفعل كَعَلِمَ وفَهِمَ [1] .

من يتأمل كلام ابن هشام هنا يجد أنه بين ما استدل به الكوفيون على منع إعمال شيء من أمثلة المبالغة وأن السبب في ذلك عندهم : مخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه ، وذلك لأن أمثلة المبالغة تعمل بالجمل على اسم الفاعل ، واسم الفاعل يعمل بالحمل على الفعل المضارع لجريانه عليه فى الحركات والسكنات فالحركات والسكنات فى ضارب مثل الحركاتِ والسكنات فى يضرب "

والصحيح مذهب سيبويه ومن وافقه لورود السماع بذلك نظماً ونثراً فمثال فعَّال " قول من سمعه سيبويه : "أمَّا العَسَلَ فأنا شرَّابٌ" [2] .

وقول الشاعر :

وإنّى لقوّال لِذِى البَثّ مرحباً   وأهلاً إذا ما جاء من غير مَرْصَدَ [3]

وقال القلاخ :

---

[1] انظر قطر الندى ص ٣١٠ .

[2] انظر الكتاب ١١١/١ المقتضب ١١٢/٢ وورد فيه : فأنت شرّاب .

[3] من الطويل – لم أقف على قائله اللغة : البث : الحزن ، المرصد : الميعاد . والشاهد فى قوله "قوّال" حيث ورد على وزن فعّال فعمل عمل الفعل انظر النحو الوافى ٢٥٨/٣.

أخا الحربِ لبّاساً إليها جِلالَها   وليس بولاج الخوالفِ أعقلا [١]

وقال الشاعر :

إنى لَصَبَّارٌ على ما ينوبنى   وحسبك أن الله أثنى على الصبر [٢]

ولست بنظَّار إلى جانب الغنى   ذا كانت العلياء فى جانب الفقر

ومما ورد على صيغة فعَّال قول رؤبة :

برأس دَمّاغ رءوس العِزِّ .[٣]

ومما ورد على صيغة فعَّال "فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى " ولا تطع كُلَّ حَلَّافٍ مِهين .هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَميم . مَنَّاع للخير مُعْتَدٍ أثيم "[٤]

---

[١] من الطويل – اللغة : أخو الحرب : اللازم لها المستعد . والجلال : جمع جُل بالضم وأصله ما يلبسه الفرس نجعله لما يلبسه المحارب من سلاح كالدرع ونحوها ، والولاج : الكثير الدخول فى البيوت بتردد فيها الضعف همته وعجزه . والخوالف جمع خالفه وهى عمود فى مؤخر البيت والأعقل : الذى تصطك ركبتاه فى المشى ضعفا أو خلقه . والشاهد فيه : إعمال لباسا "لأنه تكثير لابس فعمل عمله ونصب جلالها "لاعتماده على موصوف مذكور وهو " أخا الحرب" .

أنظر الكتاب ١١١/١ العينى ٥٣٥/٣ المقتضب ١١٢/٢ خزانة الأدب ١٥٧/٨ شرح التصريح ٦٨/٢ شرح المفصل لابن بعيش ٧٩/٦ أوضح المسالك ٢٢٠/٣ الاشمونى ٣٤٢/١ شرح شذور الذهب ص ٥٠٤ شرح ابن عقيل ص ٤٢٣ همع ٩٦/٢ . المعجم المفصل ٦٥٦/٢

[٢] من الطويل – لم أقف على قائلة . والشاهد فيه : قوله :"بنظار" حيث وردت الكلمتان على وزن فعال من صيغ المبالغة عمل فعله أنظر(النحو الوافى ٢٦١/٣.)

[٣] اللغة : الدمّاغ : مبالغة دامغ ، وهو الذى يبلغ بالشحه الى الدماغ . رءوس الغز أى : رءوس أهل العز . وهى من أرجوز يمدح بها أبان بن الواليد البجلى .
والشاهد فيه : "نصب رءوس " بصيغة المبالغة دماغ .
انظر الخزانه ١٥٧/٨ الكتاب ١١٣/١ شرح آبيات سيبويه ٦٧/١ ديوانه ص ٦٤ المعجم المفصل ١١٧٥/٣ .

[٤] القلم /١٠-١٢ الحلاف : كثير الحلف ، والمهين / الحثير الدنىء ، وهماز : كثير الهمز أى : كثير الطعن والضرب والإيذاء–والنمام:كثير المشى بالنميمة وهى السعى بين الناس بالإفساد – والمناع / كثير المنع للخير . وانظر الدر المصون ٣٥٢/٦ القرطبى ١٥١/١٨ ، ١٥٢ مفردات الراغب ص ١٣٦ .

وقولهم : فلان بسّام الثغر ، وضَحّاكالسن ومثال مِفْعال " قــول بعض العرب : "إنه لمِنْحار" بوائكها (١) " وقال الكميت :

شُمٍّ مَهَاوين أبداان الجزُور مخَا ميص العشّيات لا خُورٍ ولا قُزُم (٢)

---

(١) ناقة بائكة : سمينة خيار فتية حســنة . انظــر (الكتــاب ١/١١٢ المقتضــب ٢/١١٣ المرادى ٣/١١٩ .

(٢) من البسيط : اللغة : مهاوين : جمع مهوان ، مبالغة فى مهين . فهو من إعمال جمع صيغ المبالغــة إعمال صيغة المبالغة إعمال الواحد . وصفهم بأنهم شم الانوف ، والشمم ارتفاع فى قصبة الأنف مــع استواء أعلاه ، كناية عن العزة ، ثم ذكر أنهم يهينون للضيف والمسكين أبدان الجزور جمــع بدنــه . وهى الناقة السمينة المتخذة للنحر ، وكذلك الجزور ، ويروى / أبداء الجزور جمع بدء وهــو أفضــل الأعضاء .

مخاميص : جمع مخماص ، وهو الشديد الجوع ، أى : يؤخرون العشاء انتظارا لضيف يطر قهم والخور : جمع أخور وهو الضعيف والقزم – بالتحريك – رذال الناس وسفلتهم يقــال : للذكــر والأنثــى والواحد والجمع .

قال البغدادى : والأوصاف جميعها مجرور فى البيت لأن قبله :

يأوى الى مجلس باد مكارمهم لا مطمعى ظالم فيهم ولا ظلم فيهم ولا ظلم .

فلا عيرة بما ورد من ضبط هذه الأوصاف فى بعض نسخ الكتاب بالرفع لأنه ليس فى كلام سيبويه ما يشعر بذلك وفى البيت شاهدان : أولهما : قوله "مهاوين" فــى جمع "مهوان" " من أهان " وبناء مفعال من أفعل قليل نادر والكثــير مــن فعــل . والثانى : قوله "مهاوين أبدان " حيث أعمل الجمع من اسم الفاعل عمــل المفــرد أنظر الكتاب ١/١١٤ الخزانة ٨/١٥٠ المفصل ٦/٧٤ همع ٢/٩٧ اللسان – هــون المقاصد النحوية ٣/٥٦٩ شرح عمدة الحافظ ص ٤٧٠ المعجم المفصل فى شــواهد النحو ٢/٦٢٦ .

فمهاوين "جمع مهوان "ومثال فَعُول" قول بعضهم : أنت غيــوظ ما علمت أكباد الإبل " [١] حكاه الكسائى . وقال أبو طالب بــن عبــد المطلب :

ضَرُوبٌ بنصل السيف سُوقَ سمانها إذا عَدِموا زادا فإنك عاقِر [٢]

ومما جاز فيه مقدما ومؤخرا على نحو ما جاء فى "فاعل" "قــول ذو الرمة :

هَجُومٌ عليها نَفْسَه غير أنه متى يُرْمَ فى عينيه بالشيح يَنْهَضِ [٣]

---

(١) انظر المرادى ٣//١١٩ .

(٢) من الطويل . اللغة : نصل السيف شفرته . كانوا إذا أرادوا نحر الناقة ضربــوا بساقها بالسيف فخرت ثم نحروها . والشاهد فيه : إعمال فعول "وهــو ضــروب عمل فعله فنصب "سوق سمانها"

انظر الكتاب ١١١/١ الخزانة ١٤٦/٨ ، ٢٤٢/٤ المقتضــب ١١٣/٢ التصريــح ٦٨/٢ شرح المفصل ٧٠/٦ أوضح المالك ٢٢١/٣ شرح الأشمونى ٣٤٢/٢ همــع ٩٧/٢ شذور الذهب ص ٥٠٥ .

(٣) من الطويل – يصف ظليما – وهو ذكر النعام . يقول : يهجم نفسه على البيض أى : يلقيها عليها حاضنالها ، فإذا فوجىء بشبح ، أى : شخص ، فــارق بيضــه ونهض هاربا – والشيح– بسكون الياء لغة فى – الشيح – بفتحــها . والشــاهد : لإعمال هجوم مبالغة هاجم فنصب بها المفعول به نفسه .

انظر الكتاب ١١٠/١ خزانة الأدب ١٥٧/٨ ديوان ذى الرمة ٣٢٤ المعجم المفصل ٤٨٤/١ .

وقال أبو ذؤيب الهذلى :

قلى دينه واهتاج للشوق إنها على الشَّوق إخْوانَ العَزاءِ هَيوجُ .[١]

ومن إعمال فَعوُل " قول أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم :

بكيت أخا اللأواءِ بحُمَدُ يومُه كريمُ رءُوسَ الدَّارعينَ ضَرَوبُ .[٢]

وأجروه حين بنوه الجمع كما أجرىَ فى الواحد ليكون كفواعل حين أجرى مثل فاعل من ذلك قوله طرفه :

ثم زادوا أنهُم فى قومِهِم غُفُرٌ ذنبُهمُ غير فجُرْ .[٣]

---

[١] من الطويل – وصف امرأة أنها لو نظر إليها راهب لا يغض دينه وتركه واهتاج شوقا إليها وأنها لافراط حسنها تسلب أصحاب العزاء والسلوة عن النساء عزاءهم وتحملهم على الصبا . والشاهد : أخوان العزاء هيوج حيث اعمل صيغة المبالغة وهو قوله : هيوج وهو مؤخر مفعوله أخوان .
انظر الكتاب ١/١١١ العينى ٣/٥٣٧ شرح الأشمونى ٢/٣٤٢ شرح ابن عقبل ص ٤٢٣ شرح التسهيل ٣/٧٩ . والمعجم المفصل ١/١٥٤.

[٢] من الطويل : اللغة : اللأواء : الشدة عنى أنه يكفى قومه الشدة ومعرة الزمان بحمد يومه : أى : يحمد أيامه ، أما فى الحرب فلبسالته ، وأما فى السلم فلعطائه ، وأما فى السلم فلعطائه وبذله والدارع : لابس الدرع وهذا فى وصف شجاع كريم والشاهد : رؤوس الدارعين ضروب فتصب بها رؤوس " أنظر الكتاب ١/١١١ بلانسية فى شرح المفصل ٦/٧١ شرح عمدة الحافظ ص ٦٧٩ المعجم المفصل ١/٧٩ .

[٣] من الرمل: رواية فجر " هى الأصل نص عليها الشنتمرى . ويروى "غير فخر بالخاء . والمعنى : وصف قومه أنهم زادوا على قبيلتهم بأنهم يغفرون ذنوبهم بالعفو والصفح وأنهم لا يفجرون أى : لا يكذبون ، أولا يفخرون بما أسدوا من صنيع ، سترا لمعروفهم .
والشاهد فيه : إعمال "غفور" فنصب المفعول وهو "ذنب" وقد اعتمدت صيغة المبالغة على مخبر عنه مذكور وهو اسم إن " .
انظر الكتاب ١/١١٣ العينى ٣/٥٤٨ خزانة الأدب ٨/١٨٨ شرح التصريح ٢/٦٩ شرح عمدة الحافظ ص ٦٨٢ شرح المفصل ٦/٧٤ أوضح المسالك ٣/٢٢٧ شرح الأشمونى ٢/٣٤٣ همع ٢/٩٧ ديوان طرفه ٦٨ .
انظر الكتاب ١/١١٣ الخزانة ٨/١٦٩ العينى ٣/٥٤٣ ابن الشجرى ٢/١٠٧ شرح الأشمونى ٢/٣٤٢ شرح المفصل ٦/١١٦ ابن عقيل ص ٤٢٤ المعجم المفصل ١/٤٠٤ .

ومثال "فعيل " قول بعضهم :"إن الله سميع دعـــاء مـــن دعـــاه"
وقالوا : هو حفيظ علمه وعليم غيره "[١]

فتاتان أمَّا منهما فشبيهة هلالا وأخرى منهما تُشْبِه البَدْرا [٢]

ومثال "فعِل" قول الشاعر :

حَذِر "أموراً لا تضير وآمنٌ ما ليسَ مُنْجيه من الأقدار [٣]

أنشده سيبويه والقدح فيه من وضع الحاسدين

---

[١] انظر شرح التسهيل ٨١/٣ ،شرح الكافية الشافية ١٠٣٧/٢، المردى ١٩/٣

[٢] من الطويل لأبى قيس الرقيات .

والشاهد فيه : فشبيه هلالاً ، حيث أعمل شبيهه فنصب هلالاً مع كونه من أشبه كتذير من أنذر انظر(شرح الكافية الشافية ١٠٣٧/٢، شرح التسهيل ٨١/٣ ،شرح الألفية للمرادى ١٩/٣ ،شرح الأشمونى ٢٢١/٢ ديوانه ص٣٤

[٣] من الكامل . زعم بعضهم أن هذا البيت مصنوع وقال : يروى عن اللاحقى أنه قال : سألنى سيبويه عن شاهد فى تعدى فعل ، فعملت له هذا البيت

وقال العينى : قائلة أبو يحيى اللاحقى وساق خبراً أنه مصنوع وأنشده ابن الشجرى بدون نسبه.

والمعنى : يصف إنساناً بالجهل وقله المعروفه وأنه يحذر مالا ينبغى أن يحذر، ويأمن مالا يصح أن يؤمن انظر (الكتاب ١١٣/١ الخزانة ١٦٩/٨ العينى ٥٤٣/٣ ابن الشجرى ١٠٧/٢ شرح الأشمونى ٣٤٢/٢ شرح المفصل ٧١/٦ المقتضب ١١٦/٢ لبن عقيل ص ٤٢٤ المعجم المفصل ٤٠٤/١)

ومن إعمال "فعل) قول زيد الخيل :

أتانى أنهم فرقون عرضى   حجاس الكرملين لهم فديد . [١]

فأعمل " مزقون عرضى" وهو جمع فرق" محول للمبالغة من " مازق" ومما جاء فى "فاعل" وليس فى كثرة "فعيل" كما قال سيبويه ، قول لبيد :

أو مسحل شنج عضادة سمحج   بسراته ندب لها وكلوم . [٢]

---

[١] الجحاس : جمع جحس وهو ولد الأتان

والكرملين : يعنى به مكانا مجاورا للكرملين وهو اسم ماء فى جبل طىء والشاهد فيه : حيث أعمل "مزقون عرضى " وهو جمع "فرق" محول للمبالغة من مازق انظر شرح الكافية الشافية ١٠٤٠/٢ شرح التسهيل ٨١/٣ الدرر ١٣٠/٢ التصريح ٦٨/٢ شواهد ابن عقيل ١٨٢ .

[٢] من الكامل . اللغة : شنج : مبالغة شانج أى : فلازم

المسحل : الحمار الوحشى وسحيله : نهاقه كأنه سحل المبرد .

والعضادة : الجانب أو معناه إلى جانب عضدها .

والسمج : الأتان الطويلة الظهر .

والسراة : أعلى الظهر .

والندب : آثار الجرح جمع ندبه

والكلوم : الجراح جمع كلم .

والمعنى : هى ترمحه وتكلمه تخلصا من حمله عليها .

والشاهد : إعمال صيغة المبالغة "شنج" فى عضادة"

انظر الكتاب ١١٢/١ الخزانة ١٦٩/٨ العينى ٥١٣/٣ شرح المفصل ٧٢/٦ شرح الأشمونى ٣٤٢/٢ اللسان - عضد - عمل ال

معجم المفصل ٨٨٠/٢.

فكل ما سبق من شواهد نثرية وشعرية تدل على أن مذهب سيبويه وأصحابه فى إعمال صيغ المبالغة الخمس هو الصحيح خلافاً للكوفيين الذين منعوا إعمال شىء منها لمخالفتها لأوزان المضارع وأن المنصوب بعدها على تقدير فعل وأن بعض البصريين منعوا إعمال فعيل وفعِل ، وأن الجرمى فصل فى ذلك فأجاز إعمال فِعلَ دون فعيل لأنه على وزن الفعل كعَلِمَ وفهِم وفَطِنَ .

ويقول الإمام الرضى (٦٨٦ هـ) فى شرحه على الكافية[١] وهو يذكر الخلاف بين البصريين والكوفيين فى العامل من أبنية المبالغة يقول : "أبنية المبالغة العاملة أتفاقاً من البصريين ثلاثة وهذه الثلاثة مما حول إليها أسماء الفاعلين التى من الثلاثى عند قصد المبالغة قال:

فيا لرزامٍ رشّحوا بى مُقَدّماً على الحربِ خوّاضاً إليها الكتائبا [٢]

وفى كلامهم : إنه لمنحّار بوائكها أى : سمانها وقال :

ضَروبٌ بنَصْلِ السّيْفِ سُوقَ سِمانِها إذا عَدِمُوا زاداً فأنّكَ عاقِرُ[٣] .

وربما بنى فَعّال ومِفْعال وفَعُول من أفْعل نحو : حساس ودراك من أحس وأدرك وقال :

---

[١] انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢

[٢] من الطويل– لسعد بن ناشب المازنى . اللغة : رزام :قبيلة رشحوا : فعل أمر من الترشيح وهو التربية ، ويروى : الكربا وهو جمع كرب وهو الغم والكتائب جمع كتيبة وهى الجيش الشاهد فيه : على أن " خواضا" صيغة مبالغة حول اسم الفاعل الثلاثى وهو خائض قال ابن جنى فى اعراب الحماسة : فى هذا البيت شاهد على جواز إعمال اسم الفاعل ، ألا تراه كيف تصب الكرائب بخواض . انظر(الحماسة بشرح المرزوقى ٧٢ والتبريزى ٧٣٨ الخزانة ١٤٠/٨)

[٣] سبق تخريجة و الحديث عنه ص ٢٧.

شُمَّ مَاوينَ أبْدَانَ الجَزُور مخا   مِيص العَشّيات لاخُور ولا قَزَم[١]

جمع مهوان من أهان . قال سيبويه : فاعل إذا حول إلـــى فعيـــل أو فَعِل عمل أيضاً وأنشد :

حتى شآها كَليلُ مَوْهِناً عَمِلُ   باتتْ طِراباً وباتَ الليل لم ينمَ [٢]

واستدل سيبويه على عمل فَعِل بقوله :

حَذِرُ أموراً ما تخاف وآمنُ   ما لَيْس مُنْجية مِن الأقْدار [٣]

ومنعه غيره وقالوا : إن البيت مصنـــوع يـــروى عـــن اللاحقـــى أن سيبويه سألنى عن شاهد فى تعدى "فَعِل" فعملت له هذا البيت . أمـــا إذا لم يكن فعيل وفَعِل مما حول إليه اسم الفاعل كظريف وكريم وفَطِن فلا خلاف فى أنهما لا ينصبان إذ كلا منا فى أبنيـــة المبالغـــة لا فـــى الصفات المشبهة .

---

[١] سبق تخريجه والحديث عنه ص٢٦.

[٢] من البسيط - لساعدة بن جوؤيه اللغة : شآها : ساقها وأزعجها من موضعـــها . والمعنى على مذهب سيبويه : أنه وصف حماراً وأتنا نظرت إلى برق مســـتطير مبنىء بالغيث يكل الموهن - وهو وقت من الليل - بروقه ولمعانها وهو مجاز كما تقول : أتعبت ليلى إذا سرت فيه سيراً حثيثاً ، فطربت تلك الحمر للبرق مثاقة إليـــه فى أماكنه ، وبات البرق ليلة لم ينم ، أى : استمر فى لمعانة . والشـــاهد فيـــه : نصب "موهنا" بـــ كليل" لأنه بمعنى فكل فعير منه عند المبالغة وفعيل بمعنى مفعل بمعنى مفعل كثير ، كبصير وأليم وسميع بمعنى : مبصر ومؤلم ومسمع فإذا كـــان بمعناه عمل لأنه فغير منه للمبالغة . وقد رد على سيوبه فذهبه بما سبق فى الشاهد السالف ، فعليه يكون موهنا ظرفا عاملة شآها أو كليل ومعنـــاه علـــى ذلـــك : أن البرق ضعيف الهبوب كليل فى نفسه . وفى هذا الرد نظر إذ لو كان كليل بمعنـــى ضعيف لم يقل معه "عمل" وهو الكثير العمل لا ريـــب . نظـــر الكتـــاب ١/١١٤ خزانة الأدب ٨/١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٤ المقتضب ٢/١١٥ شرح المفصـــل ٦/٧٢ ، ٧٣ المغنى ٢/٤٣٥ لسان العرب عمل - شاى - المقرب ١/١٢٨ المعجم المفصلى ٢/٩٤٦ .

[٣] سبق تخريجه والحديث عنه ص ٢٩.

وقد جاء فعيل مبالغة مفعل كقوله تعالى " ولهذا عذاب أليم "[١] على رأي . وقوله :

أمِنْ ريحانَة الداعى السَّميعُ   يؤرّقنى وأصحابى هُجوُعُ. [٢]

على أنَّ "فعيلا " قد جاء لمبالغة مُفعِلٍ على رأيٍ وهو رأى الجمهور منهم أبن الأعرابى (فى نوادره) أنشد لثُغبة الغَنَوى :

إنىَ تودَّكُم نفسى وأمنحكُم   حُبّى ، ورُبَّ حبيبٍ غيرُ محبوب [٣]

حبيب فى معنى مِحبّ ، مثل أليم فى معنى مُؤلم وسميع فى معنى مسمع . وأنشد هذا البيت ومنهم : أبو العباسى المبرد قال فى "الكامل" [٤] : قيل : خصيب وأنت تريد مُخصِب ، وجديب .

وأنت تريد مُجْدب ، كقولك : عذاب أليم وأنت تريد مُؤلِم . ويقال : رجل سميعٌ

أى : مُسمع قال عمرو بن معد يكرب :

أمن ريحانة الداعى السميع : ....البيث .

ومنهم أبو إسحاق الزجَّاج (ت ٣١١ هـ) قال فى تفسيره [٥] من البقرة ، عند قوله تعالى:﴿ ولهم عذاب أليم﴾ [٦]

---

[١] سورة البقرة آية ١٠

[٢] من الوافر – لعمرو بن معدى كرب . والشاهد فيه كما فى الشرح .انظر(الكامل ٢٠١/١ وابن الشجرى ٦٤/١ ١٠٦/٢ وابن يعيش ٧٣/١ والخزانة ١٧٨/٨ الكشاف ٣٠٧/١ معانى الزجاج ٦٨/١.

[٣] من البسيط وانظر الخزانة ١٧٩/٨

[٤] انظر الكامل ٢٠١/١

[٥] انظر معانى القرآن للزجاج

[٦] البقرة ١٠

معنى أليم : مُوجع يصل وجعه إلى قلوبهم . وتأويل أليم في اللغة مُؤلم .

قال الشاعر : وأنشد هذا البيت .

ومنهم البيضاوى (٦٨٥ هـ) فى تفسير [١] قوله تعالى ﴿ بَدِيُع السَّموات والأرض ﴾ [٢] قال : أى مبدعهما

ونظيره السميع فى قوله :

أمن ريحانة الداعى السميع ... البيت .

ويقابل قول الجمهور قول صاحب [٣] الكشاف عند قوله تعالى:

﴿ بَديعُ السَّموات والأرض ﴾

هو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها ، أى : بديع سمواته وأرضه . وقيل :

البديع بمعنى المبدع ، كما أنَّ السميع فى قول عمرو :

أمن ريحانة الداعى السميع ... البيت

بمعنى : المسمع وفيه نظر .

قال السعد (٧٩١ هـ) [٤] فى حاشيته اعتُرض المصنف بأنه لم يثُبت فعيل بمعنى مفعل ،و لااستشهاد فى البيت ، لأنَّ داعى الشَّوق لمَّا دعا القائل صار سميعاً لدعوته فتسَّبب لكون سميعاً ، فأوقع على الداعى اسم السميع لكونه سبباً فيه . على أنَّ الشاذَّ لا يصحّ القياس عليه إن ثبت . انتهى .

---

[١] انظر تفسير البيضاوى ٢٠١/٢

[٢] البقرة ١١٧ والأنعام ١٠١

[٣] انظر الكشاف ٣٠٧/١، ٤١/٢

[٤] انظر الكشاف ٤٣٨/٤

ثم يقول الرضى : وأما الفعيل بمعنى المفاعل كالجليس والحبيب فـلا يعمل اتفاقا .

وعند الكوفيين لا يعمل شيء من أبنية المبالغة لفوات الصيغة التـى بها شابه اسم الفاعل الفعل وإن جاء بعدها منصوب فهو عندهم بفعل مقدر .

وقال البصريون : إنما تعمل مع فوات الشبه اللفظى لجبر المبالغة فى المعنى ذلك النقصان وأيضا فإنها فروع لاسم الفاعل المشابه للفعـل فلا تقصر عن الصفة المشبهة فى مشابهة اسم الفاعل ومن ثمة لـم يشترط فيها معنى الحال والاستقبال كما لم يشترط ذلك فـى الصفـة المشبهة . وقال ابن بابشاذ : لا تعمل بمعنى الماضى كاسـم الفـاعل والأبيات المنشدة ظاهرة فى كونها للإطلاق المفيد للاستمرار .[١] فمن يتأمل كلام الإمام الرضى يجد أنـه بيـن الخـلاف بيـن البصرييـن والكوفيين فى أبنية المبالغة وأن العامل منها بإتفاق مـن البصريـن ثلاثة : وهى فعال ، مفعال فعول وقد ضرب لذلك أمثلة ، من الثلاثـى ، وبين أنها قد تبنى من غير الثلاثى . أى : من أفعل نحو : حسـاس ودراك من أحس وأدرك واستدل أيضا على ذلك ببيت من الشعر وبين أن سيبويه : قال بأن فاعل "إذا حول إلى فعيل أو فعـل عمـل أيضـا واستدل على ذلك بشعر وارد عن العرب ، وأن بعض العلماء منعـوا إعمال فعيل وفعل وردوا على ما استشهد به سيبويه بأن فعيل "لازم لا يتعدى وأن البيت الذى استشهد به على إعمال "فعل" مصنوع .

---

[١] انظر شرح الكافية للرضى ٢/٢٠٢

وسوف يأتى إن شاء الله فى مبحث خاص أن الصواب الصحيح هو رأى سيبويه ، ويبدو من كلام الإمام الرضى أنه من المعارضين لسيبويه فى اعمال فعيل" وفعل حيث يقول بعد خلاف العلماء فى إعمال فعيل " فى قوله الشاعر :

حتى شآها كليل موهنا عمل   بايت طرابا وبات الليل لم ينم .[١]

قال الرضى : لا استدلال بالمحتمل ولا سيما إذا كان بعيدا ، وقال كما قال غيره فى قول الشاعر :

حذ ر أمورا ما تخاف وآمن   ما ليس منجيه من الأقدار[٢]

إن البيت مصنوع كما قال اللاحقى أن سيبويه سأله شاهدا فى تعدى فعل " فعمل له هذا البيت . ولم يرد على هذا الإفتراء . وبين الرضى أيضا : أن فعيلان قد جاء لمبالغة مفعل على رأى الجمهور وأورد لذلك تأويلات العلماء فى الشعر وفى كتاب الله عز وجل ، وبعضهم قال كالزمخشرى أن فعيل "صفة مشبهة .

وبين أن الفعيل بمعنى المفاعل كالجليس والحبيب لا يعمل اتفاقا ، وأن رأى الكوفيين فى أبنية المبالغة أنها لا تعمل لفوات الصيغة التى بها شابه اسم الفاعل الفعل ، وإن جاء بعدها منصوب فهو عندهم بفعل مقدر .

وأن رأى البصريين فى أمثلة المبالغة أنها تعمل مع فوات الشبه اللفظى لجبر المبالغة فى المعنى ذلك النقصان ، وأنها لا تقصر عن الصفة المشبهة فى مشابهة اسم الفاعل لأنها فروع لاسم الفاعل

---

[١] سبق تخريجه والحديث عنه ص ٣٢ .

[٢] سبق تخريجه والحديث عنه ص ٢٩ .

المشابه للفعل ، وأنه لا يشترط لعملها أن تكون بمعنى الحال والاستقبال كما لم يشترط ذلك فى الصفة المشبهة .

ويرى ابن بابشاذ أن أمثلة المبالغة لا تعمل بمعنى الماضى كاسم الفاعل ، ولكن الإمام الرضى : يرى أنها تعمل وإن كانت بمعنى الماضى ويدل على ذلك قوله : "والآبيات المنشدة ظاهرة فى كونها للإطلاق المفيد للاستمرار [١] " فمن هذه الأبيات قول الشاعر :

بكيت أخا اللأواء يُحْمَدُ يوُمه[٢]

ألا ترى أنه يرثيه وأجيب بأنه على حكاية الحال .

وبيّن الرضى كذلك : أنه إذا لم يكن فَعِيل وفَعِل مما حول إليه اسم الفاعل كظريف وكَريم وفَطِن فلا خلاف فى أنهما لا ينصبان إذ الكلام الآن فى أبنية المبالغة لا فى الصفات المشبهة .

ويقول الإمام أبو حيان فى ارتشاف الضرب [٣] وهو يتحدث عن خلاف العلماء فى عمل أمثلة المبالغة عمل اسم الفاعل أو عدم عملها ، وكذلك الصيغ التى يجوز لنا أن نقيس عليها والصيغ التى نتوقف فيها على ما ورد من سماع فيها عن العرب .

قال : "وأختلف النحاة فيما كان من هذه الأمثلة الخمسة متعدياً فعله ، فذهب الكوفيون : إلى أنه لا يجوز إعمال شىء منها فى المفعول ، وإن وجد مفعول بعدها فهو على إضمار فعل يفسره المثال ، وأن ذلك

---

[١] انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢ .

[٢] سبق تخريجه ص٢٨ .

[٣] انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ - ١٩٤.

المفعول لا يجوز تقديمه على المثال المذكور فلا يجوز عندهم : هذا زيداً ضروب ، على هذا لا يجوز : أزيداً أنت ضاربه إلا بالرفع ، وذهب سيبويه إلى جواز إعمالها الخمسة ، ومنع أكثر البصريين من إعمال فَعيل وفَعل منهم :المازنى والزّيادىّ (٢٤٩ هـ) والمبرد ، وأجاز الجرمى إعمال فعيل دون فَعِل ، وقال أبو عمرو : ويعمل فَعِل على ضعف ، وخالف فى فعيل قال : تقول : أنا حَذِرٌ زيداً ، وفَرِقٌ عمراً يريد :من زيد ومن عمرو . والذى أختاره [1] : أى أبو حيان :جواز القياس فى : فَعول وفَعَّال ومِفْعَال والاقتصار فى فَعِيل وفَعِل على المسموع ، فلا يجوز هذا لبيسُ الثياب ولا ضَرِبٌ عمراً واما فَعّيل فأعملة ابن وَلّاد وتبعه ابن خروف فأجاز : أزيد شَرّيبُ الخمر وطبيّخ الطعام ، وسمع إضافة شرّيب إلى معمولة قال حسان :

لا تُنْفِرِى يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ   شَرِّيبُ خمرٍ مسْعرُ لحِرُوبِ .[2]

وعلى هذا لا يبعد عمله نصبا وأمَّا فُعَّال فسمع من اللازم حُسَّان وُضاء أى : كثير الحسن وكثير الوضاءة ، ومن المتعدى : رجل قُرَّاء أى : كثير القراءة ، ولا نعلم أحداً أعمل قُرَّاء فى مفعول ، فلا يجوز : زيد قُرّاء السور . "[3]

---

[1] انظر ارتشاف الضرب ١٩٣/٣ .

[2] من الكامل . وهو لحفص بن الأحنف الكنانى فى شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ولحسان بن ثابت فى العقد الفريد ولأحدهما فى الدرر وبلانسبة فى الهمع .

والشاهد فيه : قوله "شرّيب خمر" حيث أضيف فعّيل إلى معموله . انظر ديوان الحماسة ص ٩٠٦ العقد الفريد ١١٦/١ الدرر ٢٧٣/٥ همع ٩٧/٢ ارتشاف الضرب ١٩٣/٣ .

[3] انظر ارتشاف الضرب ١٩٤/٣ .

فمن يمعن النظر فى كلام الإمام أبى حيان يجد أنــــه بيّــن رأى الكوفيين فى عدم جواز إعمال شئ من أمثلة المبالغــة عمــل اســم الفاعل وأنه عبر عنها "بالمثال" وأن المنصوب بعدها على إضمار فعل ، وبيّن رأى سيبويه فى جواز إعمال الخمسة ومنع أكثر البصريـيــــن إعمال فَعيل وفَعِل منهم المبرد وأجاز الجرمى إعمال فَعيل دون فَعِـل . ورأى أبى حيان هو جواز القيــاس فــى : فَعُــول وفَعَّــال ومِفْعَــال والاقتصار فى فَعيل وفَعِل على المسموع ، فلا يجــوز : هــذا لبيُــس الثياب ولا ضَرِبٌ عمراً .

وأنه يرى جواز إعمال صيغة فَعِّيل حيث يقول : "وعلى هذا لا يبعـــد عمله نصباً" وقد أعمله ابن وَلاد (٣٣٢ هـ) وتبعـــه ابــن خــروف (٦٠٩ هـ) واستدل على ذلك بقول حسان الذى سبق ذكره من قِلبــل . وأنه يرى عدم جواز إعمال صيغة فُعَّال "حيث يقول "ولا نعلم أحــداً اعمل فُرَّاء فى مفعول فلا يجوز : زيد قُرّاء السور .

وإذا كان أبو حيان قد أعمل صيغة "فَعِّيل" إلا أن بعض العلمـــاء قــد عدها من الصيغ القليلة [1] المقصورة على السماع عند أكثر القدمــاء أشهرها من الفعل الثلاثى الماضى : فِعِّيل ومِفْعَل ، نحـــو : شِـرِّيب أهوال ، ومِسْعر حروب وفعلها الثلاثى : شرِب ، وسَعر ، ومن غـــير الثلاثى : دَرّاك – سَأر مِعوان – مهوان – نذير – سميع – زَهُــوق . وأفعالها الشائعة :

أدرَك – أسأرَ – (بمعنى ترك فى الكأس بقية) أعان – أهان – أنذر – أسمع – أزهق .

[1] انظر . التبيان ص ٦٤ النحو الوافى ٣/٢٥٩ .

ويرى بعض اللغويين أن المسموع كثير من صيغة "فَعَّال" المشتقة من مصدر الفعل الثلاثى اللازم للدلالة على المبالغة ، ولذا يجيز – لشدة الحاجة إليها – اشتقاقها من مصدر الثلاثى اللازم أيضاً وهو رأى حسن ارتضاه المجمع اللغوى ، وسجله فى مجلته .[1] وفى المراجع اللغوية صيغ متنوعة مسموعة – غير صيغة فَعَّال لم تستوف شروط الصياغة فيجب الوقوف فيها عند حد السماع . ومن أمثلتها ضَحوك وعَبوس فى قول شاعرهم :

ضحوك السنّ إن نطقوا بخير وعند الشّر مِطراق عَبوُس [2] .

فقد صاغ من الثلاثى اللازم كلمتى : ضحوك وعبوس " مع أن فعلهما لازم كما صاغ كلمة مطراق " مع أن فعلها الشائع رباعى هو : أطرقَ ، بمعنى : سكت ونظر إلى الأرض . ومثل يَشوُش فى قول عنترة :

ألقى صدور الخيل وهو عوابس وأنا ضَحوك نحوها وبَشوس [3]

أما صيغة "فِعِّيل" فإذا كان أكثر القدماء قد عدوها من الصيغ القليلة المقصورة على السماع فقد خالف هذه الأكثرية فى رأيها فريق آخر منهم :

"ابن قتيبة " (ت ٢٧٦ هـ) : فى كتابه "أدب الكاتب باب [4] : اختلاف الأبنية فى الحرف الواحد ، لاختلاف المعانى حيث يقول مانصة : "ما كان على فِعِّيل فهو مكسور الأول ، لا يفتح منه شىء ، وهو لمن دام منه الفعل ، نحو : رجل سِكِّير كثير السكر / – وخِمِّير ، كثير

---

[1] انظر مجلة المجمع اللغوى جـ ٣ ص ١٤ ، ١٥ .

[2] من الوافر – والشاهد فيه كما فى الشرح وانظر النحو الوافى ٣/٢٦٠ .

[3] من الكامل وانظر النحو الوافى ٣/٢٦٠ .

[4] انظر أدب الكاتب ص ٢٢٠ شرح على فاعور .

وهو لمن دام منه الفعل ، نحو : رجل سِكيِّر كثير السكر / – وخمِيِّر ، كثير الشرب للخمر ، وفِخيِّر الفخر ، وعِشِّيق ، كثير العشق وسكِّيت ، دائم السكوت – وضِلِيِّل ، وصِرِّيع وظلِّيم ومثل ذلك كثير ، ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه ، ويكون له عادة ، وكذلك كل اسم يكون على فَعُول نحو قَتُول للرجال ، وضروب بالسيف ، أو على فَعَّال نحو : قَتَّال وضرَّاب "

فهو يقرر أن صيغة "فِعِّيل " كثيرة فى المبالغة ، وإذا ثبتت كثرتها كان القياس عليها جائزاً . وقد جعل المجمع اللغوى القاهرى هذه الصيغة [1] قياسية ، وليست مقصورة على السماع ، كما يرى النحاة الأقدمون .

ونص قراره (كما جاء فى الصفحة التاسعة ، من تقرير لجنة الأصول المرفوع إلى المؤتمر اللغوى الذى انعقد فى آخر يناير ١٩٦٧م فوافق عليه) هو :

"فى اللغة ألفاظ على صيغة "فِعِّيل " من مصدر الفعل الثلاثى اللازم والمتعدى للدلالة على المبالغة ، وكثرتها تسمح بالقول بقياسيتها ، ومن ثمَّ يجوز أن يصاغ من مصدر الفعل الثلاثى – لازماً أو متعدياً – لفظ على صيغة فِعِّيل بكسر الفاء وتشديد العين – لإفادة المبالغة "

وقد ذكر هذا القرار مرة أخرى ومعه بعض البحوث والمذكرات العلمية التى اعتمد عليها المجمع ومؤتمره فى ص ٣٤ من الكتاب الذى أصدره المجمع سنة ١٩٦٩ م .

---

[1] نقلا عن النحو الوافى ٢٥٩/٣ .

باسم "كتاب فى أصول اللغة" مشتملا على القرارات من دورة ٢٩ إلى ٣٤ .

ويقول الصبان : "فى الفارضى مانصه : زاد ابن خروف إعمال فِعّيل كزبيد شِرِيّب الخمر بالنصب وأجازه أيضاً ابن ولاد حكاه أبو حيان ، وشِرِيّب من المبالغة سماعاً ومثله : كُبَّار وعُجَّاب بمعنى : عجيب "[١]

ويقول الإمام السيوطى فى الهمع [٢] وهو يتحدث عن الخلاف فى إعمال أمثلة المبالغة وعن القياسى والسماعى منها فيقول : "وأنكر الكوفية الكل أى : إعمال الخمسة لأنها زادت على معنى الفعل بالمبالغة إذ لا مبالغة فى أفعالها ولزوال الشبه الصورى أيضاً فما ورد بعدها منصوبا فبإضمار فعل يفسره المثال ، وأنكر أكثر البصريين الأخبرين أى : فعيل وفَعِل لقلتهما وأنكر الجرمى فَعِل دون فعيل لأنه أقل وروداً حتى إنه لم يسمع إعماله فى نثر . وقال أبو عمرو : ويعمل فَعِل بضعف .

وقال أبو حيان : [٣] لا يتعدى فيهما – أى : فَعِل وفعيل – السماع بل يقتصر عليه بخلاف الثلاثة الآخرة – أى : فعَّال ، مِفعَال ، فعُول – فيقاس فيها . "

ويقول الإمام السيوطى :" [٤] "وقد سقتها فى المتن على ترتيبها فى العمل فأكثرها : فعَّال ثم فعُول ومِفعال ثم فعيل ثم فَعِل . وادعى ابن طلحة تفاوتها فى المبالغة أيضا :

---

[١] انظر حاشية الصبان ٢/٢٩٧ .

[٢] تنظر همع ٢/٩٦ ارتشاف الضرب ٣/١٩٣ .

[٣] انظر ارتشاف الضرب ٣/١٩٣ .

[٤] انظر همع ٢/٩٧ .

ففعول لمن كثر منه الفعل وفعال لمن صار له كالصناعة ومفعال لمن صار له كالالة وفعيل لمن صار له كالطبيعة وفعل لمن صار له كالعادة . قال أبو حيان [١] : ولم يتعرض لذلك المتقدمون .

وأعمل ابن ولاد وابن خروف "فعيلا" بالكسر والتشديد فأجازوا زيد شريب الخمر وطبيخ الطعام قال أبو حيان [٢] وقد سمع أضافة شريب إلى معمولة فى قوله :

لا تَنْفُرِى ياناقُ منه فإنه شرِّيب خمر مُسْعِرٍ لحروب . [٣]

فعلى هذا لا يبعد عمله نصبا وفهم من مساواه الأمثلة لاسم الفاعل جواز إعمالها غير مفردة كقولهم :

ثمَّ زادوا أنهم فى قومهم غفُرٌ ذنبهم غير فخر [٤]

وقوله :

شم مهاوين أبدان الجزور مخا ميص العشيات لا خور ولا قزم [٥]

وذهب ابن طاهر وابن خروف إلى جواز إعمالها ماضيه وإن عريت من أل وإن لم يقولا بذلك فى اسم الفاعل لما فيها من المبالغة ولم احتج إلى ذكره لأنه رأى محكيا فى اسم الفاعل فدخل فى التشبيه [٦].

" فالإمام السيوطى بين رأى الكوفيين فى علام عمل هذه الأمثلة لأنها زادت على معنى الفعل بالمبالغة ولا مبالغة فى أفعالها ولزوال الشبه

---

[١] انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ .

[٢] انظر راتشاف الضرب ١٩٣/٣ .

[٣] سبق تخريجه ص ٣٨

[٤] سبق تخريجه ص ٢٨ .

[٥] سبق تخريجه ص ٢٦ .

[٦] انظر همع ٩٧/٢ .

الصورى وبين رأى أبى حيان فى "فَعِل وفعيل " أنه يقتصر فيها على السماع بخلاف الثلاثة الآخر فيقاس فيها .

وقد ساقها على الترتيب على حسب كثرتها فى العمل وأنه قد أعمل صيغة "فِعِّيل" نحو : شرِّيب وسكِّير كأبى حيان وابن قتيبة وابن ولاد وابن خروف وقد أخذ المجمع اللغوى القاهرى بهذا الرأى وجوّز القياس على هذه الصيغة لكثرتها للحاجة إليها وقد سبق ذكر ذلك .

وذكر رأى ابن خروف وابن طاهر بجواز إعمال ماضيه وإن عريت من "آل " بخلاف اسم الفاعل لما فيها من المبالغة .

ويقول أبو حيان "حكم هذه الأمثلة عند من يرى إعمالها حكم اسم الفاعل أحكاما" وشروطا واتفاقا واختلافاً إلا ما ذهب إليه ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنه يجوز إعمالها ماضيه وإن عريت من "أل" وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من أل "إذا كان ماضيا".[1]

ويقول الشيخ السجاعى (ت ١١٩٧ هـ) فى حاشيته على ابن عقيل وهو يعلق على قول ابن مالك ى الألفية :

فَعَّالٌ أو مِفْعَالٌ أو فَعُولُ   فى كَثْرةٍ عَنْ فَاعِلٍ بَدِيلُ .

فَيَسْتَحِقُ مَالَهُ مِن عَمَل   وفى فعيلٍ قَلَّ ذا وفَعِل

يقول : "قوله فيستحق " الخ يفيدا أن جميع الأمثلة تعمل قياساً وهو الأصلح أ هـ شاطبى وقال الكوفيين لا تعمل لأنها زادت على معانى أفعالها فاستحقت أن لا تحمل عليها .

[1] انظر ارتشاف الضرب ١٦٤/٣ .

وقال : أى الشيخ السجاعى : قوله :ماله من عمل " أى : بالشروط المذكورة فى اسم الفاعل فلا تعمل بمعنى الماضى دون "أل" خلافا لابني طاهر وخروف ولا غير معتمدة على شىء مما تقدم خلافا للكوفيين "[١]

ويقول الشيخ الخضرى (ت ١٢٨٧ هـ) فى حاشيته على ابن عقيل وهو يتحدث عمل أمثلة المبالغة قوله " فتعمل على الفعل" أى : كلها على الصحيح حملا على أصلها وهو اسم الفاعل وأنكر الكوفيون إعمالها لزيادتها بالمبالغة على معانى أفعالها ولزوال الشبه الصورى والنصب بعدها بفعل مضمر تفسره هى وأنكر أكثر البصريين الأخيرين أى : فعل وفعيل والجرمى "فعلا" فقط . قوله "على حد اسم الفاعل " أى : وفاقا وخلافا " [٢]

ويقول الشيخ الصبان فى حاشيته : قوله "فيستحق ماله من عمل " يفيد أن جميع المثلة الخمسة تعمل قياسا وهو الأصح أ هـ شاطبى . وفى التصريح : "إعمال أمثلة المبالغة قول سيبويه وأصحابه وحجتهم فى ذلك السماع والحمل على أصلها وهى اسم الفاعل لأنها متحولة عنه لقصد المبالغة ، ولم يجوز الكوفيون إعمال شىء منها لمخالفتها لأوزان المضارع ولمعناه وحملوا المنصوب بعدها على تقدير فعل ومنه تقديمه عليها . ويرد عليهم قول العرب : "أما العسل فأنا شراب أ هـ . وقوله ولمعناه أى : لإفادتها المبالغة دون المضارع . وعمل فعال أكثر من عمل الاثنين بعده وعمل فعيل أكثر من عمل فعل كذا

---

[١] انظر حاشية الشجاعى ابن عقيل ص ١٥٩ .

[٢] انظر حاشية الخضرى على بن عقيل ٢٦/٢ .

فى الهمع . وانظر هل هى مسقوية المعنى أو متفاوتة بأن تكون الكثرة المستفادة من فعَّال مثلا أشد من الكثر المستفادى من فعول مثلا لم أر فى ذلك نقلا . وقد يؤخذ من قولهم زيادة البناء تدل على زيادة المعنى أبلغية فعَّال ومَفعال على فعوُل وفعيل وأبلغية هذين على فَعِل" [١].

وقال الشيخ الدنوشرى فى حاشية يس على التصريح : "ينظر هل التحويل إلى الخمسة المذكورة قياسى أو سماعى أو قياسى فى الثلاثة الأول سماعى فى الأخيرين " وقال بعد . هذه الأمثلة على مذهب البصريين منقاسة فى كل فعل متعد ثلاثى نحو : ضرب تقول : ضرّاب وضروب وضَرب ومِضْراب كذا قال أبو حيان وتفيده بمذهب البصريين فيه نظر "[٢]

ويقول الشيخ أحمد الفاكهى (ت ٩٧٢ هـ) فى شرحه على قطر الندى .[٣]

"المثال: "ولو مثنى أو مجموعاً وهو ما : أى: اسم حوّل للمبالغة والتكثير فى الفعل من صيغة اسم الفاعل الثلاثى إلى صيغة فعَّال كضَرّاب أو فعول كضروب ، أو مِفْعال كمِضْراب . والتحويل إلى هذه الثلاثة بكثرة ولهذا وافق جميع البصريين سيبويه على جواز إعمالها أو فَعيل كسميع أو فَعِل كحَذِر والتحويل إليها بقلة ولهذا منع بعضهم إعمالها . أما الكوفيون ،فمنعوا إعمال الخمسة نظراً إلى أنها

---

[١] انظر حاشية الصبان على الأشمونى ٢٩٦/٢ .

[٢] انظر حاشية يس ٦٧/٢ .

[٣] انظر مجيب الندا إلى قطر الندى ١٩٩/٢ – ٢٠١ .

لاتجارى الفعل وزادت عليه بالمبالغة فبعد شبهها عنه وقدروا للمنصوب بعدها عاملا .

والصحيح جواز إعمالها – أى : رأى الشيخ الفاكهى – حملاً على أصلها وهو اسم الفاعل لإفادتها ما يفيده مكرراً ولورود السماع به نحو ما حكاه سيبويه : أما العسلَ فأنا شرّاب بنصب العسل، وإنه لمِنْحار بوَائكها . وقولهم : إن الله غفور ذنب العاصين . وإن الله سميع دعاء من دعاه وقوله :

أتانى أنّهم مَزِقون عرضى [١]

والمشهور أن هذه المثلة لا تتفاوت فى المبالغة .

ويقول الشيخ يس العليمى (ت ١٠٦١ هـ) فى حاشية على شرح الفاكهى: [٢]

قوله "للمبالغة والتكثير " هما متغابران فالمبالغة باعقبار الكيفية والتكثير باعقيار الكمية قال الشاطبى فى شرح الألفية : هذه الأمثلة تأتى فى الكلام فى الجملة على ثلاثة أقسام :

أحدها : هذا الذى ذكره ، أى : للمبالغة والتكثير .

الثانى : أن تأتى للمبالغة فى الصفة لا فى كثرة الفعل كحسّان ، وكذا إذا دخلها معنى النسب نحو : مِقْوال فإن معناه المبالغة فى القول وتكثيره لأعلى معنى الفعل بل على معنى ذى كذا كأنه يقول : ذو قول أو على الياء كأنه يقول : قولى فى قول ، فلذلك لا تعمل عمل الفعل أصلاً لما دخلها من معنى النسب كما لا يعمل نحو : تمار .

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٠ .

(٢) انظر حاشية يس على الفاكهى ١٩٩/٢ -٢٠١ .

الثالث : أن تأتى لغير مبالغة أصلا نحو : كرم فهو كريم وشرف فهو شريف وما أشبه ذلك مما هو جاز على فعله قياسا فى البناء ، فهذا القسم أيضا لا يعمل عمل اسم الفاعل إذ ليس هذا بدلا عن فاعل .

قوله "الثلاثى" قيد بذلك لأن اسم الفاعل غير الثلاثى لا يكون على فاعل والعمل فى فعال أكثر من الاثنين بعده وعملها حينئذ قياس على الأصح .

قوله : "على جواز إعمالها " أى : بالشروط المذكورة فلا تعمل بمعنى الماضى بدون "أل" وزعم ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنها كلها تعمل ولو بمعنى الماضى مجرده من آل لقوتها بالمبالغة ، ولأن السماع ورد بذلك وجرى على ذلك الرضى .

وهو مردود – أى – رأى الشيخ س – لأن دلالتها على المبالغة مبعدة لها من شبه الفعلوما أوهمه السماع محمول على حكاية الحال وقوله "لإفادتها ما يفيد مكررا " هذا مبنى على أن الفاعل لا يدل على مبالغة ولا كثرة وهو ما قاله الحريرى ، وذكر أن من الوهم قولهم لمن يكثر السؤال سائل وسائله وأن الصواب : سآل وسآله ، وقد رده ابن برى وقال : فعال "خاص بالكثير وفاعل عام فى القليل والكثير انتهى . وحينئذ فهى يدل عن فاعل فى التنصيص على الكثرة قال الشاطبى فى شرح الألفية :اسم الفاعل دال على الفعل كثيرا كان أو قليلا ، فيقال :فاعل : لمن تكرر منه الفعل وكثر ولمن وقع منه فعل ما لكنه من جهة وضعه لا إشعار له بخصوص فعل فإذا أرادوا أن يشعروا بالكثرة وضعوا لها مثالا دالا عليها ، مفعول فى الحقيقة إنما

هو بدل من فاعل المراد به الكثرة لا من مطلق فاعل وكذا سائر المثل ، فتبين أن كل واحد منها بدل من فاعل فى المعنى .

قوله " والمشهور أن هذه الأمثلة لا تتفاوت فى المبالغة " ذكر الحريرى أن العرب بنوا لمن فعل مرة فاعلاً كقاتل وضارب ، ولمن كرر الفعل فعّالاً كقتّال وفتّاك ولمن بالغ فى الفعل وكان قويا عليه فعولاً نحو : صبور ، ولمن اعتاد الفعل مِفْعالا كامرأة مِذْكار أو مئناث أو مِعْقاب إذا كان عادتها أن تلد الذكور أو الإناث أو نوبة كذا ونوبه كذا ، ولمن كان آله الفعل وعدة له مِفْعَلا ، وكتب عليه ابن برى هذا الذى ذكره سيبويه فعول وفعال لا تعرفه النحويون ، وكذلك مِفْعال كلها بمعنى واحد نحو : ضروب وضرّاب ومضراب . "

فمن يتأمل كلام الفاكهى يجد أنه عبر عن أمثلة المبالغة "بالمثال" فقال : "المثال" ولو مثنى أو مجموعاً وهو ما أى : اسم حول للمبالغة والتكثير فى الفعل من صيغة اسم الفاعل الثلاثى إلى صيغة فعّال كضرّاب أو فَعُول كضروب . الخ كما عبر عنها أبو حيان كذلك بالمثال فقال : "المثال : هو ما حول من اسم الفاعل للمبالغة إلى فَعُول وفَعّال ومفعال الخ . وبين الفاكهى أن التحويل إلى الثلاثة الأولى بكثرة ولهذا وافق جميع البصريين سيبويه فى جواز إعمالها وأن التحويل إلى فعيل وفَعِل بقلة ، ولهذا منع بعضهم إعمالها ، وردّ على الكوفيين الذين منعوا إعمال الخمسة واستدلوا على ذلك أنها لا تجارى الفعل وزادت عليه بالمبالغة فبعد شبهها عنه وقدروا فعلاً للمنصوب بعدها . فقال : والصحيح جواز إعمالها حملاً على أصلها وهو اسم الفاعل لإفادتها ما يفيده مكرراً ولورود السماع به وبيّن الفاكهى أن أمثلة المبالغة لا تتفاوت فى المبالغة على المشهور .

أما الشيخ يس فى حاشيته على هذا الشرح فقد بين الفرق بين المبالغة والتكثير قال :

إن المبالغة باعتبار الكيفية والتكثير باعتبار الكمية ونقل عن الشاطبى فى شرح الألفية أن أمثلة المبالغة تأتى فى الكلام على ثلاثة أقسام : الأول : أن تأتى للمبالغة والتكثير ، والثانى : أن تأتى للمبالغة فى الصفة لا فى كثرة الفعل كحسّان الثالث :

أن تأتى لغير المبالغة أصلاً نحو : كَرُم فهو كريم ، وشرف فهو شريف .

وأورد الشيخ يس رأى ابن طاهر وابن خروف والرضى أنها تعمل ولو بمعنى الماضى مجردة من "أل" لقوتها بالمبالغة ، ولأن السماع ورد بذلك وقد ردَّ الشيخ يس على هذا الرأى قائلاً : أن دلالتها على المبالغة مبعدة لها من شبه الفعل وما أوهمه السماع محمول على حكاية الحال ، والرأى الذى أميل إليه جواز إعمالها ولو بمعنى الماضى كما قال بذلك أكثر العلماء ، ولأن السماع وارد بذلك بدون تأويل أو احتمال ، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل وقد ردّ الشيخ يس على الفاكهى فى قوله "المشهور ان هذه الأمثلة لا تتفاوت فى المبالغة "فقال : "ذكر الحريرى ان العرب بنوا لمن فعل مرة فاعلا كقاتل ولمن كرّر الفعل فعَّالاً كقتَّالا ، ولمن بالغ فى الأمر وكان قوياً عليه فعولاً نحو : صبور ولمن اعتاد الفعل : مِفعالاً كامرأة مِذكار .

وممن أيد مسألة التفاوت فى أمثلة المبالغة أبو حيان فى ارتشاف[١] الضرب حيث قال : "وفى كتاب بغية الأمل عن أبى بكر بن طلحة ، أن هذه المثل تتفاوت فى المبالغة فضروب لمن كثر منه الضرب ، وفعال لمن صار له كالصناعة ومفعال لمن صار كالآله ، وفعيل لمن كالطبيعه ، وفعل لمن صار كالعاهة ولم يتعرض لذلك المتقدمون " ونقل السيوطى فى الهمع هذا التفاوت عن أبى حيان .

وفى شرح الألفية للمكودى [٢] (ت ٨٠٧ هـ) وهو يشرح قول ابن مالك :

فعال أو مفعال أوْ فعول　　　فى كثرة عن فاعل بديل .

بقوله : قوله "فى كثرة " أى : مرادا به الكثرة أى : التكثير وهى الزيادة فى الفعل ولذلك تسمى أمثلة المبالغة ويؤيد حمل كلامه على هذا المعنى قوله فى الكافية: [٣]وقد يصير فاعلا فعّالا: تكثيرا أو فعولا أو مفعالا ويحتمل عندى أن يكون أراد بكثرة أن هذه الأمثلة الثلاثة يكثر فيها العمل المذكور ويؤيده قوله " وفى فعيل قل ذا وفعل" ويدل على صحة هذا التأويل قوله فى شرح الكافية: وأكثرها استعمالا فعّال وفعول ثم مفعال ثم فعيل ثم فعل "

وصيغ المبالغة لا تستعمل إلا حيث يمكن التكثير ولذلك يقول أبو حيان :

"ولا يكون شىء من تلك الأمثلة الخمسة للمبالغة إلا فيما يمكن فيه التكثير فلا تقول زيد قتّال عمرا ، ولا زيد موات ، ويجوز زيد قتّال الأبطال " [٤]

---

[١] انظر ارتشاف الضرب ١٩١/٣ والهمع ٩٧/٢ وأدب الكاتب ص ٢٢٠ .

[٢] انظر شرح الألفية للمكودى ص ١١٣ .

[٣] انظر الكافية الشافية ١٠٣١/٢ تحقيق د/ عبد المنعم هريدى .

[٤] انظر ارتشاف الضرب ١٩٤/٣ .

ويقول السيوطى فى الهمع : "ولدلالتها على المبالغة لم تستعمل إلا حيث يمكن الكثرة فلا يقال : موّات ولا قتّال زيـد بخـلاف قتّال الناس ، أما إذا لم تدل عليها فلا تعمل كأن كانت للنسب كحار وطعم أو كان بناء النصب عليها ككريم وفرح " [١] ويقول الأشـمونى : [٢] " كثيراً ما يحول اسم الفاعل إلى هذه الأمثلة لقصد المبالغـة والتكثـير "يقول الصبان : "قوله : لقصد المبالغة والتكثير " أفاد أنها لا تسـتعمل إلا حيث يمكن التكثير فلا يقال : موّات ولا قتال زيداً بخـلاف قتـال الناس " ويقول سيبويه وهو يتحدث عن صيغة "فاعل" أنها لا تعمـل إلا عند قصد المبالغة : " فاما الأصل الأكثر الذى جرى مجرى الفعـل من الأسماء ففاعل . وإنما جاز فى التى بنيت للمبالغة لأنـها بينـت للفاعل من لفظة والمعنى واحد وليست بالأبنية التى هى فى الأصـل أن تجرى مجرى الفعل ، يدلك على ذلك أنها قليلة . فإذا لم تكن فيـها مبالغة الفعل فإنما هى بمنزلة غلام وعبد ، لأن الاسم على فَعَل يَفعَـلُ فاعل ، وعلى فِعُلَ يفْعَلُ مفعول ،فإذا لم يكن واحد منـهما ولا الـذى لمبالغة لم يكن فيه إلا الرفع " [٣]

ويقول المبرد أيضاً وهو يتحدث عن صيغ المبالغة أنـها لا تعمـل إلا عند قصد المبالغة :

"فإن ذكرت "فَعُولا" من غير فعل لم يجر مجرى الفعل ، وذلـك نحـو قولك :

---

[١] انظر الهمع ٩٦/٢ .

[٢] انظر الأشمونى والصبان ٢٩٦/٢ .

[٣] انظر الكتاب ١١٧/١ .

هذا رسول وليس بمنزلة ضَروب " ولأنك تقول : رجل ضارب وضروب لمن يكثر الضرب منه . فإذا قلت : "رسول" لم ترد به معنى فِعْل ، إنما تريد أن غيره أرسله . والفعل منه أرسل يُرْسل والمفعول : مُرْسَل وليس رسولُ مكثّرا من مرسل ، لأن رسولاً قد يستقيم أن يكون أرسل مرةً واحدة فليس للمبالغة ، وأما ضروب فمعناه كثرة الضرب . فإن كانت الأسماء جارية على أفعالها فى الفاعلين والمفعولين عملت عمل أفعالها لا اختلاف فى ذلك بين أحد " [1] وورد فى المسموع الذى لا يقاس عليه بعض صيغ المبالغة خالياً من معنى "المبالغة " مقتصراً فى دلالته المعنوية على المعنى المجرد الذى لا مبالغة فيه ، فهو يدل على ما يدل عليه اسم فاعله الخال من تلك المبالغة المعنوية : مثل كلمة ظلوم "فى قول الشاعر :

وكل جمال للزوال مآله وكل ظلوم سوف يبلى بظالم [2]

فإنها ليست للمبالغة ، إذ المقام هنا يقتضى أن يكون المراد من لفظ "ظلوم" هو :

"ظالم" ، وليس كثير الظلم ، لأن كلاً من الاثنين سيلقى ظالماً . من غير أن يتوقف هذا اللقاء إلا على مجرد وقوع الظلم من أحدهما ، دون نظرة لقلة الظلم أو كثرته وينطبق هذا على كلمة : "فخور" فى قوله تعالى " إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً " [3] فليس المواد هنا كثرة الفخر لأن الله تعالى يكرة صاحب الفخر مطلقاً ، بغير نظر

---

(1) انظر المقتضب ١١٧/٢ .

(2) من الطويل . لم أقف على قائله وانظر النحو الوافى ٢٦٢/٣ .

(3) النساء /٣٦ .

إلى كثرة الفخر أو قلته .[(١)] والخلاصة من هذا المبحث وهو
"آراء العلماء فى قياسية أمثلة المبالغة"
وهو أن بعضهم قال : إن الصيغ الخمس قياسية من الثلاثى المتعدى ونسب بعضهم ذلك للبصريين ، وذهب فريق إلى أنها سماعية ، وبعض العلماء ذهب : إلى أن الصيغ فَعَّال ومَفْعَال وفَعُول قياسية لكثرتها وأما غيرها فسماعى ونسب إلى أبى حيان حيث يقول : والذى اختاره جواز القياس فى : فَعُول وفعَّال ومِفْعَال والاقتصار فى فَعيل وفَعِل على المسموع فلا يجوز : هذا لبيسُ الثياب ولا ضَرِبُ عمراً ، وأن المجمع اللغوى قرر أن صيغة فعَّال تأتى للمبالغة قياساً من الثلاثى المتعدى واللازم وذلك لورود ألفاظ كثيرة من المتعدى واللازم تصلح أساساً للقياس .
وان صيغة فِعِّيل كثيرة فى المبالغة وإذا ثبت كثرتها كان القياس عليها جائزاً كما قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب وابن ولاد ابن خروف وأبو حيان ولذلك قال : "وعلى هذا لا يبعد عمله نصبا" وقد جعل المجمع اللغوى القاهرى هذه الصيغة قياسية وليست مقصورة على السماع كما يرى النحاة الأقدمون وأن مذهب سيبويه جواز إعمال هذه الأمثلة الخمسة ، ومنع أكثر البصريين منهم المازنى والمبرد إعمال فَعيل وفَعِل ، وفصل الجرمى فأجاز إعمال فَعِل لأنه على وزن الفعل ، ومنع إعمال فَعِيل ، ومنع الكوفيين إعمال الخمسة لأنها لما جاءت للمبالغة زادت على الفعل فلم تعمل عندهم شيئاً ومتى وجدوا شيئاً منها قد وقع بعده منصوب أضمروا له فعلاً وقد حكم ابن هشام على مذهب الكوفيين بأنه تعسف وحكم عليه ابن عصفور فى شرح

(١) انظر النحو الوافى ٣/٢٦٢ .

[(١)] جمل الزجاجى بأنه مذهب فاسد حيث يقول : "فهذه الأمثلة الثلاثة تعمل عمل اسم الفاعل باتفاق عن البصريين . وأما أهل الكوفة فيزعمون أن ما بعد الأمثلة الخمسة منصوب بإضمار فعل يدل عليه المثال فإذا قلت : هذا ضروب زيدا فتقديره عندهم : ضروب زيدا ، ولذلك لا يجيزون تقديم المنصوب بهذه الأمثلة ، لأن الفعل إنما أضمر فى هذا الباب لدلالة الاسم المتقدم عليه فإذا تقدم الاسم المنصوب لم يكن له ما يدل عليه . وهذا مذهب فاسد ، لأن الذى أدعوه من الإضمار لم يلفظ به فى موضع من المواضع ، وأيضا فإن ما أنكروه من تقديم المفعول قد سمع ومنه قوله :

بَكَيْتُ أخا لأواء يُحْمَدُ يومُهُ كريمٌ رؤوسَ الدَّارعين ضروبُ [(٢)]

فقدك " رؤوس الدارعين " على ضروب " تقديره : ضروب رؤوس الدارعين فدل ذلك على أنه منتصب بنفس المثال "

ومما يؤخذ أيضا من هذا المبحث أن صيغ المبالغة قد تبنى من غير الثلاثى أى : من أفعل نحو : حساس ودراك من أحس وأدرك وسيأتى ذلك إن شاء فى مبحث : أحكام صيغ المبالغة . وأن حكم هذه الأمثلة عند من يرى إعمالها حكم اسم الفاعل أحكاما وشروطا واتفاقا اختلافا إلا ما ذهب إليه أين طاهر وتلميذه ابن خروف أنه يجوز إعمالها ماضيه وإن عريت من "أل" وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من "أل" إذا كان ماضيا .

ومما يستفاد منه أيضا : أن المشهور فى أمثلة المبالغة أنها لا تتفاوت ولكن ورد عن العرب أنهم بنوا لمن فعل مرة واحدة فاعلا

---

(١) انظر شرح جمل الزجاجى ٥٦١/١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٨ .

كقاتل وضارب ، ولمن كرر الفعل فعالا كقتال ، ولمن بالغ في الفعل وكان قويا عليه فعولا نحو : صبور ولمن اعتاد الفعل مفعال كامرأة مذكار ، وبعضهم قال : أن ضروب لمن كثر منه الضرب ، وفعال لمن صار له كالصناعة ومفعال لمن صار كالآلة ، وفعيل لمن صار كالطبيعة وفعل لمن صار كالعاهة .

ومما يؤخذ أيضا : أن صيغ المبالغة لا تيتعمل إلا حيث يمكن التكثير فلا تقول : زيد قتال عمرا ، ولا زيد موات ويجوز زيد قتال الأبطال .

وبعد أن انتهى الحديث في هذا المبحث ننتقل إلى المبحث الثالث وهو : "الخلاف بين العلماء في إعمال فعيل وفعل" .



المبحث الثالث

الخلاف بين العلماء فى إعمال "فَعيل وفَعِل"

سبق القول أن سيبويه قال : بأن " فاعل " إذا حُول إلى فَعيل أو فَعِل عمل أيضاً واستدل على ذلك بشعر وارد عن العرب ، وأن بعض العلماء منعوا إعمال فَعيل وفَعِل وردوا على ما استشهد به سيبويه بأن "فعيل" لازم لا يتعدى وأن البيت الذى استشهد به على إعمال فَعِل مصنوع وسوف يبين إن شاء الله تعالى أن الصواب وأن الرأى الصحيح هو رأى سيبويه لما يرد من أدلة ترجح رأية حيث يقول سيبويه : (١) وقد جاء فى فَعِل وليس فى كثرة ذلك قال لبيد :

أو مِسحَلٌ شَنِجٌ عِضَادة سَمْجَج   بسَراته نَدَبُ لها وكُلومُ (٢)

وفَعِل أقلّ من فَعيل بكثير   ومما جاء على فَعِل قوله :

حَذِرٌ أموراً لا تُخافُ وآمِنٌ   ما ليس مُنْجِيَةً من الأقدار (١)

ومما جاء فى "فعيل" قول ساعده بن جُؤَيَّة :

حتى شآها كليلٌ مَوْهِناً عَمِل   باتتْ طِراباً وباتَ الليل لم ينَم (٢)

ومنه : قديرٌ وعليمٌ ورحيم لأنه يريد المبالغة فى الفعل .

ويقول : قديرٌ ورحيم لأنه يريد المبالغة فى الفعل .

ويقول المبرد : (٣) " هذا باب معرفة أسماء الفاعلين فى هذه الأفعال وما يلحقها من الزيادة للمبالغة : "أعلم أن الاسم من فَعَل على "فاعل" نحو قولك : ضَربَ فهو ضارب وشتم فهو شاتم وكذلك فَعِل نحو : علم فهو عالم وشَرب فهو شارب .

فإذا أردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنية : فمن ذلك "فعَّال" تقول : رجل قتال ، إذا كان يكثر القتل ، فأما قاتل فيكون للقتيل والكثير لأنه الأصل ، وعلى هذا تقول :-

رجل ضَرَّابٌ وشتَّام كما قال :

أخا الحرب لبّاساً إليها جِلالها   وليٍ بَوّلاّج الخوالِفِ أعقلا .(٤)

فهذا ينصب المفعول كما ينصبه "فاعل" لأنك إنما تريد به ما تريد بفاعل ، إلا أنَّ هذا أكثرُ مبالغةً ، ألا تراه بقول : "لبّاساً إليها جلالها .

ومن كلام العرب :

---

(١) انظر الكتاب ١١٢/١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٣٠ .

(١) سبق تخريجه ص ٢٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ٣٢ .

(٣) انظر المقتضب ١١٢/٢ – ١١٨ بتصرف .

(٤) سبق تخريجه ص٢٥ .

أمَّا العَسَل فأنت شرَّاب" . ومن هـذه الأبنيـة "فَعُـول" نحـو :
ضَروب ، وقتُول وركُوب تقول : هو ضَروُب زيداً إذا كان يطربه مـرَّة
بعد مرة كما قال : [١]

ضَروُبٌ بنصْلِ السيفِ سُوقَ شِمانها إذا عَدِمُوا زاداً فإنَّك عاقِرُ .

ومن كلام العرب : إنه ضَروبٌ رؤوسَ الدارعين .

ثم يقول المبرد : ومن هذه الأبنية "مِفْعال" نحو : رجل مِضْراب ورجل
مِقْتال

ومن كلام العرب : "إنَّه لمنحار بوائكها .

فأمَّا ما كان على "فعيل" نحو : رحَيم وعَليم فقد أجاز سيبويه النصـب
فيه ولا أراه جائزاً ، وذلك أن "فعيلاً " إنما هو اسم الفاعل من الفعـل
الذى لا يتعدى فما خرج إليه من غير ذلك الفعل فمضارع له مُلْحَـق
به .

والفعل الذى هو لــ "فعيل" فى الأصل إنما هو ما كان على "فَعُلَ" نحـو
: كَرُم فهو كريم وشَرُف فهو شريف ، وظَرُف فهو ظريف . فما خرج
إليه من باب عَلِم وشَهِدَ ورَحِمَ فهو مُلحقٌ به . فـإن قلـت : راحـم
وعالم وشاهد ، فهذا اسم الفاعل الذى يراد به الفعل . واحتج سيبويه
بقول الشاعر :

حتى شآها كَلِيلُ مَوْهِنا عَمِلُ باتت طِرَاباً وبات الليلَ لم ينَم [٢]

فجعل البيت موضوعاً من "فعيل" و"فَعِل" بقولـة : "عَمِـل" و "كليـل"
وليس هذا بحجة فى واحد منها ، لأن "مَوْهِناً" ظرف وليس بمعمـول ،
والظرف إنما يعمل فيه معنى الفعل كعمل الفِعل ، كان الفعلُ متعدِّيا أو

---

[١] سبق تخريجه ص٢٧ .

[٢] سبق تخريجه ص٣٢

أو غير مُتعدّ" . وكذلك ما ذكر فى "فَعِل" أكثر النحويين على ردّه ، و "فَعيلُ " فى قول النحويين بمنزلته فما كان على "فَعِل" فنحو" فِرق ، وبطِر ، وحَذِر . والحجة فى أن هذا لا يعمل أنّه لما تنتقل إليه الهيئة تقول : فلان حَذِر أى : ذو حذر وفلان بَطِرٌ كقولك : ما كان ذا شرف ولقد شرُف . وما كان ذا كرم ولقد كَرُمَ .

"ففعِلٌ" مضارعة "لفُعيل" . وكذلك يقع "فَعِل" "وفَعيل" فى معنى : كقولك:

رجل طَبُ وطبيب ، ومذِل ، وهذا كثيرُ جداً . واحتج سيبويه بهذا البيت :

حَذِرٌ أموراً لا تَضيرُ وآمِنُ   ما ليس منجيه من الأقدار [(١)]

يقول المبرد : وهذا بيت موضوع مُحْدَث . وإنما القياس الحاكم على ما يجئ من هذا الضرب وغيره"

فمن يتأمل كلام المبرد يجد أنه اعترض على سيبويه فى إعمال "فعيل" و"فعَل " حيث قال : "فأمّا ما طان على فعيل نحو : رحيم وعليم فقد أجاز سيبويه النصب فيه ولا أراه جائزاً واستدل على ذلك بأن "فعيلا" إنما اسم الفاعل من الفعل الذى لا يتعدى فما خرج إليه من غير ذلك الفعل فمضارع له مُلحَق به .

ورد على ما استشهد به سيبويه فى قول الشاعر :

حتى شآها كليل موهنا عمل   باتت طرابا وبات الليلَ لم ينم [(٢)]

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٩ .

(٢) سبق تخريجه ص٣٢ .

بأن "موهنا" ظرف وليس بمعمول ، والظرف إنما يعمل فيه معنى الفعل كعمل الفعل كان الفعلُ متعدّيا أو غير مُتعَد ، وردّ على ما استشهد به سيبويه فى قول الشاعر :

حَذِرُ أموراً لا تضير وآمِنُ ما لَيس مُنْجيه مِنَ الأقدار [١]

بأن البيت موضوع مُحْدَث .

وقد دافع ابن ولاّد التميمى (ت ٣٣٢ هـ) عن سيبويه وانتصر له فى كتابه "الانتصار لسيبويه على المبرد حيث يقول :

ومن ذلك قول سيبويه فى باب ما جرى من أسماء الفاعلين "فى الاستفهام "مجرى الفعل احتج فى تعّدى "فَعِلٍ" بقوله :

أو مِسحَلُ شَنِجُ عضادة سَمحَجٍ بسراتِهِ نَدَبٌ لها وكلُومُ [٢]

وعضادة سمحج " إنما هى منتصبة انتصاب هو حسن وجه عبدٍ وكان أبو عمرو بن العلاء [٣] يزعم أن عضادة سَمْجح ظرفُ واحتج بقوله

حتى شآها كليلُ مَوهِناً عَمِلُ باتتْ طِراباً وباتَ الليلَ لم ينَم. [٤]

وأما موهنُ فهو ظرف .

ومن ذلك قوله [٥] فى هذا الباب : فعيلُ يتعدّى مثل رحيم وعليم فيجيز : هذا رحيمٌ زيداً وسميع كلامَك ويذكر أنه إنما وضع للمبالغة ولم يأت فيه بحجة من شعر ولا غيره والدليل على أنه غير متعدّ أنّ باب فَعيل فى الأصل إنما هو للفعل غير المتعدى نحو : كَرمُ ومَلُحَ وظرفُ ، فلما بنوه هذا البناء ضارعوا به ما لا يتعدى إذا أرادوا ألاّ يتعدى .

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٢] سبق تخريجه ص ٣٠ .

[٣] هو أحد القراء السبعة ، وعالم مشهور فى اللغة توفى سنة ١٥٤ هـ انظر نزهة الألباء ٢٤ .

[٤] سبق تخريجه ٣٢ .

[٥] انظر الكتاب ١/١١٥ .

فإن قال قائل : فأنت لا تقول رحيم إلا لمن كـــثر ذلـــك منـــه ، وكذلك عليم . قيل له : نظيره كريم لا يقال إلا لمن استقر ذلك فيه . وقد يوجب الاسم تكثير الفعل ولا يجرى مجرى الفـــاعل لأنـــه ليـــس باسمه ولكنه مشتق فمن ذلك قولك : رجل صديق وشريب وفســـيق ، وأنت لا تقول :

هو شرّيب الخمر ، ولكنك تقول : للخمر ، كما تقول : عليم بالنـــاس ورحيم بهم فمن أجاز تعدى "فعيل" فليجز تعدى "فعـيل " وإنما لم يتعـد هذا أجمع لأنه مستقر فيه فمعناه ما قد مضى من الأفعال وصار اســما لازما كاليد والرجل وباب "فعيل" أجمع إنما هو للكثرة والمبالغة .

وقد ذكر فى هذا الباب [١] بعينيه : أزيد أنت له عديل ، وأزيد أنت لـــه جليس ويقول : لأن جليسا وعديلا اسمان ولو أراد اسم الفاعل لقال : جالس ، فيقال له : وكذلك اسم الفاعل إنما هو باب فعل ، إنمـــا هـــو عالم وراحم وفعيل فى بابا فاعل ايضا كثير نحو : عادلته فأنا عديـــل وجالسته فأنا جليس ، وعاشرته فأنا عشير وخالطته فأنـــا خليـــط ، وشاركته فأنا شريك ، وذا أكثر من أن يحصى ، وإذا لم نجزه فى هذا مع هذا الأطراد على فعل فنخو رحم أولى ألا يجوز [٢]

قال أحمد: أما قول محمد : إن عضادة سمج منتصب انتصـــاب هـــو حسن وجه عبد فليس مثله لأن هذا الوصف إنما يعمل فيما كان مـــن سبب الأول نكرة أو معرفا بالألف واللام كقولك : هو حسن وجـــها ، وحسن الوجه بعد علم أن الوجه للأول ، وكذلك لإذا قلت : هو فـــاره عيدا علم أن العبد له ، فأن قلت : هو حسن وجه عبد على هذا جاز

---

[١] انظر الكتاب ١١٧/١ .

[٢] بقى المبرد على رأيه فى هذه المسألة فى المقتضب ١١٤/٢ — ١١٥ .

ولو قلت : هو حسنُ وجه رجلٍ أو حسنُ رَجُلاً وأنت تريد : رجلاً من الرجال ، ولم يجز ، وكذلك شَنَجٌ عضادة سمجح بمنزلة قولك : إذا تؤول على ما قال : هو حسن وجه طويلة ، لأن السمجح الطويل على وجه الأرض فلو جاز هذا لقلت : هو حسنُ وجهِ ظريفه أو طويلة ومع هذا فهو فى النعت أقبح .

وأما ما قاله فى "مَوْهن " وأنّه بعد ساعة من الليل ، فهو ظرف ، فإن العرب استعملته استعمال الأسماء ، وليس كلّ ما كان من أسماء الأوقات فهو مستعمل ظرفاً كما أنّه ليس كلُّ ما كان من أسماء الأماكن فهو مستعمل ظرفاً كالجبل لا تقول : زيدُ الجبل وإن كان مكانا ، ولا تقول : زيد مكة وإن كانت مكانا ، وكذلك الأوقات منها ما لم يستعمل ظرفا ولو لم يأت بشاهد فى "فَعِلٍ" لم لم يحتج إلى ذلك لأنّ فَعِلاً اسم جاز على فَعِلَ نحو : حَذِرَ فهو حَذِرٌ وهو مع ذلك للمبالغة فقد اجتمع فيه العلتان اللتان هما أصل الباب فى التعدّى ولو انفردت إحداهما لعُدّى بسببها فكيف إذا اجتمعتا ؟ ألا ترى أن مفعالاً ليس على فعل ، وهو يتعدى لأنه للمبالغة قالوا : إنه لمنحار بوائكها ، فلما وجد سيبويه العرب قد عدّتْ ما هو للمبالغة من أسماء الفاعلين وإن لم يكن جارياً على الفعل ، وعدّتْ ما هو جار على الفعل حمل الفعل على النحويين اللذين وجدهما فى كلام العرب ، وإذا كان محمد وغيره قد وافقه على هذا فى أصل الباب نظرنا فيما ذكره من تعدّى فَعِلٍ وفعيل فوجدنا اللغتين جميعاً فيهما .

فأما قوله : إنّ فعيلا" أصله لما لا يتعدى نحو : ظرُف وكَرُم فلو سلم هذا إليه لكان فى المبالغة التى عَدّى من أجلها كفاية فكيف وقد اجتمع إلى ذلك أنّه اسمٌ لفعل جارٍ عليه نحو : رحَم وعلمَ ، فهو رحيمَ

وعليمُ . وإذا كان فَعيلُ من فعُلَ نحو : كَرُمَ فهو كريمُ لــم يتعــدّ كما لم يتعدّ الفعل ، وإذا كان من فعل متعدٍ تعدى اسـم الفـاعل كما يتعدّى الفعل ، ألا ترى أنّ ضارباً يتعدّى لتعدّى ضرب ، وجــالسُ لا يتعدّى كما لا يتعدى جَلَس ، ففاعلُ يجرى مجرى فعله الذى أجـرى عليه ، وكذلك فَعيلٌ يجرى مجرى فعله الذى أجرى عليه ، فتقــول : هو رحيمُ زيداً كما تقول : رَحِمَ زيداً ، ولا تقول فى : كريم وظريــف مثل ذلك ، لأنَّ ظرفُ وكَرُمَ لا يتعديّان ، فلم يتعدّ ما جـــرى عليــهما مشتقاً منهما .

وأمّا قوله : إنّ إدخال اللام فى قولك : رحيمُ لزيدٍ ، دليل على أنّــه لا يتعدّى فليس بشئ ، لأن اللام قد تدخل ضارب فتقول : هو ضـــاربُ لزيد بل قد أدخلت مع الفعل فى قوله تعالى " إن كنُتم للرؤيا تَعْــبرُون "[1] فليس دخول اللام ها هنا حجة لأنّ فعيلاً لا يتعدّى .

وأما إلزامهُ من عدّى فعيلا لأجل المبالغة أن يعُــدّى فِعّيــلاً نحــو : شِرّيب الخمر فهو لازم وشِرّيب يتعدّى إذا كان للمبالغة وكان الفــاعل مشتقاً من فعل يتعدى وإن لم يكن جاريا عليه كما لم يكــن : منحــارُ بوائكها جاريا .

وأمّا احتجاجه عليه فى قوله : "أزيدُ أنتَ له عديــلُ " فعديــل ليســت للمبالغة ولا هو الأصل فى فاعل ، ولا الاسم الجارى عليه ، فليســت فيه واحدة من العلتين .

وأمّا قوله " فاعلُ فهو فعيلُ نحو : عادل فهو عديــلُ وجــالسُ فــهو جليسُ فليس هذا بالاسم الجارى على فاعل ، وإنما جاء فى حروف

---

[1] يوسف / ٤٣ .

محفوظة وليس ذلك بأعرف من فعل فهو فاعل نحو : فره العبد فهو فاره ، ونضر النبت فهو ناصر ، فهذه شواذ كلها ، وليس يعمل على الشاذ على أنا قد قلنا : إن فعيلا وفعلا لو لم يكونا جاريين على الفعل لكانت المبالغة فيهما موجبة لتعديهما" [١]

وممن أيد رأى سيبويه ودافع عنه ابن مالك فى شرح [٢] التسهيل حيث يقول وهو يتحدث عن صيغ المبالغة : "وساوى اسم الفاعل العامل بالشروط المذكورة فى إفراد وغيره ما قصد به المبالغة من موازن : فعال وفعول ومفعال كقول من سمعه سيبويه : أما العسل فأنا شراب وكقول الشاعر :

اخا الحرب لباسا إليها جلالها   وليس بولاج الخلائف اعقلا[٣]

وكقول الآخر :

هجوم عليها نفسه غير أنه   متى يرم فى عينيه بالشبح ينهض [٤]

وكقول الآخر:

قلى دينه واهتاج للشوق إنها على الشوق إخوان العزاء هيوج [٥]

وكقول بعض العرب . "إنه لمنحار بوائكها " وكقول الشاعر :

شم ، مهاوين أبدان الجزور مخا مبص العشيات لاخور ولا قزم[٦]

وكقول الاخر :

---

[١] انظر الانتصار لابن ولاد ص ٦٨-٧٢ وانظر فى هذه المسألة الأصول ١٢٤/١ والنكت ٢٤٦-٢٤٧ وشرح كتاب سيبويه للصفار ق ١٥٠-١٥١ وشرح جمل الزجاجى ٥٦١/١ .

[٢] انظر شرح التهليل ٧٩/٣-٨٢ .

[٣] سبق تخريجه ص٢٥ .

[٤] سبق تخريجه ص ٢٧ .

[٥] سبق تخريجه ص ٢٨ .

[٦] سبق تخريجه ص ٢٦ .

ثم زادوا أنهم فى قومهم غفر ذنبهم غير فخر [١]

فغفر جمع غفور ، ومهاوين جمع مهوان ، وكان أصله : مهين ، مبنى على مفعال لقصد المبالغة واستصحب العمل له مفردا ومجموعا . وكذلك "فعول "إذا جمع على "فعل" كما قال : غفر ذنبهم ولو كسر فعال لا ستصحب أيضا عمله ، إلا أن العرب استغفت بتصحيحه عن تكسيره لاستثقال فك التضعيف .

وألحق سيبويه بالثلاثة فعيلا وفعلا مقصودا بهما المبالغة ثم قال [٢] : "وفعل أقل " من فعيل بكثير " ثم قال : ومنه قول ساعده بن جؤية :

حتى شآها كليل موهنا عمل باتت طرابا وبات الليل لم ينم [٣]

قال أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمرى : قال النحويون : هذا غلط من سيبويه وذلك أن الكليل هو البرق الضعيف وفعله لا يتعدى . والموهن الساعة من الليل فهو منتصب على الظرف . واعتذر لسيبويه بأن كليلا بمعنى : مكل كأنه قال : هذا البرق مكل الوقت بدوامه عليه ، كما يقال : اتعبت يومك وغير ذلك من المجاز قلت : أى ابن مالك – وهذا عندى تكلف لا حاجة إليه وإنما ذكر سيبويه هذا البيت شاهدا على أن فاعلا " قد يعدل به إلى فعيل وفعل على سبيل المبالغة كما يعدل به إلى : فعول وفعال ومفعال ، فذكر هذا البيت لاشتماله على كليل للعدل به عن كال ، وعلى عمل المعدول به عن عامل ، ولم يتعرض لوقوع الإعمال وإنما يحتج له فى ثبوت إعمال

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٨ .

[٢] انظر الكتاب ١١٢/١ .

[٣] سبق تخريجه ص ٣٢ .

"فعيل" بقول بعض العرب إن الله سميع دعاء من دعـــاه " رواه بعض الثقات . ومما يحتج به قول الشاعر :

فتاتان أما منهما فشبيهة هلالا والأخرى منهما تشبه البدرا [١]

فأعمل شبيه أنثى شبيه مع كونه من أشبه كنذير من أنذر وإذا ثبـــت إعمال "فعيل" من "أفعل" مع قلة نظائره كان إعمال "فعيل" من الثلاثـــى أولى لكثرته . وأنشد سيبويه مستشهدا على إعمال فعل قول الشاعر:

حذر أمورا لا تضير وآمن ما ليس منجية من الأقدار [٢]

وروى عن المازنى أن اللاحقى قال : سألنى سيبويه عن شـــاهد فـــى تعدى "فعل" فعملت له هذا البيت ، وينسب مثل هذا القول إلـــى إبـــن المقفع ولا اختلاف فى تسمية هذا المدعى بشعر بإنـــها موضوعـــه ، ووقوع مثل هذا مستبعد ، فإن سيبويه لم يكن يحتج بشـــاهد لا يثـــق بانتسابه إلى من يحتج بقوله ، وإنما يحمل القدح فى البيت المذكـــور على أنه من وضع الحاسدين وتقول المتقولين . وقـــد جـــاء إعمـــال "فعل" فيما لا سبيل إلى القدح فيه وهو قول زيد الخيل :

أتانى أنهم مزقون عرضى جحاش الكرملين لهم فديد .[٢٢]

فأعمل "مزقا" وهو "فعل" عدل به للمبالغة عن مازق . ووافق الجرمى سيبويه فى إعمال "فعل" وقال إنه وزن الفعل فجاز أن يجرى مجـراه ، ويحق لفعل ان يكثر استعماله لن مقصور عن فـــاعل ، ومنـــه قـــول الشاعر :

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٢] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٢٢] سبق تخريجه ص ٣٠ .

أصبح قلبى صردا لا يشتهى أن يردا [١]

إلا عـرادعردا وصلبانـــا بردا

أراد : عاردا وباردا ، وكثر ذلك فى المضـاعف كقولـهم : بَرٌّ وشَرٌّ بمعنى : بار وشار ويقول ابن مالك فى صياغـة أمثلـة المبالغـة : "والمشهور بناء هذه الأمثلة من الثلاثى وقد يبنى مـن أفعـل فعـال كأدرك فهو دراك وأسار فهو سار وفعيل كأنذر فهو نذير ، وآلم فـهو أليم وأسمع فهو سميع ومنه قول الشاعر : آمـن ريحانـه الداعـى السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع .[٢]

أراد : الداعى المسمع ، وقد يبنى أيضا من أفعل مفعـال ، كمعطـاء ومهداء ومعوان ومهوان وندر بناء "فعول" ذى المبالغة من أفعل فـى قول الشاعر يصف ناقة

جهول وكان الجهل منها سجية ولكنها للقائدين رهوق. [٣]

أى : كثيرة الإرهاق لمن يقودها ."

فمن يتأمل كلام ابن مالك يجد أنه يبين أن امثلة المبالغـة الثلاثـة : فعال فعول مفعال ، تعمل باتفاق من البصريين وأن سـيبويه ألحـق بالثلاثة : فعيل وفعل وجعل "فعل" أقل من فعيل "بكثـير وأن سـيبويه استشهد لأعمال "فعيل" قول الشاعر :

حتى شآها كليل موهنا عمل [٤]

---

[١] رجز على لسان الضب ، فى زعم العرب ، اللغة : صرد :وجد البرد سريعا ، وقلبه عـن السـقاء والعراد : نبت انظر الخصائص ٣٦٥/٢ شرح التسهيل ٨٢/٣ .

[٢] سبق تخريجه ص ٣٣ .

[٣] من الطويل د لحميد بن ثور وانظر المساعد ١٩٤/٢ شرح التسهيل ٨٢/٣ .

[٤] سبق تخريجه ص٣٢ .

وقد غلط النحويون سيبويه بأن "كليــل" فعلــه لا يتعــدى وأن "موهنا" منصوب على الظريفة ، واعتذر لسيبويه بأن كليــل بمعنــى مكّل على المجاز ، وخرّج ابن مالك البيت على وجه آخــر وأن هــذا تكلف وأن سيبويه ذكره شاهداً على أن "فاعلاً" قد يعدل به إلى "فعيــل" و "فعل" على سبيل المبالغة كما يعدل به إلى فَعُول وفعَــال ومِفعــال فذكر البيت لاشتمالة على كليل العدل به عن كالّ ، واستشــهد علــى إعمال

فعيل ببيت آخر وهو :

فَتَاتَان أمّا منهما فشَبهةٌ هِلالاً والأخرىَ منهما تُشْبِهُ البَدْرا [١]

وأن سيبويه حينما استشهد على إعمال "فَعِل" بقول الشاعر :

حَذِرٌ أموراً لا تَضِير وآمِنٌ مَا لَيْسَ منجيه مِن الأقدار[٢]

وقالوا إن البيت مصنوع ردّ على ذلك ابن مالك وقال : "وقــوع مثــل هذا مستبعد فإن سيبويه لم يكن يحتج بشاهد لا يثق بانتسابه إلى مــن يحتج بقوله وإنما يحمل القدح فى البيت على أنه من وضع الحاسدين ، وقد جاء إعمال فَعِل فيما لا سبيل إلى القدح فيه وهــو قــول زيــد الخيل :

أتانى أنّهم مزِقونَ عِرْضى[٣]

فأعمل "مزقا" وهو "فَعِل" عدل به للمبالغة عن مازق .

وممن أيد سيبويه وردّ على المعارضين له ابن يعيــش فــى شــرح المفصل للزمخشرى .

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٢] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٣] سبق تخريجه ص ٣٠ .

قال الزمخشرى :[١] " قال سيبويه :[٢] وأجروا اسم الفـــاعل إذا أرادوا أيدبا لغوا فى الأمر مجراه إذا كان على بنـــاء فـــاعل نحـــو : شراب وضروب ومنحار وأنشد للفلاح :

أخا الحرب لباسا إليها جلالها[٣]

ولأبى طالب :

ضَروبُ بنَصلِ السَيْفِ سُوقَ سِمانِها [٤]

وحكى عن العرب : إنّه لمنحار بوائكها " وأمّا العســلَ فأنــا شــرّابُ وأنشد :

كَرِيمُ رؤُوسَ الدّارعينَ ضَروُب [٥]

وجوز هذا ضروب رؤس الرجال وسوقَ الإبل .

قال ابن يعيش فى شرح [٦] المفصل : "قد ذكرنا أن اســم الفــاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال إنما أعمل عمل الفعل المضارع لجريانـــه عليه فى حركاته وسكناته وعدد حروفه ، وقد أجـــروا ضربــا مــن أسماء الفاعلين مما فيه معنى المبالغة مجرى الفعل الذى فيه معنـــى المبالغة فى العمل ، وإن لم يكن جارياً عليه فى اللفظ فقـــالوا : زيــد ضرّاب عبيدْ وقتّال أعداءه كما قالوا : زيد يضـــرب عبيــده ويقتــل أعداءه إذا كثر ذلك منه ، وكان ضرّاب وقتّال بمنزلة ضارب وقـــاتل كما كان يضرّب ويقتّل بالتشديد بمنزلة يضرب ويقتل من غير تشــديد

---

[١] انظر شرح المفصل ٦٩/٦ .

[٢] انظر الكتاب ١١٠/١ .

[٣] سبق تخريجه ص ٢٥

[٤] سبق تخريجه ص ٢٧ .

[٥] سبق تخريجه ص ٢٨ .

[٦] انظر شرح المفصل ٧٠/٦ .

لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل إلا أن فيــه إخبــارا بزيادة مبالغة ، ثم ذكر الأمثلة الخمسة : فعول فعال مفعال فعل فعيــل وذكر أمثلة للأمثلة الثلاثةالأولى :

أخا الحرب لباسا إليها جلالها [١]

ضروب بنصل السيف سوق سمانها

بكيت أخا اللأواء يحمد يومه [٢]

ثم قال : وأنشد سيبويه فى إعمال "فعل"

حذر أمورا لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار [٣]

نصب " الأمور" يحذر" لأنه تكثير حاذر يعمل عمل الفعل لأنه فى معناه وإنما غير عن بنائه للتكثير ومنه قول ابن أحمر :

أو مسحل شنج عضادة سمحج بسراته ندب لها وكلوم [٤]

الشاهد فيه : نصب "عضادة " "بشنبج" وهو تكثير شانج وشانج فــى معنى ملازم وفعله شنجته كلزمته . وأنشد فى إعمال "فعيل" لســاعده بن جؤية :

حتى شآها كليل موهنا عمل باتت طرابا وبات الليل لم ينم .[٥]

والشاهد فيه : نصب الموهن "بكليل" لأنه بمعنى "مكل" أو كلل وإنمــا غيره للتكثير والمبالغة .

وخالف سيبويه أكثر النحويين فى بناءين من هــذه المثــل الخمســة وهما فَعِل وفَعِيل قالوا : لأن فَعِلا وفعيلا بناءان موضوعــان للــذات

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٥.

[٢] سبق تخريجه ص ٢٨.

[٣] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٤] سبق تخريجه ص ٣٠ .

[٥] سبق تخريجه ص ٣٢.

والهيئة التى يكون الإنسان عليها لا لأن يجريا مجـــرى الفعــل فهما كقولك : رجل كريم وظريف ، ورجل عجل ولقن إذا كـــان ذلـــك كالطبيعة وحملوا ما احتج به من الأبيات على غير ما ذكره .

فأما البيت الأول وهو :

حذر أمورا لا تضير وأمن [١]

فقالوا : لم يصح عن العرب وروى عن المازنى أن اللاحقـــى قـــال : سألنى سيبويه عن شاهد فى تعدى "فعل" فعملت لـــــه هـــذا البيـــت ، ويروى أيضا أن البيت لابن المقفع وأما البيت الثانى وهو :

أو مسحل شنج عضّادة سمحج [٢]

فهو للبيد فقالوا : انتصاب "عضادة سمحج " علـــى الظـــرف لأعلـــى المفعول ومعنى عضادة سمحج قوائمها ، "وشنج" لازم و "مسحل" هــو العير و "وسمحج" الأوتان كأنه قال : أو عير لازم يمنه أتان أو يســرة أتان فيكون المراد بالعضادة الناحية .

أما البيت الثالث وهو :

حتى شآها كليل موهنا عمل "[٣]

فقالوا : هو البرق الضعيف ومنه قولهم : رجل كليل إذا كـــان معيبـــا من كل يكل فهو فعل غير متعد ألا ترى أنه لا يقال : كل زيـــد عمـــرا والموهن الساعة من الليل فهو لا ينتصب فى غير الظرف ، وإذا كـــان انتصابه على الظرف لم يكن فيه حجة .

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٢] سبق تخريجه ص ٣٠ .

[٣] سبق تخريجه ص ٣٢ .

ثم يقول ابن يعيش : " والصحيح ما ذهب إليه سـيبويه وهـو القياس [١] ، لأن صفات المبالغة إذا كانت معدولة جاز أن تتعدى فمن ذلك : فعول ومفعال وفعال فهكذا سبيل "فعيل" إذا كان معدلا كقولـك : رحيم من راحم وعليم من عالم فيجوز : زيد رحيم عمرا كما تقـول : راحم عمرا لأنه معدول عنه هذا مع السماع وأما قولهم عـن البيـت الأول وهو :

حذر أمورا لا تضير وآمن [٢]

فإن سيبويه رواه عن بعض العرب وهو ثقة لا سبيل إلى رد ما رواه وأما البيت الثانى وهو :

أو مسحل شنج " عضادة سمحج .[٣]

فإن ما ذهب إليه سيبويه هو الظاهر وما ذكـروه تـأويل وذلـك أن "شنجا" فى المعنى : لازم والمراد "بالعضادة" القوائم وليسـت ظرفـا فالمراد : أنه لازم عضادة سمجح وقد جاء عنهم هذا المعنى مصرحـا به قول الآخر :

قالت سليمى لست بالحادى المدل مالك لا تلزم أعضاد الإبل [٣]

فاعضاد هنا بمعنى : عضادة سمجح وقد نصبها بتلـزم وشـنج فـى معنى ذلك على أنه قد جاء لزيد الخيل:

أتانى أنهم مزقون عرضى جحاش الكرملين لها فديد [٤]

---

[١] انظر شرح المفصل لابن يعيش ٧٣/٦ .
[٢] سبق تخريجه ص ٢٩ .
[٣] سبق تخريجه ص ٣٠ .
[٣] من الرجز – نسب للشماخ بن ضِرار الصاحى وقيل لأخيه . انظر شرح المفصل ٧٣/٦ .
[٤] سبق تخريجه ص ٣٠ .

قال: مزقون عرضى كما ترى فأجراه مجرى ممزقين وهـــذا لا يحتمل غير هذا التأويل وعليه معنى الشعر لأنه وصف المسحل وهــو عبر الوحش بالنشاط والهياج وشبه ناقته به فى هذا الحال ولو كـــان المعنى على التفسير الآخر لقصر فى وصف ناقته .

وأما البيت الثالث : فإن "كليلا" بمعنى مكل ، وإنما غير عنه للتكثـــير وفعيل بمعنى مفعل كثير قالوا : عذاب أليم بمعنى مؤلم وداع ســـميع بمعنى : مسمع قال عمرو بن معدى كرب :

أمِنْ رَيْحَانَة الداعى السّميعُ يؤرّقنى وأصحابى هُجُوعُ [1]

أى : المسمع . المراد : أنه يصف وحشيا وأنها نظرات إلـــى بـــرق مستمطر دال إلى الغبث يكل الموهن يدويه وتوالى لمعانه كما يقـــال : أتعيت ليتلك أى : سرت فيها سيرا متعبا والموهن وقت مـــن الليـــل فشآها ذلك البرق أى : شاقها وأزعجها فباتت طربه إلية منقلبة نحوه وهذا واضح [2]

مما سبق يتضح أن ابن يعيش فى شرح المفصل أيد مذهب ســـيبويه وقال :

والصحيح ما ذهب إليه سيبويه وهو القياس ، لآن صفات المبالغة إذا كانت معدوله جاز أن تتعدى بالإضافة إلى ما ورد من ســـماع يقـــوى ذلك وأن الذين حملوا ما احتج به من الآبيات على غير ما ذكـــره رد على تأويلاتهم وبين صحة مذهب ســـيبويه وتأويلـــه ورده واضـــح وظاهر .

وممن أيد رأى سيبويه ودافع عنه ورد على معترضيه : ابن عصفـــور الإشبيلى (٦٦٩ هـــ)

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٣ .

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٧٤/٦ .

فى شرح جمل الزجاجى [١] فى باب الأمثلة التـى تعمـل اسـم الفاعل يقول : "وهى فعول وفعال ومفعال وفعل " وفعيل فهذه الأمثلـة التى تعمل عمل اسم الفاعل وإن لم تكن أسماء فاعلين وهذه الأمثلـة تنقسم قسمين : قسم اتفق النحويون على أنه يعمل عمل اسم الفـاعل ، وقسم فيه خلاف ، فالقسم الذى لا خلاف فى إعماله : فعول وفعـال ومفعال وضرب لذلك أمثلة سبق ذكرها أكثر مـن مـرة فـلا داعـى لذكرها منعا للتكرار ، ثم قال : "فهذه الأمثلة تعمل عمل اسم الفـاعل باتفاق من البصريين وأما أهل الكوفة فيزعمون أن ما بعـد الأمثلـة الخمسة منصوب بإضمار فعل يدل عليه المثال ، وقـد وصـف ابـن عصفور مذهبهم بأنه فاسد ، لأن الذى أدعوه من الإضمار لم يلفظ به فى موضع من المواضع ،والقسم الذى فيه خلاف بين أهـل البصـرة "فعل" وفعيل فمذهب سيبويه إعمالها ومذهب المبرد [٢] انه لا يجـوز ذلك . استدل المبرد على منع إعمالها بأن فعيلا اسم فاعل مـن فَعُـل وفَعَل لا يتعدى فهو إذن كفعله لا يتعدى . وهذا الذى ذهب إليه مـن الاحتجاج فاسد , إذ الكلام لم يقع إلا فى فَعِل وفعيل الواقعيـن موقـع مُفعل . فإن قال : فما الدليل على العرب قد أوقعتهما موقع مُفعل ؟ بل القياس يقتضى أن يكون كل بناء على حكمه ولا يوقع موقع غـيره . فالجواب : أن سيبويه لم يقل ذلك إلا بعد ورود السـماع بأعمالـها . فمن الدليل على إعمال فعيل قوله :

---

[١] انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ٥٦٠/١ – ٥٦٤ .

[٢] انظر الكتاب ١١٠/١–١١٥ والمقتضب ١١٢/٢ –١١٨ .

حتى شآها كليل موهنا عمل   باتت طرابا وبات الليل لم ينم[1]

"فموهن "منصوب بكليل . ومن الدليل على إعمال "فعل" قوله :

حذر أمورا لا تضير وآمن   ما ليس منجية من الأقدار[2]

فأعمل "حذرا " فى أمور وكذلك قوله :

أو مسحل شنج عضادة سمجح   بسراته ندب له وكلوم .[3]

فأعمل "شنجا" فى عضاده" وإعمالها عند سيبويه ، ومن أخذ بمذهبه قليل .

وهو فى فعل أقل منه فى فعيل بكثير . وأما المبرد فلم ير أن فى هذا الذى استدل سيبويه دليلا ، أما قوله :

حذر أمورا لا تضير وآمن

فزعم المازنى أنما أخبره أبو يحيى اللاحقى أنه سأله سيبويه هل يحفظ بيتا فى إعمال فعل فوضع له هذا البيت . قال :فالبيت مصنوع . وهذا الذى ذكره أبو العباسى المبرد لا يلتفت إليه لأن سيبويه ذكر البيت ، ولم يذكر أن اللاحقى هو الذى أنشده ، وسيبويه (رحمه الله) أحفظ لما يرويه من أن ينقله عن غير ثقة ، فلا يطعن فى روايته بقول من أقر على نفسه بالكذب ، وأما قوله :

أو مسحل شنج عضادة سمجح

"فعضادة " عنده منصوب على الظرفية كأنه قال : فى عضادة سمجح والظروف لا ينكر أن تعمل فيها هذه الأمثلة إذ قد تعمل فيها روائح الأفعال ، وأما الذى ينكر أعمالها فيه المفعول به . وهذا الذى ذهب

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٢ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩ .

(٣) سبق تخريجه ص ٣٠ .

إلية فاسد . لأن العضادة اسم للقوائم ، والأسماء ما عدا اسم الزمان والمكان لا تجعل ظروفا تقاس وأيضاً فإن المعنى يفسد لأنه يكون إذ ذاك قد شبه فرسه فى الجرى ، بحمار فنقبض فى قوائم أتان ، وذلك مناقض لما يريد من وصفه بالجرى ، فثبت أنّ شنجاً هذا بمعنى مشنج ، كأنه قال شنج عِضادة سمجح ، فيكون إذا ذاك قد شبه فرسه بحمار يطارد أتانا فهو بعضها وهى تعضه . ومما يدل على إعمال فَعِل قول زيد الخيل :

أتانى انّهم مزقون عِرْضى   جحِاسُ الكَرْمَلين لَها فديدُ[1]

فعرض منصوب بمزقين ولا يسوغ فيه غير ذلك . وأما كليل موهنان فموهناً عنده منصوب على الظرف بكليل ، قال : ومما يدل على ذلك انه من كلّ وكلّ لا يتعدّى فكذلك ما أخِذَ منه . وهذا الذى ذكره فاسد ، لأنّه قد قدّمنا أنّ كليلاً على مذهب سيبويه إنما يكون من كَلَل . فأن قيل : فلعلّه كما ذكر أبو العباس من أنّ مَوْهنا " منصوب على الظرف ، كأنّه قال : كليلٌ موهناً أى : ضعيف فى موهن فالجواب : إنّه إن حُملَ على ما ذهب إليه المبرد تناقض مع قوله : وبات الليلَ لم ينم ألا ترى أنّه إذا ضعف مَوْهِناً وكان عَمِلا فى وقت آخر فأنه فى الوقت الذى فيه قد نام .

وكذلك أيضاً إن جُعِلَ عَمِلُ بمعنى تَعِب كما ذهب إلية بعض الناس كان متناقصاً لأنه إذا كان ضعيفاً تعباً فى موهن فقد ينام فى ذلك الموهن فيتناقص ذلك مع قوله : وبات الليل لم ينم ، فثبت أنّ كليلاً بمعنى مُكلّ موهنا لكثرة خففه فيه كما يُقال : أتعبت نهارَكَ بكثرة عملك فيه

(1) سبق تخريجه ص ٣٠ .

فإن قيل : فلأىّ شىء جعله مكلا موهناً . وإنما هو مكلل الليـــل بدليل قوله : وبات الليل لم ينم ؟ فالجواب أنّه أوقــع موهنــاً موقــع مواهن الليل كلها فهو من وضع المفرد موضع الجمع الجـــائى فـــى ضرورة الشعر نحو قوله : [١]

كلو فى بَعض بطنكم تعفوا

أى : فى بعض بطونكم فثبت إذن أنّ فعيلا وفَعِلا يعملان عمل اســـم الفاعل قليلا" [٢]

مما سبق يتضح أن ابن عصفور ردّ على الكوفيين مذهبهم وهو عــدم جواز إعمال أمثلة المبالغة وأن المنصوب بعدها على إضمــــار فعـل يفسره المذكور ردّ عليهم قائلاً : أن الذى أدعوه من الإضمار لم يلفـظ به فى موضع من المواضع . وردّ على مذهب المــبرد والــذى منــع إعمال فعيل وفَعل وقد أجاز أعمالهما سيبويه والبصريون وقـــال : إن سيبويه لم يقل ذلك إلا بعد ورود السماع بأعمالها .

وردّ ابن عصفور على الطعن الذى وجهه المبرد نحو قول الشاعر :

حَذِرٌ أموراً لا تضير وآمِن [٣]

بأن البيت مصنوع فقال ابن عصفور : إن سيبويه ذكر البيـــت ولــم يذكر أن اللاحقى هو الذى أنشده ، وسيبويه أحفظ لما يرويه مـــن أن ينقله عن غير ثقة وردّ ابن عصفور كذلك على تـــأويل المــبرد فـــى البيتين التاليين بما أضعف رأى المبرد ورجح رأى سيبويه .

---

[١] من الوافر – من أبيات الكتاب الخمسين وأنظر الكتاب ١٠٨/١ المقتضب ١٧٢/٢ ابن الشـجرى ٣١١/١ الأصول ٢٤٥/١ معان القرآن ٣٠٧/١ جمل الزجاجى ٥٦٤/١ .

[٢] انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ٥٦٤/١ .

[٣] سبق تخريجه ص٢٩.

وبعد كل هذه النصوص السابقة والتـــى دافعــت وأيــدت رأى سيبويه فى جواز إعمال "فعيل" "فَعِل" وذلك كابن يعيش فـــى شــرح المفصل وابن مالك فى شرح التسهيل وابن عصفور فى شرح جمـــل الزجاجى تبين صواب رأى سيبويه لورد السماع بإعمالـــهما ولذلــك أرى موافقة رأى سيبويه لما سبق من نصوص وأدلـــة تقــوى هــذا الرأى .



المبحث الرابع

أحكام صيغ المبالغة

لصيغ المبالغة القياسية أحكام أهمّها :

١ - أنها لا تصاغ إلا من مصدر فعل ثلاثى ، متصرف متعد ، ما عدا صيغة : فعّال فإنها تصاغ من مصدر الفعل الثلاثى اللازم والمتعدى كقوله تعالى " ولا تُطع كُلّ حلافٍ مهينٍ . هَمّاز مَشّاءٍ بنميم ، مَنّاعٍ لِلخير مُعتدٍ أثيم [1] وقولهم : فلان بسّام الثغر ضَحّاك السن ، وقول الشاعر :

وإنى لصبار على ما ينوبنى   وحسبك أن الله أثنى على الصبر

ولست بنظّار إلى جانب الغنى   إذا كانت العلياء فى جانب الفقر[2]

ولذلك يقول [3] " وغالب تحويلها من الثلاثى المجرد وشذ بناؤها من أفعل سمع منه : مِهْوان ومِعْطاء ، ومِهْداء ، ورشّاد وجَزال ، وزهُوق ، ودَرّاك وسيّاء ، ونذير وأليم وسميع من أهان وأعطى وأرشد وأجزل ، وأزهق ، وأدرك وأساء وأنذر وآلم وأسمع كقوله :

أمِنْ رَيْحانةِ الدّاعى السميع [4]

يريد المسمع .

ويقول الشيخ الخضرى [5] (ت ١٢٨٧ هـ) فى حاشيته وهو يعلق على قول ابن عقيل : قوله :

---

[1] القلم / ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

[2] انظر النحو الوافى ٣/٢٦١ المعقيابر/٦٤ .

[3] انظر ارتشاف الضرب ٣/١٩١ .

[4] سبق تخريجه ص ٣٣ .

[5] انظر حاشية الخضرى ٢/٢٦ .

" يصاغ للكثرة " فى نسخ من الثلاثى وأخذه من قول المصنف عن فاعل لأنه إنما يجئ من الثلاثى فلا تبنى هذه الأمثلة من غيره إلا ما شذ من قولهم : درّاك وسآر من أدرك وأسأر أى : أبقى فى الكأس بقية ومعطاه ومهوان من أعطى وأهان ، وسميع ونذير من أسمع وأنذر وزهوق من أزهق "

وقال الأشمونى [1] : تنبيه : أفهم من قوله "عن فاعل بديل "أن هذه الأمثلة لا تبنى من غير الثلاثى وهو كذلك إلا ما ندر . قال فى التسهيل وربما بنى فعّال ومِفعال وفعيل وفعول من أفعَل ، يشير إلى قولهم دراك وسآر من أدرك وأسأر إذا أبقى فى الكأس بقية ، ومعطاه ومهوان من أعطى وأهان وسميع ونذير من أسمع وأنذر وزهوق من أزهق "

ويقول الشيخ يس فى حاشيته[2] على التصريح وهو يعلق على قوله "تحول صيغة فاعل" فيه اشارة إلى أنها إنما تحول عن اسم فاعل الثلاثى وهذا باعتبار الغالب كما أشار اليه فى التسهيل فقال: وربما بنى فعّال من أفعل ومفعال وفعُول وفعِيل من أفعل يشير الى قولهم درّاك وسآل ومِعوان ومِهوان ونذير وسميع وزهوق فاندفع قول اللقانى قوله "يحول" يدل على أن غيرها لا تحول . ويقول ابن مالك فى شرح[3] التسهيل وهو يتحدث عن صياغة أمثلة المبالغة "والمشهور بناء هذه الأمثلة من الثلاثى وقد يبنى من أفعل فعّال كأدرك فهو درّاك وأسأر فهو سآر ، وفعيل كأنذر فهو نذير ، وآلم فهو أليم وأسمع فهو سميع ومنه قول الشاعر :

أمِنْ ريحانَة الداعى السميعُ ... ويؤرّقنىُ وأصحابى هجُوعُ[4]

أراد : الداعى المسمع . وقد يبنى أيضاً من أفعلَ مِفعال كمعطاء ومهداء ومعوان ومهوان / وندر بناءَ "فعُول" ذى المبالغة من أفعلَ فى قول الشاعر يصف ناقة :

جَهولُ وكان الجهلُ منها سَجيّة ... ولكنها للقائدين رهَوُقُ [5]

---

[1] انظر شرح الأشمونى ٢٩٨/٢ .

[2] انظر يس ٦٧/٢.

[3] انظر شرح التسهيل ٨٢/٣

[4] سبق تخريجه ص ٣٣ .

[5] من الطويل – لحميد بن نور – وانظر المساعد ١٩٤/٢ ديوانه ص ٣٦ شرح التسهيل ٨٢/٣ .

أى : كثيرة الإرهاق لمن يقودها :

فكل هذه النصوص السابقة تدل على أن صيغ المبالغة تصاغ من مصدر الفعل الثلاثى المتصرف وأنها قد تبنى من افعل شذوذا كما قال بذلك أكثر العلماء كابن مالك وأبى حيان والأشمونى والخضرى ويس وقد سبقت الأمثلة لذلك .

٢- أنها لا تجرى على حركات مضارعها وسكناته ، بالرغم من اشتمالها على حروفه الأصلية ولهذا كانت محمولة فى عملها على اسم الفاعل لا على فعله .

٣- وانها فى غير الأمرين السالفين – خاضعة لجميع الأحكام التى يخضع لها اسم الفاعل بنوعيه المجرد من "أل" والمقرون بها ، فلا اختلاف بينهما إلا فى الأمرين المتقدمين وما سيأتى ذكره من جواز إعمال صيغ المبالغة فى الماضى – وكذلك فى شكل الصيغة ، وفى أن صيغة المبالغة بنصها الصحيح أكثر مبالغة وأقوى دلالة فى معنى الفعل من صيغة اسم الفاعل المطلقة ، وما عدا هذا فلا اختلاف بينهما فى سريان الأحكام والشروط . ولذلك يقول [٢] سيبويه :

"يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار لو قلت : هذا ضروبُ رؤسَ الرجال وسُوقَ الإبل علـى ، : وضروبُ سوقَ الإبل جاز كما تقول : هذا ضاربُ زيدٍ وعمراً تضمر وضاربُ عمرا .

[٢] انظر الكتاب ١/١١٠ .

ومما جاز فيه مقدما ومؤخرا على نحو ما جاء فى فاعل ، قــول ذى الرمة :

هجوم عليها نفسه غير أنه متى يرم فى عينيه بالشنح ينهض [١]

وقال أبو ذؤيب الهذلى :

قلى دينه واهتاج للشوق إنها   على الشوق إخوان العزاء هيوج[٢]

وسمعنا من يقول : أما العسل فأنا شراب وقال :

بكيت أخا اللأواء يحمد يومه   كريم رؤس الدارعين ضروب[٣]

ففى البيتين الأخيرين والمثال الذى بينهما عملت صيغتا المبالغة فعول وفعال وهى متاخرة فنصب "هيوج " إخوان العزاء " ونصب "شــــرّاب "العسل ، ونصب "ضروب" رؤس الدارعين " مع تأخر الجميع .

ويقول ابن عصفور الاشبيلى فى شرح جمل [٤] الزجاجى :

وحكم هذه الأمثلة كحكم اسم الفاعل من التقديم والتــأخير والإضافــة والفصل وأن الإضافة غير مخصة ، وسائر أحكام أسماء الفــاعلين إلا ما ذكره ابن خروف من أن هذه الأمثلة قد تعمل عمل اســـم الفـــاعل بمعنى المضى ، واستدل على ذلك بأنها لما فيها من معنى المبالغـــة ساغ ذلك فيها وأنشد دليلا على ذلك قوله :

بكيت أخا اللأواء يحمد يومه [٥]

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٧ .

(٢) سبق تخريجه ص٢٨ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٨

(٤) انظر شرح جمل الزجاجى ٥٦٤/١ ، ٥٦٥ .

(٥) سبق تخريجه ص ٢٨ .

ألا ترى أنه يندب ميّتاً ، فدل ذلك على أنّه يريد بضروب معنى الماضى . وهذا الذى ذهب إليه فاسد ، بل هو محمول على حكاية الحال كما تقّدم ذلك فى قوله تعالى "وكلبهُم باسطٌ ذِراعَيه بالوصَيد"[١]

ويقول أبو حيان [٢] : "وحكم هذه الأمثلة عند من يرى إعمالها حكم اسم الفاعل أحكاماً وشروطاً واتفاقاً واختلافاً إلا ما ذهب إليه ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنه يجوز أعمالها ماضية وإن عربت من "أل" وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من "أل" إذا كان ماضياً "

ويقول الشيخ السجاعى [illegible] [٣] فى حاشيه على ابن عقيل : قوله "ما له من عمل" أى : بالشروط المذكورة فى اسم الفاعل فى تعمل بمعنى الماضى دون "أل" خلافا لابنى طاهر وخروف ولا غير معتمدة على شىء مما تقدم خلافاً للكوفيين .

ويقول الشيخ يس فى حاشيته [٤] على الفاكهى : "قوله "على جواز إعمالها " أى : بالشروط المذكورة فلا تعمل بمعنى الماضى بدون "أل" وزعم ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنها كلها تعمل ولو بمعنى الماضى مجردة من "أل" لقوتها بالمبالغة ، ولأن السماع ورد بذلك ، وجرى على ذلك الرضى . وهو مردود لأن دلالتها على المبالغة مبعدة لها من شبه الفعل وما أوهمه السماع محمول على حكاية

---

(١) الكهف /١٨ .

(٢) انظر ارتضاف الضرب ١٩٤/٣ .

(٣) انظر حاشية السجاعى على ابن عقيل ص ١٥٩ .

(٤) انظر حاشية يس على الفاكهى ٢٠٠/١ .

الحال " ويقول الشيخ خالد :[١] فيعملن عمله بشروطه المتقدمة والى ذلك يشير الناظم بقوله :

فيستحق ماله من عمل

ويقول الشيخ يس [٢] قوله "بشروطه" قال اللقانى : قال الرضى : "لا يشترط فيه كونهن للحال أو الاستقبال واستشهد بالأبيات المثبته للعمل . وأقول : قال المصنف فى الحواشى : زعم ابن طاهر وتلميذه ابن خروف أنها كلها تعمل ولو بمعنى الماضى مجردة من "أل" لقوتها بالمبالغة ولآن السماع ورد بذلك كقوله :

بكيت أخا اللأواء يحمد يومه [٣]

ألا ترى أنه يرثيه وأجيب بأنه على حكاية الحال.

ويقول الشيخ الرضى : [٤] "وعند الكوفيين لا يعمل شىء من أبنية المبالغة لفوات الصيغة التى بها شابه اسم الفاعل الفعل وأن جاء بعدها منصوب فهو عندهم بفعل مقدر .

وقال البصريون : إنما تعمل مع فوات الشبه اللفظى لجبر المبالغة فى المعنى ذلك النقصان ، وأيضاً فإنها فروع لاسم الفاعل المشابه للفعل فلا تقصر عن الصفة المشبهة فى مشابهة اسم الفاعل ومن ثمة لم يشترط فيها معنى الحال والاستقبال كم لم يشترط ذلك فى الصفة المشبهة . وقال ابن بابشاذ لا تعمل بمعنى الماضى كاسم الفاعل والأبيات المنشدة ظاهرة فى كونها للإطلاق المفيد للاستمرار "

---

(١) انظر التصريح ٦٨/٢ .

(٢) انظر يس ٦٨/٢ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٨ .

(٤) انظر شرح الكافية للرضى ٢٠٢/٢ .

فهذا النص دل على أن الرضى أجاز إعمال صيغ المبالغة وإن كانت بمعنى الماضى . ويقول الإمام السيوطى فى الهمع [1] وذهب ابن طاهر وابن خروف إلى جواز إعمالها ماضيه وإن عربت من "أل" وإن لم يقولا بذلك فى اسم الفاعل لما فيها من المبالغة ولم احتج إلى ذكره لأنه رأى محكى فى اسم الفاعل فدخل فى التشبيه "

ويقول ابن مالك :

وما سوى المفرد مثله جعل   فى الحكم والشروط حيثما عمل.

أى : أن غير المفرد من اسم الفاعل وأمثلة المبالغة مثل المفرد فى العمل والشروط المتقدمة ولا فرق بين أن يكون الجمع جمع مذكر سالما ، أو جمع مؤنث أو جمع تكسير .



[1] انظر الهمع ٩٧/٢ .

المبحث الخامس

صيغ المبالغة فى القرآن الكريم

نقِل عن الشيخ برهان الدين الرشيدى أن صفات الله التى هى صيغة المبالغة كغفار ورحيم وغفور ومنّان وكلّها مجاز ، إذ هى موضوعة للمبالغة ، ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة هى : أن ثبت للشىء أكثر مما له ، وصفات الله تعالى متناهية فى الكمال ولا يمكن المبالغة فيها ، والمبالغة أيضاً تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله تعالى منزّهه عن ذلك . وذكر هذا الشيخ ابن الحسن السبكى فاستحسنه وقال : إنه صحيح إذا قلنا إنها صفات . فإن قلنا : أعلام زال ذلك [١]

قلت : أى : الإمام الزركشى [٢] والتحقيق أن صيغ المبالغة على قسمين :

أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل ، والثانى : بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادةٍ إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين . وعلى هذا التقسيم يجب تنزيل أسماء الله تعالى التى وردت على صيغة المبالغة كالرحمن والغفور والتواب ونحوها ، ولا يبقى إشكال حينئذ ، لهذا قال بعض المفسرين فى حكم معنى المبالغة فيه تكرار حِكَمهِ بالنسبة إلى الشرائع .

---

[١] انظر البرهان ٢/٥٠٧ .

[٢] انظر البرهان ٢/٥٠٧ .

وقال الزمخشرى [١] فى سورة [٢] الحجــرات : المبالغــة فــى "التواب" للدلالة على كثرة من يتوب إليه من عباده أو لأنه مــا مــن ذنب يقترفه المقترف إلا كان معفوا عنه بالتوبه ، أو لأنه بليــغ فــى قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمــه . وقــد أورد بعض الفضلاء سؤالا فى قوله تعالى " والله علــى كــل شــىء قدير" [٣] وهو أن "قديرا" من صيغ المبالغة يستلزم الزيادة على معنــى "قادر" والزيادة على معنى "قادر" محال ، إذ الاتحاد من واحد لا يمكــن فيه التفاضل ، باعتبار كل فرد .

وأجيب عنه بأن المبالغة لما لم يقدر حملها علــى كــل فــرد وجــب صرفها إلى مجموع الأفراد التى دل السياق عليــها ، والمبالغــة إذن بالنسبة إلى تكثير التعلق لا بالنسبة إلى تكثير الوصف . وكذلك قولــه تعالى "والله بكلِّ شىءٍ عَليم" [٤] يستحيل عــود المبالغــة إلــى نفــس الوصف ، إذ لعلم بالشىء لا يصح التفــاوت فيــه ، فيجــب صــرف المبالغة فيه إلى المتعلق ، إما لعموم كل أفــراده ، وإمــا لأن يكــون المراد الشىء ولواحقه ، فيكون من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

وسئل أبو على الفارسى : هل تدخل المبالغة فى صفــات الله تعــالى فيقال :"علامة" ؟ فأجاب بالمنع ، لأن الله تعالى ذم مــن نســب إليــه الإناث لما فيه من النقص ، فلا يجوز إطلاق اللفظ المشعر بذلك .

---

[١] نظر الكشاف ٥٦٩/٣ .

[٢] الحجرات /١٢ .

[٣] البقرة /٢٨٤ .

[٤] البقرة /٢٨٢ .

حكاه الجرجانى فى شـــرح الإيضاح .[١]

ويقول الإمام السيوطى فى [٢] الإتقان : "ذكر البرهان الرشـــيدى : أن صفات الله التى على صيغة المبالغة كلها مجاز ، لأنـــها موضوعــة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشىء أكثر ممــا لــه وصفات الله تعالى متناهية فى الكمال لا يمكن المبالغة فيها . وأيضــاً فالمبالغة تكون فى صفات تقبل الزيـــادة والنقصـــان ، وصفـــات الله منزهة عن ذلك ، واستحسنه الشيخ تقى الدين السّبكىّ .

وقال الزركشى فى البرهان [٣] : التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان : أحدهما : ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيـــادة الفعــل . والثـــانى : بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعدّدها لا يوجب للفعـــل زيـــادة إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هـــذا القســم تـــنزّل صفاته تعالى ويرتفع الإشكال ، ولهذا قال بعضهم فى "حكيــم" معنـــى المبالغة فيه تكرار حكمة بالنسبة إلى الشرائع .

وقال فى الكشاف [٤] : المبالغة فى "التّوّاب" للدلالة على كـــثرة مَـــنْ يتوب عليه عباده أو لأنه بليغ فى قبول التوبة نُزّل صاحبـــها منزلـــة من لم يذنب قط ، لسعة كرمه وقد أورد بعض الفضلاء ســؤالاً علـــى قوله تعالى " واللّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ " [٥] وهـــو أن "قديـــراً " مـــن صيغ المبالغة ، فيستلزم الزيادة على معنى قادر " والزيادة على معنى "قادر" محال ، إذا الإيجار من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كـــلّ

---

[١] انظر البرهان ٢/٥٠٨ .

[٢] انظر الاتقان فى علوم القرآن ٣/٢٥٤ .

[٣] انظر البرهان ٢/٥٠٧ .

[٤] انظر الكشاف ٣/٥٦٩ .

[٥] البقرة / ٢٨٤ .

فرد فرد وأجيب بأن المبالغة لما تعذّر حملها على كلّ فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التى دل السيّاق عليها ، فهى بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف .[١] وفى حاشية [٢] الصبان : " ذكر بعضهم : أن صفات الله التى هى صيغة المبالغة مجاز لأن المبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك . وفى الكشاف [٣] : المبالغة فى التّواب على كثرة من يتوب عليه . والجهمور على أن الرحمن أبلغ من الرحيم قال السهيلى : لأنه على صيغة التثنية والتثنية تضعيف فكأن البناء تضاعفت فيه الصفة . وابن الأنبارى على أن الرحيم أإلغ لأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد وذهب قطرب : إلى أنهما سواء أ هـ "بحروفه" وفى الاتقان [٤]: الأكثر على أن " فُعْلان" أبلغ من "فعيل" ومن ثمّ قيل : "الرحمن" أبلغ من "الرحيم" ونصره السهيلىّ بأنه ورد على صيغة التثنية والتثنية تضعيف ، فكأنّ البناء تضاعفت فيه الصّفة . وذهب ابن الأنبارى إلى أن "الرحيم" أبلغ من " الرحمن" ورجحّة ابن عساكر بتقديم "الرحمن" عليه ، وبأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية . وذهب قطرب إلى أنهما سواء .

وفى البرهان [٥] للزركشى : "أما فعلان " فهو أبلغ من "فعيل" ومن ثمّ قيل : الرحمن أبلغ من الرحيم " وإن كانت صيغة "فعيل" – من جهة أن فعلان "من أبنية المبالغة ، كغضبان للمتلىء غضبا ، ولهذا

---

[١] انظر الاتقان ٢٥٤/٣ .

[٢] انظر الصبان ٢٩٧/٢ .

[٣] انظر الكشاف ٥٦٩/٣ .

[٤] انظر الاتقان ٢٥٣/٣ ، ٢٥٤ .

[٥] انظر البرهان ٥٠٢/٢ – ٥٠٦ بتصرف .

لا يجوز التسمية به وحكاه الزجاج فى تأليفه المفرد على البسملة وما ذكِرَ من أن "الرحمن" أبلغ ذهب إليه أبو عبيد والزمخشرى [١] وغيرها ، وحكاه ابن عساكر فى "التكميل والإفهام " عن الأكثرين .وفى كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق عليه . ونصره السهيلى بأنّه ورد على لفظ التثنية والتثنية تضعيف . وكأن البناء تضاعفت فيه الصفة .

وقال قطرب : المعنى فيهما واحد ، وإنما جمع بينهما فى الآية للتوكيد ، وكذلك قال ابن فورك : قال : وليس قول من زعم أن "رحيما" أبلغ من "رحمن" بجيّد إذ لا فرق بينهما فى المبالغة . ولو قيل "فَعلان" أشد مبالغة كان أولى ، ولهذا خصّ بالله فلا يوصف به غيره ؛ ولذاك قال بعض التابعين : الرحمن اسم ممنوع ، وأراد به مَنْع الخلق أن يتسموا به ، ولا وجه لهذا الكلام إلا التوكيد واتباع الأول ما هو فى معنى الثانى .

وقال ابن عباس : هما اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر . وعن الخطابىّ استشكالُ هذا ، وقال / لعله أرفق كما جاء فى الحديث : "إن الله رفيق يحب الرّفق فى الأمر كله " وقال ابن الأنبارى فى الزاهر : الرحيم أبلغ من الرحمن ورجحّة ابن عساكر بوجوه :

منها : أن الرحمن جاء متقدماً على الرحيم ، ولو كان أبلغ منه لكان متأخراً عنه ، لأنهم فى كلامهم إنما يخرجون من الأدنى إلى الأعلى ، فيقولون : فقيه عالم ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ، ولا يعكسون هذا لفساد المعنى .

---

[١] انظر الكشاف ٤١/١ .

لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثانى داخلا تحته ، فلم يكـن لذكـره معنى .هذا وقد ذكره الزمخشرى وأجاب عنه من باب الإرداف وأنـه أردف الرحمن الذى يتناول جلائل النعم وأصولها بـالرحيم / ليكـون كالتتمة والرديف ليتناول ما رق منه ولطف [١] . وقد ضعف لا سـيما إذا قلنا : إن الرحمن علم لا صفه وهو قول الأعلم وابن مالك وأجـاب الواحدى فى "البسيط" بأنه لما كان الرحمن كالعلم إذ لا يوصف بـه إلا الله – قدم ، لأن حكم الأعلام وغيرها من المعارف أن يبدأ بها ، ثـم لا يتبع الأنكر ، وما كان من التعريف أنقص .

قال : وهذا مذهب سيبويه وغيره من النحويين ، فجـاء هـذا علـى منهاج كلام العرب .

وأجاب الجوينى بأن الرحمن للخلق والرحيم لهم بـالزرق ، والخلـق قبل الرزق .

ومنها : أن أسماء الله تعالى إنما يقصد بها المبالغـة فـى حقـه ، والنهاية فى صفاته ، وأكثر صفاته سبحانه جارية على "فعيل" كرحيـم ، وقدير ، وعليم ، وحكيم ، وحليم ، وكريم ولم يأت على "فعـلان " إلا قليل . ولو كان "فعلان" أبلغ لكان صفات البارى تعالى عليه أكثر .

قلت : أى الزركشى :[٢] وجواب هذا أن ورود " فعلان" بصيغة التكثير كان فى عدم تكرار الوصف به ، بخلاف "فعيل" فإنه لما لم يرق فـى الكثرة رقته كثر فى مجىء الوصف ومنها : أنه إن كانت المبالغة فـى "فعلان" من جهة موافقة لفظ التثنية – كما زعم السهيلى – ففعيل مـن أبنية جمع الكسرة كعبيد وكليب ، ولا شك أن الجمع أكثر من التثنيـة

---

(١) انظر الكشاف ٤٥/١ .

(٢) انظر البرهان ٥٠٦/٢ .

هذا أحسنها . قال :وقول قطرب "أنهما بمعنى واحد " فاسد لأنه لو كان كذلك لتساويا فى التقديم والتأخير ، وهو ممتنع .

ويقول أبو اسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) فى معانى القرآن (ت ٣١١) " وقوله عز وجل "الرحمن الرحيم" هذه الصفات لله عزّ وجلّ ، معناه فيما ذكر أبو عبيده : ذو الرحمة ولا يجوز أن يُقال : "الرّحْمنُ " إلا لله ، وإن كان ذلك لأن بناء فَعْلان "من أبنية ما يبالغ فى وصْفِه ، ألا ترى أنك إذا قلت : غضْبان فمعناه : المُمْتلئ غَضبا فرحْمانُ الذى وسعت رْحمَتُهُ كل شىء فلا يجُوزُ أن يقال لغير الله رحمان "[1]

وقد لخص السمين الحلبى فى الدر المصون [2] هذا الخلاف أى فى أيهما أبلغ من الآخر فقال "منهم من قال : الرحمن أبلغ ولذلك لا يطلق على غير البارى تعالى ، واختاره الزمخشرى وجعله من باب غضبان وسكران للمتلئ غضباً وسكراً ، ولذلك يقال : رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة فقط ، قال الزمخشرى : "فكان القياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى كما يقال : شجاع باسل ، ولا يقال : باسل شجاع . "ثم أجاب بأنه أردف الرحمن الذى يتناول جلائل النعم ، وأصولها بالرحيم ليكون كالتتمة والرديف ، ليتناول مادق منها ولطف.

ومنهم : من عكس فجعل الرحيم أبلغ ، ويؤيده رواية من قال : "رحيم الدنيا ورحمن الآخرة " لأنه فى الدنيا يرحم المؤمن والكافر ، وفى الآخرة لا يرحم إلا المؤمن لكن الصحيح أن الرحمن أبلغ ، وأما هذه الرواية فليس فيها دليل بل هى دالة على أن الرحمن أبلغ ،

---

[1] انظر معانى القرآن للزجاج ٤٣/١ .

[2] انظر الدر المصون ٦١/١ .

وذلك لأن القيامة فيها الرحمة أكثر بأضعاف وأثرها فيها أظهر على ما يروى أنه خبأ لعبادة تسعا وتسعين رحمة ليوم القيامة .

والظاهر أن جهة المبالغة فيهما مختلفة ، فمبالغة "فعلان" من حيث الإمتلاء والغلبة ومبالغة "فعيل" من حيث التكرار والوقوع بمحال الرحمة .

وقال أبو عبيدة : " وبناء فعلان ليس كبناء فعيل " فإن بناء فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل نحو : رجل غضبان للمتلئ غضبا ، وفعيل يكون بمعنى الفاعل والمفعول قال :

فأما إذا عضت بك الحرب عضة   فإنك معطوف عليك رحيم [1]

فالرحمن خاص الاسم عام الفعل . والرحيم عام الاسم خاص الفعل ، ولذلك لا يتعدى فعلان ويتعدى فعيل " حكى ابن سيده : "زيد حفيظ علمك وعلم غيرك . "

وبعد هذا التفصيل لهذه الآراء التى اختلفت حول "الرحمن الرحيم " أيهما أبلغ من الآخر أرى موافقة الرأى القائل بأن المبالغة فيهما مختلفة وأن مبالغة "فعلان" من حيث الإمتلاء والغلبة ومبالغة "فعيل" من حيث تكرار والوقوع بمجال الرحمة ، وأن "الرحمن" الصحيح أنه أبلغ من "الرحيم" ولهذا لا يجوز التسمية به ، وأنه ورد على لفظ التثنية والتثنية تضعيف وكأن البناء تضاعفت فيه الصفة لأن الأدلة التى استدل بها القائلون بأن رحيمان أبلغ من "الرحمن" رد عليها بما ذكره الزمخشرى فى الكشاف بأنه ذكر "الرحيم" ليكون كالتمة

---

[1] من الطويل – لعملى بن عقيل . وانظر الحماسة ١٥٨/٢ اللسان – رحم – القرطبى ٧٤/١ الـدر المصون ٦١/١ .

والرديف ليتناول مادق منه ولطف وأن رحمان الـــذى وســعت رحمته كل شىء فلا يجوز أن يقال لغير الله رحمانا .

أما بالنسبة لورود هذه الصيغ فى القرآن الكريم فأكثر الصيغ وقوعـــا فى القرآن الكريم صيغة "فعال " فقدور فى كتاب الله عز وجل :

أفاك . أكالون . أمارة . أواب . للأوابين . لأواه . بنـــاء . التـــواب . التوابين . ثجاجا . جبارين . حلاف . ختار . الخراصون . الخـــلاق . الخناس خوان . الرزاق . سحار . سماعون . صبـــار . طوافـــون . بظلام . علام . غساق . لغفار . غواص . الفتاح . فعال . القـــهار . قوامون . كفار . لواحة . اللوامه . مشاء . مناع . نزاعة للشـــوى . نضاختان . النفاثات . الوهاب . وهاجا . وسيأتى الحديث إن شاء الله عن الآيات التى وردت فيها هذه الصيغ عند الحديث عن صيغة "فعال" وقد وصف الله تعالى نفسه بعالم وعليم وعلام وهذان للمبالغة ، وقـــد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة فى علآمة " ولا يجوز وصفه بـــه تعالى . والمبالغة بأحد أمرين إما بالنسبة لتكرير وقـــوع الوصـــف ، سواء اتحد متعلقة أم تكثر ، وإما بالنسبة إلى تكثـــير المتعلـــق ، ولا تكثير الوصف ، ومن هذا الثانى المبالغة فى صفات الله تعـــالى ، لأن علمه تعالى واحد لا تكثير فيه [1]وقد كثر فى القرآن الكريـــم توالـــى صيغتين من صيغ المبالغة بعطف وبغير عطف وعلى وزن واحـــد أو على وزنين . فمما جاء على وزن واحد قولـــه تعـــالى " كـــل بنـــاء وغواص [2].

[1] انظر دراسات الأسلوب القرآن للشيخ عضيمة ٣/٧ ؟

[2] ص / ٣٧ .

وقوله تعالى " سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ" وقوله "هَمّازٍ مَشّاءٍ بنميم مَنّاعٍ للخير "[١] وقوله " وكُلّ كَفّارٍ عنيدٍ مَنّاعٍ لِلخَيْرِ "[٢] وقوله تعالى " ظَلُوماً جَهُولاً "[٣] وقوله " لَعَفُوّ غَفُورٌ "[٤] وقوله " العَلِيمُ والحِكِيمُ "[٥] وقوله " سمِيَعاً بَصيرا "[٦] وقوله " عليماً حكيماً "[٧] وقوله " وهو العلِيّ العَظِيمُ "[٨] وإذا وصُفِ الله تعالى بالعلو فمعناه : أنه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين ، بل علم العارفين .[٩] ومما جاء على وزنين مختلفين قوله تعالى " التّوّاب والرّحيمُ "[١٠] وقوله "كان تَوّاباً رحَيماً " وقوله " جَبّار " عَصِيّاً "[١١] وقوله " جَبّارٍ عنِيد "[١٢] وقوله " خوّاناً أثيماً "[١٣] وقوله تعالى " رَحِيمٌ وَدود "[١٤] وقوله " غَفُورٌ حَلِيم"[١٥] .

---

[١] المائدة / ٤١ .

[٢] القلم / ١١ ، ١٢ .

[٣] ق / ٢٤ ، ٢٥ .

[٤] الأحزاب /٧٢ .

[٥] المجادلة / ٢ .

[٦] البقرة / ٣٢ .

[٧] النساء ٥٨ .

[٨] النساء / ١١ .

[٩] البقرة /٢٥٥ .

[١٠] انظر البحر ٢/٢٨٠ .

[١١] البقرة /١٢٨ .

[١٢] النساء / ١٦ .

[١٣] مريم / ١٤ .

[١٤] هود / ٥٩ .

[١٥] النساء /١٠٧ .

وأكثر ما جاء فى القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة .[١]

وإليك الحديث عن ورود صيغ المبالغة فى القرآن الكريم تفضيلا وما يتعلق بها من أقوال العلماء .

ما جاء على فعَّال

وأما فعال ، فنحو : غفار ، ومنان وثواب ، ووهاب قال تعالى " فعَّال لما يريد " [٢] وقال " علام الغيوب " [٣] وقال " لكل صبار شكور " [٤] وقال "نزاعة للشوى " [٥]

ومن المشكل قوله تعالى " وما ربك بظلام لعبيد "[٦] وتقريره أنه لا يلزم من نفى الظلم بصيغة المبالغة نفى أصل الظلم ، والواقع نفيه ، قال تعالى : "إن الله لا يظلم الناس شيئا " [٧] وقال : "إن الله لا يظلم مثقال ذرة " [٨]

وقد أجيب عنه بأحد عشر وجها :[٩]

أحدها : أن "ظلاما" وإن كان يراد به الكثرة لكنه جاء فى مقابلة العبيد وهو جمع كثرة إذا قوبل بهم الظلم كان كثيرا . ويرشح هذا الجواب أنه سبحانه قال فى موضع آخر : "علام الغيوب " فقابل صيغة "فعَّال"

---

[١] هود :٩ .
[٢] البقرة : ٢٥٥ .
[٣] انظر دراسات ٤/٧ .
[٤] البروج /٢٦ .
[٥] المائدة /٥ .
[٦] فصلت / ٤٦ .
[٧] يونس / ٤٤ ,
[٨] النساء / ٤٠ .
[٩] انظر البرهان ٢/٥١١، ٥١٣ القرطبى ٢٤١/١٥ .

بالجمع ــ وقال فى موضع آخر : "عَالِمُ الغَيْبِ " فقابل صيغة "فاعل" الدالة على أصل الفعل بالواحد .

الثانى : أنه نفى الظلم الكثير ، فينتفى القليل ضرورة ، لأن الذى يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الكثير مع زيادة ظلمه فى حق من يجوز عليه النفع كان الظلم القليل فى المنفعة أكثر .

الثالث : أنه على النسب واختاره ابن مالك وحكاه فى شرح الكافية عن المحققين أى : ذى ظلم كما قال أمرؤ القيس :

وَلَيْسَ بذى رُمْح فيطعننى به   ولَيْسَ بَذى سيفٍ ولبس بنبّالِ .[1]

أى : بذى نبل . أى لا ينسب إلى الظلم فيكون من باب بّزاز وعطار .

الرابع : أن فَعّالا قد جاء غير مراد به الكثرة كقول طرفه :

ولستُ بجلاّلِ التّلاع مخافة   ولكِنْ مَتى يَستَرفد القومُ أرْفِدِ . [2]

لا يريد أنّه يحل التلاع قليلاً ، لأن ذلك يدفعه قوله : "يسترفد القوم أرفد " هذا يدل على نفى الحال فى كل حال ، لأن تمام المدح لا يحصل بإيراد الكثرة .

الخامس : أن أقل القليل لوورد منه سبحانه – وقد جلّ عنه – لكان كثيراً ، لاستغنائه عنه كما يقال :" زلة العالم كبيرة " ذكره الحريرى فى الدرّة قال : وإليه أشار المخزومى فى قوله :

كفوفه الظفر تَخفى من حقارتها

---

(١) من الطويل – والشاهد فيه بنبال " حيث وردت صيغة "فعال" والمراد منها والنسب انظر شواهد المغنى ٣٤١/١ شرح المفصل ١٤/٦ الكتاب ٣٨٣/٢ لسان العرب – نبل – أوضح المسالك ٣٣٩/٤ شرح الأشمونى ٧٤٥/٣ مغنى اللبيب ١١١/١ المقتضب ١٦٢/٣ المعجم المفصل ٧٣٨/٢ .

(٢) من الطويل والشاهد كما فى الشرح انظر الكتاب ٧٨/٣ خزانة الأدب ٦٦/٩ مغنى اللبيب ٦٠٦/٢ شذور الذهب ص ٤٣٥ البرهان ٥١٢/٢ المعجم المفصل ٢٦٤/١ .

. ومثلها فى سواد العين مَشْهودُ [١]

السادس : أن نفى المجموع يَصْدق بنفى واحد ، ويصدق بنفى كل واحد ، ويعيّن الثانى فى الآية للدليل الخارجى ، وهو قوله : " إنّ اللّه لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَةٍ " [٢]

السابع : أنه أراد :ليس بظالم ,ليس بظالم ، ليس بظالم "فجعل فى مقابلة ذلك " وما رَبّك بَظلّام "

الثامن : أنه جواب لمن قال : ظلّام ، والتكرار إذا ورد جوابا بالكلام خاص لم يكن له مفهوم كما إذا خرج مخرج الغالب .

التاسع : أنه قال : "بظلّام " لأنه قد يُظن أن مَنْ يعَذب غيره عذابا شديداً ظلّام قبل الفحص عن جرم الذنب .

العاشر : أنه لما كان صفات الله تعالى صيغة المبالغة فيها وغير المبالغة سواء فى الاثبات جرى النفى على ذلك .

الحادى عشر : أنه قصد التعريض بأن ثمة ظلّاما للعبيد من ولاة الجوْر .

وكذلك فى قوله تعالى " وأنّ اللّه ليْسَ بظلّام لِعَبيد " [٣] فى العكبرى[٤]: فإن قيل : بناء فعّال " للتكثير : ولا يلزم من نفى الظلم الكثير نفى الظلم القليل ، فلو قال : بظالم . لكان أدل على نفى الظلم قليلة وكثيرة فالجواب عنه من ثلاثة أوجه .

أحدها : أن "فعالا" قد لا يراد منه الكثرة ، كقول طرفه :

---

[١] من البسيط وانظر درة الغواص ص ٢٤ البرهان ٥١٢/٢ .

[٢] النساء / ٤٠ .

[٣] العمران /١٨٢ .

[٤] انظر العكبرى ٩٠/١ دراسات ٥/٧ الدر المصون ٢٧٤/٢ القرطبى ٢٤/١٥ .

ولستُ بحلال التلاع مخافة   ولكن متّى يسترفِدِ القومُ أرْفدِرِ

لا يريد هنا أنه قد يحل التلاع قليلا ، لأن ذلك يدفعــة قولــه ، متــى يستفرد القوم أرفد وهذا يدل على نفى البخل فى كل حال ، ولأن تمــام المدح لا يحصل بإرادة الكثرة .

والثانى : أن ظلاما هنا للكثرة لأنه مقابل للعباد ، وفى العباد كــثرة ، وإذا قوبل بهم الظلم كان كثيراً .

الثالث : أنه إذا نفى الظلم الكثير انتفى الظلم القليــل ضــرورة ، لأن الذى يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم ، فإذا ترك الظلم الكثــير ، مــع زيادة نفعه فى حق من يجوز عليه النفع والضرر كان للظلــم القليــل المنفعة أترك .

وفيه وجه رابع ، وهو أن يكون على النسب . وزاد صاحب الــدر [1] وزاد صاحب الدر المصون وجها .

خامساً : قال : "قال القاضى أبو بكر : "العذاب الذى تَوَعّد أن يفعلـــه بهم لو كان ظلما لكان عظيماً فنفاه على حَدّ عظمته لو كان ثابتا .

ومما ورد على صيغة فعّال قوله تعالى " وَلاَ تِطِعْ كُلّ حَلاّفٍ مِــهِينٍ . هَمّازٍ مَشّاءٍ بنَميم . مَنّاعٍ للْخَيرِ مُعْتَدٍ أثِيم " [2] فقوله تعــالى "حَــلاّف أى : كثير الحلف بالباطل " ومهين " ضعيف القلب ، مكثــار للشــر ، وهمّاز : مغتاب للناس " مشاء بنميم" ينقل الأحاديث من بعض إلـــى بعض أى : يمشى بالنميمة بين الناس " [3]

---

(١) انظر الدر المصمون ٢/٢٧٤ .

(٢) القلم / ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٣) انظر مختصر الطبرى ص ٦٤٨ .

وقال السمين الحلبى : [١] الهماز : مثال مبالغة من الهمز وهو فى اللغة : الضرب طعنا والمشاء : مثال مبالغة من المشى أى : كثير السعاية بين الناس .

ومما ورد على صيغة "فعّال" قوله تعالى " سمّاعون للكذب أكالون للسحت " [٢]

قال السمين [٣] الحلبى : قوله "سماعون " مثال مبالغة . ومثله قوله تعالى " إن إبراهيم لأواة حليم " [٤] الأواة : الذى يكثر التأوه وهو الأن يقول : أوه وكل كلام يدل على حزن يقال له : التأوه ، ويعبر بالأواه عمن يظهر خشية الله تعالى . وقال الزجاج : [٥] : الأواه : الدعاء ، ويروى أن الأواه الفقيه .

وفى الدر المصون :[٦] الأواه : الكثير التأوه وهو من يقول : أواه وقيل : من يقول : أواه وهو أنسب ، لأن "أواه " بمعنى : أتوجع ، فـ " الأواه" فعال مثال مبالغة من ذلك ، وقياس فعله أن يكون ثلاثيا ، لأن أمثلة المبالغة إنما تطرد فى الثلاثى وقال الزمخشرى : "أواه " فعال من : أوه كـ " لآل " من اللؤلؤ " وهو الذى يكثر التأوه .

ومثله قوله تعالى " إن الله يحب التوابين" [٧] التواب : العبد الكثير التوبة ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب . ويقال لله ذلك لكثرة

---

[١] انظر الدر المصون ٣٥٢/٦ والقرطبى ١٥١/١٨ والكشاف ١٤٢/٤ والفتوحات ٣٨٣/٤ .

[٢] المائدة / ٤٢ .

[٣] انظر الدر المصون ٥٢٦/٢ .

[٤] التوبة / ١١٤ .

[٥] انظر معانى الزجاج ٥٢٥/٢ .

[٦] انظر الدر المصون ٥٠٨/٣ .

[٧] البقرة / ٢٢٢ .

قبوله توبة العباد حالاً [١] بعد حال ومنه قوله تعالى " وأنزَلْنَا مِنَ المعْصِرات مَاءً ثَجَاجاً " [٢] ثج الماء : انصب بكثرة وقيل : أى : سيالاً .[٣] وقوله تعالى " لا يَذُوقُون فِيهَا بَرداً ولا شراباً إلاَّ حَميماً وغَسَاقاً " [٤] الغساق : ما يقطر من جلود أهل النار . وقوله تعالى " وجَعلْنا سِراجاً وهّاجاً "

الوهج : حصول الضوء والحر من النار " سراجاً وهاجاً " أى : مضياً . وقيل : أى : وقاداً يعنى الشمس . [٥]

ومن الصيغ التى وردت على صيغة "فعّال" قوله تعالى " إنّكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيُوبِ "

" علام الغيوب " إشارة إلى أنه لا تخفى عليه خافية وقال السمين [٦] "وعَلاّم " مثالُ مبالغة فهو ناصب لما بعده تقديراً .

ومثله قوله تعالى " يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَيّارةِ "[٧] السيارة : جمع سيار وهو الكثير السير فى الأرض .

وقال صاحب [٨] الدر : "والسيّارة " جمع سَيّارة ، وهو مثال مبالغة والالتقاط تناول الشيء المطروح ومنه اللقطة واللّقيط . ومنه قوله

---

[١] مختصر الطبرى ص ٣٨ .

[٢] النبأ / ١٤ .

[٣] انظر الكشاف ٦٨٦/٤ .

[٤] مختصر الطبرى ص ٦٧٤ .

[٥] المائدة / ١٠٩ .

[٦] انظر الدر ٦٤٤/٢ .

[٧] يوسف / ١٠ .

[٨] انظر الدر ١٥٨/٤ .

تعالى " إنّ فى ذَلِكَ لآيَه لِكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ " [١] الصبور : القادر على الصبر ، والصبار يقال : إذا كان فيه ضرب من التكلف والمجاهد وفى البحر: [٢] صَبّار وشكور صيغتا مبالغة . ومنه قوله تعالى "والشّياطِينَ كُلّ بَنّاءٍ وغَوّاص " [٣] الغوص : الدخول تحت الماء ، وإخراج شىء منه . والغواص : الذى يكثر منه ذلك .[٤]

ومنه قوله تعالى " ومن شَرّ النّفاثَاتِ فى العُقَدِ " [٥] النفث : قذف الريق القليل ، وهو أقل من التفل . وقال السمين [٦] الحلبى : "النفاثات" جمع نفاثة مثال مبالغة من نفث أى : نفخ ، واختلف فيه فقال أبو الفضل : شبه النفخ من الفم فى الرقية ، ولا شىء معه فإذا كان بريق فهو التفل .

ومنه قوله تعالى " من شَرّ الوَسْوَاس الخَنّاس [٧] أى : الشيطان الذى يخنس أى : ينقبض إذا ذكر الله تعالى . وقال صاحب الدر : [٨] الخناس " أى : الرّجاع لأنه إذا ذكر الله خنس وهو مثال مبالغة من الخنوس . إلى غير ذلك من الآيات التى وردت على صيغة فَعّال "

---

[١] إبراهيم /٥ .

[٢] انظر البحر ٤٠٦/٥ .

[٣] ص / ٣٧ .

[٤] انظر مختصر الطبرى ص ٥١٦ .

[٥] الفلق / ٤ .

[٦] انظر الدر ٥٩٢/٦ .

[٧] الناس / ٤ .

[٨] انظر الدر ٥٩٣/٦ .

وأما : فعال " بضم الفاء وفتح العين بالتخفيف والتشديد نحـو : عجاب وكبار قال تعالى "إن هذا لشيء عجاب " [١] وقـال " ومكـروا مكرا كبارا " [٢] قال المعرى فى اللامع العزيزى [٣] : "فعيل" إذا أريـد به المبالغة نقل إلى "فعال" وإذا أريد به الزيادة شددوا فقالوا : "فعال " ذلك من عجيب وعجاب وعجاب ، وقرأ أبو عبد الرحمـن السـلمى : "إن هذا لشيء عجاب " بالتشديد ، وقالوا : طويل وطوال وطوال . ويقال : نسب قريب وقراب ، وهو أبلغ ، قال الحارث بن ظالم :

وكنت إذا رأيت بنى لؤى عرفت الود والنسب القرابا . [٤]

وفى قوله تعالى " مكروا مكرا كبارا " [٥] فى المفردات : الكبار أبلـغ من الكبير والكبار أبلغ من ذلك . وفى الكشاف : [٦] الكبار أبلغ مـن الكبير ، والكبار : أكبر من الكبار

ونحوه : طوال وطوال . وفى البحر : [٧] قرأ الجمهور" كبارا " وهـو بناء فيه مبالغة كثير ، قال عيسى بن عمر : هى لغة يمانية ، وعليها قول الشاعر :

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكرام وليس بالوُضّاء .

---

[١] ص / ٥ .
[٢] نوح / ٢٢.
[٣] انظر البرهان ٥١٣/٢ .
[٤] من الوافر وانظر البرهان ٥١٤/٢ .
[٥] نوح / ٢٢ .
[٦] انظر الكشاف ٦١٩/٤ .
[٧] انظر البحر ٣٤١/٨ .

وقال صاحب الدر المصون .[١] : قوله "كُبّاراً " العامة على ضم الكاف وتشديد الباء وهو بناء مبالغة أبلغ من "كُبَار" بالضم والتخفيف قال عيسى : وهى لغة يمانية أنشد :

والمرءُ يُلحِقُهُ بفتيان النّدىَ　　خُلقُ الْكَريم وَلَيْسَ بالوُضّاءِ .[٢]

وقال آخر :

بَيْضاء تَصْطادُ الْقُلوبَ وتُسْتَبى بالْحُسْنِ قلبَ الْمسلم الْقُرّاءِ .[٣]

ويقال : رجل طوّال وحمّال وحُسّان ، وقرأ عيسى وأبو السمّال وابن محيض بالضم والتخفيف وهو بناء مبالغة أيضاً دون الأول ، وقرأ زيد بن على وابن محيصن أيضاً بكسر الكاف وتخفيف الباء قال أبو بكر : هو جمع كبير كأنه مكرا " مكان ذنوب أو أفاعيل يعنى فلذلك جعل وصفه بالجمع .[٤]

وقال السمين [٥] الحلبى فى قوله تعالى " إنّ هَذَا لَشَىءٍ عُجَابٌ " [٦] قوله "عُجَابٌ " مبالغة فى عجيب كقولهم : رجل طوَال وأمرٌ سُراع فهما أبلغ من طويل وسريع . وعلى السلمى وعيسى وابن مقسم " عُجّاب " بتشديد الجيم وهى أبلغ مما قبلها فهى مثل : رجل كُرِيم " وكُرَام بالتخفيف وكرّام بالتشديد . قال مقاتل وعُجَاب يعنى بالتخفيف لغة أزد شنوءة .

---

[١] انظر الدر المصون ٣٨٥/٦ .

[٢] من الكامل– لأبى صدقه الدبيرى – وأنظر الخصائص ٢٦٦/٣ المحتسب ٢٣٠/٢ القرطبى ١٩٨/١٨ روح المعانى ٩٥/٢٩ البحر ٣٤١/٨ اللسان "وضأ" الدر المصون ٣٨٥/٦ .

[٣] من الكامل – لأبى صدقه الدبيرى . وانظر اللسان "قرأ" والبحر ٣٤١/٨ ، تفسير القرطبى ١٩٨/١٨ روح المعانى ٩٥/٢٩ الدر المصون ٣٨٥/٦ .

[٤] انظر الدر المصون ٣٨٥/٦ .

[٥] انظر الدر المصون ٥٢٥/٥ .

[٦] ص / ٥ .

وهذه القراءة أعنى بالتشديد كقوله " ومكروا مكــرا كبــارا ،
وهو أبلغ من كبار وكبار أبلغ من كبير .

ما جاء على فعُول

وأما فعول ، كغفور ، وشكور / وودود فمنه قوله تعالى "إن الإنســان لظوم كفار [١]

وقوله تعالى فى نوح : إنه كان عبدا شكورا . [٢]

ويقول الزركشى فى [٣] البرهان : "وقد أطربنى قوله تعالى " وقليــل من عبادى الشكور " [٤] فقلت: الحمد لله الذى ما قال : الشاكر . فـإن قيل : قوله تعالى " إنا هديناه السبيل إما شــاكرا وإمــا كفــورا " [٥] فكيف غاير بين الصفتين وجعل المبالغة من جانب الكفران ؟ قلـــت : هذا سأله الصاحب بن عباد للقاضى عبد الجبار بن أحمد المعتز لـــى فأجاب بأن نعم الله على عباده كثيره، وكل شكر يأتى فـــى مقابلتــها قليل وكل كفر يأتى فى مقابلتها عظيم فجاء شكر بلفظ "فاعل" وجــاء كفور بلفظ "فعول" على وجه المبالغة فتهلل وجه الصاحب .

ومما ورد على على صيغة "فعول " قوله تعالى " قالت أنى يكون لـــى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا " [٦] فـــى الكشــاف [٧] البغــى الفاجرة التى تبغى الرجال ، وهى "فعول" عند المبرد فأدغمت الـــواو فى الياء . وقال ابن جنى فى كتاب "التمام" هى فعيل ، ولـــو كانت

---

[١] ابراهيم / ٣٤ .

[٢] الإسراء / ٣ .

[٣] البرهان ٢/٥١٤ .

[٤] سبا / ١٣ .

[٥] الإنسان / ٣ .

[٦] مريم / ٢٠ .

[٧] انظر الكشاف ٣/١٠ .

فعولا "لقيل : بغو ، كما قيل : فلان ينهو عن المنكـــــر . وفـــى العبكرى :[(١)] لام الكلمة ياء ، يقال بغث تبغـــى ز وفـــى وزنـــه وجهان : أحدهما : هو فعول ... ولذلك لم تلحق تاء التأنيث : كما لـم تلحق فى امرأة صبور وشكور .

والثانى : هو فعيل بمعنى فاعل ، ولم تلحق التاء أيضـــا للمبالغـــة ، وقيل : لم تلحق لأنه على النسب مثل طالق وحائض . وفى البحـــر : [(٢)] وقيل : البغى . بمعنى فعول كعين كحيـــل ، أى : مبغيـــة بطلبـــها أمثالها . وفى الدر المصون: [(٣)] قوله :" بغيا " فى وزنـــــه قـــولان : أحدهما – وهو قول المبرد : أن وزنه فعـــول ، والأصـــل : بغـــوى ، والأصل : بعومى فاجتمعت الياء والواو ففعل فيه ما هو معروف قـــال أبو البقاء : ولذلك لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق فـــــى : صبـــور وشكور . ونقل الزمخشرى عن أبى الفتح : أنها فعيل ، قال : ولـــو كانت فعولا لقبل : بغو كما يقال : نهو عن المنكر ولم يعقبه بنكـــير ، ومن قال : أنها فعيل ، فهل هى بمعنى فاعل ؟ أو بمعنـــى مفعـــول ؟ فإن كانت بمعنى فاعل فينبغى أن تكون بتاء التأنيث نحو امرأة قديـــرة وبصيرة وقد أجيب عن ذلك بأنها بمعنى النسب كحائص "وطـــالق" أى : ذات بغى . وقال أبو البقاء : حين جعلها بمعنى فاعل : ولم تلحـــق التاء أيضا ، لأنها للمبالغة " فجعل العلة فـــى عـــدم اللحـــاق كونـــه للمبالغة . وليس بشىء . وإن قيل : بأن بمعنى مفعول فعـــدم التـــاء واضح .

[(١)] انظر العبكرى ٥٩/٢ .

[(٢)] انظر البحر ١٨١/٦ .

[(٣)] انظر الدر المصون ٤٩٧/٤ .

ومما ورد على صيغة فعول قوله تعالى " إن الله يبشرك بيحيى مُصَدِّقاً بكَلِمةٍ مِنَ اللّه وسيّداً وحَصُوراً " [١] في المفردات : [٢] الحصور : الذى لا يأتى النساء ، إمّا من العنة ، وإما من العفة والاجتهاد فى إزالة الشهوة . والثانى أظهر فى الآية لأنه بذلك يستحق المحمدة وفى الكشاف : [٣] الحصور : الذى لا يقرب النساء ، حصراً لنفسه ، أى : منعاً لها من الشهوات وقيل : هو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر فاستعير لمن لا يدخل فى اللعب واللهو وفى السمين [٤] الحلبى الحصور فعول للمبالغة مَحَوّل من "حاصر" كضروب فى قوله : ضروب بنصل السيف ومما ورد على صيغة فعول قوله تعالى " هُوَ الذِى جَعِل لكُم الأرْضَ ذَلُولاً "[٥] فى المفردات:[٦]

ذلّت الدابة بعد شماس ذلاً ، وهى ذلول ، أى : ليست بصعبة وفى البحر : [٧]

الذلول : فعُول للمبالغة أى : مَذلُولة فهى كركوب وحَلُوب / قاله ابن عطية : وليس بمعنى مفعول لأن فعله قاصر يتعدى بالهمزة وبالتضعيف .

---

(١) العمران /٣٩ .

(٢) انظر مفردات الراغب ص ١٢٨ .

(٣) امظر الكشاف ٢٦٠/١ البحر ٤٤٨/٢ .

(٤) انظر الدر المصون٨٥/٢ .

(٥) الملك /١٥ ,

(٦) انظر المفردات ص ١٨٥ .

(٧) انظر البحر ٣٠٠/٨ .

وقال صاحب الدر : [١] " وذلول" فعول للمبالغة من ذل يذل فهو ذال تقول : دابة ذلول بينه الذل بالكسر ، ورجل ذلول : بين الذل بالضم وقال ابن عطية ذلول فعول بمعنى مفعول أى : مذلولة فهى كركوب وحلوب الشيخ : وليس بمعنى مفعول لأن فعله قاصر وإنما تعدى بالهمزة أو بالتضعيف .

ومما ورد على صيغة فعول قوله تعالى "قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا [٢] فى الكشاف : [٣] زهق الباطل : ذهب وهلك زهوقا " كان مضمحلا غير ثابت فى كل وقت . وفى السمين الحلبى : [٤] والزهق : الذهاب والاضحلال قال :

ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها   إقدامه فى مزالة لم تزهق . [٥]

يقال : زهقت نفسه تزهق زهوقا بالضم ، وأما الزهوق – بالفتح – فمثال

مبالغة كقوله :

ضروب بنصل السيف سوق سمانها [٦]

ومما ورد على صيغة فعول " للمبالغة قوله تعالى " إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا " [٧]

فى المفردات : ورجل فاخر وفخور وفخير على التكثير [٨]

---

[١] انظر الدر المصون ٣٤٥/٦ .

[٢] الإسراء / ٨١ .

[٣] الكشاف ٦٨٩/١ .

[٤] انظر الدر المصون ٤١٥/٤ .

[٥] من الكامل من شواهد البحر ٦٨/٦ والدر ٤١٥/٤ .

[٦] سبق تخريجه ص ٢٧ .

[٧] النساء / ٣٦ .

[٨] انظر المفردات ص ٣٧٦ .

وفى الدر المصون : [١] "والمختال" : التّياه الجهول والمختـال : اسم فاعل من اختال يختال أى : نكبّر وأعجب بنفسه ، وألفه عن يـاء لقولهم : الخيلاء والمخيلة . والفخر : عَدّ مناقب الإنسان ومحاسـنة ، وفخور صيغة مبالغة .

ومثله قوله تعالى " ثُمّ تُوبُوا إلَيـهِ إنّ رَبّـى رَحِيـمٌ ودُودٌ " [٢] فـى الكشاف : [٣] ودود : عظيم الرحمة للتائبين ، فاعل بهم ما يفعل بليـغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال . وقال صـاحب الـدر : [٤] والوَدودُ : بناء مبالغة من ودّ الشئ يـوَدّهُ وداً ووداداً ووَدادة ، أى : أحبّه وآثرهُ ، والمشهور ، وَدِدَ " بكسر العين وسمع الكسـائى : ودَدْتُ والوَدُودُ بمعنى : فاعل أى يَودّ عباده يَرْحَمُـهُم . وقيـل : بمعنـى مَفْعُول / بمعنى : أن عباده يحبونه ويُوَاددن أولياءه . فـهو بمنزلـة المواد مجازاً ومثله قوله تعالى " إنّ الإنْسَانَ لِربّهِ لكَنـوُدٌ " [٥] فـى المفردات : [٦]أى : كفور لنعمته من قولهم :

أرض كنود ، إذا لم تنبت شيئاً " وفـى الكشـاف : [٧] الكنـود : الكفور .

---

[١] انظر الدر المصون ٣٦٢/٢ .

[٢] هود / ٩٠ .

[٣] انظر الكشاف ٤٢٢/٢ .

[٤] انظر الدر المصون ١٢٥/٤ .

[٥] العاديات / ٦ .

[٦] انظر المفردات ص ٤٤٤ .

[٧] انظر الكشاف ٧٨٨/٤ .

وفى السمين الحلبى [١] الكنود والجحود وقيل : الكفور للنعمة وعن ابن عباس : هو بلسان كندة وحضر موت : العاصى ، وبلسان ربيعة ومضر : الكفور ، وبلسان كنانة البخيل .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى وردت فيها كلمات على صيغة فعول للمبالغة نحو قوله تعالى " إن الإنسان خلق هلوعا " [٢] فى الكشاف : [٣] الهلع ، سرعة الجزع عند مس المكروه ، وسرعة المنع عند مس الخير . وقوله تعالى " وإذا مسه الشر كان يئوسا [٤] فى الكشاف : [٥] " شديد البأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة ، قاطعا رجاءه عن سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه والاسترجاع وقوله تعالى " إن الله بالناس لرءوف رحيم " [٦] فى البحر : [٧] الرأفة والرحمة متقاربان فى المعنى . وقيل الرأفة أشد من الرحمة . واسم الفاعل جاء للمبالغة على "فعول" كضروب .

ما جاء على مِفْعال

ومما ورد على صيغة مفعال " قوله تعالى "وأرسلنا السماء عليهم عليهم مدرارا ".[٨] "فى المفردات [٩] المدرار : المغزار وفى البحر :

---

[١] انظر الدر المصون ٥٦٠/٦ .
[٢] المعارج/ ١٩ .
[٣] انظر الكشاف ٦١٢/٤ .
[٤] الإسراء / ٨٣ .
[٥] انظر الكشاف ٣٨١/٢ .
[٦] البقرة / ١٤٣ .
[٧] انظر البحر ٤١٨/٦ .
[٨] الأنعام / ٦ .
[٩] انظر المفردات : ١٧٣ .

(١) المدرار : المتتابع ، يقال : مطر مدرار ، وعطـــاء مــدرار وهو فى المطر أكثر . ومدارار مفعال مــن الــدر للمبالغــة كمذكــار ومقتات ومهذارللكثير ذلك منه . وفى الكشاف : (٢) المدرار : الكثـــير الدور ، مفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال . وفى السمين الحلبى : (٣) ومدرار : مفعـــال ، وهـــو للمبالغة كامرأة مذكار ومئناث ، قالوا : وأصله من در اللبن ، وهـــو كثرة وروده على الحالب .

ومثله قوله تعالى " إن جهنم كانت مرصادا " (٤) فى المفـــردات : (٥) المرصد : موضع الرصد والمرصاد نحوه ، لكن يقال للمكـــان الـــذى اختص بالترصد . وفى البحر : (٦) مرصاد : مفعال من الرصد ترصـــد من حيث حقت عليه كلمة العذاب وقال مقـــاتل : مجلســـا للأعـــداء ، وممرا للأولياء ومفعال للمذكر والمؤنث بغير تاء ، وفيه معنى النسب ، أى : ذات رصد ، وكل ما جاء من الأخبار والصفات علـــى معنـــى النسب فيه التكثير واللزوم .

ومثله قوله تعالى " إن ربك لبالمرصاد " (٧) فى الســـمين الحلبـــى (٨) المرصاد كالمرصد : وهو المكان الذى يترتب فيـــه الرُّصَّـد " جمـــع راصد كحُرّس ، فالمرصاد مِفْعال من رصده كميقات من وقتـــه قالـــه

---

(١) انظر البحر ٦٦/٤ .
(٢) انظر الكشاف ١٦٢/٤ .
(٣) انظر الدر المصون ١٢/٣ .
(٤) النبأ / ٢١ .
(٥) انظر المفردات ص ٢٠٢ .
(٦) انظر البحر ٤١٣/٨ .
(٧) الفجر / ١٤ .
(٨) انظر الدر الصون ٥٢٠/٦ .

الزمخشرى وجوز ابن عطية فى المِرْصَاد : ان يكون اسم فاعل قال : كأنه قيل : لبالمرصاد فعبر ببناء المبالغة .

ما جاء على فُعيل

وأما فَعيل " فعند النحاة من صيغ المبالغة والتكرار ، كرحيم ، وسميع وقدير ، وخبير وحفيظ ، وحكيم ، وحليم ، وعليم ، فإنه محوّل عن "فاعل بالنسبة ، وهو إنما يكون كذلك للفاعل لا للمفعول به ، بدليل قولهم : قتيل وجريح والقتل لا يتفاوت وقد يجئ فى معنى الجمع [١] كقوله تعالى " وحَسُنَ أولَئِكَ رَفيقاً " [٢] وقوله " والملائِكَةُ بَعْدَ ذَلكَ ظَهِير " [٣] وقولة تعالى" وخَلَصُوا نَجيّاً "[٤]وغير ذلك . ومن المشكل :"ومَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياً"[٥] فإن النفى متوجه على الخبر وهو صيغة مبالغة ، ولا يلزم من نفى المبالغة نفى أصل الفعل ، فلا يلزم نفى أصل النسيان وهو كالسؤال الماضى فى " ظلاّم للعبيد" ويجاب عنه بما مضى من الأجوبة ويختص هذا بجواب آخر، وهو مناسبة رءوس الآى قبله [٦].

ومما ورد على صيغة فعيل " قولة تعالى" وهذا البَلَدِ الأمِين " [٧] للمبالغة ، أى : أمن فيه من دخله ، أو من أمن الرجل أمانة فهو

---

[١] انظر البرهان ٢/٥١٠ .

[٢] النساء / ٦٩ .

[٣] التحريم / ٤ .

[٤] يوسف/ ٨٠

[٥] أنظر البرهان ٢/٥١٠

[٦] أنظر البحر ٨/٤٩٠

[٧] البقرة / ١١٩

أمين ، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول لأنه مأمون الغوائـــل.[١]
وفى الدر المصون. [٢] قولة " الأمين هذا فعيل للمبالغة أى : أمن فيـه من دخله ، ومن دخله من إنس وطير وحيوان ، ويجوز أن يكون مـن أمن الرجل – بضم الميم أمانة فهو أمين ، وأمانته حفظه من دخلـه كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول مـن أمنه لأنه مأمون الغوائل.

ومما ورد على صيغة فعيل قوله تعالى " إنا أرسلنك بـالحق بشـيرا ونذيرا [٣] فى البحر : [٤] عدل إلى "فعيل" للمبالغـة لأن "فعيـلا" من صفات السجايا ، والعدل فى "بشير" للمبالغة مقيس عند سـيبويه ، إذا جعلناه من بشر ، لأنهم قالوا بشر مخففا ، وليس مقيسا فـى "نذيـر" لأنه من "أنذر" ، ولعل "محسن" العدل فيه كونه معطوفا على ما يجـوز ذلك فيه ، لأنه قد يسوغ فى الكلمة مع الاجتماع مع ما يقابلها مـا لا يسوغ فيها لو انفردت ويقول صاحب الدر .[٥] وبشير ونذيـر علـى صيغة "فعيل" أما بشير فتقول : هو من بشر مخففا لأنه مسموع فيـه ، وفعيل مطرد من الثلاثى ، وأما "نذير" فمن الربـاعى ، ولا ينقـاس عدل مفعل إلى فعيل ، إلا أن له هنا محسنا .

ومما جاء على صيغة فعيل "فى كتاب الله عز وجل " قولـه تعـالى : "فارند بصيرا " [٦]

---

[١] مريم /٦٤
[٢] التين /٣
[٣] انظر البحر ٤٩٠/٨ .
[٤] انظر الدر المصون ٥٤٣/٦ .
[٥] انظر الدر ٣٥٦/١ .
[٦] يوسف / ٦٩ .

فى الدر المصون :[١] "بصير" من بصر بالشىء ، كظريف من ظرف وقيل : هو مثال مبالغة كـ "عليم" وفيه دلالة على أنه لم يذهب بصره بالكلية . وفى البحر "فعيل" هنا ليس للمبالغة ، إذ فعيل الذى هو للمبالغة هو معدول عن "فاعل" لهذا المعنى ، وأما "بصير" هنا فهو اسم فاعل من بصر بالشىء ، فهو جار على قياس "فعل" كظرف ، ولو كان كما زعم بمعنى مبصر لم يكن للمبالغة لأن " فعيلا " بمعنى مفعل ليس للمبالغة ، نحو : أليم وسميع "

ومما ورد على صيغة " "فعيل" قوله تعالى "وكفى بالله "حسيبا " [٢] أى : كافيا فى الشهادة عليكم ، ومعناه : محسبا من أحسبنى كذا ، أى : كفانى ، فيكون "فعيلا" بمعنى "مفعل" أو محاسبا أو حاسبا لأعمالكم يجاز بكم بها ، وحسيب فعيل بمعنى مفاعل كجليس وخليط ، أو بمعنى "فاعل" حول للمبالغة فى الحسبان .

وكذلك قوله تعالى " إن الله كان عليما خبيرا " [٣] فى المفردات : [٤] خبير أى: عالم بأخبار أعمالكم وقيل: أى عالم ببواطن أموركم وقيل: خبير بمعنى مخبر وفى البحر[٥] خبير" للمبالغة وهو العلم بما لطف والتقضى له .

ومما ورد على فعيل للمبالغة قوله تعالى " ولا تكن للخائنين خصيما " [٦] قال صاحب الدر : [٧] "وخصيم" يجوز أن يكون مثال مبالغة كضريب ، وأن يكون بمعنى مفعال نحو : خليط وجليس بمعنى

---

[١] انظر الدر ٤/٢١٥ .

[٢] انظر البحر / ٣٤٦ .

[٣] النساء /٦.

[٤] انظر المفردات ص١٤٨

[٥] انظر البحر ٣/١٧٤

[٦] النساء / ١٠٥ .

[٧] انظر الدر المصون ٢/٤٢٤ .

مخاصم ومخالط ومجالس . وفى المفردات : [١] "الخصيم " الكثثير المخاصمة "فإذا هو خضيم مبين " وفى البحر : [٢] الخصيم من صفات المبالغة من خصم ، بمعنى : اختصم ، أو بمعنى : مخاصم كالخليط والجليس .

ومثله قوله تعالى " إن الله كان توابا رحيما " [٣] فى العكبرى : [٤] الرحمن من أبنية المبالغة وفى الرحيم مبالغة أيضا إلا أن فعلان أبلغ من فعيل وفى البحر [٥]:الرحيم من أبنية المبالغة. ومثله قوله تعالى " رفيع الدرجات ذو العرش " [٦] فى البحر : [٧] احتمل أن يكون "رفيع" للمبالغة على "فعيل" من رافع فيكون الدرجات مفعولة أى : رافع درجات المؤمنين ومنازلهم فى الجنة ، واحتمل أن يمون " رفيع " فعيلا من رفع الشىء : علا فهو رفيع ، فيكون من باب الصفة المشبهة . وفى الدر المصون : [٨] ولا يجوز أن يكون " ذو العوس " صفة لـ " رفيع الدرجات " إن جعلناه صفة مشبهة أما إذا جعلناه مثال مبالغة أى : يرفع درجات المؤمنين فيجوز ذلك على أن تجعل إضافته محضة وكذلك عند من يجوز تمحض إضافة الصفة المشبهة أيضا .

---

[١] انظر المفردات ص ١٥٦ .

[٢] انظر البحر ٤٧٤/٥ .

[٣] النساء / ١٦ .

[٤] انظر العبكرى ٣/١ .

[٥] انظر البحر ١٥/١

[٦] غافر /١٥

[٧] تنظر البحر ٤٥٤/٧- ٤٥٥ والكشاف ١٥٦/٤

[٨] الدر المصون ٣٣/٦.

ومما جاء على صيغة "فعيل" للمبالغة قوله تعالى " إن الله كان عليكم رقيبا [١]" فى البحر "[٢]

الرقيب : فعيل : للمبالغة ، من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا : أحد النظر إلى أمر ليحققه على ما هو عليه ويقترن به الحفظ . وقال السمين الحلبى :[٣] والرقيب : فعيل للمبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا إذا أحد النظر لأمر يريد تحقيقه واستعماله فى صفات الله تعالى بمعنى الحفيظ قال :

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد . [٤]

ومثله قوله تعالى "ويكون الرسول عليكم شهيدا(٥) فى البحر لفظ شهيد (٦) " للمبالغة وكأنهم أمروا أن يستشهدوا من كثرت منه الشهادة ، فهو عالم بمواقع الشهادة وما يشهد فيه لتكرير ذلك منه فأمروا بطلب الأكمل . وفى الدر المصون :[٧] "وشهيد" يدل على المبالغة .

ومن الصيغ التى وردت على "فعيل" قوله تعالى "ولم يكن جبارا عصيا " [٨] أى : عاصيا ، كثير العصيان ، وأصله : "فعول" للمبالغة ويحتمل أن يكون "فعيلا" وهى من صيغ المبالغة " [٧] ومثله قوله تعالى " إن الله كان عليما حكيما " [٨]

---

[١] النساء / ١ .
[٢] انظر البحر ١٥٠/٣ .
[٣] انظر الدر المصون ٢٩٧/٢ .
[٤] لأبى دؤاد الإيادى وانظر تفسير الطبرى ٥٢٤/٧ مجاز القرآن ١١٣/١ الدر المصون ٢٩٧/٢ .
[٥] البقرة /١٤٣ .
[٦] انظر البحر ٣٤٥/٢ .
[٧] انظر الدر المصون ٣٩٣/١ .

فى البحر : (١) "عليم" قد ذكرنا أنه من أمثلة المبالغـــة . وقـــد وصف الله تعالى نفسه بعالم وعليم وعلام ، وهـــذان للمبالغـــة وقـــد أدخلت العرب الهاء لتأكيد المبالغة فى علامة ، ولا يجوز وصفه بـــه تعالى .

ومما جاء على صيغة "فعيل" ، للمبالغة قوله تعالى : "وابْيَضَتْ عَيْنَـاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُو كَظِيمُ "(٢) فى البحر : (٣) الكظيم "إما" للمبالغة ، وهـــو الظاهر اللائق بحال يعقوب أى : شديد الكظم كما قال : و "الكـــاظمين الغيظ " ولم يشك يعقوب إلى أحد ، وإنما كان يكتمه فى نفسه ويمسـك هما فى صدره فكان يكظمه أى : يرده إلى قلبه ، ولا يرسله بالشكوى ، وإما أن يكون "فعيلاً" بمعنى مفعول ، وهو لا ينقاس . وقال صـــاحب الدر " (٤) و "وكظيم " يجوز ان يكون مبالغة بمعنى فاعل ، وأن يكـــون بمعنى مفعول ، كقوله : وهَو مكظوم ، وبه فســـره الزمخشـــرى .(٥) ومثله قوله تعالى " وإنَّ يَدْعُونَ إلاّ شَيْطَاناً مِرَيداً "(٦) فى النـــهر : (٧) "مريداً" فعيل للمبالغة فى اسم الفاعل الذى هو ما رد من مـــرد أى : عتا وعلا فى الحذاقة وتجرد للشر والغواية . وفى السمين الحلبـــى:

---

(٨) مريم /١٤ .

(١) انظر البحر ١٧٧/٦ .

(٢) يوسف /٨٤ .

(٣) انظر البحر ٣٣٨/٥ .

(٤) انظر الدر المصون ٢٠٩/٤ والقرطبى ١٦٣/٩ .

(٥) انظر الكشاف ٣٣٩/٢ .

(٦) النساء /١١٨ .

(٧) النهر ٣٥١/٣ .

(٨) و "مريدا " فعيل من " مرد " أى : تجرد للشر ومنه : شجرة مرداء أى : تثاثر ورقها ومنه : الأمرد لتجرد وجهه من الشعر ، والصرح الممرد الذى لا يعلوه غبار من ذلك .

ومثله قوله تعالى " وإجعل من لدنك سلطانا نصيرا " [١] "نصير" مبالغة ناصر ، وقيل : "فعيل" بمعنى مفعول أى : منصور .[٢] وفى الدر المصون : [٣] "ونصيرا" يجوز أن يكون محولا من فاعل للمبالغة ، وأن يكون بمعنى مفعول . إلى غير ذلك من الآيات التى وردت فيها كلمات على وزن "فعيل" للمبالغة .

ما جاء على فِعِّيل

ومما ورد فى كتاب الله عز وجل على صيغة " فِعِّيل" للمبالغة قوله تعالى " وأمهُ صِديقَةٌ كانا يأكلان الطعام " [٤] فى المفردات :[٥] الصِّدِّيق : من كثر منه الصدق . وقيل : بل يقال : لمن لا يكذب قط ... وقيل : لمن صدق بقولة واعتقاده ، وحقق صدقة بفعله .

وفى الكشاف :[٦] الصِّدِّيقون : أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا فى تصديقهم كأبى بكر الصديق رضى الله عنه – وصدقوا فى أقوالهم وأفعالهم .

وفى الدر المصون: [٧] "وصديقه" تأثيث "صديق" وهو بناء مبالغة كـ "فعّال " و "فعُول" إلا أنه لا يعمل عمل أمثلة المبالغة فلا يقال : زيد

---

(٨) انظر الدر المصون ٤٢٧/٢ .

(١) الإسراء /٨٠ .

(٢) انظر البحر ١٢٢/٨ .

(٣) انظر الدر المصون ٤١٥/٤ .

(٤) المائدة /٧٥ .

(٥) انظر المفردات ص ٢٨٠ .

(٦) انظر الكشاف ٥٣٠/٣ .

(٧) انظر الدر المصون ٥٨٤/٢ .

شِرّيبُ العسلَ " وإن كان القياس إعماله وهل هو من " صَـــدَقَ" الثلاثى " أو من صَدّق مضعفاً ؟ القياس يقتضـــى الأول ، لأن أمثلــة المبالغة تَطّرد من الثلاثى دون الرباعى ، فإنه لـــم يجــىء منـــه إلا القليل. وقال الزمخشرى .أنّه من التصديق وكذا ابن عطية ، إلا أنّــه جعله محتملاً . وهذا واضحُ لقوله :

وصَدّقتْ بكلماتِ ربها " فقد صَرّح بالفعل المسند إليها مضعفاً .

ومما جاء على صيغة فِعّيل قوله تعالى " ذلك بـــأن منـــهم قِسّيســـينَ ورُهْبَاناً " [١] فى المفردات : القِسّ والقِسّيسَ : العـــالمُ العـــابدُ مـــن رءوُس النصارىَ ، وأصْلُ القُسّ تَتَبّعُ الشىء وطَلَبَهُ بـــالليل يقـــال : تقسّسْتُ أصْوَاتَهم بالليل أى : تَتَبعْتُها وفى البحر : [٢] القس : بفتـــح القاف – تتبع الشىء وقسيّس على فِعّيل وهو مثال مبالغة كـ صِديـق وقد تقدم .

ويقال : قس الأثر : وقصة أيضاً . والقس : رئيـــس النصـــارى فـــى الدين والعلم وجمعه :

قُسوس سمى بالمصدر لتتبعه العلم والدين وكذلك القسيس ، وزعـــم ابن عطية أن القس : بفتح القاف وكسرها – والقسيس اسم أعجمـــى عرب . وفى سيبويه : [٣] وأما الفعيّل فنحـــو : الشّــريب والفسّــيق نقول: شريبون "فسيقون"

---

[١] المائدة /٨٢ .

[٢] انظر البحر ٣/٤ .

[٣] انظر الكتاب ٢١٠/٢ .

ومثله قوله تعالى " يُوسُفُ أيّهَا الصّدّيقُ أفْتِنَا " [1] فى الكشــاف أى أيها البليغ فى الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاقَ أحواله وتعــرف صدقه فى [2] أى : تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كمــا أول .
وفى السمين الحلبى : [3] و "الصّدّيق" بناء مبالغة كالشّرّيب .
ومثله قوله تعالى " أولئك هُمُ الصّدّيقُــونَ " [4]قــال صــاحب الــدر المصون : [5] والصّدّيق " مثال مبالغة ولا يجيء إلا من ثلاثى غالبا ، قال بعضهم : وقد جاء كمسّيك من أمسك ، وهو غلط ، لأنه يقــال : مسك ثلاثيا فمسيك منه .

ما جاء على فَعِل

ومما ورد فى كتاب الله عز وجل على صيغة "فَعِل" قولــه تعــالى : " وإنّا لَجَميعُ حَاذِرونَ " [6]
فى النشر : [7] "واختلفوا فى "حاذرون" فقرأ الكوفيون وابــن ذكــوان بألف بعد الحاء ... وقرأ الباقون بغير ألف " وفى البحر : [8] وقــرأ باقى السبعة "حذِرون " من غير ألف وهو المتيقــظ ... وقــال أبــو عبيدة:رجل حاذر ، وحذر ، وحذر بمعنى واحد وذهب سيبويه إلــى أن

---

[1] يوسف /٣٦ .
[2] انظر الكشاف ٣٢٤/٢ القرطبى ١٣٣/٩ .
[3] انظر الدر المصون ١٨٩/٤ .
[4] الحديد /١٩ .
[5] انظر الدر المصون ٢٧٨/٦.
[6] الشعراء /٥٦ .
[7] انظر النشر ٣٣٥/٢ .
[8] انظر البحر ١٨/٧ .

"حذراً " يكون للمبالغة ، وأنه يعمل كما يعمـل حـاذر فينصـب المفعول به ... وقد نوزع في ذلك . ويقول صاحب الدر المصون :[١]
قوله "حَذِرُون" قرأ الكوفيون وابن ذكوان "حاذرون " بألف والبـاقون "حذرون" بدونها فقال أبو عبيدة : هما واحد يقال : رجل حَذِرٌ وحَـذُرٌ وحَاذِرٌ بمعنى .
وقيل : بل بينهما فرقٌ فالحَذَرُ المتيقظ والحاذر الخائف وقيل : الحَـذِرُ المخلوقُ مَجبولاً على الحَذَر والحاذِرُ ما عرض فيه ذلك وقيل : الحَذِرُ المتُسَلّحُ أي : له شوكة شلاح . وأنشد سيبويه في إعمال حَذِرُ علـى أنه مِثَالُ مَبَالغةٍ مَحَوّلٌ من حاذر

حَذِرٌ أمُوراً لا تَضيرُ وآمِنٌ ما ليس مُنْجية من الأقدار .[٢]

وقد زعم بعضهم أن سيبويه لمّا سأله هل يحفظ شيئاً في إعمال فَعِـلُ صنع له هذا البيت فعيب على سيبويه كيف يأخذ الشواهد الموضوعـة . وهذا غلط فإن هذا الشخص قد أقرّ على نفسه بالكذب فـلا يقـدح قوله في سيبويه والذي أدعى أنه صنع البيت هو الأخفش
وحَذِر يتعدى بنفسه قال تعالى " يحذر الآخرة " وقـال العَبّـاسُ بـن مِرّداس :

وإنّي حَاذِرٌ أنْمي سِلاحي إلى أوْصَالِ ذَيّالٍ مَنيع .[٣]

وقرأ ابن السميفع وابن أبي عَمّار "حادرون" بـالدال المهملـة مـن قولهم: وعين حَدْره عظيمة وقيل : الحادر القوى الممتلىء وحكـى : رجل حاور أي : ممتلئ غيظاً

---

[١] انظر الدر المصون ٢٧٣/٥ .
[٢] سبق تخريجه ص ٢٩ .
[٣] انظر الدر المصون ٢٧٤/٥.

ورجل حادر أى : أحمق كأنه ممتلئ من الحمق قال الشاعر :

أحِبّ الغُلاَمَ السّوءَ مِنْ أجْلِ أمّهِ وابغْضُهُ من بُغضِها وهُوَ حَادِرُ .[١]

ويقال أيضاً : رحيل حَذُر بزنه يقظ مبالغة فى حادر .

وفى البرهان للزركشى : [٢] وأما فَعِل فكقوله تعالى : "وإنّـــا لجَميــعُ حَاذِرُومَ " [٣] وقوله تعالى

"كَذّابَ أشِرْ " [٤] قرن فعِلا بفعّال " وفى الدر المصـــون :[٥] "الأشــر " البطر يقال :

أشر يأشر أشراً فهو أشر ، كِفَــــرح ، وآشــر كضـــارب ، وأشـــران كسكران ، وأشُارى كسكارى . ومما ورد على صيغة فَعِل قوله تعـــالى " بَلْ هُمْ قوْمٌ خَصِمُونَ " [٦] فى الكشاف : [٧])

لد شداد الخصومة . وفى البحر : [٨] شـــديد الخصومـــة واللجــاج و "فَعِل" من أبينة المبالغة .

ومما ورد على صيغة " فَعِل" قوله تعالى : "إنّ شَانِئكَ هُوَ الأبْـــترُ" [٩] فى البحر .[١٠] قرأ الجمهور شانئك وابن عباس شئنك بغـــير ألـــف . فقيل : مقصور من شانىء ، كما قالوا : بر فى بار ويجوز أن يكـــون

---

[١] انظر البحر ١٨/٧ والدر المصون ٢٧٤/٥ .

[٢] انظر البرهان ٥١٤/٢ .

[٣] الشعراء /٥٦ .

[٤] القمر /٢٥ .

[٥] انظر الدر المصون ٢٢٩/٦ .

[٦] الزخرف /٥٨ .

[٧] انظر الكشاف ٢٦٠/٤ .

[٨] انظر البحر ٢٥/٨.

[٩] الكوثر / ٣ .

[١٠] انظر البحر ٥٢٠/٨ .

بناء على "فعل" وهو مضاف للمفعول ، إن كان بمعنى الحـال أو الاستقبال وإن كان بمعنى الماضى فتكون إضافيته لا من نصب علـى مذهب البصريين ، وقد قالوا :

حَذِرُ أموراً لا تضيرو آمن [١]

أتانى فى أنهم مَزِقون عِرضى [٢]

فلا يستو حسْن أن يكون مضافا للمفعول .

ما جاء على فُعَله

ورد فى البرهان للزركشى :[٣] وأما فُعَل فيكون صفة كقولة تعـالى " أهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً "[٤]

اللبد : الكثير وقوله تعالى " إنّها لإحْدَى الكُبَر " [٥] ويكـون مصـدراً كهدى وتُقى ويكون معدولاً عن أفعل من كذا كقولـه تعـالى " وأخَـرُ مُتَشَابِهَاتُ "[٦] وقوله تعالى " فَعِدّةٌ من أيّام أخَرَ " [٧] كما قال : " أئنكُمْ لتَشْهَدُونَ أنّ مَعَ اللّهِ آلِهة أخرَى "[٨]

---

[١] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٢] سبق تخريجه ص ٣٠.

[٣] انظر البرهان ٢/٥١٥ .

[٤] البلد / ٦ .

[٥] المدثر / ٣٥ .

[٦] آل عمران /٧ .

[٧] البقرة /١٨٤ .

[٨] الأنعام/١٩ .

وقال السمين الحلبى [1] فى الآية الأولى " اللُّبَــدة " واللبــدة : لشىء المتلبد . أى : المتراكب بعضه على بعض ومنه لبــدة الأسـد واللبد جمع لَبُود :ونحو صبور وصُبُر وهو بناء مبالغة أيضا .

ومما ورد على :فُعَلَه " قوله تعالى " كلا لينبذن فى الحطمـــة . ومـا أدراك ما الحطمة "[2]

فى الكشاف :فى النار التى من شأنها أن تحطم كل ما يلقــى فيـها ، يقال للأكول : إنه لحطمه وكذلك قوله تعالى "ويل لكل همــزة لمــزة " فى المفردات [3] اللمز : الاغتياب وتتبع المعاب ورجل لماز ولمــزة : كثير اللمز. وفى الكشاف :[4] الهُمَزة : الكثير الهمز ، واللمز : الطعن يقال : لمزة : طعنه ، والمراد : الكسر أعراض من النــاس والغـض منهم واغتيابهم والطعن فيهم . وبناء فُعَلَة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ، ونحوها : اللعنة والضحكة . وفى البحر: [5] فعله مـن أبينة المبالغة .

ويقول ابن خالويه : [6] "والهاء فى هُمزة دخلت للمبالغة فى الــذم ، كقولهم : رجل همزة لمزة أى : عيّاب مُغْتاب ورجل فروقة صَخّابــة جخابة : كثير الكلام والخصومــات نقّاقــة مــهذارة ، هلباجــة أى : الطويل الضخم الأحمق الكثير الفضول ، الكثير الأكل الســيئ الأدب . وقال السمين الحلبى :[7] همزة " أى : كثير الهمز ، وكذلـــك اللمـز

---

[1] انظر الدر المصون ٣٩٦/٦ .

[2] الهمزة /٤ ، ٥ .

[3] الهمزة / ١ .

[4] انظر المفردات ص ٤٥٨ .

[5] انظر الكشاف ٧٩٤/٤ – ٧٩٥ .

[6] انظر إعراب ثلاثين سورة ص ١٦٢ .

[7] انظر الدر المصون ٥٦٨/٦ .

الكثير اللمز والعامة على فتح ميمها على أن المراد : الشخص الذى كثر ذلك الفعل قال زياد الأعجم

تُدْلى بُودِّى إذا لا قيتنى كَذِبا وإن أغيِّب فأنت الهامِزُ اللُّمَزَةَ . [١]

وقرأ الباقون بالسكون . وهو يهمز ويلمز : أى : يأتى بما يهمز به ويلمز كالضحكة لمن يكثر الضحك والضُّحْكة لمن يأتى بما يضحك منه وهو مطرد . أعنى أن فعلة بفتح العين لمن يكثر منه الفعل ، وبسكونها لمن يكون الفعل بسببه .

ومما ورد على "فعل" قوله تعالى " وعَبَدَ الطَّاغُوتَ " [٢] فى البحر : [٣] وقرأ عبدالله فى رواية و عبد " على وزن حُطَم وهو بناء مبالغة .

وفى الدر المصون : [٤] وقرأ ابن مسعود فى رواية علقمة : "وعبد الطاغوت " بضم العين وفتح الباء والدال وتوجيهها : أنه بناء مبالغة كحطم ولبد ، وهو اسم جنس مفرد يراد به الجمع .

ما جاء على فُعُلّ

ومما ورد على صيغة "فُعُلّ " فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى " عُتُلٍّ بَعدَ ذلك زنيم " [٥]

فى المفردات : العتل : الأخذ بمجامع الشىء وجره بقهر كعتل البعير ، والعُتُلّ : الأكول المنوع الذى يعتل الشىء عتلا .

---

[١] المائدة / ٦٠ .

[٢] المائدة / ٦٠ .

[٣] انظر البحر ٥١٩/٣ .

[٤] انظر الدر المصون ٥٦١/٢ .

[٥] القلم / ١٣ .

وفى الكشاف :[١] عتل : غليظ جاف ، من عتله : إذا قاده بعنف وغلظة وفى البحر : [٢] العتل : الشديد الخصومة بالباطل .

ما جاء على فيعول

ومما ورد فى القرآن الكريم على صيغة فيعول : قوله تعالى " الله لا إله إلا هُو الحىّ القيوم " [٣] قيوم : وزنه : فَيْعوُل ، وأصله : قَيْـوُوم من صيغ المبالغة [٤]

وقال السمين الحلبى :[٥] والقيّوم : فيعول من قام بالأمر يقوم به إذا دَبّره .

قال أمية : [٦]

لم تُخْلِقَ السّماءُ والنّجوُمُ　　　والشّمسُ مَعَهَا قمرُ يَعوُمُ
قَــدّرَهُ مُهَيْمنُ قَــيّوم　　　والحَشْرُ والجنّةُ والنّعيمُ
إلا لأمْرٍ شَأنُهُ عَظِيمُ

وأصله : قَيْوُوم ، فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء فصار قيوّمَاً . وعدّ بعضُهم فَيْعُولا من صيغ المبالغة كضَرُوب وضَرّاب .

ما جاء على مِفْعيل

ومما ورد على "مِفْعيل" فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى " وعَلَى الذِينَ يُطِيقُونَهُ

---

[١] انظر المفردات ص ٣٢٥ .

[٢] انظر الكشاف ٥٨٧/٤ .

[٣] انظر البحر ٣٠٥/٨ .

[٤] البقرة / ٢٥٥ .

[٥] انظر البحر ٢٧٧/٢ الجمل ٢٠٧/١ .

[٦] انظر الدر المصون ٦١٣/١ القرطبى ١٧٧/٣ .

فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِين " [١] وقوله تعالى " فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَإِطْعَامُ سِتِّين مِسْكِيناً " فى المفردات :[٢] والمِسْكِين " [٣] هو الذى لا شيء له ، وهو أبْلَغُ من الفقير .

ويقول ابن خالويه : [٤] فمِسْكِينُ مِفْعِيل " من السكون وهو تواضع الحال وكذلك المسكنة الذّل والخضوع . وقال بعضهم : المصدر منه تمسكَنَ الرجل يَتَمسكَن تمسكُنا فهو مِسْكين ، كما يقال ، تَمَدْرَع الرجل يتَمَدْرَع إذا لَبس المِدرعة وتمَنْدل من المنديل . قال سيبويه . امرأة مِسْكينةُ شاذ كما لا يقال : امرأة مِعْطِيرةُ .

ما جاء على فُعْلى

ورد فى البرهان [٥] وأما فُعْلى فيكون اسماً ، كالشورى والرجُعى قال تعالى "إنّ إلى رَبكَ والرّجْعَى " [٦] وقال تعالى " وكَلمَةَ اللّهِ هَى العُلْيا "[٧] ويكون صفة كالحسنى فى تأنيث الأحسن والسوءى فى تأنيث الأسوأ ، قال تعالى " ثُمَ كَانَ عَاقِبَةَ الذّينَ أسَاءُوا السّوْءى أنْ كَذّبُو بآيات الله "

والخلاصة من هذا المبحث وهو صيغ المبالغة فى القرآن الكريم : أن صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشيء أكثر مما له

---

[١] البقرة /١٨٤ .

[٢] المجادلة /٤ .

[٣] انظر إعراب ثلاثين سورة ص ١٨٦ .

[٤] انظر البرهان للزركشى ٥١٥/٢ .

[٥] العلق / ٨ .

[٦] التوبة /٤٠ .

[٧] الروم /١٠ .

وصفات الله متناهية فى الكمال لا يمكن المبالغة فيها ، وأيضاً فالمبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك .

وأن المبالغة فى " الرحمن والرحيم " مختلفة فمبالغة "فعلان" من حيث الامتلاء والغلبة ومبالغة "فعيل" من حيث التكرار والوقوع بمجال الرحمة ، والصحيح أن الرحمن أبلغ من الرحيم ولهذا لا يجوز التسمية به ، وأنه ورد على لفظ التثنية والتثنية تضعيف وكأن البناء تضاعفت فيه الصفة ، ولأن الأدلة التى استدل بها القائلون بأن "رحيماً " أبلغ من الرحمن رُدّ عليها بما ذكره الزمخشرى فى الكشاف بأنه ذكر الرحيم "ليكون ، كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منه ولطف وأن "رحمانا" الذى وسعت رحمته كل شىء فى يجوز أن يقال لغير الله رحمانا .

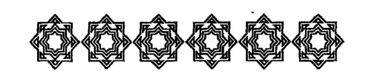
وأن أكثر الصيغ وقوعاً فى القرءن الكريم صيغة "فَعَّال" نحو غفَّار ، ومنّان ، وتوّاب ، ووهّاب . وأن من المشكل قوله تعالى " وما ربك بظلاّم للعبيد " وتقريره أنه لا يلزم من نفى الظلم بصيغة المبالغة نفى أصل الظلم والواقع نفيه وقد أجيب عن ذلك بأحد عشر وجها سبق ذكرها .

وأن مما ورد على فعُول نحو : غفور وشكور وورود . وأن مما ورد على مِفْعال نحو : مِدْرار ومِرْصاد ، ومما ورد على فعيل نحو : رحيم وسميع وقدير ومما ورد على فِعّيل نحو : صِدّيق ، قِسّيس ، وقد سبق أن المجمع اللغوى القاهرى أجاز القياس على هذه الصيغة لكثرة ما ورد منها فى الاستعمال اليومى نحو ، سِكّير ، وشرّيب،وكان على المجمع اللغوى أن يستأنس بما ورد فى القرآن الكريم لا ماورد فى الأستعمال اليومى . وأن ابن قتيبة قد أجاز القياس عليها فى كتابه أدب الكاتب وأن ما

جاء على فَعِل نحو : حذر وقد سبق أن فريقا من العلماء نـازع سيبويه فى إعمال هذه الصيغة بأنها لازمة وطعنوا فيما اسـتدل به أبيات شعرية وسبق أن رأى سيبويه هو الصحيح لأدلة ذكرت قبـل ذلك .

وأن ما جاء على فُعَلَه نحو : هُمَزَة لُمَزَة لُبَدًا كُبَّارًا ، وأن ما جاء علـى فُعُلّ نحو : عُتُلّ ، وأن ما جاء على فيعول نحو : قيوم ، وأن مـا ورد على مِفّعيل نحو : مِسّكين وأن ما جاء علـى فُعْلَى نحـو : رجعـى وشورى .

وبناء على ما تقدم فيكون مجموع صيغ المبالغة الواردة فى القـرآن الكريم اثنتى عشرة صيغة .ولعل هذا ما استند إليه ابن خالويـه أول البحث.



المبحث السادس

اشتراك بعض الصيغ بين المبالغة وغيرها

صيغة "فعَّال" بين المبالغة والنسب

سبق القول أن أشهر أوزان المبالغة هى صيغة "فعّال" وأنها أكثر الصيغ وقوعاً فى القرآن الكريم وقد تقدم التمثيل لذلك ، وأنها أكثر الصيغ استعمالاً فى الأساليب نحو : ما أعظم الصديق إذا كان غير قوّالٍ سوءاً ولا فعّالٍ إساءةً .

وهذه الصيغة مع استعمالها فى المبالغة قد تكون للنسب أحياناً فهى صيغة مشتركة بين صيغ المبالغة والدلالة على النسب فقد كَثُر فى الأساليب الفصيحة المسموعة استعمال صيغة فعّال للدلالة على "النسب" – بدلاً من يائه – وكثر هذا فى الحِرَف فقالوا : حدّاد لمن حرفته الحِدادة " ونجّار لمن حرفته "النجارة " وكذا : لبّان وبَقّال وعطّار ونحوها من كل منسوب إلى صناعة . والأحسن الأخذ بالرأى القائل بقياس هذا فى النسب إلى الحِرَف ، لأن الكثرة الواردة منه تكفى للقياس عليه وجعلوا من استعمالها فى النسب قوله تعالى " ومَا ربّكَ بِظلاّمٍ للعَبيد " [1] أى : بمنسوب إلى الظلم ، وحجتهم أن صيغة فعّال هنا لو كانت للمبالغة وليست للنسب لكان النفى منصبّاً على المبالغة وحدها ، فيكون المعنى : وما ربك بكثير الظلم ، فالمنفى هو الكثرة وحدها دون الظلم الذى ليس كثيراً . وهذا معنى فاسد ، لأن الله لا يظلم مطلقاً لا كثيراً ولا قليلاً .

ومثله قوله تعالى " وأنّ اللّه لَيْسَ بظلاّمٍ لِعَبيد " [2] فى العكبرى[3] : فإن قيل : بناء فَعّال " للتكثير ، ولا يلزم من نفى الظلم

---

[1] فصلت / ٤٦ .

[2] آل عمران / ١٨٢ .

[3] العكبرى ١/ ٩٠ والدراسات ٧/ ٥٦٨.

الكثير نفى الظلم القليل ، فلو قال : "بظالم" لكان أدل على نفى الظلم قليله وكثيره فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أن فعّالاً قد جاء لا يراد به الكثرة كقول طرفه :

ولستُ بحَلاّل التِلاع مخافة

الثانى : أن ظلاماً هنا للكثرة لأنه مقابل العباد وفى العباد كثرة فإذا قوبل بهم الظلم كان كثيراً .

الثالث : إذا انتفى الظلم الكثير انتفى الظلم القليل ضرورة .

ووجه رابع : وهو أن يكون على معنى النسب ، أى : لا ينسب إلى الظلم فيكون مثل بزّار وعَطّار .

ويقول صاحب التبيان فى تصريف الأسماء وهو يتحدث عن أن صيغة " فعّال " تأتى للدلالة على النسب وخلاف العلماء فى قياسية هذه الصيغة فى النسب فيقول : تحت عنوان : "النسب بغير ياء"

للعرب منهج آخر فى النسب غير هذا المنهج الشائع المطرد وذلك باستعمال بعض الصيغ لتدل عليه النسبة بالياء ، فقد استعملوا صيغة فَعّال بمعنى : ذى كذا من غير أن يكون مبالغة اسم الفاعل كعطّار وبزّار وجَمّال وصيغة فاعل بمعنى ذى كذا من غير أن يكون اسم فاعل مثل : لابن وتامر ، ودارع قال النحاة : إنهما فى المعنى المذكور بمعنى النسبة ، لأن صاحب الشىء منسوب إلى ذلك الشىء ، ولأنه قد جاء فَعّال والمنسوب بالياء بمعنى واحد فقالوا : بَتّىّ وبَتّات ، لبائع البت وهو الكساء . ومن ذلك طاعم وكاس فى قول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

[١] ، قال الخليل : قالوا : طاعم كاس على النسبة أى : هو ذو كسوة وذو طعام وهو مما يذم به أى : ليس له فضل غير أن يأكل ويلبس . كأنه قال : حسبك أن تأكل وتلبس .

ولما كان فعال فى الأصل للمبالغة فى اسم الفاعل يدل على التكثير استعمل فى النسب فى صاحب الشىء يزاول ذلك الشىء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه ببيع أو صنعه أو القيام على حالة مثل : لبان لبائع اللبن ، ولبائع البز بزاز ، وبائع العطر عطّار وصانع السيوف سيّاف ، ولصاحب الجمال التى ينقل عليها جمّال .

ذهب برجستراشر فى محاضراته التطور النحوى إلى أن اللغة العربية تأثرت فى بناء فعّال فى النسب باللغة الآرامية نحو : بخار وطباخ وأن أقدم الألفاظ معرب من الآرامية وهو بخّار ثم قاس العرب عليه . وليس له من دليل على هذا إلا وجود نجار فى اللغة الآرامية بينما يوجد عشرات الألفاظ فى العربية على وزنه ، ولا شك أن هذا تعسف.[٢]

وأما فاعل فنستعمل فى صاحب الشىء من غير ملازمة ولا معالجة مثل : تامر لمن عنده تمر ، ولابن لمن عنده لبن ، قال الحطيئة :

---

[١] من البسيط والشاهد قوله "الطاعم الكاسى " حيث جاء للنسبة ، والمعنى ذو كسوة وذ وطعام . وانظر (ديوانه ص ٥٤ والأزهية ص ١٧٥ خزانة الأدب ٢٩٩/٦ شرح شواهد الشافية ص ١٢٠ شرح شواهد المغنى ٩١٦/٢ شرح المفصل ١٥/٦ لسان العرب – كما شرح الأشمونى ٤٤/٣ شرح شافية ابن الحاجب ٨٨/٢ الثبيان ص ٢٧٥ المعجم ٤٦٨/١ .المقتضب ١٦٣/٣ .

[٢] انظر التبيان ص ٢٧٥ .

وغررتنى وزعمت أنك لابن فى الصيف تامِرْ [١]

أمّا بائع اللبن أو التمر فيقال له : لبّان وتمّار ، ويقال لصاحب الدروع ، دارع ، ولصاحب النبل : نابل ، أما الرامى بالنبال فيقال له : نبّال ، قال امرؤ القيس :

وليس بذِى رُمْح فيطعُننى بِهِ وليسَ بذى سَيْف وليس بِنَبّالِ .[٢]

وقد يستعمل فى الشىء الواحد اللفظان جميعاً كسَيَّاف وسائف ، وتَّراس وتارس ، وقد يستعمل أحدهما صاحبه كقوّاس – لمن يبرى القوس.

وقد أستعمل العرب فى النسب علىَ قلة – صيغاً أخرى ، فمن صيغ المبالغة : فَعِل استعملوه فى الجوامد فقالوا : رجل نَهِر ، لصاحب العمل نهاراً ، ومن غير الثلاثى جاء مثل : مرضع ، ومطفل ، ومنفطر ، والذى يدل أن المقصود من هذه الصيغ النسبة ، وليس المقصود اسم الفاعل ، ولا المبالغة فيه أحد أمور :

الأول: أن لا يكون لة فعل ولا مصدر / مثل : نابل ، بَغّال ، ومكان آهل ، ذو أهل

---

[١] البيت من مجزوء الكامل والشاهد فيه قوله "لابن" وتامر" فى نسبتها إلى اللبن والتمر و لم يجريا على فعل . وقيل : إنّما هو جار على فعله يقال : لبنت القوم وتمرتهم : سيقتهم اللبن وأطعمتهم التمر . انظر ديوانه ص ٣٣ أدب الكاتب ص ٣٢٧ الخصائص ٢٨٢/٣ شرح المفصل ١٣/٦ المقتضب ١٦١/٣ الكتاب ٣٨١/٣ لسان العرب – لبن – وبلانسبة فى رصف المبانى ص ٧٢ الأشمونى ٤٤/٣ الصاحبى ص ١٨١ المعجم ٢٩٩/١ .

[٢] من الطويل والشاهد فيه : قول "نبّال" حيث بناه على "فعّال" والقياس : "نابل" أى : ذو نبل ولكنه أجراه مجرى صاحب الصفة ، كما يقال : بَغّال وسيّاف . انظر ديوانه ص ٣٣ . شرح شواهد المغنى ٣٤١/١ نسبة ٣٤١/١ اوضح المالك ٣٣٩/٤ شرح الأشمونى ٧٤٥/٣ مغنى اللبيب ١١/١ المعجم المفصل ٧٣٨/٢ .

الثاني: أن يكون له فعل أو مصدر، لكنه بمعنى أسم المفعول كماء دافق ، وعيشه راضية،أو يكون مؤنثا مجردا من الثاء كحائض وطالق ، فلو كان المقصود منها أسم الفاعل للحقتهما التاء أو يكون جاريا إلى المعنى الذى تضمنه للمبالغة مثل :عز عزيز وذل ذليل ، وشعر شاعر ، ونصب ناصب ، فإن جميع ذلك معنى أطلق علية أسم صاحب ذلك المعنى مبالغة ، إذ العزيز والذليل والشاعر ، والناصب ، صاحب العز والذل والشعر و النصب [١]

هل الصيغ المذكورة قياسية : وأكثر هذه الصيغ استعمالا فعَّال ، ومع كثرتها يرى سيبويه[٢] أنها غير مطردة ، وليست قياسية ، قال في "فعال " : وذا أكثر من أن يحصى ، وليس فى كل شىء قبل هذا ، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر : برَّار ولا لصاحب الفاكهة : فكَّاه ، ولا لصاحب الشعير شعار ، ولا لصاحب الدقيق دقاق . ويرى المبرد [٣] أن صوغ فعَّال للنسب قياس ، وقال : وكل من رأينا ممن ترضى عربيته يقول لصاحب البر : برّار ، حتى صار لكثرة استعماله لا يحتاج فيه إلى حجة من شعر ولا غير . ولعل الذى منع سيبويه من القياس خوف اللبس فلا يقال : برّار لبائع البر لقباسه بما اشتق من البر ، ولا لبائع الفاكهة فكاه لإلتباسه بما اشتق من الفكه بمعنى التفكه ، ولا لصاحب الشعير شعَّار لا لتباسه بما اشتق من الشعر .
والعلماء وخاصة المتأخرين يؤيدون رأى المبرد ، وقد أخذ المجمع اللغوى به فقرر : أنه يصاغ فعَّال قياسا للدلالة على الاحتراف أو

---

[١] أنظر شرح الشافية للرضى ٢/٨٥ والثبيان ص٢٧٦

[٢] انظر الكتاب ٣/٣٨١ ، ٣٨٢ .

[٣] انظر المقتضب للمبرد هامش ٣/١٦١ .

ملازمة الشيء ، فإذا خيف اللبس بين صانع الشيء وملازمة كانت صيغة فعّال للصانع ، وكان النسب بالياء لغيره فيقال : زجّاج لصانع الزجاج ، وزجاجي لبائعه . [١]

وأرى موافقة رأى المبرد والمتأخرين فى قياسية صيغة فعال للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء ما دام اللبس قد أزيل بأن يصاغ فعّال لصانع الشيء وأن يكون النسب بالياء لغيره كما مثلوا بـ زجاج ، وزجاجي لبائعه وبنقل النص الوارد فى كتاب سيبويه تزداد المسألة وضوحا . فيقول سيبويه[٢] " هذا باب من الإضافة تحذف فيه ياءى الإضافة وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله ، أو ذا شيء . أما ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون "فعّالا " ، وذلك قولك لصاحب الثياب : ثوّاب ولصاحب العاج : عوّاج ولصاحب الجمال التى ينقل عليها جمال ، ولصاحب الحمر التى يعمل عليها : حمّار ، وللذى يعالج الصرف : صراف . وذا أكثر من أن يحصى . وربما ألحقوا ياءى الإضافة كما قالوا : البتى ، أضافوه إلى البتوت ، فأوقعوا الإضافة على واحد وقالوا : التبات .

وأمّا ما يكون ذا شيء وليْس بصنعة يعالجها فإنّه مما يكون " فاعلاً " وذلك قولك لذى الدرع : دارعٌ ولذى النبّل : نابا ، ولذى النشّاب ناشِبُ ولذى التّمرْ :

تامر ولذى اللّبن : لابنُ قال الحطيئة :

فغررتَنى وزعمتَ أنّكَ لابنُ فى الصيف تامِرْ .[٣]

---

[١] انظر مجلة المجمع اللغوى ١٥١/١ التبيان ص ٢٧٧ .

[٢] أنظر الكتاب ٣٨١/٣- ٣٨٣ بتصرف

[٣] سبق تخريجه والحديث عنه ص ١٣٣ .

وتقول لمن كان شىء من هذه الأشياء صيغته : لبّانُ ، وتمّارٌ ونبال ، وليس فى كل شىء من هذا قبل هذا . ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر : برار ولا لصاحب الفاكهة : فكاه ، ولا لصاحب الشعير: شعار ، ولا لصاحب الدقيق : دقاق .

وتقول: مكان آهل ، أى : ذو أهل ، وقالوا لصاحب الفرس : فارس . وقال الخليل : إنما قالوا : عيشة راضية وطاغيم وكاسى على ذا أى: ذات رضا وذوكسوة وطعام ، وقالوا : فاعل لذى الفعل . وقالوا : بغال لصاحب البغل شبهوه بالأول – أى : بصاحب الصنعة ، والمراد هنا المالك – حيث كانت الإضافة لأنهم يشبعون الشىء بالشىء وإن خالفه . وقالوا الذى السيف سياف ، وللجميع : سياقه . وقال أمرؤ القيس :

وليس بذى رمح فيطعننى به وليس بذى سيف وليس بنبال . [1]

يريد : وليس بذى نبل . فهذا وجه ما جاء من الأسماء ولم يكن له فعل وهذا قول الخليل " فمن يتأمل نص سيبويه يجد أنه عبر عن النسب بالإضافة وعن ياء النسب بأنها ياء الإضافة وأن الذى يأتى على "فعال" فى النسب هو ما يكون صاحب شىء يعالجه نحو : عواج لصاحب العاج ، وثوّاب لصاحب الثياب وأما ما يكون صاحب شىء وليس بصنعه يعالجها فإنه مما يكون على "فاعل" وذلك نحو قولك : لذى الدرع دارع ولذى النبل نابل وتقول لمن كان شىء من هذه الأشياء صنعته : لبّان وتمّار ونبّال – ثم بين سيبويه أن ذلك ليس قياسا فقال : "وليس فى كل شىء من هذا قيل هذا . ألا ترى أنك لا

---

(1) سبق تخريجه والحديث عنه ص ١٣٣ .

تقول : لصاحب البر : برّار ، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه ، ولا لصاحب الشعير شعّار ، ولا لصاحب الدقيق دقّاق .

وبين سيبويه أن الذى يدل على أن هذه الصيغة أى : فعّال للنسب وليست للمبالغة فهذا وجه ما جاء من الأسماء ولم يكن له فعل أى : أن الدليل أن لا يكون له فعل ولا مصدر مثل : نابل وبغال ومكان آهل ذو أهل ، أو يكون له فعل أو مصدر لكنه بمعنى اسم المفعول كماء دافق وعيشه راضية .

وقد سبق أن صيغة "فعل" تأتى للمبالغة وإن كان عملها أقل من الصيغ الثلاث وهى فعّال ومفعال وفعول وكذلك صيغة "فعيل" عملها قليل هذا عند سيبويه أما أكثر العلماء فقد عارضوا سيبويه فى إعمال "فعيل" وفعل للمبالغة وسبق أنه ثبت أن مذهب سيبويه هو الصحيح لأدلة مضى الحديث عنها . وإذا كانت صيغة "فعل" قد أتت للمبالغة فإنها كذلك جاءت للنسب وتحدث سيبويه [1] عن هذه المسألة فقال : "وزعم الخليل أن فعولا ، ومفعالا ، ومفعلا ، نحو : قؤول ومقوال إنما يكون فى تكثير الشيء وتشديده والمبالغة فيه ، وإنما وقع فى كلامهم على انه مذكر . وزعم الخليل أنهم فى هذه الأشياء كأنهم يقولون : قولى وضربى ويستدل على ذلك بقولهم : رجل عمل وطعم ولبس ، فمعنى ذا كمعنى قؤول ومقوال فى المبالغة ، إلا أن الهاء تدخله ، بقول : تدخل فى فعل فى التأنيث .

وقالوا : نهر ، وإنما يريدون نهارى فيجعلونه بمنزلة عمل وفيه ذلك المعنى وقال الشاعر :

---

[1] انظر الكتاب ٣٨٤/٣ – ٣٨٥ بتصرف .

لست بليلى ولكنِّى نهر   لا أدْلجُ الليل ولكن أبتَكر .[١]

فقولهم : نهر فى نهارى بدل أن عملا كقوله : عملى ، لأن فى عمـل من المعنى ما فى نهر ، وقؤول كذلك لأنه فى معنى قولى . وقـالوا : رجل حرج ورجل سته كأنه قال : جرى واستى . فهذا وجه ما كـان من الفعل ولم يجز على فعله . وقالوا : مفعال ومفعيل قل ما جـاءت الهاء فيه ، ومفعيل قد جاءت الهاء فيه كثيرا نحو : مطعن ومدعـى[٢]، ويقال : مصك [٢]ومصك ومصكة ، نحو ذلك "

فسيبويه فى هذا النص بين أن "فعل" كما جاءت للمبالغة نحـو عمـل وحذر فى قول الشاعر :

حذر أمورا لا تضير وآمن   ما ليس منجيه من الأقدار .[٣]

جاءت كذلك للنسب فقالوا : نهر يريدون : نهارى . وأن صيغة مفعال ومفعيل كما جاءت للمبالغة نحو قولهم : إنه لمنحار بوائكها ، ونحـو : مسكين .

جاءت كذلك للنسب فى قولهم : امـرأة مِعْطـار [٤] أى : ذات عطـر ومفْعيل كقولهم ناقة محضـير ، أى : ذات حضـر وهـو الجـرى . ومِفْعال كما جاءت للمبالغة والنسب جاءت كذلك اسما للآلـه نحـو : مفتاح ومنشار وسوف يأتى الحديث عنه إن شاء الله ويتحدث المـبرد

---

[١] من الرجز والشاهد فى قوله "نهر" حيث بناه على "فعل" وهو يريد النسب لا النمبالغة وهو بـلا نسبة فى أوضح المالك ٣٤١/٤ الأشمونى ٤٥/٣ التصريح ٣٣٧/٢ الكتاب ٣٨٤/٣ الكتـاب ٣٨٤/٣ لسان العرب نهر – ليل – عمدة الحافظ ص ٩٠٠ المقرب ٥٥/٢ المعجم المفصل ١١٥٦/٣ .

[٢] المدعى : الروح يدعى به . وانظر اللسان – دعى .

[٢] المصك : القوى الشديد من الناس انظر اللسان – صك .

[٣] سبق تخريجه ص ٢٩ .

[٤] انظر شرح الألفية للمرادى ١٥٤/٥ .

فى المقتضب عن هذه المسألة وهى أن صيغة "فعّال" كما جاءت للمبالغة جاءت كذلك للنسب فقال : "هذا باب ما يبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة لتدل من النسب على ما تدلّ عليه الياء . وذلك قولك لصاحب الثياب : ثوّاب ولصاحب العِطر : عَطار ، ولصاحب البَزّ : بَزّاز وإنما أصل هذا لتكرار الفعل كقولك : هذا رجل ضَرّاب ، ورجل قتّال ، أى يكثر هذا منه ، وكذلك خيّاط ، فلما كانت الصناعة كثيرة المعاناة للصَنْف فعلوا به كذلك ، وإن لم يكن منه فِعْلُ ، نحو : بَزّاز ، وعطّار : فإن كان ذا شيء ، أى : صاحب الشيء بُنى على فاعِل " كما بُنى الأول على " فَعّال" فقلت : رجل فارس أى : صاحب فرس ورجل دارع ، ونابل ، وناشب ، أى هذا آلته قال الشاعر :

وغررتنى وزعمتَ أنك لابن بالصيف تامِرْ.[1]

فأما قوله :

وليس بذى رمح فيطعُنُنى به   وليسَ بذى سَيف بُنبّالِ [2]

فإنه كان حقه أن يقول : وليس بنابل ، ولكنه كثر ذلك منه ومعه .

وأعلم أن قولهم : عِيشَه راضية " [3]ورجل طاعم " كاسٍ إنما هو على ذا معناه :

عيشه فيها رضا ، ورجل له طعام وكسوة ، وكذلك امرأة قتول ، ورجل قتول وامرأة مِعْطار فهذا على ما وصفت لك وحينما قال سيبويه [4] عن "فعّال" وذا أكثر من أن يحصى ، ثم منع القياس فقال

---

[1] سبق تخريجه ص ١٣٣ .

[2] سبق تخريجه ص ١٢٣ .

[3] الحاقة /٢١ القارعة /٧ .

[4] انظر الكتاب ٣٨٢/٣ .

: " وليس فى كل شىء من هذا ، ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر : برار ولا لصاحب الفاكهة : فكّاه ، ولا لصاحب الشعير : شعّار ، ولا لصاحب الدقيق دقّاق " ونقد المبرد [١] كلام سيبويه هذا بقوله : "قال محمد : وكل من رأيناه ممن ترضى عربيته يقول لصاحب البر : بَرار حتى صار لكثرة استعماله لا يحتاج فيه إلى حجة من شعر ولا غيره "

ورد ابن ولاد[٢] بقوله : "ليس فى هذه المسألة غير الدعوى ، وليست ها هنا حجة وذلك أنه ردّ دعوى بدعوى، لأن سيبويه قال : لا يُقال هذا ، كأنه لم يسمعه من العرب ، فادّعى محمد أنه يُقال ولم يأت بحجة ، وأدعى ذلك فى زمن من لا تُرضى لغته ولا يُحتجُ بقوله وأنكره سيبويه فى زمن من يؤخذ بلغته ويرجع الى قوله ويستشهد بلفظة ويمتنع، من التكلم بما امتنع منه فالنفس إلى الدعوى الأولى أسكن فيها وبها أوثق لا سيما إذا أضفنا ذلك إلى أنا لم نسمعه من عالم ولا من عربى

قال أحمد : ما سمعتُ أحداً مردود القول فضلاً عن متبع القول نسب بائع البّر فيقول : بّزار ، ولو سمعته فى هذا الوقت لما كان سماعة حجه على أنّ قولى أيضا لم نسمعه دعوى كادّعاء الرادُ والمردود عليه ، ولعله أن يكون قد سمعه من عوام أهل مصر من الأمصار لا يؤخذ بلغتهم وهذا نوعُ من الكلام لا فائدة فيه أكثر من أن تتلقى من عالم موثوق بقوله فيؤخذ ذلك منه ويقبل تقليداً .

وقد حكى سيبويه فى هذا الباب أنّه لا يقال: لصاحب الفاكهة فكاه : ، وهذا مستعمل فى اكثر الأمصار التى شاهدناها ، وليس ذلك

---

(١) انظر المقتضب ٣/١٦١ .

(٢) الأنتصار ص٢١٣-٢١٤ .

بحجة ، وأحسب أن محمدا سمع برارا على نحـو هـذا ، ولـم يتعمد المخالفة ، إلا أنه احتج بلغة من لا يحتج بمثله. وقد ذكر ابـن سيدة فى المخصص كثيرا من الفاظ النسب التى جاءت على "فـاعل" والتى جاءت على فعل أذكر طرقا منها:

رجل ناعل [١] ، مشاحم[٢] رجل لآء ولآل : صـاحب [٣] لؤلـؤ. قطن حليج : محلوج وصانعه [٥] الحلاّج، رجل نجّاد[٦] : الذى يعـالج الفرس والوسائد بحشوها ويخبطها ، لحام[٧] : بائع اللحم. رآسـى[٨]: بائع الـرؤوس ، شـحام[٩]: يبيـع الشـحم ، الخبـاز[١٠] ، فـواس وتراس[١١]، الكلاّب ، الذى يعلم الكلاب. الصّقار: معلم الصقـور[١٢] ، رجل بياض: يبيع البيض[١٣] ، السفان[١٤]: ملاح السفينة ، الطيّـان: صانع الطين وحرفته الطيانة ، الخشاب: بائع الخشب . الحنـاط[١٥]: بائع الحنطة. الخلال: بائع الخل وصانعه ، الزجاج ، الخواص: صـانع

---

(١) ١١/١٤
(٢) ١٤/٥
(٣) ١٤/٥
(٥) ٧٠/٤
(٦) ٧٥/٤
(٧) ١٤٠/٤
(٨) ١٤٣/٤
(٩) ٤/٥
(١٠) ٦/٥
(١١) ٣٧/٦
(١٢) ٨٠/٨
(١٣) ١٢٥/٨
(١٤) ٣٣/١٠
(١٥) ١٨/١١

الخوص[١] ، الطسَّاس: بائع الطسوس وحرفته الطساسة[٢] ، رجل ثمَّار – لبَّان ، سمَّان ، فكَّاه. الطحَّان[٣] وحرفته الطحانة.

ثم يتحدث الإمام الرضى فى شرحه على الشافية لابن الحاجب وهو يذكر الفرق بين فاعل وفعَّال الوصفين وفاعل وفعَّال الدالين على النسب. يقول ابن [٤] الحاجب: " وكَثُر مجىء فعَّال فى الحرف كبَتَّاتٍ وعَوَّاج وثَوَّاب وجَمَّال ، وجاء فاعل أيضا بمعنى ذى كذا كتامِرٍ ولابن ودَارع ونابل ، ومنه عيشة راضية وطاعِمٌ كاس " يقول الرضى[٤]: أقول: اعلم أنه يجىء بعض ما هو على فَعَّال وفاعل بمعنى ذى كذا من غير أن يكون اسم فاعل أو مبالغة فيه ، كما كان اسم الفاعل نحو: غافر وبناء المبالغة فيه نحو: غفَّار ، بمعنى ذى كذا ، إلا أن فعَّالا لما كان فى الأصل لمبالغة الفاعل ففعَّال الذى بمعنى ذى كذا لا يجىء فى صاحب شىء يزاول ذلك الشىء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه ، إمَّا من جهة البيع كالبقَّال ، أو من جهة القيام بحالة كالجمال والبغَّال ، أو باستعماله كالسَّيَّاف ، أو غير ذلك ، وفاعل يكون لصاحب الشىء من غير مبالغة ، وكلاهما محولان على إسم الفاعل وبناء مبالغته يقال: لابن لصاحب اللبن ، ولَبَّان لمن يزاوله فى البيع أو غيره ، وقد يستعمل فى الشىء الواحد اللفظان جميعا كسَيَّاف وسائف ، وقد يستعمل أحدهما دون صاحبه كفوَّاس وتراس وفعَّال فى

---

[١] ٧٩/١١

[٢] ٢٥/١٢

[٣] ٥٠/١٢

[٤] انظر شرح الشافية ٨٤/٢

[٤] انظر شرح الكافية ٨٤/٢-٨٥

المعنى المذكور أكثر استعمالا من فاعل وهما مع ذلك مسموعان ليسا بمطردين ، فلا يقال البر: بـرّار ، ولا لصاحب الفاكهة: فكاه ، قال النحاة: إنهما فى المعنى المذكور بمعنى النسبة ، لأن ذا الشيء منسوب إلى ذلك الشيء ، وأيضا جاء فعال والمنسوب بالياء بمعنى واحد كبنى وبتات لبائع البت ، وهو الكساء. ثم يتحدث الرضى[1] ويذكر الفرق بين فعّال فى المبالغة والنسب فيقول : " ويعرف أنه ليس باسم فاعل ولا للمبالغة فيه : إما بأن لا يكون له فعل ولا مصدر كنابل ويغال ، ومكان آهل : أى : ذو أهل ، أو بان يكون له فعل ومصدر لكنه إما بمعنى المفعول : كما دافق وعيشة راضية وإما مؤنث مجرد عن التاء: كحائض وطالق . وقالوا فى نحو: مرضع ومطفل والسماء منفطر به : إنه على معنى النسبة لهذا أيضا ، وهذا يقدح فى قولهم : إن ما هو بمعنى النسبة من المجرد عن الياء إما على فعال أو فاعل فقط ، وإما جار على ما نضمنه على وجه المبالغة نحو : عز عزيز وذل ذليل وشعر شاعر ، وموت ماءت ، وهم ناصب فإن جميع ذلك معنى أطلق عليه إسم صاحب ذلك المعنى مبالغة ، إذ العزيز والذليل والشاعر والمائت والهام صاحب العز والذل والشعر والموت والنصب ، كما يطلق على صاحب المعنى اسم ذلك المعنى مبالغة نحو: رجل صوم وعدل "

ثم يتحدث الرضى [2] فى موضع آخر ويقول إن صيغة فعل كما جاءت للمبالغة نحو: رجل حذر جاءت كذلك للنسب نحو: رجل نهر

---

[1] انظر شرح الكافية ٨٥/٢

[2] انظر شرح الشافية ٨٨/٢

لصاحب العمل بالنهار يقول : " وكما استعملوا فعالا لما كان فى الأصل للمبالغة فى إسم الفاعل فى معنى ذى الشىء الملازم له استعملوا فعلا أيضا ، وهو بناء مبالغة اسم الفاعل ، نحو : عمل للكثير العمل وطعن ولبس ولسن فى معنى النسبة ، فاستعملوه فى الجوامد نحو: رجل نهر لصاحب العمل بالنهار ، ورجل حرح وسته بمعنى: حرى واستى : أى : الملازم لذلك الشغل ، فعلى هذا ليس معنى النسب مقصورا على فاعل وفعال ، بل يجىء عليه اسم الفاعل من الثلاثى وغيره ونحو : مرضع ومنفطر ، ويجىء من أبنية مبالغة اسم الفاعل فعال وفعل ، قال الخليل: وقالوا طاعم كاس على ذا : أى على النسبة : أى هو ذو كسوة وذو طعام ، وهو مما يذم به ، أى ليس له فضل غير أن يأكل ويلبس قال الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى[١]

ويقول ابن عصفور فى شرح جمل[٢] الزجاجى: وهو يتحدث عن النسب بغير ياء:

" وقد يجىء على فاعل وذلك موقوف على السماع نحو: رامح ، ونابل ، ودارع ، ولابن ، وثامر ، وسائف ، وقد يجىء على فعال وذلك موقوف على السماع نحو : عطار وخياط وبزاز ، وقد يكون هنا الإسم الذى ينسب إليه فعل وذلك نحو : نهر فى قول الشاعر:

---

(١) سبق تخريجه ص١٣٢.

(٢) انظر شرح جمل الزجاجى ٢/٣٠٩،٣١٠

لست بليلى ولكنى نهر لا أدلج الليل ولكن أبتكر[١]

وقد يجىء النسب على مفعال كمرأة معطار وعلى مفعيل نحو : ناقة مخطير وعلى مِفْعل نحو: امرأة مدعس وذلك قليل " وسبق أن مفعال تأتى للمبالغة نحو : منحار بوائكها.

وإن مفعيل تأتى كذلك للمبالغة نحو : مسكين فهما من الصيغ المشتركة بين المبالغة والنسب .

وقال الزمخشرى فى المفصل[٢]: " وقد يبنى على فَعّال وفاعل ما فيه معنى النسب من غير إلحاق الياءين كقولهم بتّات وعوّاج ثواب وحمال ولابن وثامر ودارع ونابل والفرق بينهما أن فعالا لذى صنعة يزاولها ويديمها وعليه أسماء المحترفين وفاعل لمن يلابس الشىء فى الجملة وقال الخليل : إنما قالوا : عيشة راضية أى : ذات رضى ورجل طاعم كاسى على ذا " قال ابن يعيش فى شرح المفصل[٣]: " اعلم أنهم قد نسبوا على غير المنهاج المذكور وذلك لأن لم يأتوا بياء النسبة لكنهم يبنون بناء يدل على نحو مايدل عليه ياء النسبة وهو قولهم لصاحب البتوت وهى الأكسية وأحدها بت بتات " ولصاحب الثياب "ثواب" ، ولصاحب البز بزاز ، ولصاحب العاج عواج ، ولصاحب الجمال التى ينقل عليها جمّال ، ولصاحب الحمير التى ينقل عليها حمّار ، وللصيرفى صرّاف وهو أكثر من أن يحصى كالنقاش وهذا النحو إنما يعملونه فيما كان صنعة ومعالجة لتكثير

---

[١] سبق تخريجه صـ١٣٨

[٢] انظر فى شرح المفصل لابن يعيش ١٣/٦

[٣] انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٣/٦

الفعل إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعته فجُعل له البنـــاء الـــدال على التكثير وهو فعَّال بتضعيف العين لأن التعضيف للتكثـــير ، ومـــا كان من هذا ذا شيء وليس بصنعة يعالجها أتوا بها على فاعل وذلـــك لأن فاعلا هو الأصل وإنما يعدل عنه إلى فعَّال للمبالغة فإذا لـــم تـــرد المبالغة جيء به على الأصل لأنه ليس فيه تكثير قالوا لـــذى الـــدرع "دارع" ولذى النبل "نابل" ولذى النشاب "نابل" ولذى اللبن والتمر "لابن وثامر" قال الحطيئة :

وغررتنى وزعمت أنك لابن فى الصيف تامِرْ [١]

ثم يقول ابن يعيش [٢]: " وهذا القبيل وإن كان كثـــيراً واســـعاً فليس بقياس بل يتبع فيه ما قالوه ولا يتجاوز فلا يقال لبائع الـــبر برّار ولا لصاحب الفاكهة فكَّاه ولا لصاحب الشعير شَـــعَّار ولا بـــائع الدقيق دقَّاق وإنما يقال دقيقىّ وقد قيل : دقَّاق ومثل ذلـــك الكســـائى نسب على قياس النسب والفراء على قياس البزّاز والعطَّار "

ويقول أبو حيان[٣] فى ارتشاف الضرب : واستغنوا غالبا عـــن ياء النسب بالبناء على فعَّال من لفظ المنسـوب إليـــه فـــى الحـــرف والصنائع قالوا : خبَّاز وقزّاز وبنَّاء وزجّـــاج وعَـــوَّاج ولآل وقـــالوا زجَّاجىّ وعَاجِىّ ولؤلؤىّ وبزّاز وبقَّال وخيَّاط ونَجَّار وجمَّال لمـــن أول العمل بالجمال وعَطَّار وبتَّات لبائع البتوت وهى الأكسية ، وقـــالوا : عِطْرِىّ وبتىّ . وبالبناء على فاعل لصاحب الشىء وإن لـــم يعالجـــه

---

(١)سبق تخريجه صـــ١٣٣.

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٥/٦

(٣) انظر ارتشاف الضرب لأبي حيان ٢٩٢،٢٩١/١.

قالوا : لابن ولاحم وتامر وكاسى ورامح ونابل ودارع وفـــارس وسائف وناشب وناعل وحاذ ، وقد يقوم مقام فاعل فعال قالوا : نبّـال وكلّاب وسيّاف وترّاس ونقّال لصاحب ما اشتق ذلك منه كمـا تقـول مقام فعال فاعل قالوا : حائك فى حوّاك ، وقد يقوم غير فاعل وفعـال مقامهما قالوا : إمرأة معطار أى : ذات عطر وفاقة مخضـو أى : ذات خضر .

ومذهب سيبويه[1]أن هذا وإن كـثر لا ينقـاس قـال لا تقـول لصاحب الدقيق دقاق ولا لصاحب الفاكهة فكاه ولا لصاحب البر بـرار ولا لصاحب الشعير شعار " والمبرد[2] يقيس هذا .

واستغنوا أيضاً عن ياء النسب بالبناء إسما على وزن فَعِل مـن المنسوب إليه قالوا رجل طعم ولبس وعمل ونهر المعنــى : ذو كـذا وقالوا : رجل حرى وحرح إذا كان يألف ذلك وهذا كله موقوف علـى السماع " .

وسبق أن بناء فعل يأتى للمبالغة نحو : رجل حذر ، وأن فعّـال يأتى للمبالغة نحو : غفار وأن مفعال يأتى للمبالغـة نحـو : منحـار بوائكها وسوف يأتى إن شاء الله أنه يرد كذلك إسما للآلــة نحـو : منشار ومفتاح فقد ترددت هذه الصيغة بين المبالغة والنسب والآلة .

---

[1] انظر الكتاب ٣٣٥/٣، ٣٣٨

والإمام السيوطى فى الهمع [١] جعل فعّال فى الإغناء عن ياء النسب من الشواذ فقال وهو يتحدث عن شواذ النسب ومنها : " الإغناء عن ياء النسب بصوغ فعّال من الحرفة : كخبّاز وقزّاز ، وسقّاء وزجّاج وبزّاز وبقّال وخيّاط ونجّار . وبصوْغ فاعل وفعِل بمعنى صاحب الشىء كتامر ولابن ، ونابل أى : صاحب تمر ولبن ونبل وطعِم ولبِن ، وعمِل أى : صاحب طعام ، ولبن وعمل . وقد يقام فعّال مقام فاعل كنبّال بمعنى : نابل أى : صاحب نبل ، وخرّج عليه قوله تعالى " ومَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلعبيد "[٢] أى: بذى ظلم . وقد يقام فاعِل مقام فعّال : كحائك فى معنى حوّاك ، لأن الحياكة من الحرف وقد يقام غيرهما مقامهما نحو : امرأة مِعْطار أى : ذات عطر ، وناقة مِحْضير أى : ذات حُضْر وهو ارتفاع الناقة أو الفرس فى عدوه .

وكل هذا موقوف على السّماع ولا يقاس شىء منه وإن كان قد كثر فى كلامهم قال سيبويه[٣]: فلا يقال لصاحب البر : بَرّار ، ولا لصحب الشعير : شعّار ، ولا لصاحب الدقيق : دقّاق ، ولا لصاحب الفاكهة : فكّاه . والمبرد[٤] يقيس باب فاعل وفعّال لأنه فى كلامهم أكثر من أن يحصى .

---

[٢] انظر المقتضب ١٦١/٣

[١] انظر الهمع ٣٧٠/٣

[٢] فصلت ٤٦

[٣] انظر الكتاب ٣٣٥/٣

[٤] انظر المقتضب ١٦١/٣

ويقول المرادى[١] وهو يشرح قول ابن مالك :

ومع فاعل وفعّال فَعِلَ　　　　في نسب أغنى عن اليا فقبل

يستغنى عن ياء النسب غالبا بصوغ فاعل إن قصد صاحب الشيء كقولهم : لابن وتامر أى : صاحب لبن وتمر ، وبفعال إن قصد الإحتراف كقولهم : بزاز وعطار ، وقد يقوم أحدهما مقام الآخر ، فمن قيام فاعل مقام فعال قولهم حائل فى معنى: حواك لأنه من الحرف ومن عكسه قول امرىء القيس:

وليس بذى رمح فيطعننى به　　وليس بذى سيف وليس بنبال [٢]

أى : وليس بذى نبل قال المصنف : وعلى ذلك حمل المحققون قوله تعالى " وما ربك بظلام للعبيد " [٣] أى : بذى ظلم . وقد يؤتى بياء النسب فى بعض ذلك ، قالوا : لبياع العطر ولبياع البتوت وهى الأكسية عطار وعطرى وبتات وبتى . وقد يستغنى عن ياء النسب بفعل بمعنى صاحب كذا ، كقولهم : رجل طعم ولبس وعمل بمعنى ذى طعام وذى لباس وذى عمل أنشد سيبويه :

لست بليلى ولكنى نهر[٤]　　　　................

أى عامل بالنهار . تنبهان :

---

[١] انظر شرح الألفية للمرادى ٥/١٥١-١٥٤

[٢] انظرى المقتضب ١٦١/٣

[٣] فصلت /٤٦

[٤] سبق تخريجه صـ١٣٨

الأول : قد يستغنى عن ياء النسب بمِفْعَال كقولهم : امرأة مِعْطار أى : ذات عِطر ومِفْعيل كقولهم ناقة مِحْضير أى : ذات حُضْر وهو الجرى .

الثانى : هذه الأبنية غير مقيسة ، وإن كان بعضها كثيراً هذا مذهب سيبويه قال : لا يقال لصاحب البر: بّرار ، ولا لصحب الشعير : شعَّار ، ولا لصاحب الدقيق : دقَّاق ، ولا لصاحب الفاكهة : فكَّاه . والمبرد يقيس هذا . وقد ذكر الأشمونى[1] فى شرحه على الألفية مثل ما ذكر المرادى ويتبعه حتى فى التنبيهات .

ويقول المكودى فى شرحه[2] على الألفية " ثم اعلم أن النسب يكون بالياء المشددة المذكورة كما تقدم ويكون بأوزان نبه عليها بقوله :

ومع فاعل وفَعَّال فَعِلْ فى نَسَبٍ أغنى عن اليا فقُبِلْ

فذكر ثلاثة أوزان : الأول : فاعل بمعنى صاحب كذا نحو : تامر ولابن وكاسى أى صاحب تمر وصاحب لبن وصاحب كسوة ، الثانى فَعَّال فى الحرف غالباً نحو : حَدَّاد وقزَّاز وفَعِل بمعنى صاحب كذا نحو : طَعِم ولَبِسَ بمعنى ذى طعام وذى لباس وفى حاشية السجاعى [3]على ابن عقيل : " ثم إن أمثلة فَعَّال كثيرة ومع كثرتها

---

[1] انظر الأشمونى ٤/٢٠٠

[2] انظر المكودى صـ٢١٧

[3] انظر حاشية السجاعى على ابن عقيل صـ٢٦٣،٢٦٤

فهى غير مقيسة فلا يقال لصاحب الدقيق دقـــاق ولا لصـــاحب الفاكهة فكاه " .

وفى حاشية الخضرى [١]على ابن عقيل: " وهذه الصيـغ غـير مقيسة عند سيبويه وإن كان بعضها فلا يقال : دقّاق وفكّـــاه وبـرّار لبياع الدقيق والفاكهة والبر قياسا على ما سمع من نحو عطّار وبقّال والمبرد يقيسه .

وفى شرح التصريح[٢]: " وقد يستغنى عن ياءى النسب بصـوغ المنسوب إليه على فعال وذلك غالب فى الحرف كبزار ونجار وعـواج وعطار لبياع العطر ومن غير الغالب قول امرىء القيس [٣]:

وليس بذى رمح فيطعننى به   وليس بذى سيف وليس بنبال .

أى : بذى نبل بدليل ما قبله فاستعمل فعال فى غـــير الحـرف بمعنى ذى كذا وحمل عليه قوم من المحققين كما قال ابن مالك (ومـــا ربك بظلام للعبيد)[٤] أى بذى ظلم والذى حملهم على ذلك أن التفـــى منصب على المبالغة فيثبت أصل الفعل والله تعالى منزه عــن ذلــك ، وأمثلة فعال كثيرة ومع كثرتها فقال سيبويه غير مقيسة فـــلا يقـال لصاحب البر: برار ، ولا لصحب الشــعير : شــعار ، ولا لصــاحب الدقيق : دقاق ، ولا لصاحب الفاكهة : فكاه . والمبرد يقيس هذا ، أو يصوغ المنسوب إليه على فاعل أو فعل بمعنى ذى كذا فالأول كتـــامر

---

[١] انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل ١٧٥/٢

[٢] انظر شرح التصريح ٣٧٧/٢

[٣]سبق تخريجه ص١٣٣

(٤) فصلت /٤٦

أى : ذى تمر ولابن أى : ذى لبن وطاعم أى ذى طعام . والثانى : كطعم أى : ذى طعام ولبن أى : ذى لبن ونهر أى : ذى نهار. قال الراجز :

لست بليلى ولكنى نهر   لا أدلج الليل ولكنى أبتكر[١]

أنشده سيبويه فى كتابه ولكنى نهارى أى : عامل بالنهار.

مِفْعال بين المبالغة والنسب والآلة

سبق القول أن من أشهر أوزان صيغ المبالغة فعّال وسبق الحديث عنها بين المبالغة والنسب وأن من أشهر الأوزان صيغة مفعال وأنها تأتى للمبالغة نحو : منحار بوائكها – وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وأنها تأتى كذلك للنسب نحو قولهم : امرأة معطار أى : ذات عطر ، وتأتى كذلك هذه الصيغة اسما للآلة وقد عرف اسم الآلة شمس الدين الكبشى[٢] (٦١٥-٦٩٥هـ) فقال :

وهى ما كات واسطة فى إيصال فعل الفاعل إلى المنفعل وتجىء على مفعل ، ومفعلة ومفعال كالمقبض والمكسحة والمقراض ، وما جاء منها مضموم العين كالمُسْعُط والمُنْخُل فقد قال سيبويه : لم يذهبوا بها مذهب الفعل ، ولكنها جعلت أسماء لهذه الأوعية ولا تعمل أصلا ، لأنها بمعنى الوعاء المضاف إلى المصدر .

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣٨

(٢) انظر الإرشاد إلى علم الإعراب للكبشى صـ٢١٢

أكثر ، فالقرينة وحدها هى التى تتحكم فى التوجيه هنا أو هنـاك ، ففى مثل : تخيرت للخشب الجزل منشارا قويا يمزقه تكون صيغـة مفعال " إسم آلة " بخلافها فى مثل : ما أعجب فلانا فى التحدث عـن نفسه ، ونشر أخباره ، وانتهاز الفرص للإعلان عن شـئونه !! إنـه جدير بأن يسمى : مِنْشَارا – فإنها صيغة مبالغة فى النشـر . ومثـل كلمة " مذياع " فقد يراد منها الآلة الصماء التى تسـتخدم فـى نقـل الأخبار المذاعة . وقد يراد منها الشخص المتكلم فـى تلـك الآلـة . فمثال الحالة الأولى تدل عليها القرينة : توقف المذيـاع لخلـل فـى أسلاكه. ومثال الثانية تدل عليها القرينة أيضا : ما أفصح المذيـاع ، وما أعذب صوته ، لم يتلجلج ولم يتردد ، ولم يشوه كلامه بلحـن أو خطأ مع أنه كان يرتجل بغير إعداد .

وإطلاق " المذياع " علي الآلة الصماء التى تستخدم فـى نقـل الأخبار وعلى الشخص المتكلم فى هذه الآلة ويفرق بينهما بـالقرائن كما سبق هذا من الوجهة اللغوية وقد جرى العرف اليوم علي تسـمية الآلة " بالمذياع وتسمية الشخص " بالمذيع "[1].

ومما ورد علي مفعال وهو اسم آلة فى كتاب الله عز وجل فـى قوله تعالى : (إن الله لا يظلم مثقـال ذرة)[2] فـى المفـردات [3] : المثقال ما يوزن به ، وهو من الثقل وذلك اسم لكـل سـنج . وفـى

---

[1] انظر النحو الوافى ٣/٣٤٤،٣٣٥

[2] النساء / ٤٠

[3] انظر مفردات الراغب صـ٨٦

البحر[١]: المثقال : مفعال من الثقل ومثقال كل شىء وزنـــه ولا تظن أنه الدينار لا غير . وفى الدر المصون[٢]: والمثقال : قدر مـــن الأقدار جعل معيارا لهذا القدر المخصوص .

ومثله قوله تعالى " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصبـــاح فى زجاجـــة "[٣] فـــى المفـــردات [٤] ويقـــال للســـراج : مصبـــاح ، والمصابيح : أعلام الكواكب وفى الكشاف[٥] : مصباح : سراج ضخـــم ثاقب. ومثله قوله تعالى (من الله ذى المعارج)[٦] فى المفـــردات[٧]: المعارج المصاعد وفى البحر[٨]: وقرأ الجمهور ومعارج جمع معـــرج ومعاريج جمع معراج وهى المصاعد إلى العلالى أو المعـــارج : لغـــة الدرج ، وهنا إستعارة ، قال ابـــن عبـــاس فـــى الرتـــب والفواضـــل والصفات الحميدة ... وقال الحسن : هى المراقى إلى السماء ومثلـــه قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب)[٩] فى المفردات [١٠] : المفتـــح والمفتاح ما يفتح به وجمعه مفاتيح ومفاتح .. وقيـــل : بـــل عنـــى بالمفاتح الخزائن نفسها .

---

[١]انظر البحر ٣/ ٢٥٠

[٢]انظر الدر المصون ٢/ ٣٦٤

[٣]النور/٣٥

[٤]انظر المفردات صـــ٢٧٧

[٥]انظر الكشاف ٣/ ٢٤١

[٦]المعارج /٣

[٧]انظر المفردات صـــ٣٣٢

[٨]انظر البحر ٨/ ١٥

[٩]الأنعام / ٥٩

[١٠]انظر المفردات صـــ٣٧٣

وفى الكشاف[1]: المفاتح : جمع مفتح ، وهو المفتاح ، وقرىء مفاتيح ، وقيل : جمع مفتح – بفتح الميم – وهو المخزن – وفى العكبرى[2]: هو جمع مفتح والمفتح: الخزانة فأما ما يفتح به فهو مفتاح وجمعه مفاتيح. وفى البحر[3]جمع مفتح – بكسر الميم وهى الآلة التى يفتح بها ما أغلق . قال الزهراوى : ومفتح أفصح من مفتاح ، ويحتمل أن يكون جمع مفاتح ، لأنه يجوز فى مثل هذا ألا يؤتى بالياء قالوا : مصابح ومحارب وقراقر فى جمع مصباح وقرقور وقيل : جمع مفنح بفتح الميم ويكون للمكان أى : أماكن الغيب ومواضعها ويؤيده ما روى عن ابن عباس أنها خزائت المطر والنبات ونزول العذاب .

وقال السمين الحلبى[4]: وقوله " مفاتح " فيه ثلاثة أقوال :

أحدها أنه جمع مفتح بكسر الميم والقصر مع فتح التاء – وهو الآلة التى يفتح بها نحو منجل ومناجل . والثانى أنه جمع مفتح : بفتح الميم وهو المكان ، ويؤيده تفسير ابن عباس : هى خزائن المطر .

والثالث : أنه جمع مفتاح : بكسر الميم والآلة ، وهو الآلة أيضا ، إلا أن هذا فيه ضعف من حيث أنه كان ينبغى أن تقلب ألف المفرد ياء ، فيقال : مفاتيح كدنانير ، ولكنه قد نقل فى جمع

---

(1) انظر الكشاف ٣١/٢

(2) انظر العكبرى ١٣٧/١

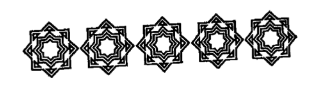
(3) انظر البحر ١٤٤/٤

(4) انظر الدر المصون ٧٨/٣

مِصْباح: مَصَابيح وفى جمع مِحْراب مَحَارب . ومثله قوله تعالى (فمَنْ ثقُلتْ موَازينُهُ فأُلئِكَ هم المُفْلِحون)[١] جمع ميزات أو موزون

وفى الدر المصون[٢] و " موازين " فيها قولان : أحدهما : أنـها جمع " ميزان " الآلة التى يوزن بها ، وإنما جُمِعَ لأن كلَّ إنسـان لـه ميزان يخصه علي ما جاء فى التفسير ، أو جُمِعَ باعتبـار الأعمـال الكثيرة ، وعبر عن الحال بالمحل .

والثانى : أنها جمع موزون وهى الأعمال ، والجمع حينئذ ظاهر



---

[١] الأعراف / ٨

[٢] انظر الدر المصون ٣/٢٣٦ الكشاف ٢/٨٩

فعيل بين المبالغة والصفة المشبهة

سبق الحديث فى المبحث الثالث عن خلاف العلماء فى أعمال فعيل وفعل من أمثلة المبالغة وأن سيبويه أجاز إعمال " فعيل " وأن " فعل " أقل من " فعيل " بكثير ومنه نحو : قدير وعليم ورحيم لأنه يريد المبالغة فى الفعل ، وأن المبرد لم يجز ذلك وقال : وأما ما كان علي " فعيل " نحو : رحيم وعليم فقد أجاز سيبويه النصب فيه ولا أراه جائزا ، وذلك أن " فعيلا " إنما هو إسم الفاعل من الفعل الذى لا يتعدى فما خرج إليه من غير ذلك الفعل فمضارع له ملحق به . والفعل الذى هو لـ " فعيل " فى الأصل إنما هو ما كان علي " فعل " نحو : كَرُم فهو كريم وشَرُف فهو شريف وظَرُف فهو ظريف فما خرج إليه من باب علم وشهد ورحم فهو ملحق به . فإن قلت : راحم ، عالم ، شاهد فهذا اسم الفاعل الذى يراد به الفعل . وسبق بالأدلة أن الصواب فى جانب سيبويه حيث أيده فى رأيه ابن عصفور فى شرح جمل الزجاجى وابن يعيش فى شرح المفصل وابن مالك فى شرح التسهيل . ودافع عنه ابن ولاد التميمى فى كتابه الإنتصار لسيبويه علي المبرد .

وبالتأمل فى صيغ وأوزان الصفة المشبهة وجد أن صيغة " فعيل " كما وردت للمبالغة وردت كذلك من بين أوزان الصفة المشبهة . وينبغى قبل أن أبدأ فى بيان صيغة " فعيل " من بين أوزان الصفة المشبهة أن أبدأ بتعريف الصفة المشبهة .

عرف ابن مالك الصفة المشبهة فقال : " هى الملاقية فعلا لازماً ثابتاً معناها تحقيقاً أو تقديراً قابلة للملابسة والتجرد والتعريف والتنكير بلا شرط " احترز بالملاقية فعلاً من نحو : قرشّى وقتّات ، ويكون الفعل الذى تلاقيه لازماً من نحو عارف وجاهل ، وبالثابت معناها من نحو : قائم وقاعد ، ونبه بتقدير الثبون علي متقلب ونحوه ، واحترز بقبول الملابسة والتجرد من أب وأخ ونحوهما ، وبقبول التعريف والتنكير بلا شرط من أفعل التفضيل .

وإذا كانت الصفة المشبهة مصوغة من فعل ثلاثى فالغالب كونها غير موازنة الفعل المضارع كضخم الجثة ولين العريكة وعظيم المقدار وحسن السيرة "[1]

وعرفها ابن الناظم فقال الصفة : ما دل علي حدث وصاحبه ، والمشبهة باسم الفاعل : منها ما صيغ لغير تفضيل من فعل لازم ، لقصد نسبة الحدث إلى الموصوف به دون إفادة معنى الحدوث . فلذلك لا تكون للماضى المنقطع ولا للمستقبل الذى لم يقع ، وإنما تكون للحال الدائم ، وهو الأصل فى باب الوصف . وأكثر ما تكون الصفة المشبهة غير جارية علي لفظ المضارع نحو : جَميل وضَخم

---

[1] انظر شرح التسهيل ٨٩/٣

وحسن ملآن وأحمر ، وقد تكون جارية عليه كطاهر وضامر ومعتدل ومستقيم ، وتمثيله – أى ابن مالك – بطاهر القلب جميل الظاهر منية علي مجيئها بالوجهين "[١].

وعرفها الكبشى (٦١٥-٦٩٥هـ) فقال : هى المشتقة الغير جارية علي المضارع نحو : حسن وصعب ، وتعمل بمشابهة الجارى – وهو اسم الفاعل الجارى علي فعله المضارع المبنى للمعلوم . لأنها تذكر وتؤنث وتثنى وتجمع كقول : حسن ، حسنة ، حسنات ، حسنون ، كقولك : ضارب ، ضاربة ، ضاربان ، ضاربون [٢].

وعرفها ابن عصفور (٥٩٧-٦٦٩هـ) فى شرح الجمل فقال : " الصفة المشبهة باسم الفاعل هى : كل صفة مأخوذة من فعل غير متعد لأنها إنما شبهت باسم الفاعل المأخوذ من الفعل المتعدى فعملت عمله ووجه الشبه بينهما أنها صفة كما أن اسم الفاعل كذلك ، وأنها متحملة للضمير كما أن اسم الفاعل متحمل ضميرا ، وأنها طالبة للإسم بعدها ، كما أن اسم الفاعل كذلك فتقول : مررت برجل ضارب زيدا. فلما أشبه من هذه الوجوه عملت عمله[٣].

وعرف العكبرى (٥٣٨-٦١٦هـ) الصفة المشبهة وبين المشابهة بينها وبين اسم الفاعل فقال : " هى كل صفة لا تجرى علي الفعل مما لا مبالغة فيه ، نحو : حسن وبطل وشديد . ومشابهتها له فى أنها تثنى وتجمع وتؤنث ، وهى مشتقة كما أنه مشتق ف :

---

[١] انظر شرح الألفية لابن الناظم صـ٤٤٤،٤٤٥

[٢] انظر الإرشاد إلى علم الإعراب للكبشى صـ٢٠١

[٣] انظر شرح الجمل لابن عصفور ٥٦٦/١

حسن وحسنان وحسنون وحسنات مثـــل : ضــــارب وضاربـــان وضاربون وضاربة وضاربتان وضاربات[١].

وعرفها المكودى (ت ٨٠٧هـ) فقال: الصفة المشبهة باســم الفاعل ما صيغ لغير تفضيل من فعل لازم لقصد نسبة الحـــدث إلــى الموصوف دون إفادة معنى الحـــدوث وتتمــيز مــن اســم الفــاعل باستحسان جر فاعلها بإضافتها إليه[٢].

وعرفها ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) فقـــال : " هـــى الصفـــة المصوغة لغير تفضيل لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها دون إفـــادة الحدوث "[٣].

ويقول صاحب التبيان فى تصريف الأسماء ويعـــرف الصفـــة المشبهة " هى ما اشتق من مصدر فعل لازم لغير تفضيل لقصد نســبة الحدث إلى الموصوف علي جهة الثبوت " ثم يقول وهو يتحدث عـــن ورود الصفة المشبهة من فَعُل بضم العين : " إذا كان الفعل علي فَعُـل – بضم العين – فالغالب أن يأتى الوصف منه علـــي فَعِيـــل كظريـــف وشريف وفَعْل كشَهْم وسَهْل ، ولكثرة هذيـــن البنـــائين قـــال بعـــض العلماء: " إنهما قياسيان فى فَعُل ، وقيل : القياسى هو فعيـــــل فقـــط وفُعَال نحو شُجَاع وفُرات "[٤].

---

[١] انظر اللباب للعكبرى ٤٤٣/١

[٢] انظر شرح الألفية للمكودى صـــ ١٢٠

[٣] انظر قطر الندى صـــ٣٠٢

[٤] انظر التبيان د/كحيل صـــ٧٥،٧٢

مما سبق يتضح أن الصفة المشبهة تأتى علي فعيل إذا كان الفعل علي فَعُل نحو شرف شريف وظرف ظريف . وقد سبق أنها جاءت من صيغ المبالغة .

ويقول صاحب النحو الوافى : " إن كان الثلاثى اللازم علي وزن فَعُل – بضم العين – فالصفة المشبهة كثيرة الأوزان ، فقد تكون علي وزن فعيل مثل شرف فهو شريف نبل فهو نبيل قبح فهو قبيح . أو علي وزن فَعْل مثل : ضَخُم فهو ضَخْم شَهُم فهو شَهْم صَعُب فهو صَعْب . أو علي وزن حَسُن فهو حَسَن بَطُلَ فهو بَطَل "[1]. فقد بين فيما سبق أن الصفة المشبهة تأتى علي وزن " فعيل " إن كان الفعل الثلاثى اللازم علي وزن " فَعُل " – بضم العين .

ويقول الرضى (ت٦٨٦هـ) فى شرح الشافية وهو يتحدث عن أوزان الصفة المشبهة: " ويجىء فعيل فيما حقه فَعِلٌ كَسَقيم ومَرَيض ، وحمل سَليم على مريض والقياس سالم . ومجىء فعيل فى المضاعف والمنقوص اليائى أكثر كالطَّبيب واللَّبيب والخَّسيس والتَّقىَ والشَّقىَ "

ويقول ابن الحاجب : " ومن نحو : كَرُمَ على كَريم غالباً ، وجاءت على خَشِنٍ وحَسَنٍ وصَعْبٍ وصُلْب وجَبَان وشُجَاع ووقُور وجُنُب" .

أقول : أى الرضى : الغالب فى باب فَعُل فعيل ، ويجىء فُعَال بضم الفاء وتخفيف العين مبالغة فعيل فى هذا الباب كثيراً لكنه غير

[1] انظر النحو الوافى ٣/٢٨٧

مطرد ، نحو طويل وطوال ، وشجيع وشجاع".

فابن الحاجب والرضى بينا كذلك أن الصفة المشبهة من فعل بضم العين تأتى على فعيل ويقول أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) فى ارتشاف الضرب : " ويلزم فعيل فى المعنى عن فعل نحو : كبير وسمين وإذا كان على فعل كان بزنة فعيل قياسا نحو : شرف فهو شريف ، وقال ابن مالك : كثر فعيل وفعل فى فعل ، ومن استعمل القياس فيهما عند السماع فهو مصيب ".

ويقول سيبويه (ت ١٨٠هـ) فى مواضع متفرقة[١] من الكتاب وهو يتحدث عن أوزان الصفة المشبهة وأنها تأتى على "فعيل" وقد سبق أنها من أوزان صيغ المبالغة .

يقول سيبويه : " وقد جاء شيء من هذه الأشياء المتعدية التى هى على فاعل على فعيل حين لم يريدوا به الفعل ، شبهوه بظريف ونحوه ، قالوا : ضريب قداح وصريم للصارم. والضريب : الذى يضرب بالقداح بينهم.[٢] ويقول فى موضع آخر من الكتاب : " وقد جاء شيء منه على فعيل ، وذلك خصيف ، وقالوا : أخصف وهو أقيس . والخصيف سواد إلى الخضرة.[٣] ويقول فى موضع آخر " وتجيء الأسماء على فعيل وذلك : قبيح ، ووسيم ، وجميل وشقيح ، ودميم وقالوا : شنع شناعة وهو شنيع وقالوا : نظف نظافة ونظيف، كصبح صباحة وصبيح.[٤]

---

[١] انظر الكتاب ٤/٧ ، ٢٦ ، ٢٨-٣٧

[٢] انظر للكتاب ٤/٧

[٣] انظر الكتاب ٤/٢٦

[٤] انظر الكتاب ٤/٢٨،٢٩

ويقول فى موضع آخر من الكتاب : " وما كان من الصغر والكبَر فهو نحو من هذا ، قالوا : عَظُمَ عظامةً وهو عظيمٌ ، ونَبُلَ نَبالةً وهو نبيلٌ ، وصَغُرَ صَغارةً وهو صغيرٌ ، وقدُمَ قدامً وهو قديمٌ وقالوا : كثُر كثارةً وهو كَثيرٌ وقالوا سَمُنَ سمنا وهو سمين، ككبر كبرا وهو كَبيراً وقالوا : غَلُظ يغلظ غلظاً وهو غليظٌ ، كما قالوا : عَظُمَ يَعْظُم عِظماً وهو عظيم ".[1]

وقالوا سَرُعَ يسْرُعُ سَرعاً وهو سريع ، وبطُؤَ بطأ وهو بطىءٌ . وقالوا : شَرُفَ شَرفا وهو شريفٌ ، وكَرُمَ كَرماً وهو كَريمٌ . وقالوا رَفُقَ يرفُقُ وهو رَفيقٌ.[2]

وبعد هذا العرض لتعريف الصفة المشبهة ولورود صيغة فعيل من فعُل – بضم العين –من بين أوزان الصفة المشبهة إليك بعض الشواهد القرآنية التى وردت فيها صيغة فعيل وهى تحتمل أن تكون صفة مشبهة ، وأن تكون من أمثلة المبالغة . فمما ورد من ذلك قوله تعالى :(ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)[3] فى الكشاف[4] : يقال : ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع .. والألم فى الحقيقة للمؤلم . وفى البحر [5]: أليم فعل من الألم ، بمعنى مفعل كالسميع بمعنى المسمع أو للمبالغة . وفى النهر[6] : أليم إما للمبالغة ، ووصف العذاب به مجاز ، وهو من مجاز التركيب ، أو معناه :

---

[1] انظر الكتاب ٣١،٣٠/٤

[2] انظر الكتاب ٣٥،٣٢/٤

[3] البقرة /١٠

[4] انظر الكشاف ٦٠/١

[5] انظر البحر ٥٣/١ والقرطبى ١٣٩/١

[6] انظر النهر ٥٨-٥٩

مُؤْلم ، جاءَ فعيل من أفعل ، وهو مجاز الإفراد والعكـــبرى[1] : هو فَعيل بمعنى مُفْعل ، لأنه من قولك : ألِم فهو مُؤْلِم .

وفى الدر المصون[2] : وأليم هنا بمعنى مُؤْلِمُ كقوله :

ونَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلاتٍ   يَصُكُّ وُجُوهَهَا وَهَجٌ أليمُ.[3]

ويجمع على فُعلاء كشريف وشرفاء ، وأفعال مثل : شـــريف وإشراف ، ويجوز أن يكون فعيل هنا للمبالغة مُحَوَّلاً من فَعِل – يكسـو العين – وعلى هذا يكون نسبة الألم إلى العذاب مجازاً ، لأن الألم حَـلَّ بمَنْ وقع به العذابُ لا بالعذاب فهو نظير قولهم : شِعْر شَاعِر.وممـــا ورد فى ذلك قولـــه تعـــالى : (بَديــعُ السَّـموات والأرْض)[4] قـــال الراغب[5]: الإبداع : إنشاء صنعة بـــلا إحتـــذاء ولا إقتـــداء .. وإذا استعمل فى قول الله تعالى فهو إيجاد شىء بغير آلـــة ولا مـــادة ولا زمان ولا مكان ، وليس ذلك إلا لله . والبديع يقال للمبدع نحو قولـه : " بديع السموات والأرض " ويقال للمبدع نحو : ركبة بديع .

وفى الكشاف [6] : يقال : بدع الشىء فهو بديـــع .. " بديـــع السموات " من إضافة الصفة المشـــيهة إلـــى فاعلـــها ، أى : بديـــع سماوته وأرضه . وقيل: البديع بمعنى المبدع كما أنه السميع بمعنـــى

---

[1] انظر العكبرى ١٠/١ دراسات ٩٤/٧

[2] انظر الدر المصون ١١٦/١

[3] البيت من الوافر لذى الرمة وانظر ديوانه ٦٧٧ الأضداد ٨٤ الـــدر المصـــون ١٦/١ والقرطـــى ١٣٩/١

[4] البقرة/١١٧

[5] انظر المفردات صـــ٤٩

[6] انظر الكشاف ١٨١/١

المسمع .

وفى العكبرى[1] والإضافة هنا محضة ، لأن الإبداع لهما ماض . وفى البحر[2] : " هو من باب الصفة المشبهة باسم الفاعل فالمجرور مشبه به لمفعول وأصله الأول بديع سماواته ثم شبه الوصف فأضمر فيه ، منصب السموات ثم جر ما نصب ، وفيه أيضا ضمير يعود على الله تعالى . وقال الزمخشرى : هو من إضافة الصفة المشبهة إلى منصوبها والصفة عندنا لا تكون مشبهة حتى تنصب أو تخفض وأما إذا رفعت ما بعدها فليست عندنا صفة مشبهة ، لأن عمل الرفع فى الفاعل يستوى فيه الصفات المتعدية وغير المتعدية وفعيل بمعنى مفعل لا ينقاس .

وقال السمين الحلبى[3] : " وبديع السموات " من باب الصفة المشبهة أضيفت إلى منصوبها الذى كان فاعلا فى الأصل ، والأصل : بديع سماواته أى : بدعت لمجيئها على شكل فائق حسن غريب ، ثم شبهت هذه الصفة باسم الفاعل فنصبت ما كان فاعلا ، ثم اضيفت إليه تخفيفا ، وهكذا كل ما جاء من نظائره فالإضافة لابد وأن تكون من نصب لئلا يلزم إضافة الصفة إلى فاعلها ، وهو لا يجوز كما لا يجوز فى اسم الفاعل الذى هو الأصل . وقال الزمخشرى[4] : وبديع السموات من باب إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها . ورد عليها

(1) انظر العكبرى ٣٣/١ والقرطبى ٦٠/٢

(2) انظر البحر ٣٦٤/١

(3) انظر الدر المصون ٣٥٢/١

(4) انظر الكشاف ٣٠٧/١

الشيخ[1] بما تقدم ، ثم أجاب عنه بأنه يحتمل أن يريد إلى فاعلها فى الأصل قبل أن يشبه ، وأجاز الزمخشرى فيه وجها ثانيا : وهو أن يكون بديع بمعنى مبدع كما أن سميعاً فى قول عمرو بمعنى مسمع نحو :

أمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِى السَّمِيعُ   يُؤرِّقُنِى وأصْحَابِى هُجُوعُ[2] ؟

إلا أنه قال : " وفيه نظر " وهذا الوجه لم يذكر ابن عطية غيره ، وكان النظر الذى ذكره الزمخشرى – والله أعلم – هو أن فَعيلاً بمعنى مُفْعِل غير مقيس وبيت عمرو متأول وعلى هذا القول يكون بديع السماوات من باب إضافة اسم الفاعل لمنصوبه تقديراً والمبدع : المخترع المنشىء ، والبديع : الشىء الغريب الفائق غيره حسنا .

ومما ورد من ذلك قوله تعال : (إنَّا أرسَلْنَاكَ بالحَقِّ بَشيرا ونَذيراً)[3] فى الدر المصون[4]: وبشير ونذير على صيغة فعيل ، أما بشير فنقول هو من بشر مخففاً ، لأنه مسموع فيه ، وفعيل مطرد من الثلاثى ، وأما " نذير " فمن الرباعى ولا ينقاس عدل مُفْعِل إلى فعيل ، إلا أن له هنا محسنا .

وكذلك قوله تعالى (يسْ والقُرْآن الحكيم)[5] فعيل بمعنى

---

[1] انظر البحر ٣٦٤/١

[2] من الوافر لعمرو بن معد يكرب وانظر أمالى الشجرى ٦٤/١ ابن يعيش ٧٣/١ مشكل القرآن ٢٩٧ اللسان – سمع – الدر المصون ٣٥٢/١

[3] البقرة / ١١٩

[4] انظر الدر المصون ٣٥٦/١

[5] يس / ٢،١

مُفْعِل وإما للمبالغة من حاكم ، وإما بمعنى النسب أى ذى حكمة [١] . وقال السمين[٢] الحلبى يجوز أن يكون بمعنى فاعل أى: الحاكم ، وأن يكون بمعنى مفعول أى : مُحْكَمْ ومنه قوله تعالى : (وكَفَىَ بالله حسيباً)[٣] فى الكشاف[٤]: أى : كافياً فى الشهادة عليكم بالدفع أو القبض أو محاسباً فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب .

وفى البحر[٥]: أى : كافيا فى الشهادة عليكم ، ومعناه : محسباً من أحسبنى كذا ، أى : كفانى ، فيكون فعيل بمعنى مُفْعِل أو محاسباً أو حاسباً لأعمالكمْ يجازيكم بها وحسيب " فعيل " بمعنى مفاعل وجليس وخليط ، أو بمعنى " فاعل " حول للمبالغة فى الحسبات . وبعد هذه الشواهد القرآنية يتضح جليًا أن صيغة " فعيل " إحتملت وجهين تارة المبالغة وتارة الصفة المشبهة وبعد هذا العرض إليك أهم النتائج التى إنتهى إليها البحث :

---

[١] انظر البحر ٣٢٣/٧ الجمل ٤٩٨/٣

[٢] انظر الدر المصون ٣/٤ والقرطبى ٦/١٥

[٣] النساء / ٦

[٤] انظر الكشاف ٤٧٦/١ والقرطبى ٣١/٥

[٥] انظر البحر ١٧٤/٣

الخاتمة

١-أن المبالغة : أن تثبت للشيء أكثر مما له ، أو أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد منه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده ، وهي نوعان : مبالغة بالوصف بأن يخرج إلى حد الإستحالة ، ومبالغة بالصيغة وهي صيغ المبالغة ، أو هي صيغ تأتي بدلا من اسم الفاعل للدلالة على المبالغة في معنى الفعل وذلك أن صيغة فاعل تحتمل في دلالتها على الحدث القلة والكثرة . فإذا أريد الدلالة على كثرة الحدث كماً أو كيفاً حُوّلت فاعل إلى إحدى هذه الصيغ .

٢-أن المشهور بين العلماء أن هذه الصيغ خمس صيغ وهي: فَعَّال ، مِفعال ، فَعُول ، فعِيل ، فعِل كما قال بذلك سيبويه وابن مالك وابن يعيش والرضي والمرادي والمكودي والصبيمري والصبان والأشموني والسجاعي والخضري وابن عقيل وابن هشام وأن من العلماء من جعلها ثماني صيغ كالزركشي في البرهان ، ومنهم من جعلها تسع صيغ كالسيوطي في الإتقان ، ومنهم من جعلها إثنى عشر بناء كما نقل السيوطي في المزهر عن ابن خالويه في شرح الفصيح وقد سبقت الأشارة إلى اللبس الذي يفهم من نص المزهر. وقد وردت في كتاب الله عز وجل على إثنى عشر بناء ولعل هذا يتفق مع ما ورد عن ابن خالويه، ومنهم من جعلها سبعة أمثلة كأبي حيان في إرتشاف الضرب .

٣-أن فائدة أمثلة المبالغة : أنها نوع من الإختصار فاللفظة الواحدة تدل على التكثير والمبالغة ، ولاشك أن قولك : : " ضروب " فيه إيجاز وإختصار من قولك : ضارب وضارب وضارب .

٤-ذهب بعض العلماء فى قياسية أمثلة المبالغة إلى أن الصيغ الخمس قياسية من الثلاثى المتعدى ونسب بعضهم ذلك للبصريين ، وذهب فريق إلى أنها سماعية ، وبعض العلماء ذهب إلى أن الصيغ : فعّال مِفعال وفَعُول قياسية لكثرتها وأما غيرها فسماعى ونسب إلى أبى حيان .

٥-أن المجمع اللغوى قرر أن صيغة " فعّال " تأتى للمبالغة قياسا من الثلاثى المتعدى واللازم وذلك لورود ألفاظ كثيرة من المتعدى واللازم تصلح أساسا للقياس .

٦-أن صيغة فعيل كثيرة فى المبالغة وإذا ثبتت كثرتها كان القياس عليها جائزا كما قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب وابن ولاد وابن خروف وأبوحيان ولذلك قال : " وعلى هذا لا يبعد عمله نصبا " وقد جعل المجمع اللغوى القاهرى هذه الصيغة قياسية وليست مقصورة على المجمع كما يرى النحاة الأقدمون .

٧-أن مذهب سيبويه جواز إعمال هذه الأمثلة الخمسة ، ومنع أكثر البصريين منهم المازنى والمبرد وإعمال فعيل وفعل وقد سبق بالأدلة أن الصواب هو رأى سيبويه فقد أيده ابن يعيش فى شرح المفصل وابن مالك فى شرح التسهيل وابن عصفور فى جمل الزجاجى ودافع عنه ابن ولاد التميمى فى كتابه الإنتصار لسيبويه على المبرد . وفصل الجرمى فأجاز إعمال فعل لأنه على وزن الفعل ، ومنع إعمال فعيل ، ومنع الكوفيون إعمال الخمسة ، لأنها لما جاءت للمبالغة زادت على الفعل فلم تعمل عندهم شيئا ومتى وجدوا شيئا منها قد وقع بعده منصوب أضمروا لة فعلا وقد حكم ابن هشام على

مذهب الكوفيين بأنه تعسف وحكم عليه ابن عصفور فى شرح جمل الزجاجى بأنه مذهب فاسد وردّ عليه فيما سبق .

٨-أن صيغ المبالغة قد تبنى من غير الثلاثى أى : من أفعل نحو : حساس ودراك من أحس وأدرك ، وحكم هذه الأمثلة عند من يرى إعمالها حكم اسم الفاعل أحكاماً وشروطاً وإتفاقاً وإختلافاً إلا ما ذهب إليه ابن خروف أنه يجوز إعمالها ماضية وإن عريت من " أل " وإن كانا لا يقولان بإعمال اسم الفاعل العارى من " أل " إذا كان ماضيا .

٩-أن المشهور فى أمثلة المبالغة أنها لا تتفاوت ولكن ورد عن العرب أنهم بنوا لمن فعل مرة واحدة فاعلاً كقاتل وضارب ، ولمن كرر الفعل فعَّالا كقتَّال ولمن بالغ فى الفعل وكان قويا عليه فعُلاً نحو : صبور ، ولمن إعتاد الفعل مِفْعال كامرأة مذكار ، وبعضهم قال : أن ضَروُب لمن كثر منه الضرب ، وفعَّال لمن صار له كالصناعة ومِفْعال لمن صار له كالآلة ، وفعيل لمن صار كالطبيعة وفَعِلَ لمن صار كالعاهة .

١٠-أن صيغ المبالغة لا تستعمل إلا حيث يمكن التكثير فلا تقول : زيد قتَّال عمراً ولا زيد موّات ، ويجوز زيد قتَّالُ الأبطال .

١١-أن صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها ، لأن المبالغة أن تثبت للشىء أكثر مما له وصفات الله متناهية فى الكمال لا يمكن المبالغة فيها وأيضا فالمبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان ، وصفات الله منزهة عن ذلك .

١٢-أن المبالغة فى " الرحمن " و " الرحيم " مختلفة فمبالغة " فعلان " من حيث الإمتلاء والغلبة ، ومبالغة " فعيل " من حيث التكرار والوقوع بمجال الرحمة والصحيح أن الرحمن أبلغ من الرحيم ولهذا لا يجوز التسمية به وأنه ورد على لفظ التثنية وكأن البناء تضاعفت فيه الصفة .

١٣-أن أكثر الصيغ وقوعا فى القرآن الكريم صيغة " فعّال " نحو غفار وأن من المشكل قول الله تعالى : (وما ربك بظلام للعبيد) وتقريره أنه لايلزم من نفى الظلم بصيغة المبالغة نفى أصل الظلم والواقع نفيه وقد أجيب عن ذلك بأحد عشر وجها سبق ذكرها .

١٤-أن صيغة " فَعَّال " كما وردت فى الأسلوب العربى للمبالغة وردت كذلك للنسب فهى صيغة مشتركة بينهما وهى أكثر الصيغ إستعمالاً فى النسب بدون ياء ومع كثرتها يرى سيبويه أنها غير مطردة حيث قال فى " فعَّال " وذا أكثر من أن يحصى وليس فى كل شىء قبل هذا ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر : برَّار ولا لصاحب الفاكهة : فكَّاه ويرى المبرد أن صوغ فعَّال للنسب قياسى وقال : وكل من رأينا من ترضى عربيته يقول لصاحب البر : برار وقد أخذ المجمع اللغوى برأى المبرد فقرر : أن صيغة فعَّال تستعمل قياساً للدلالة على الإحتراف أو ملازمة الشىء فإن خيف اللبس بين صانع الشىء وملازمه كانت صيغة فعَّال للصانع ، زكان النسب بالياء لغيره فيقال زجّاج لصانع الزجاج ، وزجاجى لبائعه . وأن صيغة فَعِلَ كما جاءت للمبالغة نحو : عمل وحذر جاءت للنسب فقالوا : نَهِرَ يريدون نَهارىٌّ .

١٥-أن الذى يبين أن المقصود من هذه الصيغ النسبة وليس المقصود اسم الفاعل ولا المبالغة فيه أحد أمور : منها : أن لا يكون له فعل ولا مصدر مثل نابل وبغَّال ، ومكان آهل ذو أهل ، الثانى أن يكون له فعل أو مصدر ولكنه بمعنى إسم المفعول كماء دافق وعيشة راضية ، أو يكون مؤنثاً مجرداً من التاء كحائض وطالق ، فلو كان المقصود منها اسم الفاعل للحقتهما التاء .

١٦-أن صيغة مِفعَال كما جاءت للمبالغة نحو : مِنْحار بوائكها وردت كذلك للنسب نحو امرأة مِعْطار أى ذات عطر ووردت كذلك للآلة نحو : مِنْشَار والتفريق بين هذه الإستعمالات يكون بالقرائن اللفظية والمعنوية .

١٧-أن صيغة " فَعيل " كما وردت للمبالغة وردت كذلك من بين أوزان الصفة المشبهة من " فَعُلَ " بضم العين نحو : شَرُفَ فهو شريف .

وهناك نصوص يجوز فى صيغة " فعيل " أن تأتى فيها للوجهين أى : المبالغة أو الصفة المشبهة .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د / عادل محمد على الطنطاوى

مدرس اللغويات فى كلية اللغة العربية بالمنصورة

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم :

٢- اتخاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر : ابن البناء الدمياطى صحة على محمد الضياع دور الندوة الجديدة بيروت لبنان .

٣- الاتفاق فى علوم القران للسيوطى مراجعة وتدقيق سعيد المندوه دار الفكر ١٩٩٦م .

أدب الكاتب لابن قتيبه الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) شرح أ/ فاعور دار الكتب العلملية بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٤- ارتشاف الضرب لأبى حيان الأندلس تحقيق أ . د / مصطفى النماس الطبعة الأولى ١٩٨٩م المدنى .

٥- أسرار العربية للآنبارى تحقيق محمد بهجت البيطار - المجمع العلمى بدمشق - يدون .

٦- الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى تحقيق طه عبد الرؤف سعد مكتبة الكليات الآزهرية طـ ١٩٨٥م ١٤٠٥ هـ .

٧-الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية طـ ١٩٨٥ ١٤٠٥ هـ .

٨- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه - دار المنار ١٩٧٧م .

٩- الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى تحقيق د/أحمد قاسم .

١٠- الأمالى الشجرية لابن الشجرى دار المعرفة - بيروت لبنان - بدون .

١١- إملاء ما من به له الرحمن للعكبرى ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٩٧٩م .

١٢- الانتصار لسيبويه على المبرد لابن ولاد التميمى (ت ٣٣٢ هـ) وتحقيق د/ زهير عبد المحسن مؤسسة الرسالة .

١٣-أوضح المسالك تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد العزيز النجار طبعة الفجالة الجديدة .

١٤-البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط دار الفكر الثانية عام ١٤٠٣ هـ .

١٥- البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار التراث .

١٦- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) شرح أحمد السيد أحمد صقر - المكتبة العلمية .

١٧- التبصرة والتذكرة للصيمرى .

١٨-التبيان فى تصريف الأسماء أ د/ أحمد حسن كحيل الطبعة السادسة ١٩٧٨م مطبعة السعادة .

١٩- التصريح بمضمون التوطيح للشيخ خالد الأزهرى دار أحياء الكتب العلمية - عيسى الجلى .

٢٠- التعريفات للجرجانى (ت ٨١٦ هـ) تحقيق إبراهيم الآبيارى - دار الريان للتراث .

٢١- تفسير الجلالين بهامش الفتوحات الأهلية ، دار المنار

٢٢- تفسير السمين الحلبى - الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى تحقيق على معوض وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .

٢٣- تفسير الطبرى (محب جرير الطبرى) ط عيسى ١٩٥٩م .

٢٤- تفسير القرطبى : الجامع لأحكام القرآن - دار الكتب العلمية - الطبعة الخامسة - ١٩٩٦م - ١٤١٧ هـ .

٢٥- تفسير الكشاف للزمخشرى - دار الفكر للطباعة والنشر - بدون .

٢٦- توضيح المقاصد للمرادى تحقيق د/ عبد الرحمن سليمان سليمان - ط النائبة .

٢٧- حاشية الخضرى على ابن عقيل ط ١٩٤٠م مصطفى الحلبى .

٢٨- حاشية السجاعى (ت ١١٩٧ هـ) على ابن عقيل - المطبعة الحسينية المصرية .

٢٩- حاشية الطبان على الأشمونى عيسى الحلبى .

٣٠- حاشية الشيخ يسن العليمى على التصريح عيسى الحلبى .

٣١- حاشية الشيخ يسن العليمى على الفاكهى الطبعة الأولى ١٩٧١م مصطفى الحلبى .

٣٢- خزانة الأدب للبغدادى تحقيق عبد السلام هارون الطبعة الثالثة ١٩٨٩م مكتبة الخانجى القاهرة

٣٣- الخصائص لأبن جنى تحقيق محمد على النجار الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م

٣٤- دراسات لأسلوب القرآن الكريم د/ محمد عبد الخالق عظيمة - دار الحديث القاهرة .

٣٥- شرح أبيات المغنى للبغدادى تحقيق عبد العزيز رباح دار المأمون للتراث بيروت ١٩٧٩م .

٣٦- شرح ابن عقيل على الألفية تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط٢٠ ١٩٨٠م دار التراث

٣٧- شرح التسهيل لأبن مالك تحقيق عبد الرحمن السيد -هاجر للطباعة ط الأولى ١٩٩٠.

٣٨- شرح جمل الزجاجى لأبن عصفور تحقيق د/صاحب أبو جناح .

٣٩- شرح شافية ابن الحاجب الأسترابازى تحقيق د/محمد الزفزاف وزميليه دار الكتب بيروت لبنان ١٣٩٥هـ

٤٠- شرح شذور الذهب لأبن هشام الأنصارى تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط١١ دار الأنصارى .

٤١- شرح شواهد المغنى للسيوطى دار مكتبة الحياة بيروت .

٤٢- شرح شواهد الشافية تحقيق محمد الزفزاف وزميليه دار الفكر بيروت ١٩٧٥.

٤٣- شرح قطر الندى دبل الصدى لأبن هشام تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية ١٩٨٨م.

٤٤- شرح الكافية الشافية لأبن مالك تحقيق د/ عبد المنعم هريدى جامعة أم القرى دار المأمون ١٩٨٢م.

٤٥- شرح الكافية للرضى الأسترابازى -دار الكتب العلمية -بيروت

٤٦- شرح المفصل لأبن يعيش -مكتبة المتنبى - القاهرة .

٤٧- شرح المكودى ت ٨٠٧هـ على الألفية ط٣ ١٩٥٤م مصطفى الحلبى .

٤٨- القاموس المحيط للفيروز آبادى الهيئة العامة للكتاب .

٤٩- الكامل فى اللغة والأدب تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار نهضة مصر القاهرة .

٥٠- الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ط٣ ١٩٨٨م .

٥١- اللباب فى علل البناء والأعراب للعكبرى تحقيق غازى طليمات دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ_ ١٩٩٥م .

٥٢- لسان العرب لأبن منظور الأفريقى دار المعارف .

٥٣- المزهر فى علوم اللغة للسيوطى نحقيق محمد ابراهيم أبو الفضل وآخرين دار التراث .

٥٤- المحتسب لأبن جنى تحقيق على النجدى ناصف وزميليه ط المجلس الأعلى للشئون الأسلامية ١٣٨٩هـ .

٥٥- معانى القرآن للأخفش تحقيق د/ عبد الأمير أمين عالم الكتب ط ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٥٦- معانى القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د/عبد الجليل شلبى دار الحديث ط الأولى ١٩٩٤م

٥٧- معانى القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتى دار السرور .

٥٨- معجم شواهد العربية عبد السلام هارون الطبعة الأولى ١٩٧٢م مكتبة الخانجى .

٥٩- المعجم المفصل فى شواهد النحو الشعرية د/إميل يعقوب دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

٦٠- ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبن الشجرى تحقيق أحمد بهج دار الكتب العلمية ط ١٩٩٦م .

٦١- معنى اللبيب عن كتب الأعاريب لأبن هشام تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط محمد على صبح .

٦٢- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ضبطه محمد خليل عنيانى دار المعرفة ١٩٩٨م .

٦٣- المقتضب للمبرد د/ محمد عبد الخالق عظيمة المجلس الأعلى للشئون الأسلامية ١٩٧٩م .

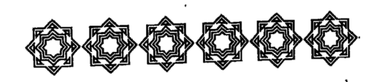
٦٤- المقرب لأبن عصفور الأشبيلى تحقيق أحمد الجوارى الطبعة الأولى بغداد ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

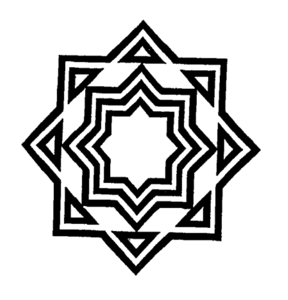
٦٥- النحو الوافى للأستاذ عباس حسن ط دار المعارف الطبعة الحادية عشر .

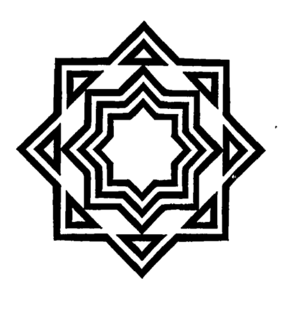
٦٦- النشر فى القراءات العشر لأبن الجزرى تحقيق د/ محمد محيسن مكتبة القاهرة ١٢٩٨هـ .

٦٧- النهر الماء لأبى حيان الأندلس ط دار الفكر الثانية ١٤٠٣هـ.

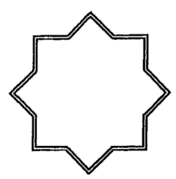
٦٨- جمع الهوامع للسيوطى ط الأولى ١٣٢٧هـ الخانجى بمصر والأستانة وبتحقيق أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.







بسم الله الرحمن الرحيم



المماثلة والمخالفة الصوتيتان

بين

القدماء والمحدثين

إعداد

د./ علي سعد عبد الحميد الخولي

مدرس في قسم أصول اللغة

بالكلية

تمهيد

التطور اللغوى من الظواهر الشائعة بين كل اللغات ، ومن أبرز مظاهر هذا التطور التطور الصوتى.

فالأصوات اللغوية حين تتجاور -متصلة أو منفصلة -قد يحدث بينها نوع من التأثر والتأثير .

ومن أبرز نتائج هذا التأثر والتأثير ما أسماه علماء اللغة المحدثون بالمماثلة والمخالفة الصوتيتين.

وقد تناول بعض اللغويين المحدثين ظاهرة المماثلة بالدراسة دون أن يحددوا المقصود بهذا المصطلح عند القدماء وعدم تحديد المصطلح فيه إجحاف بالجهد الذى بذله القدماء فى دراسة هذه الظاهرة ، وكذلك فإن عدم تحديد المصطلح يصيب الدارس للغة العربية بالحيرة والارتباك.

كما أن بعضاً من هؤلاء اللغويين المحدثين حاولوا أن يفسروا هاتيين الظاهرتين – المماثلة والمخالفة – فى ضوء دراسات حولهما لعلماء من غير العرب دون أن يبرزوا جهد علماء اللغة العرب القدامى – فى كثير من الأحيان- فى هذا المضمار مع أن هؤلاء العلماء من غير العرب -مستشرقين وغير مستشرقين-لم يزيدوا شيئاً ذا بال على ما فعله القدماء ، بل استفادوا الكثير من الدراسات العربية القديمة ، وكل مافعلوه – هم ومن جاراهم من العرب- أنهم أتوا بمسميات ومصطلحات جديدة للمصطلحات العربية القديمة ، وهذا

الخلاف فى المصطلح يربك القارىء والدارس للتراث العربى القديم والحديث.

هذا ، وإذا كانت اللغات كلها تشترك فى مبادىء عامة فمما لا شك فيه أن لكل لغة استقلاليتها فى بعض المبادىء، وعلى ذلك فإن تفسير المماثلة والمخالفة الصوتيتين فى اللغة العربية فى ضوء لغات أخرى تفسير غالباً ما يكون غير صائب.

وفى هذا البحث سأقدم دراسة حول هاتين الظاهرتين ، ثم أقدّم تفسيراً لهما من خلال التراث العربى العتيق ، وأردف ذلك بتفسير لميل العربية إلى المماثلة أحياناً وإلى المخالفة أحياناً أخرى ، وذلك من واقع ما ورد فى تراثنا العربى الأصيل مع مناقشة لبعض من آراء اللغوين المحدثين فى هذا الصدد.

ومثل هذا التفسير قد يدفع التناقض المتبادر إلى الذهن بسبب ميل العربية إلى الظاهرة وضدها.

المماثلة والمخالفة الصوتيتان بين القدماء والمحدثين

أولاً :المماثلة :[1]

المماثلة فى مفهوم اللغويين المحدثين :[2]

"المماثلة كما عـــرفها بعضهـــم:التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته ، ولا نقول ملاصقته لأصوات أخـــــرى.

وهـــى كمـــا عرفها بعض آخر : تحـــول الفونيمـــــات.[3]

---

[1] مصطلح المماثلة عند المحدثين يقابله المصطلح الأجنبى "Assimilation".
ينظر: الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ١٧٨ ، ودراسة الصوت اللغوى د/ أحمد مختار عمر ص ٣٢٥

[2] كـــان ينبغى أن أذكر مفهوم المماثلة عند القدماء أولا ، ولكنى قدمت مفهوم المحدثيـــن على مفهوم القدماء . وذلك لأن مفهوم القدماء للمماثلة يشمل أكثر من نوع من التغييــــر ، ولذلك فإن الحديث عن المماثلة فى مفهوم القدماء سيكون متشعبا بعض الشيء.

[3] كلمة "فونيم "Phoneme"مصطلح حـــديث، ويقصـــد به ما أسماه المحدثون بالوحدة الصوتية.
وعـــرفت الوحدة الصوتية على أنها " الصوت أو مجموعة الصور الصوتية التـــى تعبـــر عن قيمـــة واحدة مهما تعددت صـــــورها أو تغيـــرت صفاتهـــا (أى:أنها تعبر عن حرف أبجدى واحد" ينظر: أصوات اللغة العربية دراســـة نظرية وتطبيقية د/ محمد حسن جبل ص ٨٦،٨٥ ومدخل إلى علم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوى ص ١١٠، ١١١، ١١٢.
وعلى ذلك فـــالسين فى كلمة (الصراط) المنطوقة بالسين وحدة صوتية ، والصـــــاد. فى كلمة (الصراط) المنطوقة بالصاد صورة صوتية أو بديل صوتى عن السين ، لأنها لم تغير المعنى
وقـــد أطلـــق المحـــدثون علـــــى مثل هذا البديل الصوتى مصطلح"الألفونيم"ALLophone" أو الفون .
ومصطلح "فونيمPhoneme" للدلالة على الوحدة الصوتية والألفونيم"Allophone" للدلالة علـــى البديل الصوتى من المصطلحات الوافدة إلينا من لغات أخرى .
وقد توصل علماء اللغة العرب منذ القدم إلى هذين المصطلحين وأدركوا الفرق بينهما
فلقد " أدرك ابن جنى ومن قبلة سيبويه الفرق بين الفونيم ، أى:الوحدة لصوتية والفون أى : الصورة الصوتية ، وسمى النوع الأول بالحروف =

المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلاً جزئياً أو كلياً." (١)

المماثلة في مفهوم اللغويين القدماء:

ينبغي هنا أن نحدد مفهوم مصطلح المماثلة عند القدماء ،وذلك لأن عدم تحديد المصطلح فيه إضاعة لجهد القدماء في بحث الظاهرة وتوضيحها ، كما أن عدم تحديد المصطلح فيه تشتيت لذهن الدارس للغة العربية .

والمماثلة الصوتية بالمفهوم السابق عند المحدثين تشمل خمسة أنواع مختلفة من التغيير ، وكل نوع من هذه التغييرات له مصطلح عند القدماء ، وهي على النحو التالي :-

أ- إذا كان التغيير من حرف صامت إلى حرف صامت آخر وكان الهدف منه التجانس بين الحروف في الصفة؛ وهو درجة من المماثلة أطلق عليه القدماء مصطلح "الإبدال".

وذلك نحو إبدال تاء افتعل طاء إذا كانت الفاء أحد حروف الإطباق الأربعة: الصاد والضاد والطاء والظاء نحو : اصْطَبَرَ واضْطَرَبَ واطَّرَدَ واظَّطَلَمَ والأصل : اصْتَبَرَ واضْتَرَبَ واطْتَرَدَ و اظْتَلَمَ.

= الأصول ، وتشمل حروف العربية التسعة والعشرين . وسمى النوع الآخر بالحروف الفروع ، وقسمها إلى قسمين ، قسم يؤخذ به في القرآن الكريم وفصيح الكلام ، وهو النون الخفيفة أو الخفية والهمزة المخففة وألف التفخيم وألف الإمالة والشين التي كالجيم ..... وغير مستحسنة وهي ثمانية لا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر ، وهي الجيم التي كالكاف ، والجيم كالشين ... ينظر مدخل إلى علم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي ص ١٨٠ وينظر : الكتاب ٤٣٢/٤ وسر صناعه الإعراب لابن جني ٥٦/١

(١) دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر ص ٣٢٤

وقد علل لذلك ابن يعيش بالتجانس بين الحروف؛ و الذى قلنا إنه درجة من المماثلة إذ يقول: "والعلة فى هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعلية فيها إطباق ، والتاء مهموس غير مستعل فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافية فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد ، ألا ترى أنه لولا الإطباق فى الطاء لكانت دالا ولولا جهر الدال لكانت تاء ، فمخرج هذه الحروف واحد إلا أن ثَمَّ أحوالا تفرق بينهن من الإطباق والجهر و الهمس وفى الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت ، ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخفّ عليهم ، ومثله الإمالة ليس الغرض منها إلا تقريب صوت من صوت ".[١]

وتعليل هذا الإبدال بالمماثلة بين الحروف هو ما علل به سيبويه إذ يقول :" وقالوا فى " مُفْتَعِلٍ" من صَبَرْتُ : مُصْطَبِرٌ ، أرادوا التخفيف حين تقاربا ، ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك ، يعنى قرب الحرف ، وصارا فى حرف واحد .. فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد ، وهى الطاء ليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد من الحروف وليكون عملهم من وجه واحد."[٢]

ومن هذا النوع من التغيير أيضا والذى أطلق عليه القدماء مصطلح الإبدال ، إبدال تاء "افتعل" دالا إذا كانت الفاء زاء ، وذلك نحو ازْدَجَرَ وازْدَهَىٰ وازْدَانَ وازْدَلَفَ ، والأصل : ازْتَجَرَ وازْتَهَىٰ وازْتَانَ وازْتَلَفَ ، لأنه افْتَعَلَ من الزَّجْر والزَّهو والزِّينة والزَّلف .

[١] شرح المفصل لابن يعيش ٤٦/٩و٤٧
[٢] الكتاب ٤٦٧/٤

وقد علل ابن يعيش لذلك بالتقريب الذى يعنى درجة من المماثلة بين الحروف إذ يقول :" فلما كانت الزاى مجهورة والتاء مهموسة ، وكانت الدال أخت التاء فى المخرج ،وأخت الزاء[1] فى الجهر قربوا صوت أحدهما من الآخر ، وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاء ، وهى الدال فقالوا : أُزْدَجَرَ ، وأُزْدَانَ"[2]

ب- إذا كان التغيير من حرف صامت إلى حرف فرعى، أو صورة صوتية قصد بها التناسب فى الصفات أطلق عليه القدماء مصطلح "المضارعة".

وقد عقد إمام العربية سيبويه بابا أسماه " هذا باب الحرف الذى يُضَارَعُ به حرف من موضعه ، والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه.[3]

وذلك نحو إشمام الصاد الساكنة الواقعة قبل الدال صوت الزاى وذلك بأن يُنحى بالصاد نحو الزاى ، وذلك بإشرابها جهر الزاى.

يقول سيبويه: " فأما الذى يُضَارَعُ به الحرف الذى من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال .وذلك نحو : مَصْدَرٍ ، وأَصْدَرَ . والتَّصْدِير ، لأنهما قد صارتا فى كلمة واحدة ، كما صارت مع التاء فى كلمة واحدة فى "أفتعل" فلم تدغم الصاد فى التاء لحالها التى ذكرت لك......

---

(١) حرف "الزاى" بنطق بالهمزة "زاء" وبالياء "زاى" وقد استعمل ابن يعيش فى هذا النص الاثنين.

(٢) شرح المفصل ٤٨/٦.

(٣) الكتاب ٤٧٧/٤.

فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذى هو من نفس الحرف من باب مَدَدَتُ فجعلوا الأول تابعاً للآخر ، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه ،وهى الزاى،لأنها مجهورة غير مطبقة، ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق...... وسمعنا بعض العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة ، كما جعلوا الإطباق ذاهبا فى الإدغام.وذلك قولك فى التَّصْدِير : التَّزْدِير ، وفى القَصْدِ : القَزْد ، وفى أَصْدَرْتُ : أَزْدَرْتُ"[1]

وعلى ذلك فإشراب الصاد فى نحو" مصدر "صوت الزاى ، أو إبدالها زاياً خالصة كان بسبب المماثلة بين الدال والصاد.

يقول ابن يعيش :" فمن أبدل من الصاد زاياً خالصة فحجته أن الصاد مطبقة مهموسة رخوة قد جاورت الدال وهى مجهورة شديدة غير مطبقة فلما كان بين جَرْسَيْهما هذا التنافى نَبَت الدال عنها بعض نبوّ فقرّبوا بعضها من بعض ولم يمكن الادغام ولم يجترئوا على إبدال الدال لأنها ليست زائدة كالتاء فى"افتعل"نحو "اصْطَبَرَ" ،فابدلوا من الصاد زاياً خالصة فتناسبت الأصوات ، لأن الزاى من مخرج الصاد وأختها فى الصفير ، وهى تناسب الدال فى الجهر فتلاءما وزال ذلك النبوّ ... وأما المضارعة فأن تنحو بالصاد نحو الزاى فتصير حرفاً مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاى ، ولم يبدلوها زاياً كالوجه الذى قبله محافظة على الإطباق.[2]

---

[1] الكتاب ٤٧٨/٤ وينظر : شرح الشافية ٢٣٢/٣
[2] شرح المفصل لابن يعيش ٥٣/١٠

والصاد فى نحو "مَصْدر" وحدة صوتيـــة "فونيـم " ، والـزاى المبدلة منها صورة صوتية أو بديل صوتــى " فـون " ؛ وذلـك لأن المعنى لا يتغير ، وكذلك الصاد المشربة صوت الزاى بديـل صوتــى عن الصاد ،وهى من الحروف الفرعية ، فلقد عدَّ سـيبويه الصـاد التى تكون كالزاى من الحروف الفرعية المستحسنة التى تستحسـن فى قراءة القرآن والأشعار"[1].

وعلى ذلك فالتغيير تمَّ بتحويل حرف صامت أصلى إلى صـورة صوتية ، وكذلك إلى حرف فرعى .

جـ-إذا كان التغيير من حركة كاملة إلى حركة أخرى كاملة وكان هذا التغيير يحقق نوعاً من المماثلة أطلق عليه القدماء مصطلح "الإتباع".

فلقد أطلق سيبويه مصطلح الإتبـاع علـى نحـو كسـر هـاء الضمير[2]فى " بِهِمْ" و"بِدَارِهِم"وكسر الميم من " مِغِـيرة""ومِعِيـن"فـى مُغيرة[3]"و مُعين".

كما أطلقوا هذا المصطلح على ضم همزة الوصل ـ مع أن الأصـل فيها الكسر- من أجل حركة الحرف الثالث المحرك بالضم وذلك نحـو " اُخْرُجْ" و " اُقْتُل ..الخ.

---

[1] ينظر :الكتاب ٤٣٢/٤.

[2] الأصل فى هاء الضمير الغائب أن تحرك بالضم ولكنها كسرت من أجل المماثلة بين كسرة الهاء والكسرة قبلها.

[3] ينظر : الكتاب ١٠٩/١.

يقول الزمخشرى عن همزة الوصل :" وحكمها أن تكون مكسورة ، وإنما ضُمت فى بعض الأوامر وفيما بنى من الأفعال الواقعة بعد ألفاتها أربعة أحرف فصاعدا للمفعول للإتباع ".[١]

ويقول ابن يعيش :"فإن كان الثالث من الاسم الذى فيه همزة الوصل مضموما ضما لازما ضُمَّت الهمزة نحو "اُقْتُلْ""اُخْرُج""اُسْتُضْعِفَ""انْطُلِقَ بِه"[٢]

وقد علل ابن يعيش لهذا الإتباع تعليلاً صوتيا فقال :" وذلك أنهم كرهوا أن يخرجوا من كسرة إلى ضمة ، لأنه خروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه ليس بينهما إلا حرف ساكن ، ولذلك من الاستثقال قَلَّ فى كلامهم نحو يَوْم ويوخ للخروج من الياء إلى الواو وكثر فى كلامهم نحو وَيْل ووَيْح ووَيْس لأن فيه خروجا من ثقيل إلى ما هو أخف منه"[٣].

كما علل علماء القراءات القرآنية للقراءات الوارد فيها مثل هذا الإتباع عللوا لها بالخفة والانسجام الصوتى .

فلقد علل أبو زرعة لقراءة أبى عمرو لقوله تعالى :(عَلَيْهِمِ الذِّلَّةُ[٤])وقوله تعالى: (بِهِمِ الْأَسْبَابُ)[٥]بكسر الهاء والميم، علل لها بالإتباع الذى قلنا إنه نوع من المماثلة .

---

[١] شرح المفصل ١٣٦/٩.

[٢] السابق ١٣٧/٩.

[٣] شرح المفصل ١٣٧/٩.

[٤] من الآية ٦١ من سورة البقرة .

[٥] من الآية ١٦٦من سورة البقرة .

١٠

يقول أبو زرعة:"وأما أبو عمرو فإنه لما غير الهاء عن أصلها[١] كراهية الثقل ، فعل ذلك فى الميم حين أراد تحريكها للساكن بعدها ، فأتبع الميم كسر ما قبلها كراهية أن يخرج من كسر إلى ضم ، فأتبع الكسر الكسر ليؤلف بين الحركات عند حاجته إلى تحريك الميم[٢]" .

د-إذا كان التغيير بالانتقال من حركة كاملة إلى حركة ناقصة أطلق عليه القدماء مصطلح " الإمالة " ،وذلك نحو إمالة الألف نحو الياء.

وقد عرف الزمخشرى الإمالة فقال :"الإمالة أن تنحو بالألف نحو الكسرة ليتجانس الصوت [٣]" .

وعرفها مكى بن أبى طالب القيسى فقال :" معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التى قبلها نحو الكسرة [٤]".

وعلل لها سيبويه بتقريب الصوت من الصوت أو مشاكلة الصوت الصوت ،وهو درجة من المماثلة الصوتية .

يقول سيبويه :"فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ،وذلك قولك : عَابِدٌ ، وعَالِمٌ ،ومَسَاجِدُ ، ومَفَاتِيحُ ، وعُذافِرٌ ،وهَابِيلُ وإنما أمالوها للكسرة التى بعدها ،أرادوا أن يقرّبوها منها، كما قربوا فى

[١] الأصل فى الهاء أن تكون مضمومة ، وقد غُيِّرت إلى الكسر لتناسب الياء قبلها
[٢] حجة القراءات لأبى زرعة ص ٨٢
[٣] شرح المفصل ٥٤/٩ وينظر فى تعريفها الاصول فى النحو لابن السراج ٦٠/٣ ،والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب القيسى ١٦٨/١ وأسرار العربية لابن الأنبارى ص ٢٠٦وارتشاف الضرب لأبى حيان ٢٣٨/١ وشرح الشافية ٣ / ٤، وإتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطى ٢٤٧/١
[٤] الكشف ١٦٨/١

الإدغام الصاد من الزاى حين قالوا صدر ، فجعلوها بين الزاى والصاد ، فقرّبها من الزاى والصاد التماسَ الخفة ، لأن الصاد قريبة من الدال ، فقرَّ بها من أشبه الحروف من موضعها بالدال . وبيان ذلك فى الإدغام فكما يريد فى الإدغام أن يرفعَ لسانه من موضع واحد . كذلك يُقرِّب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك.
فالألف قد تشبه الياء ، فأرادوا أن يقرِّبوها منها[1].

وعلل لها ابن يعيش أيضاً بالمشاكلة الصوتية إذ يقول:"والغرض من الإمالة : تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل ، وذلك إذا ولى الألف كسرة قبلها أو بعدها نحو عِمَاد وعَالِمٌ فيميلون الفتحة قبل الألف إلى الكسرة ويميلون الألف نحو الياءَ ، فكما أن الفتحة ليست فتحة محضة ، فكذلك الألف التى بعدها ، لأن الألف تابعة للحركة فكأنها تصير حرفاً ثالثاً بين الألف والياء ... كأنهم فعلوا ذلك هنا كما فعلوا فى الإدغام ، وقرَّبوا بعضها من بعض نحو قولك فى مَصْدَرٍ :مَزْدَر" فقرَّبوا الصاد من صوت الزاى ليتناسب الصوتان ولا يتنافرا.[2]

هذا ،وقد أطلق ابن جنى على هذه الأنواع الأربعة من التغيير بسبب التماثل بين الحروف اسم الإدّغام الأصغر[3]، وسماه أصغر لأنه لا يقع فيه إدغام حقيقى.

---

[1] الكتاب ٤/١١٧
[2] شرح المفصل ٩/٥٥
[3] ينظر: الخصائص ٢/١٤٥:١٣٩

هـ- إذا كان التغيير بسبب المماثلة يؤدى إلى فناء صوت في صوت آخر أطلق عليه القدماء مصطلح "الإدغام "

ومعنى الإدغام فى اصطلاح اللغويين :"أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن يفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد ترفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلك لاعلى حقيقة التداخل والإدغام وذلك نحو شدّ ومدّ ونحوهما.[1]

وقد علل ابن يعيش للإدغام بالتخفيف الناتج عن المماثلة إذ يقول :- "والغرض بذلك - أى الإدغام - طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به ، وصار ذلك ضيقا فى الكلام بمنزلة الضيق فى الخطو على المقيد لأنه إذا منعه القيد من توسيع الخطو صار كأنه إنما يقيد قدمه إلى موضعها الذى نقلها منه فثقل ذلك عليه ، فلما كان تكرير الحرف كذلك فى الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما فى الآخر فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة ، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة لئلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه ".[2]

---

[1] شرح المفصل ١٢١/١٠ وينظر الأصول فى النحو لابن السراج ٤٠٥/٣ وشرح الشافية ٢٣٣/٣ والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢٧٤/١ ففى هذه المراجع تفصيل فى دراسة الإدغام ولا يتسع المجال هنا لذكر هذا التفصيل

[2] شرح المفصل ١٢١/٩.

تعقيب

اتضح لنا مما سبق أن مصطلح " المماثلة الصوتية" عند اللغويين المحدثين يشتمل على مصطلحات خمسة عند اللغويين القدامى هى الإبدال، والمضارعة،والإتباع، والإمالة ، والإدغام .

وتحديد المصطلح على هذا النحو يجعلنا ندرك مدى الجهد الذى بذله القدماء فى بحث هذه الظاهرة ودراستها .

كما يوضح لنا هذا التحديد أن بحث اللغويين المحدثين - العرب منهم وغير العرب- لظاهرة المماثلة لم يخرج فى كبير أو صغير على ما ورد فى التراث العربى العتيق.

سبب المماثلة

عندما ننظر إلى المماثلة فى نحو "اطَّردَ" والأصل فيها " اطْتَرَدَ" نجد أن تاء "افْتَعَلَ" تأثرت بالطاء قبلها ، وذلك لأن التاء صوت مهموس، منفتح ، والطاء صوت مجهور، مطبق ، وعلى ذلك فبين الصوتين تنافر فى هاتين الصفتين ، ومن أجل التخلص من هذا التنافر أبدلت التاء طاء ،وذلك لأنها مجانسة [1] للتاء ، فالطاء والتاء يخرجان من مخرج واحد ، وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا[2] ثم أدغمت الطاء فى الطاء اختصاراً واقتصادا فى الجهد العضلى لأعضاء النطق .

---

[1] ينظر شرح مفصل ١٤٩/١٠ وشرح الشافية ٢٢٦/٣.

[2] ينظر الكتاب ٤٣٣/٤ وسر الصناعة ٥٣/١.

وهكذا فإننا نجد المماثلة تمت فى الخطوة الأولى نتيجة لتأثر صوت التاء بصوت الطاء.

والخطوة الثانية تمت للاختصار فى الجهد العضلى ، وهذا يبين لنا أن للمماثلة سببين :

الأول : تأثر الأصوات بعضها ببعض.

الآخر : الاقتصاد فى الجهد العضلى .

أقسام المماثلة

يمكن تقسيم المماثلة الصوتية بناء على الأسس التالية :-

١- تقسيم المماثلة من حيث درجتها :-

المماثلة من هذه الناحية إما مماثلة كلية وإما مماثلة جزئية

أ) المماثلة الكلية :-

فالمماثلة الكلية تكون نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض . لدرجة أن يؤدى هذا التأثر إلى الإدغام، وذلك كما فى حالة ما إذا كانت فاء " افتعل " طاء ، نحو : " اطَّلب " من الطلب فأصلها " اطْتَلَبَ " تأثرت تاء " افتعل " بالطاء ، وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها والطاء مجهورة مطبقة فأبدلت التاء طاء ، لأنها مناسبة[1] للتاء. فالطاء والتاء يخرجان من مخرج واحد ، وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا [2]، ثم أدغمت الطاء فى الطاء اختصارا واقتصادا فى الجهد العضلى لأعضاء النطق .

وجاء مثل هذا النوع من المماثلة فى القراءة القرآنية ، وذلك كما فى قراءة ابن محيصن لقوله تعالى :﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عذاب النَّارِ﴾[3]: ﴿ ثم أَطَّرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾[4]بإدغام الضاد فى الطاء.

---

[1] ينظر شرح المفصل ١٤٩/١٠ وشرح الشافية ٢٢٦/٣.
[2] ينظر الكتاب ٤٣٣/٤ وسر الصناعة ٥٣/١.
[3] من الآية ١٢٦ من سورة البقرة
[4] ينظر : المحتسب ١٠٦/١

فـ(أَطَّرُهُ) أصله (أَضْتَرَهُ) تأثرت التاء بالضاد فأبدلت طاء ، ثم تـأثرت الضاد بالطاء ، فأبدلت طاء ، ثم أدغمت الطاء فى الطاء .

كما جاء مثل هذا النوع من المماثلة الكلية فى قــراءة عــاصم الجحدرى لقوله تعالى :﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾[1] ﴿أن يَصَّلِحَا﴾[2].

يقول ابن جنى معلقا على هذه القراءة :" أراد "يَصْطَلِحَــا" ، أى : يفتعلا ، فآثر الإدغام ،فأبدل الطاء صادا ، ثم أدغم فيها الصاد التــى هى فاء ،فصارت "يَصَّلِحَا"[3]

فالطاء فى " يَصْطَلِحَا" أصلها :"يَصْتَلِحَا" ،ثم تاثرت التاء بالصــاد فأبدلت طاء ، ثم تأثرت الطاء بالصاد فأبدلت صاداً ، ثم أدغمت الصاد فى الصاد.

ب)المماثلة الجزئية :

وتكون المماثلة الجزئية : " حين لا يتطابق الصوت مع الآخــر مثل :"انبعث"التى تنطق النون فيها ميما تحت تأثير الأصوات الشفوية فنتيجة : ن + ب هى : م + ب وليس ب + ب" [4]

وقد أطلق علماء التجويد العرب على مثل هذا النوع من المماثلة الوارد فى المثال السابق اسم الإقلاب [5]

---

(١) من الآية ١٢٨ من سورة النساء

(٢) المحتسب ٢٠١/١

(٣) المحتسب ٢٠١/١

(٤) دراسة الصوت اللغوى ص ٣٢٥. ومع أن كلمة (انبعث) كلمة قرآنية وردت فى قوله تعالى : ﴿إذ انبعث أشقاها﴾"الشمس ١٢" إلا أنه لم يشر إلى ذلك ، وكذلك لم يشر الى تسمية القدماء العرب لمثل هذا النوع من المماثلة بــ "الإقلاب"

(٥) الإقلاب فى اصطلاح علماء التجويد : جعل حرف مكان آخر . ينظر : نهاية القول المفيد ص١٢٢

والإقلاب حكم من أحكام النون الساكنة والتنوين [١] ، إذا وقـع بعدهما باء وذلك نحو (أَنْبِئْهُم)[٢] و(أَن بُورِكَ)[٣] و(سَمِيعٌ بصـيرٌ)[٤] ، فيجـب حينئذ قلب النون الساكنة ميما من أجل المماثلة الصوتيـة مع الباء ،وأجمع قراء القرآن الكريم على مثـل هـذا النـوع مـن القلب.وقد علل علماء القراءات لمثل هذا القلب بالمماثلة الصوتية.

يقول مكى بن أبى طالب القيسى :" وعلة بدل النـون الساكنة ميما إذا لقيتها باء أن الميم مؤاخية للباء لأنها من مخرجها ومشاركة لها فى الجهر ، والميم أيضا مؤاخية للنون فى الغنة وفـى الجـهر فلما وقعت النون قبل الباء ، ولم يمكن إدغامها فى الباء لبعد ما بيـن مخرجيهما ، وبعد إظهارها لما بينهما من الشبه ، ولما بيـن النـون وأخت الباء من الشبه وهى الميم ، أبدلت منها حرفا مؤاخيا لها فـى الغنة ، ومؤاخيا للباء فى المخرج وهو الميم [٥].

ومن المماثلة الجزئية إبدال تاء الافتعال طاء إذا كـانت الفـاء ظاء أو صادا أو ضادا ، وذلك نحو : اُظْطَلَمَ مـن الظُّلـم ،ومُصْطَـبِرٌ واضْطَرَبَ ، والأصل فى هذه الأمثلة : اظْتَلَمَ، ومُصْتَـبِرٌ واضْـتَرَبَ تأثرت التاء وهى حرف مهموس منفتح بهذه الحروف الثلاثة ، وهـى

---

[١] التنوين من الناحية الصوتية هو نون ساكنة أيضا

[٢] من الآية ٣٣ من سورة البقرة

[٣] من الآية ٨ من سورة النمل

[٤] من الآية ٦١،٧٥ من سورة الحج

[٥] الكشف ١٦٥/١ وينظر : نهاية القول المفيد ص١٢٣

مجهورة ، فاختاروا حرفاً مستعلياً من مخرج التــاء ، وهــو الطــاء فجعلوه مكان التاء ، لأنه مناسب للتاء فى المخرج وللصاد والضـــاد فى الإطباق[١] .

كما تقع المماثلة الجزئية أيضاً عندما تبدل السين ضاداً إذا وقــع بعدها غين أو خاء أو قاف ، و ذلك نحو قولهم فى :أَسْبغ ، وسَــلَخَ . مسَّ سَقَرْ ،و سِراط : أصبغ ،وصلخ ومس صقر ، صراط.

ويعلل الرضى لذلك بقوله :"أعلم أن هذه الحــروف مجــهورة مستعلية ، والسين مهموس مستفل ، فكرهوا الخروج منه إلى هـــذه الحروف لثقله ، فأبدلوا من السين صاداً ، لأنها توافق الســين فــى الهمس والصفير ، وتوافق هذه الحروف فى الاســتعلاء ، فتجــانس الصوت بعد القلب " [٢].

وقد جاءت المماثلة الجزئية فى كثير من القراءات القرءانيــة وذلك كما فى قراءة القراء السبعة – عدا ابن كثير وحمــزة– كلمــة (الصِّراط) بالصاد بدلا[٣] من السين فى قوله تعالى :﴿اهْدِنَا الصِّــرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٤]

وفى تعليل مكى لهذه القراءة يقول :" وحجة من قرأه بالصاد أنــه اتّبع خط المصحف ، وأن السين حرف مهموس فيه تسفل ، وبعدهــا

---

[١] ينظر فى ذلك : شرح الشافية ٢٢٦/٣ وشرح المفصل ١٤٩/١٠.

[٢] ينظر شرح الشافية ٢٣٠/٣.

[٣] ينظر: الكشف ٢٤/١ وحجة القراءات لأبى زراعة ص٨٠ وتفسير ابن عطية "المحرر" الوجير ٧٤/١ وتفسير القرطبى ١٩٤/١.

[٤] سورة الفاتحة آية ٥،٦.

حرف مطبق مجهور مستعل ، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستفل المهموس فيه تكلف وصعوبة فأبدل من السين صادا لمؤاخاتها الطاء فى الإطباق ، والتصعد ليكون عمل اللسان فى الإطباق والتصعد عملا واحدا ، فذلك أسهل وأخف"[١].

٢-تقسيم المماثلة من حيث أىّ الصوتين يتأثر بالآخر:

وأما من ناحية تأثر أحد الصوتين بالآخر فالمماثلة تنقسم إلى قسمين :

أ- تقدمية ب- رجعية[٢]

فتكون المماثلة تقدمية فى حالة ما إذا تأثر الصوت الثانى بالأول كالإبدال السابق الواقع فى صيغة " افْتَعَلَ " عندما تأثرت التاء بالطاء والظاء والصاد والضاد عند سبق أى منهن لها فأبدلت طاء .

وكما فى قراءة ابن أبى عبلة لقوله تعالى :﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٣]: ﴿الحمدُ ُلله﴾ [٤]على إتباع الثانى للأول .

وتكون المماثلة رجعية عندما يتأثر الصوت الأول بالثانى وذلك نحو تأثر السين بالغين والخاء ، والقاف الواقعات بعدها نحو :

---

(١) الكشف ٣٤/١

(٢) ينظر فى ذلك : شرح الشافية ٢٣٠/١٣ ودراسة الصوت اللغوى ص ٣٢٥ والأصوات اللغوية ص ١٨٠.

(٣) من الآية ٢ من سورة الفاتحة

(٤) ينظر فى هذه القراءة : المحتسب ٣٧/١ و الكشاف ١٠/١ وتفسير ابن عطية ٦٦/١

أَصْبغ ، وصَلَخَ ، ومسّ صقر ، فالسين تأثرت بهذه الحروف وأبدلت صادا .[١]

وكما فى قراءة الحسن البصرى وزيد بن على : ﴿ الحَمْـدُ لِله ﴾ : ﴿الحمدِ لِله ﴾ بالكسر على إتباع الأول للثانى [٢]

٣- تقسيم المماثلة من حيث إتصال الصوتين وإنفصالهما :

والمماثلة من هذه الناحية قد تكون :

أ)متصلة ب) منفصلة .

فالمتصلة تكون عندما يتصل الصوتان المؤثر والمتأثر كالإبدال الواقع فى صيغه " افتعل " .

وكما فى القراءتين السابقتين : ﴿الحمدُ لُله ﴾ و ﴿الحمدِ لِله﴾ .

والمنفصلة تكون عندما لا يتصل الصوتان المؤثر والمتأثر كما فى أصبغ ، وصلخ ، حيث تأثرت السين بالغين والخاء الواقعتين بعدها بحرف فاصل فأبدلت صادا .

ويعلل لذلك ابن جنى بقوله : " إن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سفالها إلى تعاليهن ، والصاد مستعلية وهى أخت السين فى المخرج ، وإحدى حروف الاستعلاء[٣]

---

[١] ينظر دراسة الصوت اللغوى ص ٣٢٥ وسمى المماثلة المتصلة بالمماثلة بين أصوات متاخمة وتسمى حينئذ مماثلة تجاورية contact-assimilationأو غير متاخمة وتسمى مماثلة تباعدية Distant-assimilation

[٢] ينظر فى هذه القراءة : المحتسب ٣٧/١ و الكشاف ١٠/١ وتفسير ابن عطية ٦٦/١.

[٣] المحتسب ١٦٨/٢.

المماثلة الصوتية بين الاطراد والشذوذ

المماثلة الصوتية تنقسم من هذه الناحية إلى :-

أ - قياسية مطردة .

ب- قياسية غير مطردة .

جـ - مماثلة شاذة أو قليلة.

أولا : المماثلة القياسية المطردة :

المماثلة القياسية المطردة : هى التى تحدث ولا تتخلف وذلك نحو إبدال تاء "افتعل" طاء إذا كانت الفاء أحد حروف الإطباق وهى : الصاد و الضاد والطاء والظاء ، وذلك نحو " اصْطَبَرَ " ، و "اضْطَرَبَ" ، و"اطَّرَدَ" و" اظْطَلَمَ" والأصل "اصْتَبَرَ" و " اضْتَرَبَ" و " اطْتَرَدَ" و" اظْتَلَمَ ".

وعن اطّراد مثل هذا الإبدال يقول ابن يعيش:" فأما إبدالها طاء - أى تاء الافتعال - فمع حروف الإطباق ، ويلزم ذلك ويهجر الأصل كما هجر فى نحو "قام" ، و"قال" ؛ وذلك أنه يستثقل اجتماع هذه الحروف المتقاربة كاستثقال اجتماع الأمثال ، وإذا كانت فى كلمة واحدة ولم يكن الحرفان منفصلين ازداد ثقلا كما كان المثلان إذا لم يكونا منفصلين أثقل لأن الحرف لا يقارنه ما يستثقل ، وكانت هذه الحروف مخالفة للتاء ، لأنها مستعلية مطبقة ، والتاء حرف منفتح غير مطبق فأبدلوا من التاء طاء لأنها من مخرجها إذ لولا إطباق الطاء لكانت دالا ، ولولا جهر الدال لكانت تاء فمخرجهن واحد ، وإنما ثم أحوال تفترق بهن من الإطباق والجهر والهمس فهى موافقة

لما قبلها فى الإطباق فيتجانس الصوتان وصار العمل فيهن من جهة واحدة ، وقد علم أنه لا لبس فى ذلك "[1] .

ومن المماثلة القياسية المطردة إبدال تاء الافتعال دالا إذا كانت الفاء أحد ثلاثة أحرف الدال والذال والزاى ، وذلك نحو" ادّان" و"ادّكَرَ" و"ازْدَانَ" من الدّين والذّكر و الزّين .

ويعلل ابن يعيش لذلك قائلا : "وإنما وجب إبدالها دالا هنا لأنهم كرهوا اجتماعها للتقارب ولاختلاف أجناسها ، وذلك أن الدال والذال والزاى مجهورة ، والتاء مهموسة ؛ فأرادوا تجانس الصوت فأبدلوا التاء الدال لأنها من مخرجها وهى مجهورة فتوافق بجهرها جهر الدال والذال فيقع العمل من جهة واحدة ،ثم أدغموا الدال والذال فيها ولم يجز الإدغام فى الزاى ؛ لأن الزاى حرف من حروف الصفير فلو أدغموها لذهب الصفير ، ويجوز فيه بعد قلب التاء قلبان :

أحدهما : أن تقلب الذال دالا ، وتدغم فى الدال التى بعدها فتصيران فى اللفظ دالا واحدة شديدة ......

والوجه الثانى أن تقلب الدال ذالا وتدغم فيكون اللفظ ذالا معجمة ...فعلى هذا تقول : "اذّكر وازّان"...وحكى أبو عمرو عنهم :"اذْدَكَرَ فهو مُذْدَكِر"[2]

---

[1] شرح المفصل ١٠/١٤٨ ؛ وينظر شرح الشافية ٣/٢٢٦ .

[2] شرح المفصل ١٠/١٥٠

ثانيا : المماثلة القياسية غير المطردة :

وتكون المماثلة قياسية غير مطردة كما فى الحالات الآتية :

أ-فى حالة إبدال السين صادا إذا وقع بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء .

وهذه الحروف تجوّز قلب السين متصلة بها كانت " كَصَقْر " أو منفصلة عنها بحرف ، نحو : صَلَخَ ، أو بحرفين أو ثلاثة نحو صَمْلَقٍ وصِرَاطٍ ، وصَمَالِيقَ .[1]

" فإذا تأخرت السين عن هذه الحروف لم يسغ فيها من الإبدال ما ساغ وهى متقدمة ، لأنها إذا تأخرت كان المتكلم منحدرا بالصوت من عال ، ولا يثقل ذلك ثقل التصعد من منخفض ، فلا تقول فى قست : قصت .

ويقول الرضى عن ذلك : " وهذا القلب قياس لكنه غير واجب " [2].

ب- وكما فى حالة إبدال الزاى من السين الساكنة الواقعة قبل الدال فى نحو "يَزْدُر" فى "يَسْدُر"

ويعلل لذلك ابن يعيش فيقول :"إذا وقعت السين قبل الدال ساكنة أبدلت زايا خالصة نحو :" يزدر" فى "يسدر" : إذا تحير ، و "يُزْدِلُ" فى "يُسْدِلُ ثوبه" : إذا أرخاه ، والعلة فى ذلك أن السين حرف مهموس والدال حرف مجهور ، فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه ولم يمكن الإدغام فقرّبوا أحدهما من الآخر ، فأبدلوا من السين زايا

[1] ينظر : شرح الشافية ٢٣١/٣ والمحتسب ١٩٨/٢.
[2] السابق ٢٣١/٣

لأنها من مخرجها وأختها فى الصفير ، وتوافق الـــدال فـــى الجـــهر فيتجانس الصوتان.[1]

جـ – وكما فى إبدال الزاى من الصاد [2]الساكنة الواقعة قبل الـــدال وذلك نحو قول حاتم الطائى : " هكذا فَزْدِى أَنَهْ"[3]فى " فَصْدِى أَنَـهْ" و "أَزْدَرْتُ " فى "أَصْدَرْتُ" .

وفى تعليل ذلك يقول ابن يعيش :" فمن أبدل الصاد زايا خالصـــة فحجته أن الصاد مطبقة مهموسة رخوة وقد جـــاورت الـــدال وهـــى مجهورة شديدة غير مطبقة ، فلما كان بين جرسيْهما هذا التنافى نبت الدال عنها بعض نبوّ ، فقربوا بعضها من بعض"[4]

ثالثا : المماثلة الشاذة أو القليلة:

وتكون المماثلة شاذة كما فى حالة ما إذا أبدلت تاء الضمير طـاء تحت تأثير صوت مجاور كما فى " فَحَصْطُ" والأصل "فَحَصْتُ".

يقول الرضى : " وشذ – أى الإبدال –فـــى مثـــل : " فَحَصْـــطُ " وهذه لغة تميم ، وليست بالكثيرة أعنى جعل الضمير طاء إذا كـــان لام

---

[1] شرح المفصل ٥٢/١٠ ، وينظر: شرح الشافية ٢٣٢/٣

[2] ويجوز فى الصاد الساكنة الواقعة قبل الدال وجه آخر من المماثلة وهو المضارعة ، وذلك بأن يشرب صوت الصاد جهر الزاى مع بقاء الإطباق . ينظر : شرح المفصل ٥٣/١٠ وشرح الشافية ٢٣٢/٣

[3] "هكذا فزدى أنه" قول لحاتم الطائى لما وقع فى أسرقوم فغزا رجالهم ، وبقى هو مع النسوة فأمرنه بفصد ناقة (أى : جرحها لأخذ دمها ليشتووه ويأكلوه) فنحر الناقة وقال : هكذا "فزدى أنه" ، أى : "فصدى أنا"

[4] شرح المفصل ٥٣/١

الكلمة صادا ، أو ضاداً ، وكذا بعد الطاء والظاء ، نحو : " فَحَصْطُ " بِرِجْلى،وحِصْط[1] عنه، وأحطُّ[2] و"حَفِطُّ"[3] ، وإنما قل ذلك لأن تاء الضمير كلمة تامة فلا تغير ، وأيضاً هو كلمة برأسها ، فكان القياس ألا تؤثر حروف الأطباق فيها ، ومن قلبه فلكونه على حرف واحد كالجزء مما قبله ، بدليل تسكين ما قبله فهو مثل تاء " افتعل " .[4]

وكما فى "فُزْدُ" فالأصل "فُزْتُ" من الفوز ، أبدلوا من التاء دالاً لمكان الزاى ، ولا يقاس ذلك بل يسمع .. وقد حملهم طلب التجانس وتقريب الصوت بعضه من بعض على أن أبدلوا من التاء دالاً فى غير " افتعل" وذلك قولهم: "دولج" فى" تولج" كأنهم رأوا التاء مهموسة والواو مجهورة فأبدلوا من التاء الدال لأنها أختها فى المخرج وأخت الواو فى الجهر فتحصل المجانسة فى الصوت ، وهذا قليل شاذ فى الاستعمال ، وإن حسنا فى القياس ، ولقلة استعماله لايقاس عليه .[5]

---

(1) أصل "حِصْطُ" :"حِصْتُ" تأثرت تاء الضمير بالصاد فأبدلت طاء.

(2) أصل "أحطّ" : "أحتّ"، تأثرت تاء الضمير بالتاء قبلها فأبدلت طاء ، ثم أدغمت الطاء فى الطاء من أجل الإقتصاد فى الجهد العضلى

(3) أصل "حفط" : " حفظت" تأثرت تاء الضمير بالظاء قبلها فأبدت طاء ثم تأثرت الظاء بالطاء فأبدلت الظاء طاء وأدغمت الطاء المبدلة من الضمير فى الطاء المبدلة من الظا. فصارت "حفط".

(4) شرح الشافية ٣/٢٢٦ ، ٢٢٧ وحصط أصلها حصت فأبدلت تاء الضمير طاء

(5) شرح المفصل ٩/٤٩ .

ثانيا :المخالفة الصوتية

والمخالفة difference أو dissimilation عكس المماثلة لأنها تعديل الصوت الموجود فى سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ولكنه تعديل عكسى يؤدى إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين " .[١]

" وقد دلت البحوث التى قام بها علماء الأصوات ، أن ظاهرة المخالفة قد شاعت فى كثير من اللغات السامية وليست هذه الظاهرة إلا تطورا تاريخيا فى الأصوات .[٢]"

ومن أمثلتها فى الإنجليزية كلمتا:marble[٣] و pilgrim[٤] اللتان أصل (L) فيهما (r).[٥]

ولقد كان للعلماء العرب فضل كبير فى شرح هذه الظاهرة وتوضيحها ، وليس صحيحا ما ذهب إليه د/ أنيس عندما قال : " لم يفطن علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة ، أو يولوها ما تستحق من عناية واضطرب تفسيرهم لها " .[٦]

---

[١] دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣٠.

[٢] الأصوات اللغوية ص٢١٠.

[٣] marble معناها بالانجليزية المرمر أو الرخام . ينظر : قاموس المورد لمنير البعلبكى ص٥٥٨.

[٤] كلمة pilgrim معناها بالانجليزية الرحالة أو السائح أو الحاج أو المهاجر أو أحد المهاجرين الإنجليز الذين أنشأوا أول مستعمرة فى نيوانغلند بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٦٢٠ . ينظر : قاموس المورد لمنير البعلبكى ص ٦٨٨.

[٥] دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣٠ .

[٦] الأصوات اللغوية ص ٢١١ .

فعلماء العربية لم يتركوا فرصة إلا تحدثوا عنها . فـهذا هـو إمام العربية سيبويه يشير إلى أن المخالفة تعدّ لونـا مـن ألـوان التخفيف ، فيقول: " واعلم أن التضعيف يثقل علـى ألسـنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون فى موضع واحد [١]

وعقد لها بابا أسماه : " هذا باب ما شَذَّ فأُبْدِلَ مكان اللام الياءَ ". يقول فيه : " وذلك قولك : تَسَرَّيتُ ، و تَظَنَّيْتُ وتَقَصَّيْتُ من القِصَّـة وَأَمْلَيْتُ".[٢]

وقد عقد ابن جنى فى كتابة : " الخصائص " بابا سماه : " بـاب فى تدافُع الظاهر ".[٣]

حاول فيه أن يعلل لميل العربية إلى المماثلـة أحيانـا ، وإلـى المخالفة أحيانا أخرى ، وأشار فى هذا الباب إلى أن المخالفة يؤتـى بها من أجل التخفيف عندما قال : " ومن ذلك استثقالهم المثلين حتـى قلبوا أحدهما ، نحو : أَمْلَيْتُ واصلها أَمْلَلْتُ ، وفيما حكاه أحمـد بـن يحيى أخبرنا به أبو على عنه – من قولـهم : لا وَرَبْيـكَ لا أفعـل ، يريدون : لا وربّك لا أفعل ، وقالوا فى أشد من ذا :

---

[١] الكتاب ٤/٤١٧.
[٢] الكتاب ٤/٤٢٤.
[٣] ينظر : الخصائص ٢/٢٢٧:٢٣٣ .

يَنْشَبُ فى المَسْعَل واللهاءِ أَنْشَـــبَ من مآشَر حداءٍ

قالوا : يريدون : حداد ، فأبدل الحرف الثانى ، وبينهما ألف حـاجزة ثم قال مع هذا :

لقـــد تعللتُ على أيانق صُهْب قليلات القُرَاد اللازق

فجمعوا بين ثلاثة أمثال مصححة ، وقالوا : تصببت عرقا .

وقال العجاج :

إذا حِجاجَا مقلتيها هجَّجا[1]

والأمثلة التى ذكرها ابن جنى فى نصه السابق قد جمعت بيـــن عنصرى المماثلة والمخالفة ، ولذلك فكان من الطبيعى أن يعلل لذلـك ابن جنى ، فيقول :-

"والجواب عن كل فصل من هذا حاضر" .

أما أمليت فلا إنكار لتخفيفة بإبداله[2] .

وأما (تعللت) و(هججا) ونحو ذلك مما اجتمعت فيه ثلاثة أمثـال ، فخارج على أصل ، وليس من حروف العلة فيجب تغيـيره ، والـذى فعلوه فى (أمليت) و (لا وربيك لا أفعل) و (أنشـب مـن مآشـر حداء) لم يكن واجبا فيجب هذا أيضا وإنما غير استحسانا ، فســاغ ذلك فيه ، ولم يكن موجبا لتغيير كل ما اجتمعت فيه أمثال ..... " .[3]

---

(١) السابق ٢/٢٣١و٢٣٢.

(٢) الخصائص ٢/٢٣٢.

(٣) الخصائص ٢/٢٣٢.

فابن جنى يرى أن هذه المخالفة لم تكن واجبة مطردة ، وإنما كانت جائزة ،ولذلك فهم قد أبدلوا فى موضع ، ولم يبدلوا فى موضع آخر" .

ويعلل للإبدال أحيانا ولعدم الإبدال أحيانا أخرى ، فيقول : " وبعد فإنهم إذا خففوا فى موضع ، وتركوا آخر فى نحوه كان أمثل من ألا يخففوا فى أحدهما ."[1]

ثم يختم ابن جنى بابه هذا بقوله : " وكذلك جميع ما يرد عليك مما ظاهره ظاهره التدافع ، يجب أن ترفُق به ، ولا تعنُف عليه ، ولا تسرع إلى إعطاء اليد بانتقاض بابه والقياسَ القياسَ " .[2]

ونص ابن جنى هذا يدل على أن ميل العرب إلى تخفيف بعض لغتهم وتركهم البعض أسهل من تركهم الكل دون تخفيف .

كل هذا يؤكد أن الظروف اللغوية تعمل أحيانا على وجود المخالفة وتؤدى أحيانا أخرى إلى وجود المماثلة ، ولقد عرض ابن جنى مثالا بعيدا عما نحن فيه يؤكد هذه الحقيقة ، فيقول : " وأما جمعهم فى مُهَيِّمى بين خمس ياءات ، وكراهيتهم فى أُسَيْدِىّ أربعا فلأن الثانية من أُسَيِّدى [3] لما كانت متحركة وبعدها حرف متحرك قَلِقَتْ لذلك وجَفَتْ.

---

[1] الخصائص ٢٣٢/٢.

[2] السابق ٢٣٢/٢.

[3] بيان الياءات فى "أُسَيِّدىّ" و" مُهَيِّمىّ" على النحو التالى :-
أولا : " أسيدى" تصغير " أسود" ومنسوب إليها .قبل النسب إليها كانت "أُسَيِّد" تصغير أسود ، أصلها "أسيود" ثم قلبت الواو بسبب التصغير ياء جوازا وأدغمت فى ياء التصغير فقيل :"أسَيِّد" وعند النسب إليها مصغرة قيل :"أسَيِّدىّ"

ولما تبعتها فى مُهَيِّيمى ياء المد لانت ونعمت وذلك من شأن المــدات
و لذلك استعملن فى الأرداف والوصول والتأســيس والخــروج[1] ،
وفيهن يجرى الصوت للغناء والحداء والترنم والتطويح " .[2]

= وذلك بعد فك الإدغام ،وحذف الياء الثانية المتحركة ، لأن القاعدة الصرفية فـى النسب إلى اسم قبل آخره ياء مشددة تقتضى فك الإدغام وحذف الياء المتحركــة تخفيفا.
وقد علل ابن يعيش لذلك فقال :" وإنما حذفوا الياء لثقل الاسم باجتماع يــاءين وكسرتين بعدهما ياء الإضافة "أى: النسب" فثقل عليهم اجتماع هذه المتجانسـات فحذفوا الياء تخفيفا ، وخصوا المتحركة بالحذف لأنه أبلغ فــى التخفيـف ،لأن الاسم ينقص ياء فيخفف ، ولو حذفوا الياء الساكنة لبقيــت اليــاء المكســورة فتتوالى الكسرتان ، ولأنهم يقولون قبل النسبة " ميْت"و"ميِّت" و"هيْن "و"هيِّــن " فيخففون بحذف الياء المتحركة استثقالا ، فإذا نسبوا وجاءوا بياء النسب لزمـوا التخفيف على هذا المنهاج . ينظر: شرح المفصل ١٤٧/٥.و
وعلى ذلك فالعرب لم يستسيغوا الجمع بين أربع ياءات فى "أُسَيِّدِيَّة" هى : يــاء التصغير والياء المنقلبة عن الواو ، وياء النسب المشددة ، فحذفوا واحدة .
ومع عدم استساغتهم أربع ياءات فقد استساغوا خمسا فى "مُهَيِّيمى". وذلك لأن كلمة "مهييمى" قبل النسب إليها كانت "مهوِّم" اسم فاعل من هوم يهوم :إذا نام. وعند تصغيرها تصير "مهيوم" بحذف إحدى الواوين لأنها زائدة يخرج بها الاسم عن بناء التصغير ،كما حذفوا إحدى الدالين من "مقدم" عند التصغير ، ثم تقلـب الواو الواقعة بعد ياء التصغير جوازا كما أبدلت فى " أسيود" ثم أدغمت فى يــاء التصغير فصارت "مهيم".
وعند النسب إليها لزم التعويض بالياء عن الواو المحذوفة فقيل: "مُهَيِّيمى"وقـد علل ابن يعيش لهذا التعويض بالياء تعليـــــلا صوتيا فقال :"فإذا نسبت إليه – أى: "مهيم"لزم التعويض لتفصل الياء الساكنة بين الثقيلين ، ولم يحذفوا اليــاء الخفيفة لئلا يصير إلى مثال "حميرى" فيلزم فيه حذف ياءين فنقـــول:"مــهيمى" خفيفة . شرح المفصل ١٤٧/٥.
وعلى ذلك فقد استساغ العرب فى مثل هذه الكلمة الجمع بين خمس ياءات هى : ياء التصغير والياء بعدها المنقلبة عن الواو ، وياء التعويض بعدها ، ثـم يــاء النسب المشددة.

(١) الردف والوصل والتأسيس والخروج مصطلحات عروضية يسمى بها حروف القافية ،وهى على النحو التالى :-
أ)الردف : حرف مد يكون قبل الروى مباشرة .والروى": هو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه ،فيقال : قصيدة رائية أو لامية.
ب) الوصل : ما يجيء بعد الروى من حرف وينشأ عن إشباع حركته وقد يكون الوصل بهاء بعد الروى ، ويلتزم فى كل أبيات القصيدة.
جـ – التأسيس : ألف المد التى يكون بينها وبين الروى حرف متحرك ، وتلتزم بعينها فى سائر أبيات القصيدة .
د- الخروج : هو حرف المد الذى ينشأ من إشباع هاء الوصل المتحركة بالفتح أو بالضم أو بالكسر ، ويلتزم فى كل أبيات القصيدة . ينظر: فى علمى العروض والقافية د/ أمين على السيد ص ١٧٨و١٧٩.
(٢) الخصائص ٢٣٢/٢.

ولم يترك العلماء فرصة إلا وتحدثوا فيها عن المخالفة الصوتية . وهو حديث متناثر فى كتبهم يحتاج إلى جهود كبيرة لجمعه من كنوز اللغة .

فلقد جعل علماء العرب المخالفة قياسية عند إبدال أول حرفى التضعيف فى وزن "فِعَّال" إذا كان اسما لا مصدرا نحو ديماس و " ديباج، دينار ، قيراط " و " شيراز " فيمن قال دماميس ودبابيج ، ودنانير وقراريط وشراريز ، وهذا الإبدال قياسى إذ لا يجىء "فِعَّال" غير المصدر الا وأول حرف تضعيفه مبدل ياء ،فرقا بين الاسم والمصدر".[١]

ولم تقصتر جهود علماء العربية على مجرد عرض ظاهرة المخالفة وتعليلها ، بل نسبوها إلى لهجة عربية.

فهذا هو أبو حيان يقول معلقا على قوله تعالى : فى سورة البقرة : ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ .[٢]

---

(١) شرح الشافية ٣/٢١٠، ٢١١

(٢) من الآيه ٢٨٢ وقد أشار إلى المخالفة فى هذه الآية الزمخشرى فى الكشاف ١/٣٢٥ والقرطبى ٢/١٣٠٥.

يقول : أملَّ وأملى لغتان : الأولى لأهل الحجاز وبنى أسد ، والثانية لتميم ، يقال : أمْلَيْتُ ، وَأمْلَلْتُ على الرجل أى : ألقيت عليه ما يكتبه ..... وقيل الأصل : أمللت ، أبدل من اللام ياء لأنها أخف[١] .

ولم يقتصر الأمر على ذلك أيضا ، فلقد رصد اللغويون العرب القدامى ظاهرة المخالفة فى القراءة القرآنية وعللوا لها .

فهذا هو ابن جنى يقول معلقا على قراءة عكرمة لقولة تعالى : ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[٢] : ﴿إيلاً ولا ذِمَّةً﴾ ، بياء بعد الكسرة خفيفة اللام .

يقول : " قال أبو الفتح : طريق الصنعة فيه أن يكون أراد ﴿إِلًّا﴾ كقراءة الجماعة ،إلا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام ، وانضاف إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة ، وقد جاء نحو هذا أحرف صالحة كدينار لقولهم: دنانير ، وقيراط لقولهم : قراريط ، وديماس فيمن قال: دماميس وديباج فيمن قال: دبابيج ، وشيراز فيمن قال : شراريز ، وقد جاء مع الفحتة استثقالا للتضعيف وحده ، قال سعيد بن قُرْط يهجو أمه :

يالَيْتَما أُمَّنا شالَتْ نَعامَتُها　　　أَيْمَا إلى جَنَّةٍ أَيْمَا إلى نارِ

وروّينا عن قطرب :

لا تفسدوا آبالَكُم　　　أَيْمَا لنا أَيْمَا لَكُمْ

وقد قلبوا الثانى منها فقالوا فى أمللت : أمليت ، وفى أملُّ : أملى أنا

---

(١) البحر ٣٤٢/٢.

(٢) من الآية ٨ من سورة التوبة .

وحدثنا أبو على أن أحمد بن يحيى حكى عنهم : لا وَرَبْيكَ لا أفعل ، أى: لا وربّك ، فكذا تكون قراءة عكرمة : ﴿إيلاً ولا ذِمَّةً﴾ يريد : ﴿إلاًّ﴾ وابدل الحرف الأول ياء لما ذكرناه "[١].

كما رصد أبو زرعة المخالفة فى القراءة القرآنية وعلل لها إذ يقول معلقا على قراءة حمزة والكسائى لقوله تعالى : ﴿ لم يَتَسَنَّهْ ﴾[٢] : ﴿لم يتسنَّ ﴾ بحذف الهاء فى الوصل .

يقول : " ...كان فى الأصل : (لم يَتَسَنَّى) فحذف الألف للجذم ، وكان الفراء[٣] يقول : ﴿لم يَتَسَنَّهْ﴾ : لم يتغير من قوله : ﴿من حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [٤]

الأصل : (لم يَتَسَنَّنْ) ثم قلبت النون الأخيرة ياء استثقالا لثلاث نونات متواليات ، كما قالوا :"تظنيت" وأصله " تظننت" ، فصارت (يتسنى) ثم يدخل الجزم على الفعل فتسقط الياء فتصير : (لم يتسن) ، ثم زادوا الهاء للوقف فإذا ادرجوا القراءة حذفوا لأن العلة زالت "[٥]

كل هذا يؤكد عدم صحة ما ذهب إليه د/ أنيس عندما قال لم يفطن علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة أو يولوها ما تستحقه من عناية واضطرب تفسيرهم لها"[٦] .

فبحث القدماء لظاهرة المخالفة يحتاج إلى دراسة مستقلة تبين جهود علماء العرب فيها .

---

[١] المحتسب ٢٨٤/١.
[٢] من الآية ٢٥٩ من سورة البقرة.
[٣] ينظر : معانى القرآن للفراء ١٧٢/١
[٤] من الآية ٣٣ من سورة الحجر.
[٥] حجة القراءات لأبى زرعة ص١٤٣.
[٦] الأصوات اللغوية ص٢١١.

التعليل الصوتى للمخالفة

نستنتج من كلام العلماء السابق أن الهدف من المخالفة الصوتية هو خفة النطق .

يقول سيبويه : " وأعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون فى موضع واحد [١].

وقال ابن جنى فى باب " تدافع الظاهر " : " ومن ذلك استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما فى نحو : أمليت ، وأصلها : أمللت " .[٢]

وقال أبو حيان : " يقال : أمليت وأمللت على الرجل أى:ألقيت عليه ما يكتبه .... وقيل الأصل : أمللت أبدل من اللام ياء ، لأنها أخف " .[٣]

وهذا التعليل هو ما علل به المحدثون ، يقول أحدهم : " عملية المخالفة التى تهدف أيضا – أى مع المماثلة – إلى التقليل من الجهد العضلى ، فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب إلى صوت لين طويل ، أو إلى ما يشبه أصوات اللين ، كاللام والنون ، وفى هذا أقصى مراحل التيسير فى الجهد العضلى " .[٤]

وعلى ذلك فغير صحيح ما ذهب إليه . برجشترا سر " عندما علل للمخالفة بقوله : " وأما التخالف فالعلة فيه نفسية محضة ، نظيره

---

(١) الكتاب ٤١٧/٤.
(٢) الخصائص ٢٣٢/٢.
(٣) البحر ٣٤٢/٢ وينظر الكشاف ٣٢٥/١ والقرطبى ١٣٠٥/٢.
(٤) الأصوات اللغوية ص ٢١٣.

الخطأ فى النطق ، فإنا نرى الناس كثيرا ما يخطئون فى النطـــق ، و يلفظون بشئ غير الذى أرادوه ، وأكثر ما يكـــون هـــذا إذا تتـــابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ، لأن النفس يوجد فيـــها قبـــل النطـــق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعـــادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ ..."[1]

فبرجشتراسر قد أرجع المخالفة هنا إلى الخطـــأ وهـــذا ليـــس بصحيح ، وقد ناقض نفسه عندما قال : " وتخالف الحروف المشـــددة له علة نفسية أيضا مختلفة قليلا عن علة التخالف المنفصل ، وهـــى أن المتكلم يرجو أن يؤثر فى نفس السامع تأثيرا زائدا ، فلا يكتفـــى بالضغط على الحرف وتشديده ، بل يضيف إليه حرفا آخر لزيادة ذلـــك التأثير " .[2]

---

[1] التطور النحوى ص ٣٤.
[2] السابق ص ٣٥.

الأصوات التى تتم بها المخالفة :

عندما ننظر إلى بعض أمثلة المخالفة فى كتب اللغة نجد أحد الحرفين المتماثلين قد تحول إلى صوت لين أو ما يشبهه فى أغلب الأحيان ، وهذا يتوافق مع الهدف المنشود من ظاهرة المخالفة ؛ لأنه إذا كان الهدف منها سهولة النطق ، فإن الإبدال يجب أن يتم إلى حرف لا يحتاج إلى جهد عضلى

١- فجاءت المخالفة بالياء فى كلمات كثيرة ، كدينار ، وقيراط ، وتسريت ، وتظنيت ، و الأصل : قرّاط ، ودنّار وتسررت ، وتظننت".[١]

وفى قوله تعالى : (فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَة وَأَصِيلاً)[٢] وقوله تعالى : (وَقَدْ خَابَ من دَسَّاهَا) .[٣]

يقول الفراء " إن دسَّاهَا من دسّسْت ، بدلت بعض سيناتها ياء ، كما قالوا : تظنيت من الظّن ، وتقضيت يريدون : تقضضت من تقضض البازى ، وخرجت أتلعى : ألتمس اللُّعاع أرعاه " .[٤]

٢- كما جاءت المخالفة بالواو :

يقول الفراء : " والعرب تبدل فى المشدد الحرف منه بالياء والواو من ذلك ما ذكرنا ، وسمعت بعض بنى عقيل ينشد :

يشبو بها نشجانه (من النشيج) .

---

(١) ينظر الكتاب ٢٤٢/٤ وشرح الشافيه ٢١٠/٣ ،٢١١

(٢) من الآية ٥ من سورة الفرقان

(٣) الآيه ١٠ من سورة الشمس

(٤) معانى القرآن ٢٦٧/٣.

هذا آخر بيت ، يريد : يشُب : يظهر ، يقال الخمار الأسود يَشُبُّ[1] لون البيضاء فجعلها واوا وقد سمعته فى غير ذلك ، ويقال : دويّة ، وداوية ،ويقال:أمَّا فلان فصالح وأيْمَا [2]

٣- وإذا كان الشائع فى المخالفة أن تكون بحروف اللين وما أشبهها فقد جاءت المخالفة بغيرها :

- فجاءت المخالفة بالهمزة فى قول الشاعر :

يَنْشَبُ فى المَسْعَلِ واللهاءِ أَنْشب من مآ شر حداءِ

وقالوا : يريد حداد ، فأبدل الحرف الثانى وبينهما ألف "حاجزة" .[3]

- وجاءت المخالفة بالتاء :

فقالوا فى لِصّ : لِصْت وجمعوه على اللصوت أيضا قال :

فَتَرَكْنَ نَهْداً عُيَّلاً أَبْنَاؤُهَا . وَبَنِى كِنَانَةَ كاللُّصُوتِ المُرَّدِ[4]

هذا ، وقد ذهب د/ أنيس إلى أن أحد المتماثلين يبدل إلى الواو أو الياء لخفتهما ، و فى بعض الأحيان استعيض عن الصوت بأحد أشباه أصوات اللين ، كاللام والنون ، وإن كان هذا قليلا " .[5]

وضرب لذلك أمثلة منها :

١-الطحّ : البسط ، طحا : كسعى : بسط .

٢-المحّ : صفرة البيض ، والما ح : صفرة البيض .

---

[1] جاء فى اللسان : شعرُها يَشُبُّ لونها أى يظهره ويُحَسِّنُه .. وشَبَّ لونَ المراه خمار أسود لبسته أى زاد فى بياضهاولونها فحسّنها لان الضد يزيد فى ضده ، ويبدى ما خفى منه .. وفى الحديث عن مُطرِّف أن النبى ﷺ ائتزر ببُردةٍ سوداءَ وجعل سوادها يَشُبُّ بياضَه، وجَعَلَ بياضُه يشُبُّ سوادَها . اللسان شبب.

[2] معانى القرآن للفراء ٢٦٧/٣.

[3] الخصائص ٢٣٢/٢.

[4] ينظر شرح الشافية ٢٢٢/٣

[5] الأصوات اللغوية ص ٢١٢.

٣-الجب ، والجوب : القطع .[1]

ثم قال : " وهناك بعض الأمثلة التى يحتمل فيها أن أحد الصوتين المتماثلين قلب أحد أشباه أصوات اللين .

١- تشغّر فى قبيح : تمادى وتعمق . الشنغير : السيئ الخلق .

٢- تحدّس الأخبار: أراد أن يعلمها من حيث لا يعلم به ، تحندس الليل : أظلم ، فعلاقة الخفاء بين الفعلين واضحة .

٣- الرسّ : دفن الميت ، والرمس : الدفن أيضا .[2]

ثم ذهب إلى أن المخالفة لا تتم إلا حين يتجاور صوتان متماثلان من أصوات الأطباق أو الأصوات الرخوة ، على أن المخالفة قد تكون فى النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة ، مثل (إجّار) التى روى فيها أيضا(إنْجار) وكلاهما بمعنى : سطح المنزل " [3]

ولصحة هذا الرأى فلابد من استقصاء لكل الأمثلة التى وقعت فيها المخالفة فى العربية ، فكثير من الكلمات التى وقعت فيها المخالفة ليس الحرفان المتماثلان فيها من حروف الإطباق أو الحروف الرخوة وذلك نحو : " تسريت ، وتظنيت ، وأمليت وغير ذلك .

ويظهر ذلك بصورة أوضح عندما افترض Hurwitz أن تكون الكلمات العربية الكبيرةالبنية التى تشتمل على راء أو لام أو نون أو

---

[1] السابق ٢١٢

[2] الأصوات اللغوية ص ٢١٢ ،٢١٣

[3] الأصوات اللغوية ص ٢١٤

ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين " وهو يمثل لذلك بالكلمات الآتية حرجل (حجّل) ، وجلمـــد (جمّـد) ، وعنكـب (عكّب) وعرقب (عقّب) ، وقرمط (قمّط) ، وفلطح (فطّح) ويؤيـد افتراضه بقوله : " يوجد غالبا مقابلات مضعفة للصيغ السابقة ، وهذا يعنى أن العقل السامى كان يعتبر هذه الصيغ المزيدة مقابلة للصيـغ المضعفة ، كما يخرج بنتيجة ملخصها أن الحروف المائعة تعد وسيلة مخالفة للتضعيف فى الصيغ المضعفة القديمة[١].

"وهذا رأى له وجاهته ، وهو قائم على أساس نظريـات علمائنـا القدماء فى زيادة الحروف ، إلا أنه احتمال مخالف لما بنى عليـه د/ أنيس وجهته ، فى تغير المتماثلين ، فمعظم الأمثلة لا تشتمل علـى صوتين من أصوات الأطباق ، أو الأصوات الرخوة" .[٢]

وقد وجه أحد المحدثين نقدا لافتراض **Hutwitz** فقال : " إننـى بملاحظتى الشخصية لهذه الأمثلة ثبت أن بعضها يتفق أو يقترب فيـه المضعف ومقابله فى المعنـى ، و بعضـها يختلفـان فيـه اختلافـا شديدا".[٣]

---

[١] دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣٠ نقلا عن **Hurwtez**
S.T.H.٣٩،٤١،٤٢،٤٨،٤٩

[٢] أبنيه العربية د./ عبد الغفار هلال ص ١٩٠ ، ١٩١

[٣] السابق ص ١٨١ وقد قام بتحليل لغوى للكلمات التى أوردها **Hurwitz** وأنتهى إلى أن (فطح) ومقابلة (فلطح) متفقان فى المعنى تماما والمعضعف (عقب) ومقابلة (عرقب) يدوران فى فلك معنوى واحد ، والمضعف (قمط) ومقابله (قرمط) متقاربان فى المعنى ، وليسا متفقين على سبيل الحقيقة ، والمضعف (جمد) ومقابلة (جلمد) لا يلتقيان فى المعنى الا على سبيل المجاز والمضعف(عكب) ومقابلة (عنكب) يختلفان فى بعض المعانى ويشتركان فى بعضها ،و المضعف (حجل) ومقابلة (حرجل) مختلفا المعنى تماما ، ينظر ص ١٩١ ، ١٩٥.

والمعروف أن اتفاق المعنى بين المضعف ومقابلـه أساس لصحة قانون المخالفة ، ولعل هذا يؤكد أن الأمر فى تغير أحـد المتماثلين يقتضى استقراء أوسع .... إذا أردنا وضـع قـاعدة مطـردة لـهذا التغيير"(١)

المخالفة بين الحركات :

ذهب احد الباحثين إلى أن المخالفة كما تكون بين الحروف تكـون بين الحركات ، وضرب لذلك أمثلة ،وهى:-

أ- إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفا، والهدف من ذلـك تجنـب النطق بمجموعة من الحركات المتحدة الطابع ، وهذا يفسر لنا لمـاذا نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة (بدل الفتحة) ولماذا كسرت نـون المثنى على عكس جمع المذكر التى فتحت.

ب- إبدال الكسرة فتحة إذا جاورت ياء مد ، كمـا فـى كثـير مـن العاميات العربية التى تبدل صيغة "فِعِّيل إلى "فَعيل" مثل عويم ،وأكيل ،و حبيب ، سهير .

جـ- إبدال الضمتين المتتاليتين إلى ضمة + فتحة ، كما يقـال فـى سُرُرٍ : سُرَر ، وفى ذُلُلٍ : ذُلَـل ،لاسـتثقال اجتمـاع ضمتيـن مـع التضعيف . (٢)

---

(١) السابق ص ١٩٥.

(٢) دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣١.

المخالفة الصوتية بين الحركات فى القراءات القرآنية:

شاعت ظاهرة المخالفة بين الحركات فى القراءات القرآنية شيوعا كبيرا لدرجة تحتاج معها إلى دراسة مستقلة تجمعها وتدرسها .

والناظر فى المخالفة الصوتية فى القراءة القرآنية يجد أنها قد اتخذت طريقين :

الأول : المخالفة عن طريق حذف الحركة المتماثلة مع ما جاورها وذلك بتسكينها.

وهذه أمثلة من القراءات القرآنية على ذلك:

١- قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ "النساء١٤٥".

"قرأ عاصم وحمزة والكسائى :(فى الدَّرْكِ) بسكون الراء وقرأ الباقون بفتح الراء، وهما لغتان مثل "النَّفْر و النَّفَر" و"الطود والطرد"[1].

٢-قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ " المائدة ٣٢".

"قرأ أبو عمرو : ﴿ رُسْلُنا ﴾ و﴿رُسْلكم﴾[2]و﴿رُسْلهم﴾[3]بإسكان السين"[4].

---

[1] حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٩٢ ،وينظر:الكشف ٤٠١/١.

[2] من الآية ٥٠ من سورة غافر.

[3] من الآية ٢٢ من سورة إبراهيم ، وقد ذكر مكى فى الكشف أن أبا عمرو قرأ هذه الكلمات بإسكان السين حيث وقعت . ينظر: الكشف ٤٠٨/١.

[4] ينظر : حجة القراءات لأبى زرعة ص ٢٢٥ والكشف ٤٠٨/١.

وعلل أبو زرعة لهذه القراءة فقال :"وحجته أن استثقل حركة بعد ضمتين لطول الكلمة وكثرة الحركات ، فأسكن السين "[1].

وعلل مكى لهذه القراءة بالتخفيف بسبب توالى الحركات .[2]

٣- قال تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ والعينَ بالعينِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ﴾ " المائدة٤٥"

" قرأ نافع : (والأُذْن بالأُذْن) ساكنة الذال فى جميع القرآن ، كأنه استثقل الضمتين فى كلمة واحدة فأسكن"[3]

الآخر : المخالفة عن طريق إبدال الحركة المتماثلة مع ما جاورها بحركة أخرى .

وهذه أمثلة من القرءات القرآنية على ذلك .

١- قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ " الأنعام ١٢٥"

" قرأ نافع وأبو بكر : ﴿ حرِجًا﴾ بكسر الراء ، وقرأ الباقون بالفتح . وهما لغتان مثل " الدَّنَف و الدَّنِف"[4]

٢-قال تعالى :﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾" النحل ٦٨"

" قرأ ابن عامر :﴿يَعْرُشُونَ﴾ بضم الراء ، وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان"[5].

---

[1] السابق نفس الصفحة.

[2] ينظر الكشف ٤٠٨/١.

[3] حجة القراءات ص ٢٢٧

[4] السابق ص ٢٧١

[5] حجة القراءات ص ٣٩٢

٣- قال تعالى :﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾" الكهف ٦٣"

" قرأ حفص عن عاصم : ﴿وما أنسانيهُ﴾ بضم الهاء على أصل الكلمة ، وأصلها الضم ، وإنما عدل عن كسر الهاء إلى الضم لما رأى الكسرات من ﴿ أَنْسَانِيهِ﴾ وكانت الهاء أصلها الضم ، رأى العدول إلى الضم ليكون أخف على اللسان من الاستمرار على الكسرات ، ومن كسر فلمجاورة الياء كما تقول :"فِيهِ وعَليهِ".[١]

ومع شيوع ظاهرة المخالفة فى اللغة والقراءات فقد ذهب أحد اللغويين إلى أن " ذلك أمر لم يتضح فى العربية كما اتضح فى نظيره فى الأصوات الساكنة ".[٢]

---

[١] حجة القراءات ص ٤٢٢ وينظر :الكشف ٢/٦٦.

[٢] أبنية العربية ص ١٩٦.

تفسير لميل العربية للمخالفة أحيانا وللمماثلة أحيانا أخرى

ميل العربية إلى المماثلة أو المخالفة الصوتيتين أمـــر يتفــق وطبيعة اللغة ، فليس غريبا أن تميل العربية إلى المماثلة أحيانا وإلى المخالفة أحيانا أخرى ، فلقد علل القدماء – فيما ســبق – للمماثلــة والمخالفة الصوتيتين بالخفة فى النطق ، وتعليل القدماء هذا واضـــح كل الوضوح والأصل فى العربية أن تميل إلى ما تباعد من الحـــروف فى تكوين أبنيتها .

يقول ابن جنى : " واعلم أن هذه الحـــروف كلمـــا تبـــاعدت فـــى التأليف كانت أحسن ، وإذا تقارب الحرفـــان فـــى مخرجيـــهما قبـــح اجتماعهما ولا سيما حروف الحلق " .[1]

ومن أجل ذلك كان اجتماع الحرفين المتقاربين ثقيـــلا فـــى النطـــق ولذلك يقول سيبويه : " واعلم أن التضعيف يثقل على ألســنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون فى موضع واحد " [2].

وقد يكون هناك من الظروف اللغوية ما يدعو إلى تماثل الحرفيـــن المتجاورين تماثلا كليا كما فى حالة الإدغام .

وإذا كان الإدغام أو المماثلة الكلية وسيلة من وســـائل التخلـــص من تكرار نطق الحرفين المتماثلين ، فإن المخالفة الصوتية أيضا نوع من التخلص من المتماثلين .

---

(١) سر الصناعة ٧٥/١

(٢) الكتاب ٤١٧/٤

وعلى ذلك فهدف المماثلة والمخالفة واحد ؛ وهو : خفة النطق بطريق واحد هو التخلص من المتماثلين أو المتخالفين المتجاورين . ولذلك فإن العربية عندما مالت إلى المماثلة الجزئية ولم تحاول المماثلة الكلية كان لها هدفها الواضح فى ذلك .

يقول ابن جنى : " فلما كان فى ادّغامهم الحرف فى الحرف ما أريناه من استخفافهم إياه صار تقريبهم الحرف من الحرف ضربا من التطاول إلى الإدغام . وإن لم يصلوا إلى ذلك فقدْ حاولوه وأشرأبوا نحوه ، إلا أنهم مع هذا لا يبلغون بالحرف المقرب من الآخر أن يصيروه إلى أن يكون من مخرجه لئلا يحصلوا من ذلك بين أمرين كلاهما مكروه .

أما أحدهما فأن يدّغموا مع بعد الأصلين ، وهذا بعيد .

وأما الأخر فأن يقربوه منه حتى يجعلوه من مخرجه ثم لا يدغموه ، و هذا كأنه انتكاث وتراجع ، لأنه إذا بلغ من قربه إلى أن يصير من مخرجه وجب ادّغامه فإن لم يدّغموه حرموه المطلب المروم فيه ، ألا ترى أنك إذا قربت السين فى سويق من القاف بأن تقلبها صادا فإنك لم تخرج السين من مخرجها ، ولا بلغت بها مخرج القاف فيلزم ادّغامها فيها . فأنت إذاً قد رمت تقريب الإدّغام المستخف لكنك لم تبلغ الغاية التى توجبه عليك ، ولا تنوط أسبابه بك " .[1]

وقد جاء فى القرآن الكريم التخلص من الحرفين المتماثلين بالمماثلة والمخالفة .

---

[1] الخصائص ٢/٢٢٩

ففى قراءة حفص عن عاصم جاء التخلص من المتماثلين بالاثنين معاً:

فجاء التخلص من المتماثلين بالمماثلة الكلية فى قوله تعالى :

﴿أَوْلَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ..﴾[1]

وبالمخالفة الصوتية فى قوله تعالى :﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[2]

وأما عن تفسير ميل العربية إلى المماثلة أحيانا ، وعدم ميلها إليها أحيانا أخرى .

وكذلك ميل العربية إلى المخالفة أحيانا ، وعدم ميلها إليها أحيانا أخرى .

فلقد سبق أن ذكرت أن هناك من المماثلة ما هو مطرد قياسى ، وما هو منها غير مطرد ، ومنها ما هو جائز .

والمماثلة والمخالفة القياسيتان لا يمكن أن يتخلفا فى العربية ، أما غير ذلك فللعربية أن تماثل أو تخالف بين الحروف ، وذلك لأن هاتين الظاهرتين من التطورات الصوتية .

والظروف اللغوية هى التى تدعو إلى هذا التطور أو لا تدعو إليه . وقد سبق أن ذكرت تعليل ابن جنى لمثل ذلك .

هذا هو التفسير الذى تميل إليه النفس ، ولا أميل لتعليل أحد المحدثين عندما قال : " يمكن النظر إلى المماثلة على أنها تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق ، ولا تلقى بالا إلى الجانب الدلالى الذى قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين ، أما

---

(١)من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٢) من الآية ٥ من سورة الفرقان.

المخالفة فينظر إليها – عكس ذلك – على أنها تـهدف إلـى تيسـير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات ولا تلقى بـالاً إلـى العامل النطقى الذى قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين " .[١]

فليس بصحيح القول بأن المماثلة لا تلقى بالا للجـانب الدلالـى . فالمماثلة مسموح بها فى اللغة العربية شـريطة ألا تمـس الجـانب الدلالى أو تغير الإعراب .

" يقول أبـو زرعـة معلقـا علـى قـراءة حمـزة والكسـائى :﴿فَلِإِمِّـه﴾[٢] و ﴿فى إِمِّها﴾[٣] فى ﴿فلأُمِّه﴾ و ﴿فى أُمِّها﴾ يقـول :" وحجتهما أنهما استثقلا ضم الألف بعد كسرة أو ياء ساكنة ، فكسـرا للكسرة والياء ليكون عمل اللسان من جهة واحدة إذ لم يكـن تغيـير الألف من الضم إلى الكسر يزيل معنى ولا يغير إعرابـا يفـرق بيـن المعنيين ، فأتبعا لذلك الكسرة الكسرة."[٤]

فهذا النص يؤكد على أن المماثلة مسموح بها فى العربية شـريطة ألّا تمس المعنى .

كما أنه ليس بصحيح أن المخالفة تيسر الدلالة ،أو أنها لا تلقـى بالا إلى العامل النطقى ،فهى لا تيسر دلالة ، و تلقـى بـالا للعـامل النطقى لأن الهدف منها –كما سبق – تخفيف النطق .

---

[١] دراسة الصوت اللغوى ص ٣٣١.

[٢] من الآية ١١ من سورة النساء .

[٣] من الآية ٥٩ من سورة القصص .

[٤] حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٩٢.

نتائج البحث

وبعد هذه الدراسة حول هاتين الظاهرتين أستطيع أن استخلص بعض النتائج ، منها :-

-شمل مصطلح المماثلة عند اللغويين المحدثين عدة مصطلحات لدى القدامى ، هى : الإبدال ، والمضارعة ،و الإتباع ،والإمالة ،والإدغام.

-تنوولت ظاهرة المخالفة باستفاضة فى الدرس اللغوى القديم ، خلافاً لما ذهب إليه بعض المحدثين من اتهام القدامى بالتقصير فى تناول هذه الظاهرة .

-كما وقعت المخالفة بين الحروف فقد وقعت بين الحركات ، شأنها فى ذلك شأن المماثلة.

-لا تتخلف المماثلة القياسية المطردة فى العربية ، بينما كانت غير المطردة على عكس من ذلك.

-اتسم الدرس اللغوى القديم لظاهرتى المماثلة والمخالفة الصوتيتين بالعمق والأصالة عن الدرس اللغوى الحديث ، ولا أدل على ذلك من وجودهما فى القراءات القرآنية والشعر العربى.

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

- أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى – د/ عبد الغفار هلال طبعة اولى – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٨م.

-إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ / محمد البنا الدمياطى – تحقيق :د/ شعبان محمد إسماعيل – ط: عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٧هـ – ١٩٧٨م.

-ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان – تحقيق د/ مصطفى أحمد النماس – ط: مطبعة المدنى الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٧٨م.

-أسرار العربية لابن الأنبارى – تحقيق محمد بهجة البيطار – ط: مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٧هـ.

- أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية د/ محمد حسن جبل – ط: مطبعة التركى – الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.

- الأصوات اللغوية د/إبراهيم أنيس – ط: مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٨٧م.

- الأصول فى النحو لابن السراج – تحقيق د/ عبد الحسين الفتلى – ط: مؤسسة الرسالة – الثانية ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م.

- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى – ط: دار الفكر الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

-التطور النحوى للغة العربية تأليف برجشتراسر – شرح د/ رمضان عبد التواب – ط: الخانجى ، ودار الرفاعى بالرياض – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) ط: دار الغـر العربـى - الاولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

-حجة القراءات لأبى زرعـة - تحقيـق / سـعيد الأفغـانى - ط: مؤسسة الرسالة الرباعة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.

- الخصائص لابن جنى تحقيق الأستاذ / محمد على النجار -ط:عـالم الكتب - بيروت- الثالثة -١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

-دراسة الصوت اللغوى د/ أحمد مختار عمر - ط: عـالم الكـتب - الثانية ١٩٨١م.

- سر صناعة الأعراب لابن جنى - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - ط: الحلبى - الأولى ١٤٧٤هـ - ١٩٥٤م.

-شرح الشافية للرضى- تحقيق محمد نور الحسن وزميليـه - ط:دار الكتب العلمية بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- شرح المفصل لابن يعيش - ط: مكتبة المتنبى - القاهرة - بـدون تاريخ

-فى علمىَ العروض والقافية - د/ أمين على السيد ط: دار المعـارف ١٩٨٢م.

-الكتاب لسيبويه تحقيق الاستاذ/ عبد السلام محمـد هـارون -ط: الخانجى الثالثة -١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- الكشاف للزمخشرى -ط : دار الريان - ودار الكتـاب العربـى - بيروت - الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى بن أبـــى طالب القيسى – تحقيق د/ محى الدين رمضان – ط: مؤسسة الرسالة – الرابعة – ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

-لسان العرب لابن منظور – ط: دار المعارف.

– المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنـــها تـــاليف أبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق على النجدى ناصف وآخريـــن – ط: المجلس الاعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٣٨٦هـ.

-المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطيـــة – تحقيـــق / عبدالسلام عبد الشافى محمد ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنـان ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

-مدخل إلى علم اللغة الحديث –د/عبد الفتاح البركـــاوى ط : الثانيـــة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

-معانى القرآن للفراء – تحقيق أحمد يوسف نجاتى – ومحمد علـــى النجار – ط: الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب – الطبعـــة الثانيـــة-١٩٥٥م.

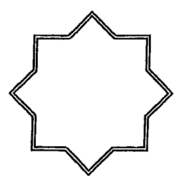
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد البـــاقى ط:دار الحديث .

- المورد – منير البعلبكى – قاموس انكليزى – عربـــى – ط : دار المشرق – بيروت ١٩٨٦م.

-النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى – تصحيـــح محمـــد علـــى الصباغ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

– نهاية القـــول المفيـــد – لمحمـــد مكـــى نصـــر – ط: الحلبـــى – ١٣٤٦هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم



أضواء على حياة

نصر بن سيار

تأليف

د./ محسن سعد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

بجامعة الأزهر

مقدمة

لك الحمد ربى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك وأصلـــى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين

وبعد

فإن هذا البحث الذى يطالع القارئ صفحاته ثمرة مــن ثمــار التواصل العلمى بين الأساتذة وأبنائهم بعد ما أصبح هؤلاء يضطلعون بعبء إيصال ما تعلموه من أساتذتهم إلى أجيال الطلاب اللاحقين لهم.

فقد قد ضمنى مجلس والأستاذ الدكتور / عبد الشــافى عبـد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامى فى كليــة اللغــة العربيــة بالقــاهرة فتجاذبت مع فضيلته أطراف الحديث لكى أصل من خلال حوارى معــه إلى موضوع جديد غفل عنه الباحثون المحدثـــون لأخــوض غمــار البحث فيه حتى يخرج للنور لعلــى أســتطيع بــه إضــاءة الطريــق للدارسين اللاحقين لى فى التاريخ الإسلامى فظفرت من حوارى مــع فضيلته باقتراحه علىّ البحث عن شخصية نصر بـــن ســيار والــى خراسان فى أواخر العصر الأموى فأجلت فكرى هنا وهناك فما وجدت أحداً من المحدثين خصه بموضـــوع مســتقل خــلا الكــاتب الكبيــر الأستاذ/على أدهم ، وحتى حديثه عنه قد جاء موجــزاً وضــح فيــه للقارئ بعضاً من معالم شخصيته.

وقدامى المؤرخين الذين أتوا على ذكر" نصر" فى مصــادرهم لم يذكروا أخباره إلا من خلال حديثهم عن انهيار الدولة الأموية تحت

معاول رجال الدعوة العباسية باستثناء النزر اليسير الذى يراه قارئ هذه المصادر مبعثراً بين السطور وهو يطالع أخبار خراسان.

فكان لزاماً على الكاتب وهو يتلمس أخبار نصر بن سيار لينظمها فى عقد متصل الأجزاء أن يطالع أخبار الدولة الأموية فى دقة متناهية إلى مقتل مروان بن محمد. فقد جذب نصر بن سيار إليه أنظار ولاة خراسان خلال مراحل كفاح هؤلاء ضد الترك الذين تربصوا الدوائر بمسلمى هذا الثغر فراحوا يحاربونهم حروباً متصلة كلفت ولاة هذا الإقليم بل الخلافة الأموية الكثير من الأموال والرجال الذين قاتلوا الترك فى بسالة منقطعة النظير حتى استطاعوا تثبيت دعائم الإسلام فى هذه البلاد، ومن ثَم تحول أهلها نحوه ، فاعتنقوه وأخلصوا له واصبحوا حماة له يعملون على نشره بعد ما كانوا بالأمس يحرصون على دحر اتباعه. وحتى يقف القارئ الكريم على مدى معاناة المسلمين حاكمين أو محكومين فى إقليم خراسان وهم يجاهدون الترك ومن دار فى فلكهم، يحسن بى الإلماع فى إيجاز إلى جغرافية هذا الإقليم لأن مسرح الأحداث يؤثر عليها ويسهم فى حسم المعارك. ليس هذا فحسب، بل يجعل المؤرخ يلتمس الأعذار لهذا القائد أو ذاك إذا لم يحالفه التوفيق فى معركة من المعارك أو يقف موقف الانبهار والإعجاب حين يجد النصر يمشى فى ركابه على الرغم من عقبة المكان المتمثلة فى طبيعة الأرض أو المناخ.

أرض خراسان

اختلف البلدانيون المسلمون القدامى حول حدود هذا الإقليم فمنهم من زادها ومنهم من نقصها ولقد أتى صاحب معجم البلدان على ذكر هذا كله فقال : خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها.

أما الجغرافيون المحدثون فقد ذكروا أن إقليم خراسان يعرف فى العصر الحديث بدولة أفغانستان[1] وهى تقع فى آسيا[2] وهذا غير دقيق ، إذ أن إقليم خراسان الذى تتناوله الدراسة يقع منه جزء فى أفغانستان الحديثة والآخر ضمن إقليم سجستان ، ويحدها من الشرق الهند ومن الغرب إيران ومن الشمال تركستان ، ومن الجنوب باكستان وتبلغ مساحتها نحو ٢٧٠,٠٠٠ ميل مربع[3] وأطلق عليها هذا الاسم عوضاً عن اسم خراسان فى القرن الثانى عشر الهجرى[4] وهذه المنطقة منطقة داخلية لا تطل على البحار الكبرى بموانئ وتقع بين خطى عرض ٢٩,٣٠° ، ٣٨,٣٠° شمالاً وبين خطى طول ٦٠,٣٠° ، ٧١,٥٠° شرقاً إذا استثنينا " عنق وخان ".

---

[1] يسرى الجوهرى : آسيا الإسلامية ص ٢١٩ ، وجغرافية الشعوب الإسلامية ص ٢٩١.

[2] أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ ٢ ص ٢٢٤

شاكر : تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر "قارة آسيا" ص ٢٤٥.

[3] يسرى الجوهرى : آسيا الإسلامية ص ٢١٩. - أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى جـ ٨ ص ٢١١ : ٢١٢.

[4] شاكر : العالم الإسلامى الحديث والمعاصر جـ ١ ص ٢٤٥.

فإذا ما أردنا الوقوف على تضاريس هذه المنطقة رأينا أن سلسلة جبال هندكوش وما تفرع منها تُكون عمودها الفقرى وتشطرها شطرين ، وسطح أفغانستان غير منتظم ، إذ تشاهد فيه الجبال المرتفعة والأودية العميقة وحوافها عالية فى الشرق والشمال.

أما سطحها فينحدر من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى والجنوب ، ويتبع هذا الانحدار جريان الأنهار وتصريفها فى مجموعتين كبيرتين[١].

أما المناخ فإنه قارى شديد البرودة شتاء والحرارة صيفاً ، وربما يتغير الطقس عدة مرات فى اليوم الواحد ما بين حرارة وبرودة ، وبإقليم خراسان مناطق مرتفعة تصل فيها درجات البرودة إلى ٣٠° درجة تحت الصفر[٢] ، فكانت وما تزال تشكل عقبة كؤود أمام الجيوش التى تحارب على أرضها فقد سموا جبل هندكوش " بقاتل الجنود " لهذا السبب[٣].

مما تقدم يرى القارئ الكريم أن مهمه السيطرة السياسية والعسكرية على بلاد هذه طبيعتها الجغرافية هو من الصعوبة بمكان

---

(١) يسرى الجوهرى : آسيا الإسلامية ص ٢٢٠ ، وجغرافية الشعوب الإسلامية ص ٢٩١ – أبو العنين فهمى محمد : أفغانستان بين الأمس واليوم ص ٨٦ : ٨٧.

(٢) يسرى الجوهرى : آسيا الإسلامية ص ٢٢١ : ٢٢٣ ، وجغرافية الشعوب الإسلامية ص ٢٩٣ : ٢٩٥ – أبو العنين فهمى محمد : أفغانستان بين الأمس واليوم ص ٩٩.

(٣) شلبى : موسوعة جـ ٨ ص ٢١٢.

على جيوش المسلمين التى لم تألف هذا الجو ، ومن ثَّم فإن ولاة المسلمين الذين تعاقبوا على خراسان كان جلهم فى جهاد دائم من أجل السيطرة والتصدى للحركات الهدامة التى كان يقوم بها بعض ساكنيها فى سبيل النيل من المسلمين فى هذا الإقليم.

ولقد سجل التاريخ انتصارات كثيرة أحرزها ولاة الدولة الإسلامية على أعداء الدين فى هذا الإقليم والمناطق المجاورة له انطلاقاً من القواعد الإسلامية التى أنشأها المسلمون على أرض خراسان والتى كانت تستمد الرجال من البصرة. ومن أمثال هؤلاء الولاة عبد الله بن عامر بن كريز ، وقيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السّلمى وقتيبة بن مسلم الذى اوغل فى هذه البلاد بشكل فاق السابقين عليه واللاحقين له[1].

والدارس لتاريخ هذا الإقليم لا يستطيع الجزم بأن الدولة الأموية استطاعت إحكام السيطرة عليه وتجنيب ساكنيه ويلات الحرب التى كانت تقوم على أرضه بين الفينة والفينة ، لذلك كله فإنى أرى أن خلفاء هذه الدولة قد حرص جلهم على جعل حكم هذا الإقليم إلى أكفاء رجالهم حين كان يحكم حكماً منفصلاً عن والى العراق وكذلك كان حال والى هذه البلاد عندما يشخص إلى خراسان حاكماً من قبله.

ونصر بن سيار التى تبرز أعماله هذه الصفحات هو واحد من الولاة الأكفاء الذين حكموا الإقليم تحت سيطرة والى العراق تارة

---

[1] اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٦١ : ٦٥ - ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون وعصرهم العباسى الأول ص ٢٠.

ومستقلاً عنه فى حكمه تارة أخرى وإن اختلفت أحوال إقليم خراسـان فى عهده اختلافاً كبيراً عن سابقيه فإنه صار عليـه كمـا سـأفصله مجابهة خطرين عظيمين بخراسان أحدهما داخلى وثانيهما خـارجى ، وحتى يكون القارئ على بينة من أمره وهو يحكم علـى نصـر بـن سيار أو له فى خراسان يحسن بى الإلماع إليه من طفولتـه إلـى أن ولىّ أمر هذا الإقليم.

نصر بن سيار
من الطفولة إلى الولاية

تمهيد : فى التاريخ شخصيات مهمة قامت بأدوار جريئة وتركت بصماتها على صفحات الحياة ، ولكن حظها من الذكر لدى المؤرخين لم يكن بالقدر الذى يجلو أعمال هذه الشخصيات ويزيد الأمر حيرة أن البطل فى القديم يذكر فجأة حين يلعب دوراً سياسياً فيسجله المؤرخون دون نظر إلى ما تقدم من أمره ، طفولة وصبا وشبابا ، وتلك حال شكا منها كثير من المؤرخين ومنهم اللواء الركن محمود شيت خطاب حين تعرض لأبطال الفتح الإسلامى فى المشرق والمغرب وأخذ يبحث عن طفولة أمثال القعقاع بن عمرو والأحنف بن قيس وعبادة بن الصامت والنعمان بن مقرن وغيرهم فلم يجد عن ذلك شيئاً.

كذلك كان موقفى حين أردت أن أبحث عن طفولة نصر بن سيار فلم أعلم عن ماضيه شيئاً أبدأ به خُطوُات حياته،إذ أن أول ما ذكر من أمره هو ما كان من انضمامه لجيش قتيبة بن مسلم ثم جهوده مع القادة اللاحقين لقتيبة إلى أن اختاره هشام بن عبد الملك والياً له على خراسان ، وطبعى أن اختيار أمير المؤمنين لا يكون لغُفل من الناس بل لابد أن يتجه إلى بطل فذ يمكنه أن يقف أمام أعدائه موقف الأسد الهصور ، أما كيف كان نصر أسداً هصوراً فى عينى هشام؟ فهذا ما سكت عنه التاريخ ، إلا ما ذكرته مصادره من أخبار يسيرة عن أعمال جليلة قام بها نصر فى خراسان بين عهدى قتيبة بن مسلم وولاية أسد بن عبد الله الثانية على الإقليم.

على أن الزمن لم يضن علينا بشذرات من الأخبار المتعلقة بطفولة نصر تلك التى كانت بمثابة قطرات متساقطة رذاذاً لا كوابل يتدفق صيباً ، وهذه الأخبار الصغيرة التى لا تمثل كل اتجاهاته فى طفولته بل تشير إلى خطوط ضئيلة فى نسج هذه الطفولة بعضها قد أشار إليه الكاتب الكبير على أدهم وهو وحده الذى خص نصراً بمقال لا يتجاوز أربع صفحات ولكن القليل عن نصر كثير بالنظر لهذه الصحراء الشاسعة التى غمرت طوفان الأحداث فلم تهد إلى سواء السبيل.

كلمة عن نشأة نصر

فصاحبنا هو نصر بن سيار بن رافع ابن حرى بن ربيعة بن عامر بن هلال بن عوف بن جندع بن ليث وينتهى نسبه إلى مدركة بن الياس بن مضر.[1] أمه زينب بنت حسان من بنى تغلب.[2]

ارتبط ميلاده بشروق شمس الأمويين ، وكانت وفاته بمثابة إعلان عن غروب شمس هذه الدولة ذلك أن نصراً ولد فى سنة ست وأربعين للهجرة فى عهد الخليفة الأموى الأول معاوية بن أبى سفيان فقضى عمره منذ نعومة أظافره ينظر الأطوار التى مرت بها الدولة الأموية من عهد القوة والفتوة إلى عهد الهرم ، وإذا كان بحكم صغو سنه وسيرة أبيه لم يشارك فى صنع الأحداث فى السنوات الأولى لهذه الدولة فإنه كان من المدافعين عنها ، والباذلين للنفيس قبل

---

(١) ابن قتيبة – المعارف – ص ٤٩ .عبد القادر البغدادى:خزانة الأدب جـ٢ص٢٢٤

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٤.

الرخيص فى سبيل بقائها حين بلغت روحها الحلقوم بسبب نجاح الدعوة العباسية كما يرى القارئ وهو يطالع سيرة هذا الوالى الذى حكم خراسان فى هذا الظرف الدقيق.

والذى يدعو إلى العجب أن سيار بن رافع والد نصر كان من شيعة ابن الزبير فقد شاطر مصعبا كفاحه ضد الأمويين حين كان إليه أمر العراق مما يجعل المرء كما يقول الأستاذ على أدهم[1] يرجح أن نشأة نصر كانت ببلاد العراق فإذا بولده من صلبه يحمل السيف فى شجاعة ليدافع عن الوجود الأموى ولعل الذى جعل نصراً يتجه إلى الإنخراط فى سلك العسكرية ويقدم على ركوب الأهوال والمخاطر دون خوف هو رغبته فى محو العار الذى لحق بأسرته. ذلك أن أباه سيارا قد اتهم بسرقة عيبة[2] فقطع عبد الرحمن بن سمره[3] يده فكان يقال له الأقطع وطالما عير نصراً اعداؤه بهذه الهفوة التى ارتكبها أبوه[4]. والذى لا مراء فيه أن طفولة نصر كانت على غرار غيرها من حياة أطفال ذلك العصر فقد تعلم العلوم الدينية وإن لم ينبغ

---

[1] مقالة بعنوان من الأدب العربى نصر بن سيار- منشورة بمجلة الثقافة العدد رقم ٥٨٠ لسنة ١٩٥٠ ص ٨.

[2] زبيل من أدم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين - ابن منظور : لسان العرب مادة عيب.

[3] ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، أسلم يوم الفتح وصحب النبى محمدا ، كان يسمى بعبد كلال قبل الإسلام فسماه النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن ، سكن البصرة ، قاد الجيش الإسلامى لفتح سجستان سنة ٣٣هـ مات سنة خمسين للهجرة.

ابن قتيبة : المعارف - ص ٣٠٤

ابن الأثير : أسد الغابة جـ ٣ ص ٣٤٩ ،٣٥٠، ٣٥١.

[4] ابن قتيبة : المعارف - ص ٤٠٩.

على أدهم : مقالة بعنوان (من الأدب العربى نصر بن سيار) - منشورة بمجلة الثقافة العدد رقم ٥٨٠ لسنة ١٩٥٠م ص ٨.

فيها كما نبغ فى الناحيتين السياسية والعسكرية ، ومع هذا فقد حدث عنه فى العلم عكرمة وأبو الزبير وابن المبارك فيما قيل ومحمد ابن الفضل ابن عطية[١] وكان ذا ميول أدبية بدت واضحة للعيان فى أشعار قليلة نقلتها المصادر التاريخية لنا ، سجل فيها نصر أحاسيسه التى تمكنه عندما تثير الأحداث شجونة وهو يشارك فى صنعها أو يشاهد مآل من صنعوها كما سأبينه.

ومع كل هذا فإن الرجل كان ذواقة للشعر ينقده نقد الخبير به مما يدلك على انه أولع بالشعر قولاً وسماعاً[٢] فلم يكن يروق له إلا الجيد منه،

البواكير لنصر بن سيار فى سلك الجندية

ولقد بدأ نصر بن سيار خطواته الأولى فى مجال الجندية حين انضم إلى جيش[٣] قتيبة[٤] الذى سيره الحجاج إلى خراسان فبدأ الرجل منذ ذلك الوقت يدعم نفوذه بالإقليم بإحرازه انتصارات عظيمة لامراء ، شاهدها وشارك فيها نصر، مما أكسبه ثقة فى نفسه

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٢٤١.

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء جـ ١ ص ٨٢.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ق ٢ ص ٥١٧.

(٤) أبى حفص قتيبة بن أبى صالح مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن معد بن عدنان الباهلى ، ولد سنة تسع وأربعين ، أقام فى خراسان ثلاثة عشر سنة والياً،خرج على سليمان بن عبد الملك الذى تولى بعد الوليد ، قتله وفد من فرغانة فى ذى الحجة سنة ست وتسعين للهجرة وقيل فى التى تليها.ابن خلكان:وفيات الأعيان جـ ٤ ص٨٦،٨٧،٨٨

ومعارف حربية مكنته من المضى قدماً فى طريق الشهرة فقد أبلى بلاءاً منقطع النظير فى معاركه التى خاضها مع صالح بن مسلم (أخو قتيبة) حين فتح "باسارا" فأراد صالح مكافأة نصر على استبساله فوهبه فى سنة ست وثمانين للهجرة قرية بخراسان تسمى تنجانة[١].

موقف نصر من والي خراسان سعيد بن عمرو الحرشي

حرص نصر بن سيار على الإفادة من الولاة الذين تعاقبوا على الإقليم بعد قتيبة بن مسلم فوثقوا به ثقة عظيمة فكانوا يعهدون إليه بالمهام الكبار ، فها هو ذا سعيد بن عمرو الأسود الحرشى الذى عهد إليه عمر بن هبيرة بولاية خراسان سنة ثلاث ومائة للهجرة بأمر من الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك[٢] يحرص على الإفادة من نصر بن سيار فحين خرج سعيد الحرشى إلى مدينة كش[٣] عرض أهلها عليه أن يصالحوه على ان يدفعوا إليه عشرة الآف رأس غنم على قول وستة الآف على آخر وضرب لذلك أربعين يوماً يسلم بعدها صاحب كش ما صالح سعيداً الحرشى عليه فلم يجد عامل

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٤٢٥.
ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٥٢٣ : ٥٢٤.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٦١٩.

(٣) بالفتح ثم التشديد إذا عربت كتبت بالسين وهى قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان على جبل ، وتعد كورة بذاتها تغير اسمها بعد تيمور الذى ولد بها فصارت تعرف منذ ذلك حتى العصر الحاضر باسم شهر سير (المدينة الخضراء) / ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٣٨ / كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥٠٣ ، ٥١٣.

خراسان إذ ذاك رجلاً يطمئن إليه فى القيام بقبض أموال أهـــل كـــش أكفأ من نصر بن سيار.

ويلوح لى أن نصراً لما أحسن القيام بهذه المهمة التى كلفـــه بها أميره ، عمل والى خراسان على إدنائه إليه وجعلـــه مـــن كبـــار رجال ولايته فعزل سورة بن أبجر الحر التميمى عن أعمالـــه بـــإقليم خراسان وجعلها لنصر بن سيار [١].

وهذا دليل على أن والى الإقليم قد رأى فى نصر من النجابـــة والتضحية والإخلاص له ما لم يره فى سورة بن الحر و من ثَّم قـــرر عزله والاستعانة بنصر عوضاً عنه.

بين نصر ومسلم بن سعيد

فنصر إذن واحد من هؤلاء الرجال الذيـــن عـــاونوا ســـعيداً الحرشى فى ولايته التى غربت شمسها بمجىء مسلم بن سعيد إليـــها سنة أربع ومائة للهجرة[٢].

فلما عزم على غزو الترك سنه ست ومائة للـــهجرة ، عمـــل على حشد طاقات خراسان ليضمن تحقيق النصر لحملته تلـــك فـــألقى خطبة فى أهل البلد قال فيها : ما أخلف بعدى شيئاً أهم عنـــدى مـــن قوم يتخلفون بعدى مخلقى الرقاب ، يتواثبون الجدران علـــى نســـاء

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملـــوك جـــ ٧ ص ١١.
ابن الأثير : الكـــامل جـــ ٥ ص ١١٠.

[٢] خليفة بن خيـــاط : تاريخـــه ص ٣٣٣.

المجاهدين ، اللهم أفعل بهم وأفعل ! وقد أمرت نصراً ألا يجد متخلفاً إلا قتله ، وما أرثى لهم من عذاب ينزل الله بهم [١]

مما تقدم يرى القارئ الكريم أن مسلم بن سعيد جعل من ابن سيار ساعداً ايمناً له وهو يحارب الترك فلو لم تكن له مكانة مرموقة بين الخراسانيين ومعرفتهم عن نصر الجد فى أدائه المهام التى يعهد بها إليه أميره ما خوف مسلم بن سعيد به أهل خراسان فمهمة حمل المتخلفين على الحرب كما ترى ليست بالأمر الهين بل هى تحتاج إلى رجال من ذوى الشكيمة حتى يستطيعوا بقوة عزيمتهم حشد أكبر عدد من الجند فى المعارك الحربية التى يخوضها الأمير وقد قام نصر بن سيار بهذه المهمة على أكمل وجه فقاد العصبة اليسيرة التى تركها مسلم بن سعيد لمعاونته فى أدائه لمهمته أحسن قيادة وسار بهم إلى البختري بن درهم وزياد بن طريف الباهلى وكانا ممن تخلفا فى رجال معهما عن مسلم بن سعيد فأحرق درهما ليكونا عبرةً للمتخلفين من أهل خراسان.

ولما أراد نصر بن سيار تعقب المتخلفين بمدينة بلخ حال بينه وبين مأربه عمرو بن مسلم وكان عليها إذ ذاك فأقام نصر بالبروقان[٢] وأتته الأشياع من أماكن كثيرة فنشبت بينه وبين البختري بالبروقان معركة انجلت عن هزيمة البحترى وحليفه عمرو

---

[١] الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٣٢،٣٣

[٢] بالقاف والنون قرية من نواحى بلخ ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٢١.

بن مسلم الذى أرسل إلى نصر يطلب منه الأمان فأمنه وقيل إن نصرا أوتى بعمرو بن مسلم مكبلا فمن عليه بالأمان.

وهناك رواية ثالثة تذكر أن نصرا حين ظفر بمعارضيه ضرب كل واحد منهم مائة سوط وحلق رؤوسهم ولحاهم وألبسهم المسوح[١].

وراحت قيثارة الشعر التى تميز بها نصر تصور هذه الأحداث فى ابيات له سجلها الطبرى فى تاريخه[٢].

وعلى كل حال فإن هذه الحملة العسكرية التى قام بها مسلم بن سعيد على الترك اصابت المسلمين بخسائر فادحة فى الرجال والأموال فسقط منهم الجم الغفير من الرجال شهداء وتخفف المسلمون من أثقالهم بالإحراق حتى لا تكون غنيمة للأعداء ليس هذا فحسب بل أنهم تعرضوا للهلكة لنفاد جل مائهم وطعامهم فعرف هذا اليوم بيوم العطش[٣] ولم يكن نصر بالذى ينسى هذا اليوم وما لقى فيه المسلمون من أهوال فقد نال من الترك وطراخوانة الذين استشهدوا فى هذا اليوم حين آل أمر خراسان إليه كما سأبينه.

ولقد قام نصر بن سيار فى هذه المعركة بدور عظيم أدى إلى نجاة عدد كبير من المسلمين من قتل محقق على يد الترك فقد حمل حوثرة بن يزيد بن الحر بن الحنيف على الترك فى أربعة آلاف

---

(١) كساء من الشعر - ابن منظور لسان العرب مادة مسح.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٠ : ٣٢.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣.

فقاتلهم ساعة ثم رجع ، واقبل نصر بن سيار فى ثلاثين فارساً فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم فحمل عليهم الناس فانهزم الترك[١].

وقد أعاد هذا الانتصار الثقة إلى الجيش الإسلامى وهذا ليس بالأمر الهين فى ميادين الحروب فإن معنويات الجنود وهم يخوضون غمارها أمضى من السلاح الذى يواجهون به عدوهم فى إحراز النصر.

وإذا كان نصر بن سيار قد جنى ثمرة علاقاته الطيبة نتيجة إخلاصه لسلف مسلم بن سعيد فإن الأخير عرف لنصر قدره وكافأه على حسن بلائه فى حروب الترك فعهد إليه بحكم طخارستان[٢].

وكان نصر عند حسن ظن أميره فيه فقد استطاع بكياسته وحسن سياسته وضع حد للثورة التى قام بها العرب عليه فقبل بعد الانتصار على الثائرين بطخارستان إبرام الصلح بينه وبينهم[٣] ليتألف

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٣٠.

(٢) بالفتح وبعدالألف راء ثم سين ثم تاء مثناه من فوق ويقال طخيرستان ، ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهى من نواحى خراسان وطخارستان العليا والسفلى ، فالعليا شرقى بلخ وغربى نهر جيجون وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً، وأما السفلى فهى أيضاً غربى جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأقرب فى الشرق من العليا ، وقد خرج منها طائفة من أهل العلم.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٢٥٢.

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ ٤ ص ٤٧٧ : ٤٧٨.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٢٥.

قلوب الشاردين منهم ولم ينعم نصر بن سيار طويلا بما جنى من ثمار فى عهد والى خراسان مسلم بن سعيد فإن هذا عزل بأسد بن عبد الله القسرى[1].

ولاية أسد الأولى على خراسان وموقف نصر منه

بدأ أسد ولايته بغزو بلاد الختل[2] وبعد مناورة بين الجيشين عاد إلى بلخ ، تاركا رجالاته فى غورين. وهنا يحاول نصر ما أمكنه إثبات حسن النية لواليه الجديد فعقد الخناصر هو وسلمة بن الأحوز على القيام بأعمال بطولية ضد الترك ، تؤكد هيبة المسلمين فى أعين العدو ومن ناحية أخرى فأنهما أملا أن ترفع هذه الأعمال ذكرهما عند الوالى فحين برز للمسلمين رجل من الترك فى صورة تنم عن اعتزازه بقوته وتأهبه للبطش بالمسلمين قال سلم لنصر وهما ينظران الرجل (قد عرفت رأى أسد وأنا حامل على هذا العلج[3] فلعلى أن اقتله فيرضى فقال شأنك ، فحمل عليه فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه ، فإذا هو بين يدى فرسه ففحص برجله فرجع سلم فوقف ، فقال نصر أنا حامل حملة أخرى ، فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدو فاختلفا ضربتين فقتله سلم فرجع

---

(1) خليفة / تاريخه ص ٣٦٦ / اليعقوبى : البلدان ص ٦٦.

(2) تقرأ بضم الأول وفتح التاء مشددة ، ولاية تقع فى حوض نهر جيحون بالقرب من حدود وادى السند ، ، كانت عاصمتها تعرف باسم هلبك. أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ ٢ ص ٢١٧.ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص٢١٥

(3) الرجل الشديد الغليظ من كفار العجم والأنثى علجة.

فرجع سلم جريحاً فقال نصر لسلم قف حتى أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو ، فصرع رجلين ورجع جريحاً فوقف فقال : أترى ما صنعنا يرضيه لا أرضاه الله؟ فقال لا والله فيما أظن ، وأتاهما رسول أسد فقال : يقول لكما الأمير : قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين ، لعنكما الله! فقالا : آمين إن عدنا لمثل هذا[1].

وسواء أصحت الرواية التى تقول إن أسداً رجع دون حرب أم غيرها من الروايات التى تصرح بانهزامه[2] فإن والى خراسان لم يقلع عن هذه المعاملة السيئة التى عامل بها كبار رجاله دون أن يفكر فيما تجلبه عليه من العواقب التى تهدد ولايته وذلك فإن أسداً بن عبد الله خطب فى أهل خراسان فى وقت كان الترك فيه يهتبلون الفرص المواتية لهم حتى ينقضوا على الإقليم فقال أسد : (قبح الله هذه الوجوه! وجوه اهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد ، اللهم فرق بينى وبينهم وأخرجنى إلى مهاجرى ووطنى ، وقل من يروم ما قبلى أو يترمرم وأمير المؤمنين خالى وخالد بن عبد الله أخى ، ومعى اثنا عشر ألف سيف يمانٍ) ثم نزل عن منبره ، فلما صلى ودخل عليه الناس وأخذوا مجالسهم أخرج كتاباً من تحت فراشه ، فقرأه على الناس ، فيه ذكر نصر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم الغامدى وسورة بن الحر الأبانى – أبان بن دارم ، والبخترى بن أبى درهم

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٣ : ٤٤.

من بنى الحارث بن عباد ، فدعاهم فأنبهم ، فأزم القوم ، فلم يتكلم منهم أحد فتكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته وأنه ليس ينبغى له أن يقبل قول عدو مبطل وأن يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل ، فلم يقبل قوله وأمر بهم فجردوا وضربهم[١].

وعلى الرغم من ذلك فلم يغض نصر الطرف عن المصلحة العامة للأمة فى خراسان فحين أرسل بنو تميم رسولاً إلى نصر يقول له : إن شئتم انتزعناكم من أيديهم فكفهم نصر عن ذلك حفاظاً على دماء المسلمين وعدم انشغالهم بأمر داخلى يسهم فى إضعافهم وهم يواجهون الترك المتربصين بهم وأمر أسد بن عبد الله بنصر والذين معه فسيرهم إلى أخيه خالد بن عبد الله القسرى فى العراق وأرسل معهم كتاباً اتهمهم فيه بالخروج عليه ، فلما قدموا على خالد لام أسداً وعنفه وقال ألا بعثت برءوسهم[٢]

وكدأب نصر بن سيار فإنه سجل ما أصابه على يد أسد بن عبد الله وما ألصقه به من اتهامات هو منها برئ فى أبيات يجدها القارئ مبثوثة فى تاريخ الطبرى[٣] وعلى كل حال فإن أشرس بن سعيد قدم مصره بناء على اختيار هشام بن عبد الملك له[٤] وقد جعل الوالى الجديد نصراً على بلخ [٥]

---

[٢] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٣٩.
[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٨.
[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٨.
[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٤٨ ، ٤٩.
[٤] ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٥٩٩.
[٥] النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٣٥.

و–جاء الجنيد بن عبد الرحمن بعد الأشرس فعزل نصر بن سيار عنها ، وجعل عليها مسلم بن عبد الرحمن الباهلى[١].

ومع ذلك استمر نصر بن سيار فى معاونة الجنيد فى حربه ضد الترك وليس أدل على ذلك من دوره البارز فى موقعة الشعَّب[٢].

مضى الجنيد قدماً فى طريقه إلى سمرقند حتى وصل برجاله إلى الشعَّب الذى يفصله عن سمرقند أربعة فراسخ ، هناك دارت معركة ضروس بين المسلمين والترك ومن آزرهم من أهل الصغانيان والشاس وغيرهم. فانهزمت ميمنة المسلمين وأحيط بهم فأرسل الجنيد نصر بن سيار فى سبعة نفر من شجعان المسلمين بخراسان فقاتلوا العدو قتالاً نجحوا من خلاله فى رفع الحصار عن بعض فرق المسلمين مما جعل هؤلاء يثبتون للترك ويصبرون على القتال حتى أعيت الحرب الترك والمسلمين فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً ، فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان[٣] ولم ينعم الجيشان بهدنة مؤقتة فى هذه المعركة إلا حين قال خاقان الترك لقومه لما شددوا الحصار على العرب : إن العرب إذا احرجوا

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٦٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٥٦ : ١٥٧.

[٢] وقعت فى سنة اثنتى عشرة ومائة للهجرة بين الجنيد والترك بعد هجومهم على سمرقند فى وقت بلغ فيه الحرج مداه بوالى خراسان إذ أنه قد فرق جيوشاً فى أماكن أخرى قبل علمه بهذا الهجوم.
الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ٧ص٦٩،ابن الأثير الكامل:جـ ٥ ص١٥٦،١٥٧.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٧١ : ٧٤.

استقتلوا ، فخلوهم حتى يخرجوا ، ولا تعرضوا لهم فإنكم لا تقومـــون لهم[1].

ولقد فجع المسلمون فى حربهم للترك بفجيعة عظيمـــة حيـــن استطاع هؤلاء قتل سورة بن الحر عامل سمرقند وكان خرج لقتالـــهم فى أثنى عشر ألفاً فلم ينج منهم إلا ألفان على قول وألف على آخر.

ولقد أظهر "نصر بن سيار" فى يوم مقتل سورة بســالة منقطعة النظير فإنه عندما حمى الوطيس وانتشر لهيب النيران هنـــا وهناك قاتل العدو أكثر من ذى قبل حتى انقطع سيفه وسيور ركابــه ، فأخذها وضرب بها الترك.

وعلى الرغم من شجاعته التى رأيتها فى هذا الظرف الدقيــق فإن والى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن لم يحمد لنصر فعله هـذا [2] فتأثر نصر لذلك تأثرا عظيما وسجل ذلك فى شعر له ضمنه بعضا مـن مواقفه فى معركة الشعب واليوم الذى قتل فيــه ســورة بــن الحــر التميمى[3].

---

(1) الطبرى : تاريخ الرسل والملـــوك جـــ ٧ ص ٧٥.

(2) الطبرى : تاريخ الرسل والملـــوك جـــ ٧ ص ٧٦ : ٧٨.

ابن الأثير : الكـــامل جـــ ٥ ص ١٦٥ ، ١٦٦.

(3) الطبرى :تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٨٤.

ابن الأثير : الكـــامل جـــ ٥ ص ١٧٠ : ١٧١.

جاء عاصم بن عبد الله والياً على خراسان ولم يمكث بها إلا قليلاً ، فقد عزله هشام بن عبد الملك[١] لتئول مرة أخرى إلى أسد بن عبد الله القسرى.

أرسل خالد بن عبد الله القسرى أخاه أسد بن عبد الله القسرى إلى خراسان للمرة الثانية فوصلها فى سنة سبع عشرة ومائة للهجرة[٢] ليجد نفسه أمام مشاكل عدة صار عليه التصدى لها حتى يعيد خراسان إلى سابق عهدها من الاستقرار الداخلى.

وقد كان نصر بن سيار مؤازراً له بالرأى والمشورة ، يلمح القارئ ذلك حين تأزم الموقف الحربى بين أسد بن عبد الله وبين الترك بعد أن هجم أسد على بلاد الختل وخروج الخاقان لملاقاته فترك البلاد عابراً نهر بلخ والترك يلاحقونه[٣] ، وسط هذا الموقف المتأزم طلب أسد بن عبد الله رأى وجهاء خراسان ومنهم نصر بن سيار الذى وجه أسد الحديث إليه قائلاً : مالك يا بن سيار مطرقاً لا تتكلم! قال أصلح الله الأمير! خلتان كلتاهما لك ، إن تسر تُغثْ من مع الأثقال وتخلصهم ، وإن أنت انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعت قحمة لابد من قطوعها فقبل رأيه[٤].

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٩٩.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٤١.
(٢) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣١٩ ، كتاب البلدان ص ٦٦ ، النويرى نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٣٢.
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١١٣ : ١١٤.
(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١١٥ : ١١٦.
ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٠١.

مما تقدم ترى نصراً يريد أن يجعل المسلمين يظهرون للترك قوتهم ورباطة جأشهم وذلك لا يكون إلا إذا تحركت جيوشهم على الأرض لتنقذ أثقالهم أو تلقى الترك فى معركة يكون فيها المسلمون فى حرية تتيح لهم المناورة على الأرض ، وذلك ما كان ليتحقق لهم إن بقوا فى مكانهم ينتظرون ما يقرره عدوهم فى شأنهم ومن ثَم يفرض عليهم ما يريده أعداؤهم وبالتالى يسهل على الترك إحراز الانتصار عليهم لأن عدم الأخذ بزمام المبادئة بعد المعارك التى دارت بين الترك والمسلمين يجعل الجند لا يتمتعون بمعنويات مرتفعة فى لقائهم لعدوهم.

والرأى عندى أن ذلك كله لم يغب عن أسد بن عبد الله حين قرر الأخذ بالرأى الذى عرضه نصر عليه وذلك ما كان فإن المسلمين صاروا يلاحقون الترك بعد توجههم لاستنقاذ أثقالهم وقد كانوا قبلاً يلوذون بالفرار من ملاحقة الترك لهم الأمر الذى سهل على المسلمين إحراز الانتصار على خاقان والذين معه عند الجوزجان[١].

فغنم المسلمون ما معه من أموال وجوارى وأراح الله المسلمين منه حين قتله كورصول[٢].

---

(١) اسم تاريخى لإقليم جغرافى يقع ما بين نهر جيحون ونهر مرغاب قصبته مدينة اليهودية فتحه المسلمون عام ٣٣ هـ ، ومن أشهر مدنها الفارياب.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٩٠ ، ابن عبد الحق مراصد الإطلاع جـ ١ ص ٣٥٧ ، أحمد عطية الله القاموس الإسلامى جـ ١ ص ٦٥٧.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٢٣ : ١٢٥.
ابن الوردى : تاريخه جـ ١ ص ١٧٥.

ظل أسد بن عبد الله يدبر أمر خراسان حتى وافته منيته فـــى ربيع الأول سنة عشرين ومائة للهجرة فآلت خراسان بعده إلى جعفـــر بن حنظلة البهرانى فاستمر بها أربعة أشهر[1] آل بعدها الإقليم إلـــى نصر بن سيار لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياته بخراســـان تلـــك التى أصبح فيها صاحب الحول والطول.

---

[1] ابن الأثير : الكــامل جـــ ٥ ص ٢١٦.
ابن الجوزى : المنتظـــم جـــ ٤ ص ٦٦٥.
النرشخى : تاريخ بخـــارى ص ٩٣.

نصر بن سيار
بين
ولايته ووفاته

لما وقف هشام بن عبد الملك على خبر وفاة أسد بن عبد الله وما كان من استخلافه قبيل وفاته لجعفر بن حنظلة البهرانى أنشأ يجيل بصره يمنة ويسرة باحثاً عن رجل يوليه أمر خراسان حيث إن هشاماً من لدن خلافته أولى الإقليم جل عنايته بالنظر إلى موقفه من الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية. والذى يطالع الطبرى يجده يذكر ثلاث روايات عن الكيفية التى تم بها اختيار نصر بن سيار والياً على خراسان فيها يرى القارئ روايتين تتفقان على اختيار الخليفة "هشام بن عبد الملك" "نصر بن سيار" والياً على خراسان دون أن يأخذ برأى عامله على العراق "يوسف بن عمر الثقفى" بينما تجعل الرواية الثالثة للوالى المذكور دوراً بارزاً فى ترشيحه رجالاً من خراسان للخليفة حتى يختار من بينهم والياً على خراسان ولأن كل رواية من هذه الروايات الثلاث تظهر للقارئ القواعد والضوابط التى اختار الخليفة الأموى على أساسها نصراً لولاية خراسان وتلك التى جعلت الخليفة يغض الطرف عن بقية الرجال المرشحين لولاية الإقليم فإنى أذكر هذه الروايات بنصوصها ليرى القارئ من خلالها مدى حكمة الخليفة هشام بن عبد الملك وحسن سياسته وهو يكاتب عماله أو يشاورهم فى اختيار الرجال الذين يتولون أمر الثغور الهامة من أمثال خراسان.

فقد روى الطبرى عن على بن محمد (أن هشاماً استشار أصحابه فى رجل يصلح لخراسان ، فأشاروا عليه بأقوام وكتبوا له

أسماءهم ، فكان ممن كتب له "عثمان بن عبد الله بن الشخير" ، ويحيى ابن حضين بن المنذر الرقاشي "ونصر بن سيار الليثي" و"قطن بن قتيبة ابن مسلم" و"المجشر بن مزاحم السلمي أحد بني حرام ، فأما "عثمان بن عبد الله بن الشخير" ، فقيل له : إنه صاحب شراب وقيل له المجشر شيخ هم ، وقيل له : ابن حضين رجل فيه تيه وعظمة ، وقيل له : قطن بن قتيبة موتور ، فاختار نصر بن سيار ، فقيل له : ليست له بها عشيرة. فقال هشام : أنا عشيرته. فولاه وبعث بعهده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفاني[1].

أما الراوية الثانية فتذكر أن هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه الخبر بموت أسد بن عبد الله : من ترى أن نولى خراسان فقد بلغني أن لك بها وبأهلها علماً ، قال عبد الكريم : قلت يا أمير المؤمنين : أما رجل خراسان حزماً ونجدة فالكرماني ، فأعرض بوجهه. وقال: ما اسمه ؟ قلت "جديع بن علي" قال: لا حاجة لي فيه وتطير ، وقال سم لي غيره ، قلت اللسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني أبو الميلاء ، قال ربيعة لا تسد بها الثغور . قال عبد الكريم : فقلت في نفسي كره ربيعة واليمن فأرمية بمضر فقلت : عقيل بن معقل الليثي ، إن اغتفرت هنة ، قال : ما هي ؟ قلت ليس بالعفيف ، قال لا حاجة لي به ، قلت منصور بن أبي الخرقاء السلمي ، إن اغتفرت نكرة فإنه مشئوم ، قال : غيره ، قلت : المجشر بن مزاحم السلمي ، عاقل شجاع له رأي مع كذب فيه ، قال الأخير في الكذب قلت : يحيى ابن حضين ، قال : ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور ! قال : فكان إذا ذكرت له ربيعة واليمن أعرض قال عبد الكريم : وأخرت

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٤ ، ١٥٥.

نصرا وهو أرجل القوم ، وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة فقلت نصر بن سيار الليثى ، قال : هو لها قلت:إن أغتفرت واحدة ، فانه عفيف مجرب عاقل ، قال ما هى ؟ قلت عشيرته بها قليلة ، قال : لا آبا لك أتريد عشيرة أكثر منى ! أنا عشيرته[١]

وتذكر الرواية الثالثة أن يوسف بن عمر لما قدم العراق قال : أشيروا على برجل أوله خراسان فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله بن خازم وقديد بن منيع المنقرى ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبى الخرقاء وسلم بن قتيبة ، ويونس بن عبد ربه ، وزياد بن عبد الرحمن القشيرى ، فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام ، وأطرى القيسية وجعل أخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانى ، فقال هشام ما بال الكنانى آخرهم و كان فى كتاب يوسف إليه يا أمير المؤمنين نصر بخراسان قليل العشيرة . فكتب إليه هشام : قد فهمت كتابك وأطراءك القيسية . وذكرت نصراً وقلة عشيرته ، فكيف يقل من أنا عشيرته ! ولكنك تقيست على ، وأنا متخندف عليك فابعث بعهد نصر فلم يقل من عشيرتة أمير المؤمنين ، بلة ما إن تسميا أكثر أهل خراسان فكتب إلى نصر أن يكاتب يوسف بن عمر ، وبعث يوسف سلماً وافداً إلى هشام ، وأثنى عليه فلم يوله ثم أوفد شريك بن عبد ربه النميرى وأثنى عليه ليوليه خراسان فأبى عليه هشام . وأوفد نصر من

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٥ ، ١٥٦ اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧.

خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأزدى إلى هشام وأثنى عليه نصر فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان فلما قدم يزيد ابن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كرمان وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفى [١]

إن من يمعن النظرفى الروايات السابقة يجد أن أولاها أولى بالقبول من غيرها فقد ذكرها الطبرى معزوة إلى على بن محمد بخلاف ما عداها ، فإنه لم يذكر سندا لهما ، يضاف إلى ما تقدم أن هذه الرواية أوفى من الأخريين فى ذكر التفاصيل الدقيقة لخبر ولاية نصر وكيفية علمه به ، فى حين أن الرواية الثانية لم تذكر شيئا عن هذا الأمر ومثل ذلك الرواية الثالثة فإنها حين ساقت إلى القارئ خبر ولاية نصر خلت من ذكر دواعى الترشيح لكل فرد ممن سمتهم الرواية للخليفة هشام بن عبد الملك ناهيك عن كون هذه الرواية الأخيرة ذكرت ليوسف بن عمر الثقفى دوراً بارزاً فى التأثير على الخليفة وهو يختار رجلا على خراسان وهذا لا يتصور من هشام إبن عبد الملك حيث كان يوسف بن عمر على بلاد اليمن[٢] قبل أن يوليه العراق فمن أين له العلم برجال خراسان حتى يستشيره أمير المؤمنين فيمن يوليه عليها؟

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٦،١٥٧ ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٦٦ ، ٦٦٧

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١٠١ ، ١٠٢

ليس هذا فحسب بل إن ابن الأثير [1] ومن دار فى فلكه حين تناولوا ولاية يوسف بن عمر على العراق ذكروا أن الوالى المذكور ولى العراق فى جمادى الأولى سنة عشرين ومائة للهجرة وقدم الكوفة فى جمادى الآخرة ؛ فكيف يتصور القارئ والحالة هذه لعب هذا الرجل دورا فى ولاية نصر فإن الأخير جاءه كتاب ولاية عهده فى شهر رجب سنة عشرين ومائة للهجرة.

ومما يدعم ما ذهبت إليه أن البخارى [2] جعل سنة إحدى وعشرين ومائة بداية لولاية يوسف بن عمر على العراق فلو صح التاريخ المذكور لكان من المستبعد يقيناً لعب يوسف بن عمر دوراً فى عرض المرشحين على الخليفة ليختار من بينهم والياً على خراسان ولو سلمنا جدلا بصحة التاريخ الذى جعل سنة عشرين ومائة بداية لولاية يوسف على العراق فإن ما ذكرته المصادر عنه منذ جاء إلى عمله وهو يطارد خالداً القسرى وعماله يجعل من يقرأ هذه الأخبار يكاد يجزم بعدم تدخل يوسف من قريب أو من بعيد فى أمر اختيار نصر بن سيار أو غيره على ولاية خراسان.

رأي الباحث في الأسباب التي جعلت هشام يولى نصراً خراسان

وعلى كل حال فإن هشام بن عبد الملك حين اختار نصراً لولاية خراسان لم يكن اختياره لها خاليا من أسباب يمكن للمرء أن يبرر بها ترجيح الخليفة لكفة نصر على غيره من الرجال المرشحين

---

[1] الكامل : جـ ٥ ص ٢٢١،٢٢٢،٢٢٣

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١٠١ ، ١٠٢.

لولاية خراسان وهذه الأسباب فيما أرى تتلخص فى أن الخليفة كانت تطالعه أخبار نصر ومواقفه مع الولاة السابقين بخراسان والتى كان فيها نصر يعمل بجد واجتهاد من أجل الحفاظ على سيادة المسلمين بخراسان وكان كذلك يحرص على إقامة العلائق الطيبة مع الولاة السابقين وإن أساءوا إليه ، وأنه صار صاحب خبرة لا يمكن لمن كان على شاكلة هشام بن عبد الملك أن يغض الطرف عنه فإنه تولى الكور [١] بخراسان حسبما رأى القارئ فيما سلف.

وهناك سبب آخر جعل هشاما يتجه ببصره إلى نصر دون غيره ألا وهو حرصه على إظهار الدولة الأموية بمظهر القوة المسيطرة على مقاليد الأمور بخراسان وأنها بقوتها تستطيع التصدى للعصبية القبلية التى كانت بلغت مداها فى خراسان قبيل عهد نصر ابن سيار فولى من كانت قبيلته قليلة العدد بين القبائل الأخرى ، وعلل ذلك بقوله الذى قرأه القارئ (أنا عشيرته).

بيد أن هشاماً لم يستطع تحقيق هذا الهدف على أرض الواقع فإن الدولة الأموية كانت على مشارف شيخوختها ، وذلك ما عبر عنه الأستاذ الخضرى وهو يعقب على مقولة هشام فى حق نصر حين رفض ما عابه به من استشاره هشام فقال: (هذه جملة صحيحة فى زمن قوة الدولة الناشئة عن اتحاد الفاتحين فأما بعد الانصداع فليست بصحيحة)[٢].

---

[١] اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٢٧.

[٢] محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٢٧.

ولقد شهد واقع خراسان لهشام بن عبد الملك أنه كان على دراية بأحوال أقاليم دولته ومنها خراسان فإن أنظار الخراسانيين بعد أن وافت المنية أسد بن عبد الله اتجهت إلى نصر بن سيار على الرغم من أيلولة البلد إلى جعفر بن حنظلة البهرانى سواء أكان منهم من بادله الود أو طوى نفسه على بغض لنصر.

وآية ذلك ما رأيته من ذكر لنصر ضمن المرشحين فى الروايات الثلاث وما قاله البختري لنصر حين أم داره ليستنصحه فيما عرضه البهرانى على نصر من ولاية بخارى ، فقال له البختري لا تقبلها لأنك شيخ مضر بخراسان فجاء الواقع موافقا لما تنبأ به البختري بن مجاهد الذى لامراء بنى مقولته هذه على استقراء جيد لأخبار الرجال الذين جذبوا أنظار الخراسانيين وغيرهم إليهم بحكم مشاركتهم فى الأحداث والذين منوا أنفسهم بالوصول إلى كرسى الولاية بخراسان نتيجة للأعمال التى قاموا بها فى هذا الإقليم وركون الولاة السابقين إليهم فى حملاتهم العسكرية وإخماد العصبية القبلية . فلما جاء العهد إلى نصر بن سيار بعث إلى البختري ليأتيه فقال البختري لأصحابه (قد ولى نصر خراسان ، فلما أتاه سلم عليه بالامرة فقال له : من أين علمت ؟ قال كنت تأتينى فلما بعثت إلى علمت أنك قد وليت)[1]

ونصر بن سيار الذى أقام بخراسان وقتا ليس بالقصير كان يعلم أن خبر ولايته إن سر بعض من أقاموا بها وخالطوه فإنه فى

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٧

الوقت ذاته أساء إلى من نـاهضوه من القرنـاء بسبب العصبية القبلية أو الرغبة فى أن تكون الولاية لأحدهم دونـه ولقد عبر نصـــر بن سيار عن ذلك كله فى شعر له جاء فيه :-

تَعَزّ عن الصَّبابةِ لا تُلامُ ... كذلك لا يلُمّ بك احتمام

أأنْ سَخِطت كبيرةُ بعد قربٍ ... كلِفْت بها وباشَرَكَ السَّقام

ترُجَىَّ اليومَ ماوعَدَتْ حديثاً ... وقد كذِبتْ مواعِدَها الكرامُ

ألمْ تَرَ أنَّ مَا صنَع الغوَانِى ... عَسِيُر لا يَريعُ به الكلام

أبَتْ لى طاعَتِى وأبَى بَلائى ... وقوزىْ حينَ يَعْتَرِكُ الخصامُ

وإنَّا لا نِضُيعُ لِنا مُلِمًّا ... ولا حَسَباً إذا ضاعَ الذّمامُ

ولا نغْضِى على غَذرٍ وإنَّـا ... نُقيمُ على الوفاء فلا نُلاَمُ

خليفُتَنا الذى فازت يَدَاه ... بقدح الحمدِ والمَلِكُ الهمامُ

نسوُ سُهُمُ به ولنا عليهم ... إذا قلنا مكارِمُهُ جِسَامُ

أبو العاصى أبُوهُ وعبد شمسٍ ... وحَرْبُ والقماقِمَةُ الكرامُ

ومروانُ أبو الخلفاءِ عالٍ ... عليه المجدُ فهو لهم نِظامُ

وبيت خليفةِ الرحمن فينا ... وبَيْتِاهُ المقُدس والحرامُ

ونحن الأكرمُونَ إذا نُسِبنا — وعِرْنِينُ[1] البريّة والّسنامُ

فأمْسَيْنا لنا من كلّ حَيّ — خراطيم البّرية والزّمامُ

لنا أيدٍ نريش بها ونبرى — وأيدٍ فى بوادرها السّمام

وبأس فى الكريهة حين نلقى — إذا كانَ النذّيرُ بها الحسامُ [2]

سياسة نصر الداخلية بخراسان

لما استوى نصر على كرسى الولاية صرف جل عنايته إلى اختيار عماله على الأقاليم فاختار رجالاً يثق بهم فجعلهم على المناطق التابعة لخراسان فأشخص على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم واستعمل على مروالروذ وساج بن بكير بن وساج ، وعلى هراة الحارث بن عبد الله بن الحشرج ، وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القشيرى ، وعلى خوارزم أبا حفص بن على ختنه ، وعلى الصفد قطن بن قتيبة [3] وجعل على كتابته البخترى بن مجاهد الذى ظل يشغل المنصب حتى توفى نصر [4].

---

[1] عرانين القوم سادتهم وأشرافهم ، وقد تطلق على أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين حيث يكون فيه الشَّمَمُ ابن منظور : لسان العرب مادة عرن .

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٨.

[3] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٧.

[4] الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٦٦.

يتضح لك مما سبق أن نصرا حين اختار عماله لم يجعل من بينهم يمنيا الأمر الذى جعل بعض اليمنيين يعد فعله هذا عصبية لقبيلته مضر[1]

وعندى أن هذا الرأى إن صح فى حق ولاة سابقين على نصر فإنه لا ينطبق على هذا الرجل فقد رأى القارئ أنه أبى على قومه اتيان والى خراسان أسد بن عبد الله فى ولايته الأولى لاستنقاذ نصر من بين يديه حتى لا يتسبب ذلك فى حرب قبلية تعانى منها خراسان فرجل هذه حساسيته إزاء التركيبة القبلية فى خراسان والذى رأى معاناة القبائل من تعصب هذا الوالى لقبيلة دون أخرى لا مراء ينأى بنفسه عن فعل ما يثير اليمنية وغيرها عليه وهو فى بداية ولايته فاختياره لعماله على النحو السابق ربما يرجع إلى أنه رأى فيهم كفاءة وإخلاصا دون غيرهم . ومن ثم استعان بهم فى بداية أمره حتى يفرغ لعلاج معضلات الأمور التى ورثها نصر عن الولاة السابقين والتى من أهمها مسألة الجزية فإن هذه القضية لطالما شغلت ولاة خراسان.

فيذكر الطبرى وغيره أن عمر بن عبد العزيز حين آلت إليه الخلافة كتب إلى الجراح بن عبد الله الحكمى والى خراسان كتابا يقول له فيه :-

انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، فكان من رأى الجراح ومن معه امتحان الناس

---

[1] أبن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٧.

بالختان لأن الدافع إلى إسلامهم إنما هو الفرار من الجزية ، وكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فرد عليه بكتاب شديد اللهجة قال فيه ، إن الله بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – داعياً ولم يبعثه خاتناً!![1]

ولم يهدأ له بال ولم يقر له قرار إلا بعد أن رفع الخراج عن من أسلم بخراسان وفرض لمن أسلم وكتب إليه هذا الوالى إنه لا يصلح أهل خراسان إلا السيف فأنكر عليه ذلك وعزله [2] على الفور.

وظلت خراسان تعانى من هذه القضية حتى جاء إليها أشرس ابن سعيد فأراد أن يضع حداً لها حتى يقبل العجم على الإسلام فأرسل إلى سمر قند وبلاد ما وراء النهر "أبا الصيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبه" "والربيع بن عمران التميمي" فقال : أبو الصيداء إنما أخرج على شريطة أن من أسلم لا تؤخذ منه الجزية ، وإنما خراج خراسان على رءوس الرجال . فقال أشرس : نعم . فقال أبو الصيداء لأصحابه فإنى أخرج ، فإن لم يف العمال أعنتمونى عليهم ؟ قالوا نعم . فشخص إلى سمرقند وعليها الحسن بن العمرطة الكندى علي حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام علي أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشرس أن الخراج قد أنكسر فكتب أشرس إلى ابن العمرطة : إن الخراج قوةً للمسلمين ، وقد بلغنى أن أهل الصغد

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٥٥٩.
[2] البلاذرى : فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٢٤.

وأشباههم لم يسلموا رغبة إنما أسلموا تعوذاً من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه..

كان لرجوع أشرس بن سعيد عن قراره رفع الجزية عمن دخل الإسلام من أهل سمرقند و بلاد ما وراء النهر الأثر العظيم فقد تجمع العجم ومن شايعهم من رجال العرب الذين رأوا في فرض الجزية على من أسلم مخالفة للشريعة الإسلامية بغض النظر عن الأعذار التي برر بها أشرس بن سعيد الإقلاع عن قراره الأول . فاحتال عاملة على "هانئ بن هانئ" فألقى القبض عليه حتى يخمد الفتنة ويستمر الوضع على ما كان عليه من دفع الجزية.

وكان نصر بن سيار ممن عايشوا هذا الموقف فأحسن إلى ثابت قطنة وقد كان ممن ألقى القبض عليهم مع هانئ بسبب تأييدهم رفع الجزية عن العجم الذين دخلوا الإسلام [١]

فكان من الطبعي أن يولى نصر بن سيار هذا الأمر عظيم عنايته عندما آل إليه أمر هذا الإقليم فخطب الناس في سنة إحدى وعشرين ومائة للهجرة فحدثهم عن قضية الجزية التي شغلت العجم بخراسان زمناً طويلا حديثا حمل إلى الخراسانيين وغيرهم البشائر بوضع حد حاسم لهذه القضية يتفق مع ما قرره الإسلام فقال(إني استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم ، فأيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه،أو ثقل عليه في خراجه،وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك إلى "المنصور بن عمر"يحوله عن المسلم إلى المشرك

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٥٦/ابن الأثير : الكامل، جـ ٥ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩.

فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم ، كانوا يــؤدون الجزية عن رءوسهم وثمانون ألف رجل من المشــركين قــد ألقيــت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عــن المســلمين،ثــم صنــف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التـــى جــرى عليــها الصلح،فكانت مرو يؤخذ منها مائة ألف ســوى الخــراج أيــام بنــى أمية [١].

ويذكر فى هذا الصدد أن ديوان المحاسبات المالية بخراســان كان ما يزال يستخدم للغة الفارسية فى حساب أموال الإقليم.

ومن ثم رفعها إلى أمير المؤمنين إلـــى أن آل لنصــر أمــر خراسان فأراد "يوسف بن عمر" والى العراق جعل المحاسبة باللغـــة العربية بدلا من الفارسية فكتب إلى نصر بن سيار فــى ســنة أربــع وعشرين ومائة كتابا أنفذه مع رجل "يعرف بسليمان الطيار" يأمره ألا يستعين بأحد من أهل الشرك فى أعماله وكتابه.

وكان أول من نقل الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراســان إسحاق بن طليق الكاتب رجل من بنى نهشل ، كان مع نصر بن سيار فخص به ، وولد لإسحاق ابن فسماه نصراً ، وقال :-

سميت نصرا بنصر ثم قلت له أخدم سميك يا نصر بن سيار [٢]

---

(١) الطبرى : تاريخ الرســل والملــوك جـــ ٧ ص ١٧٣ ، ١٧٤.

النويرى : نهايــة الأرب جـــ ٢١ ص ٤٢٧.

(٢) الجهشيارى : الــوزراء والكتــاب ص ٦٧.

ولقد أتت سياسة نصر العالية ثمارها بإقليم خراسان حيث عمرت عمارة لم تعمر قبلها مثلها[١] فكانت دار إمارته تشهد بين الفينه والفينه مجيء بعض الشعراء إليه مثل أبى العطاء السندى وهو شاعر عرف بحبه للأمويين فإن الرجل مدح نصراً بأكثر من قصيدة فمنحه الوالى المذكور أكثر من عطية تدلك على مدى الرخاء الذى عاشه الوالى وإقليمه فى بداية ولاية نصر له فقد أعطاه أربعين ألف درهم [٢] عن قصيدة مدحه بها.

ولا يعنى هذا أن نصراً أسلم نفسه لمجالس الأدب والشعر مع حبه لذلك دون أن يقدم عليها مصالح مصره فإنه أبى الجلوس لأبى العطاء السندى حتى ينشده قصيدةً أنشأها فى مدحه لانشغاله بتدبير مصالح إقليمه وقال له : أئت تميماً (ولد نصر) فأتاه فأنشده فقال لأبى العطاء السندى حين أتاه فى الغد ما فعل بك تميم ؟ فقال :

لئن كان أغلِقَ بابُ الذرى　　　فقد فُتِح البابُ بالأبلق

ثم أنشده قوله :

وهيكلٍ [٣] يقال فى جَلالِهِ　　　تقصر أيدى الناسِ عن قَذالِهِ[٤]

---

[١] ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٦٧.

[٢] الأصبهانى : الأغانى جـ ١٧ ص ٣٣٤ ، ٣٣٩.
أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ ١ ص ٢٣٢.

[٣] تطلق على الضخم من الآدميين والعظيم من الأشياء الأخرى
ابن منظور : لسان العرب مادة هكل

[٤] تستعمل للدلالة على أكثر من معنى منها العيب أو الأتباع
ابن منظور : لسان العرب مادة قذل.

جعلت أوصالى على أو صالِهِ[١]   إنك حمّالٌ على أمثالِهِ[٢]

ولعل السبب الذى جعل نصراً يتسع صدره إلى أمثـــال أبـــى العطاء السندى من الشعراء مع الأعباء الثقال التى حملها على كاهلـه خلال ولايته لخراسان راجع إلى أن الشعر فى هذا العصر كان يضطلع بدرو إعلامى لاغنى للقادة عنه فبسببه يتحدث الناس عـــن فضـــائل القادة والحكام أو يذمونهم ، ومن خلاله يستطيع الوالى حشد الطاقات للجهاد واستنهاض الهمم للبناء .

وعلى الجملة فإن الشعر كان يضطلع قديما بما يؤديـــه فـــى أيامنا تلك الإعلام من خدمة للحكام.

مما تقدم يتضح للقارئ أن نصراً انطلق فـــى ترتيـــب أمـــور خراسان من خلال معرفته بدقائق أمور الإقليم وساكنية فعين العمـــال وعالج قضية الجزية مع عدم حرمانه نفسه من الاستماع للشعراء كل ذلك لا يريك إلا جانبا واحدا من جوانب شخصية نصـــر الـــذى أتـــى خراسان فى وقت فرشت فيه ولايتها بالأشواك فلا يستطيع ولوجها إلا من تحلى بصفات قل أن يجدها المرء فى رجال عاشوا فـــى أجـــواء كتلك التى عاشها نصر بن سيار فى ولايته على خراسان يتبيـــن لـــك هذا عند الإلماع إلى العقبات التى جابهت نصراً فى ولايته.

---

[١] تطلق على المفاصل وأجـــزاء العظـــم والشـــاعر يريـــد مـــن الممـــدوح أن يجزل له العطاء ليضمن معيشة مـــن يحملـــهم علـــى أوصالـــه (يعنـــى ظـــاهرة وعاتقة)

[٢] الأصبهانى : الأغـــانى : جـــ ١٧ ص ٣٣٤، ٣٣٥.

العقبات التى واجهت نصر

فى ولايته

لم يكن أمر هذه العقبات يشكل لنصر مفاجاءه وهـو يراهـا تقف حائلاً بينه وبين التمتع بولاية آمنة مستقرة فإنه عايش معظمـها وأسهم فى التغلب عليها حين كان يأتمر بأوامر الأمـراء السـابقين فانطلق فى التصدى لها من خلال تجارب اعتقد أنها سـتعينه علـى تخطيها حتى يثبت لهشام بن عبد الملك ومن جاء بعده مـن خلفـاء الدولة الأموية أنه الأجدر بولاية خراسان من غيره فهل نجح نصـر فى بلوغ غايته ؟ ذلك ما يراه القارئ فى مطالعته لعلاقة نصر بوالـى العراق يوسف بن عمر وموقفه من ثورة يحيى بن زيـد والـترك ، والحارث بن سريج والكرمانى وأبى مسلم الخراسانى ، ومـا يتصـل بها من أمور كان لها التأثير المباشر ليس على خراسان وحدها بـل على الدولة الأموية بأثرها.

١ – موقف يوسف بن عمر والى العـراق مـن نصـر بـن سـيار بخراسان:

لقد علم القارئ الكريم من خلال الروايات السالفة التى تناولت اختيار نصر بن سيار واليا على خراسان أن هذه الولايـة لـم تـرق يوسف بن عمر وإن حظيت بتصميم الخليفة عليها ومن ثَمّ طفق يعمل كل ما وسعه للنيل من إبن سيار لدى أمير المؤمنين هشام بـن عبـد الملك فتذكر المصادر أكثر من رواية سعى فيها يوسـف بـن عمـر بنصر بقصد زحزحته عن ولايته واستبدال غيره به منـها مـا رواه

الطبرى من أن يوسف بن عمر كتب إلى هشام بن عبد الملك كتاباً جاء فيه إن خراسان دَبَرةٌ دبِرةٌ [١] فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت فإنه كان مع الجنيد وولى جسيم أعمالها فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وأنا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين فإنه أديب أريب ونصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت.

فلما قرأ هشام كتاب يوسف أراد أن يتثبت مما فيه فبعث إلى دار الضيافة لعله يجد بها رجلاً على علم بأمور خراسان وعمالها وولاة أمصارها ، فوجد بالدار مقاتل بن على السغدى ، فأتوه به وأدناه فسأله هشام أمن خراسان أنت قال : نعم وأنا صاحب الترك وكان قدم على هشام بخمسين ومائة منهم فقال أتعرف الحكم ابن الصلت قال : نعم ، قال فما ولى بخراسان قال ولى قرية يقال لها الفارياب[٣] خراجها سبعون ألفاً فأسره الحارث بن سريج ، قال ويحك وكيف أفلت منه ! قال : عرك أذنه ، وقفده [٤] وخلى سبيله فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق فرأى له جمالاً وبياناً فكتب إلى يوسف

---

[١] الدبرة بالتحريك قرحة الدابة ودبرت فهى دبرة ، كقرحة ، أى أنها موطن للقلاقل

ابن منظور : لسان العرب مادة دبر

[٣] بكسر الراء ثم ياء مثناه من تحت وآخره باء مدينة مشهورة بخراسان ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٤٠٩ ، ٤١٠.

[٤] القفد : صفع الرأس ببسط الكف من قِبل القفا

ابن منظور : لسان العرب مادة قفد.

إن الحكم قدم وهو على ما وصفت وفيما قبلك له سعة وخل الكناني وعمله[1] .

فأنت ترى هشام بن عبد الملك بعدما تثبت من عدم صدق عامله على بلاد العراق فى ما قاله من صفات نعت بها من رشحه على بلاد خراسان لينهض بها ويدبر أمورها أكفأ من "نصر بن سيار" لم يأخذ الخليفة برأى "يوسف بن عمر" واعتقد جازماً أنه ما من سبب دعاه إلى النيل من "نصر بن سيار" إلا تعصباً عليه أو رغبة فى أن يكون والى الإقليم ممن "ليوسف بن عمر" اليد الطولى عليهم .

وليس "هشام بن عبد الملك" بالذى يقبل ذلك فى دولته وهو الرجل المشهود له بحسن إدارته لأمور خلافته ومع علم يوسف ابن عمر بذلك فإنه لم ييأس من بذل المحاولات لبلوغ غايته بعد الإخفاق الذى ألم بمسعاه السابق فى نصر لدى الخليفة فوجد أن استغلال العصبية القبلية بين القيسيه والمضرية وسيلة مثلى قد تنجح فى تحقيق مأربه ولاسيما إن هو نجح فى تجنيد واحد من رجال القيسية المقربين إلى نصر فوجد ضالته المنشودة فى المغراء بن أحمد بن مالك بن سارية النميرى وكان نصر حين آلت إليه ولاية خراسان سنّى منزلته وشفعه فى حوائجه واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان ، ثم عقد للحكم على أهل العالية ، غير أن المغراء والحكم لم يحفظا لنصر ما قدمه لهما فبدر منهما ما أوغر صدر والى خراسان عليهما فقد صالح الحكم بن نميلة الآبار مولى بنى عبس

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٩٣.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٩١.

وكان ممن آزروا يحيى بن زيد الذى خرج على نصر بن سيار بخراسان فى ثورة يطالع القارئ أخبارها بعد ذلك فى الصفحات التالية من هذا البحث.

فاعتبر نصر بن سيار أن هذه المصالحة من الحكم تعد خروجاً على سلطانه ومن ثمّ أخذ يبعد عن القيسية[1] فلما أرسل نصر بن سيار بعد غزوته الثانية لفرغانة وفداً عليه المغراء ابن أحمر إلى بلاد العراق فتلقاه يوسف بن عمر وهو يعلم ما بينه وبين نصر من خلافات فقال له قولةً تشعل العصبية القبلية فى خراسان حتى يدرك الخليفة أن نصراً ليس الجدير بحكم هذا الإقليم حين يرى الحرب القبلية تأكل بنارها الأخضر واليابس بالبلد ومن ثمّ يطمع أعداء الدولة الأموية فى المسلمين المقيمين على أرضها فقال له يوسف بن عمر : يا بن أحمر يغلبكم ابن الاقطع يا معشر قيس على سلطانكم ! فقال قد كان ذلك أصلح الله الأمير ! قال : فإذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقد موا على هشام فسألهم عن أمر خراسان فتكلم مغراء فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يوسف بن عمر بخير ، فقال ويحك ! أخبرنى عن خراسان قال : ليس لك جند يا أمير المؤمنين أحد ولا أنجد منهم من سواذق[2] فى السماء وفرسان مثل الفيلة ، وعدة وعدد من قوم ليس لهم قائد قال : ويحك فما فعل الكنانى ؟ قال لا يعرف ولده من الكبر . فرد عليه مقالته وبعث إلى دار الضيافة فأتى بشبيل بن عبد الرحمن المازنى فقال له هشام

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ١٩٥ ، ١٩٦.

[2] السواذق : الصقر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٩٤ (٢)

أخبرني عن نصر ، قال ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه المجرب المجرب ، قد ولى عامة ثغور خراسان ومرو بها قبل ولايته [١]

كان لهذه المقولة التى قالها شبيل بن عبد الرحمن الوقع الطيب على فؤاد هشام بن عبد الملك فلم يعزل نصرا عن خراسان بل ازداد تمسكاً به بعد الذى كان من مكائد عاملة على العراق له فظل ابن سيار يحكم إقليمه حتى توفى هشام بن عبد الملك وجاء الوليد بن يزيد فأفرده بولايته.

فلما رأى يوسف ذلك عجل بالمسير إلى الخليفة فاشترى نصراً منه ليبقى تحت سيطرته ويمارس عليه ضغوطه وهو يدبر شئون بلاده [٢]

فزادت تلك السيطرة التى سيطربها يوسف على نصر والمؤامرات التى حاكها ضده من صعوبة موقف الوالى وهو يحاول التغلب على بقية العقبات التى واجهته وهو يدبر أمور إقليمه والتى كان من أهمها على المستوى الداخلى ثورة يحيى بن زيد.

٢- <u>موقف نصر بن سيار من يحيى بن زيد</u>

تعد ثورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب[٣] فى خلافة هشام بن عبد الملك حلقة من حلقات ثورات العلويين على

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٩٣ ، ١٩٤.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧٠٦.
(٣) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ١٢٧.

الأمويين فإن زيدا حين خرج بالكوفة تصدى له يوسف بن عمر والـى العراق فأنزل به وبأتباعه هزيمة ساحقة رأى فيها يحيى والده وقـد فاضت روحه إلى بارئها فى ميدان المعركة فأنشأ يحيى يبحث مع ثلـه بقيت من رجال أبيه عن مكان يـوارى فيـه جسـده كـى لا ينبـش الأمويون قبره فجعلوا قبره فى مجرى نهر هناك فحبسوا الماء حتـى حفروا قبره وسجوه فيه ثم ما لبث الأمويون أن وقفوا علـى مكانـة فاستخرجوه وقطعوا رأسه وصلبوا جسده وبعثوا بالرأس إلى هشـام فأمر به فنصب على باب دمشق ثم أرسل به إلى المدينـة المنـورة فصلب بها ، ومكث البدن مصلوبا حتى مات هشام فأمر بـه الولـيد فأنزل وأحرق[1].

كان من الطبعى أن تترك هذه المواقف الأثر الأليم على يحيـى بعد ما تمكن من الوصول إلى خراسان فعقد الخناصر على الانطـلاق منها بثورة على الأمويين ، وبينما هو ينشر بين أرجائها دعوته سـرا إذا برسالة تأتى "نصر بن سيار" من عامل العراق "يوسف بـن عمـر" يأمره فيها بإلقاء القبض على يحيى بن زيد وإنـزال شـديد العقـاب بالرجل الذى آواه فى خراسان[2] فأرسل نصر بن سيار إلى عقيل بـن معقل العجلى وهو من كبار قادته وأمره أن يأخذ الحريش الذى اختفى عنده يحيى بن زيد ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بـه فسـار إليه عقيل فسأله عنه فقال لا علم لى به فجلده ستمائة سوط فقال لـه

---

[1] ابن الجوزى : المنتظـم جــ ٤ ص ٦٧٧.

[2] اليعقوبى : تاريخـه جــ ٢ ص ٣٢٦.

ابن الأثير : الكامل جــ ٥ ص ٢٧١.

الحريش : والله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتى عقيلاً فقال : لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه فأرسل معه فدله عليه فأخذه وسار به إلى نصر بن سيار فحبسه فلما رفع أمره إلى يوسف عمر ومن ثمَّ إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمر الخليفة الأموى بتسيير يحيى إليه [١] فاستدعاه نصر بن سيار وأعطاه الأعطيات وأمر عماله بخراسان بأن يقيموا الرصد في طرق أعمالهم التي يمر بها يحيى بن زيد حتى لا يمكث بمصر من الأمصار التابعة لخراسان بعضاً من الوقت كي لا يجد فرصة تمكنه من بث دعوته في هذا المكان أو ذاك.

وعلى كل حال فإن يحيى بن زيد قد ظهر منه وهو في الطريق إلى الوليد ما يدل على خروجه على الطاعة فأخذ بعض الدواب من التجار وجمع حوله الأنصار فما كان من نصر إلا أن سير إليه جيشاً بلغ عشرة آلاف رجل عليه سلم بن أحوز وجعل على ميمنته سورة بن محمد بن عزيز الكندى ، وحماد بن عمرو السغدى على ميسرته فدارت بينهم وبين يحيى بن زيد وأتباعه اليسيرين معركة أسفرت عن قتل يحيى بن يزيد فلما بلغ الخليفة الأموى الوليد بن يزيد خبر مقتله كتب إلى يوسف بن عمر كتاباً أمره فيه يحرق جسد يحيى بن زيد ثم نسفه في اليم [٢] نسفاً بيد أن يوسف بن عمر

---

[١] ذكر اليعقوبى في كتاب البلدان ص ٦٦ ، ٦٧ أن يحيى بن زيد قد احتال لنفسه حتى هرب من حبس نصر وأن ابن سيار أشخص إليه سلم ابن أحوز ليقاتله هناك.

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠.
اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٣١ ، ٣٣٢.
ابن الجوزى المنتظم جـ ٤ ص ٧٠٧.

لم يفعل ذلك ، وكان سلم بن أحوز قد صلبه وصلب بازائه رجلاً من العرب يقال له مطر بن مطرف فما زال مصلوباً حتى خرج أبو مسلم فأنزله وواراه وتولى الصلاة عليه ودفنه.(١)

مما تقدم ترى نصر بن سيار ينجح فى تجنيب ولايته ثورةً لو نشبت بها لأدت إلى زعزعة أركان حكمه ولعل السبب الذى جعله ينجح فى ملاحقة يحيى بن زيد قبل أن يستغلظ عوده بخراسان راجع إلى عيون الأمويين الذين أطلعوا عامل العراق ثم الخليفة الأموى على مكان اختباء الثائر العلوى ، ومنذ ذلك الوقت أولى نصر الأمر عظيم عنايته فتعامل معه فى حزم ولين فكان يشتد حين تكون الشدة حاسمة مثلما رأيته وهو يأمر قائدة بإنزال شديد العقاب بالحريش الذى اختبأ عنده يحيى بن زيد مما مكنه من إلقاء القبض عليه.

وها هو ذا يجزل العطاء ليحيى بن زيد حين رأى الخليفة الوليد بن يزيد أشخاصه إليه فلما رأى نصر اللين مع يحيى بن زيد لا يجدى أشخص إليه الجم الغفير من رجاله فوضعوا حداً لهذه الثورة ، ونصر فى هذا الموقف الذى وقفه من يحيى بن زيد إنما يدافع عن هيبة الدولة ، وينفذ أوامر الخليفة فهو فى اعتقادى بمنأى عن اللوم حيث إن يحيى بن زيد هو الذى فرض علىابن سيار ورجاله خوض المعركة التى قتل فيها.

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٢٢.

ابن حبيب المحبر ص ٤٨٤.

وهناك سبب آخر تعزى إليه هزيمة يحيى بن زيد وغيره من العلويين السابقين عليه واللاحقين له ألا وهو انفضاض الأتباع والأشياع عنهم عند حومه الوغى بالإضافة إلى عدم الدقة في التخطيط للخروج وتعجله مما سهل على الأمويين وقادتهم إحراز الانتصار عليهم.

وهكذا كان نصر بن سيار يضطلع بأمور ولايته بكفاءة وكياسة ؛ يتضح لك ذلك جليا وأنت تطالع ما كان من أمره مع الترك المتربصين بخراسان.

٣-بين نصر والترك

إن من يطالع أخبار الحملات الحربية التى سيرها نصر بن سيار إلى بلاد الترك سواء تلك التى خرج على رأسها بنفسه أم تلك التى جعل عليها قائداً من قواده يجزم بأن نصراً استوعب الدروس والعبر من صراعات الولاة السابقين مع الترك فأيقن أن لا جدوى من مجابهة هؤلاء بسلاح الحرب وإقامة الحصون المتفرقة على تخوم بلادهم مثل قصر الريح [١] والباهلى وكمرجة [٢] لأن الترك جعلوا من طبيعة بلادهم سياجاً يحميهم فى حملاتهم على العرب تلك التى كانت تتخذ شكل حرب العصابات.

---

[١] بكسر الراء والياء المثناة من تحت والحاء المهملة قرية بنواحى نيسابور ياقوت معجم البلدان جـ ٧ ص ٥٧.

[٢] بفتح أوله وثانية وسكون الراء وجيم ، قرية من قرى الصغد ياقوت : معجم البلدان جـ ٧.ص ١٥٢.

فسلك نهجاً جديداً فى التصدى لحظرهم على قاطنى خراسان إقامة على إظهار القوة لإرهاب الأعداء والتلويح باستخدامها دون اللجوء إلى ذلك إلا إذا دعت الضرورة وتقديم الصلح مع هؤلاء الترك على الحرب ليستطيع به أن يأمن خطرهم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يجعل منهم عدته فى مجابهته لبنى جلدتهم فى بلاد جعلتهم طبيعتها رجالاً ذوى بأس وشكيمة فإن نصراً استطاع أن يوثق علاقاته (بطوق شيادة)[١] وهو من ذوى السلطان فى بخارى فقد خطب نصر ابنة الرجل إليه [٢] وكان يحرص على إكرامه والاستعانة برجاله فى حملاته المتكررة على بلاد ما وراء النهر وذلك ما كان حين توجه نصر بعد سمرقند إلى بلاد الشاش[٣] وأراد عبور نهرها فتصدى له كورصول وهو ملك من الأتراك له أربعة آلاف قبّة ، وكانوا يحسبون قوة ملوكهم بعدد القباب التى يملكونها ويقومون بنصبها فى ميادين حروبهم حين يخرجون إليها بأنفسهم وكان نصر بن سيار قد استعان فى حملته تلك على بلاد الشاش بعشرين ألف تركى انضموا إليه من البلاد التى وثق علاقاته بحكامها مثل سمرقند وكش ونسف[٤] .

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٧٦.

(٢) الزشخى : تاريخ بخارى ص ٩٣.

(٣) بالشين المعجمة:بلده بما وراء النهر ثم وراء سيجون متاخمة لبلاد الترك،ولها عمل وقرى وهى من أنزه بلاد ما وراء النهر وقصبتها بنكت أوتنكت.ياقوت : معجم البلدان حـ٥ ص١١٤ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى حـ٤ ص ٩

(٤) بفتح أوله وثانيه ثم فاء ، هى مدينه كبيرة كثيرة الأهل والرستاق بين جيحون وسمرقند.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٣٨٧.

ولقد دارت معارك متقطعة بين المسلمين بقيادة نصر ابن سيار والترك بقيادة "كورصول" بعد ما تمكن الأخير من تبييت نصر ورجاله انجلت عن مفاجأة لم يكن يتوقعها نصر والذين معه فإن عاصم بن عمير قائد جند سمرقند حين مرت به خيل الترك حمل على رجل فى أخرهم فأسره فإذا هو كورصول فحمله إلى نصر وهناك دار حوار بين نصر وهذا الملك يستطيع القارئ من خلاله الوقوف على بعض جوانب شخصية نصر بن سيار الحربية وهو يحكم خراسان تلك التى حفظت كل ما كان بين الترك والمسلمين من معارك لقى فيها المسلمون من شح الماء وندرة الطعام ما جعلهم فى بعض مراحلها يشرفون على الموت كما رأى القارئ ذلك فيما سلف.

فلما دخل أسير الترك على نصر سأله من أنت ؟

قال : كورصول . فقال نصر الحمد لله الذى أمكن منك يا عدو الله . قال : ما ترجو من قتل شيخ ؟ وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من إبل الترك وألف بزدون تقوى بها جندك وتطلق سبيلى فاستشار نصر أصحابه فأشاروا بإطلاقه فسأله عن عمره قال لا أدرى قال كم غزوت؟ قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش ؟ قال نعم. قال لو أعطيتنى ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدى بعد ما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدى قم إلى سلبه فخذه فقال : من أسرنى ؟ قال نصر وهو يضحك : أسرك يزيد بن قران الحنظلى : فأنكر أن يكون أسره لما رآه من ضعف شخصيته، فأعاد ملك الترك السؤال على نصر مرةً أخرى : أخبرنى من أسرنى ؟ قال أسرك عاصم بن عمير . قال لست أجد ألم القتل إذا كان أسرنى

فارس من فرسان العرب فقتله نصر وصلبه على شاطئ النهر فلما قتل كورصول أحرقت الترك أبنيته وقطعوا آذانهم وقصوا شعورهم وأذناب خيلهم . فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحمل الترك عظامه ، فكان ذلك أشد عليهم من قتله[1]

كان لهذا الموقف الذى نال به نصر وطر المسلمين من ملك الترك الأثر العظيم على رفع معنويات المؤمنين وحلفائهم هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن نصراً بموقفه المتشدد من رجل له هذه المكانة الرفيعة بين الترك أراد أن يحرمهم من الإفادة بخبرته الحربية وقدرته على تجريد الجيوش لقتال المسلمين بعد ذلك إن هو أطلق سراحه فلم تسل لعاب نصر هذه العروض المالية التى عرضها ملك الترك عليه وإن أسالت لعاب مستشاريه مما يدلك على أن نصراً وهو يجابه الترك لم يكن يبحث عن الغنائم وحيازتها بقدر ما كان يريد استتباب أمن ولايته وبالتالى وقاية المسلمين من اخطارهم أو جعلهم يعتنقون الإسلام.

وثمت أمر ثالث هو أن قتل الملك تسبب فى إلقاء الرعب والفزع فى أفئدة الحكام الترك الذين ما يزالون يناصبون المسلمين العداء فسياسة نصر التى سلكها فى حربه لهؤلاء الترك يراها القارئ تؤتى ثمارها حين سار إلى بلاد الشاش فى سنة إحدى وعشرين ومائة للهجرة.

---

(1) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧.

ابن كثير: البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٢٧.

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٦٧.

فلما علم ملكها بقدومه إلى بلاده خرج إلى نصر فتلقاه بالهدايا وصنوف الإكرام وعرض عليه إبرام صلح بينه وبين نصر الذى قبل ذلك من ملك الشاش على ألا يؤوى فى بلاده الحارث ابن سريج - الذى ستفصل صفحات هذا البحث الحديث عنه بعد ذلك - فقبل الملك هذا الشرط فعين نصر على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص [١].

ومنها انطلق نصر برجاله فضرب الحصار على فرغانه[٢] التى استعد ملكها للنزال ونجح فى سلب المسلمين بعضا من دوابهم وأسر عدد من رجالهم فأرسل نصر بن سيار مدداً لرجاله فالتقوا الفرغانيين فى معركة انجلت عن قتل الدهقان [٣] وأسر ولده ومعه رجال من الترك فحملوهم إلى نصر بن سيار فضرب عنق ولد الدهقان[٤]

ولعل السبب الذى جعل نصرا يقدم على إراقة دم هذا الأسير هو أن نصراً سبق له تقديم السلام على الحسام حين أرسل رسولا إلى ملك فرغانة يعرض عليه الصلح فأظهر صاحب هذه البلاد أنه ذو

---

[١] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٣٨.

[٢] بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحية - هيطل ، على يمين القاصد ببلاد الترك كثيرة الخير واسعة الرستاق بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٤٢٨.
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٥١٨، ٥٢٠، ٥٣١.

[٣] كلمة فارسية مركبة من مقطعين : ده بمعنى قرية ، وقان بمعنى شيخ أو رئيس وقد تطلق على شيخ القرية ومن له معرفة بشئون الزراعة.
أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى جـ ٢ ص ٣٩٧.

[٤] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٧٧.

قوة يستطيع بها التصدى لنصر والذين معـــه إلا أن رسـول والـى خراسان استطاع بحسن خطابه لملك فرغانة الحصول على موافقتـــه على كتاب الصلح الذى جاء به من عند نصر [١]

وإذا كانت المصادر التاريخية لم تشر صراحةً إلى أن سـبب إرسال نصر جيوشه إلى بلاد فرغانة راجع إلى نقض ملك هذه البـلاد الصلح الذى أبرمه مع نصر فإن ذلك يفهم من قول الطبرى : (وكـان نصر بعث سليمان بن صول إلى صـاحب فرغانـة بكتـاب الصلـح بينهما)[٢]

فهذه العبارة تدلك على أن نصراً لم يخض هذه المعركـــة إلا بعد أن تنكر حكام فرغانة للصلح الذى أبرموه معه.

أطلق نصر بن سيار العنان لفكرة وهو يواجه الترك فلم يقـف موقفاً يتسم بالجمود أمام قضايا هذا الصراع الذى طـال أمـده بيـن المسلمين والترك فأخذ يتعامل فى جرأة منقطعة النظير مع مشـكلات هذا الصراع بما أملته عليه تجاربه الطويلة فى حروبه للترك انطلاقـاً من خراسان قبل أيلولة البلد إليه فإن الصغد[٣] لطالما حاربوا الـولاة

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسـل والملـوك جـ ٧ ص ١٧٧، ١٧٨.
ابن الجوزى : المنتظـم جـ ٤ ص ٦٨١.
ابن الوردى : تاريخـه جـ ١ ص ١٧٥.
[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٧٧.
[٣] بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة وقد يقال بالسـين مكـان الصـاد وهـى كورة عجيبة قصبتها سمرقند وقيـل همـا صغـدان صغـد سـمرقند وصغـد بخارى ، كانوا يسـكنون بعـض مـا يعـرف اليـوم باسـم أوزبكسـتان مـن جمهوريات آسيا الوسـطى السـوفيتية سـابقاً/يـاقوت معجـم البلـدان جـ ٥ ص١٩١.

السابقين على نصر وأظهروا فى مواجهتهم للمسلمين بسالة منقطعة النظير.

صحيح أن السابقين على نصر قد استطاع بعضهم أن يفرق جمع هؤلاء إلا أن ظروف الترك ما لبثت أن تغيرت بعد الذى أنزله بهم أسد بن عبد الله حين قتل خاقانهم فأصبحت جماعاتهم تعيش فترة سادها عدم النظام وهيئت الأجواء لظهور قوى تركية جديدة تستطيع التأثير على مجريات الصراع بين المسلمين وبينهم بعد مقتل خاقان.

ومن هذه القوى أهل الصغد فإن هؤلاء أخذوا يعودون إلى بلادهم أرسالا ، فرأى نصر بن سيار مخاطبتهم فى أمر عودتهم إلى بلادهم مع خضوعهم للمسلمين وعدم مناجزتهم فعرضوا عليه ما كان الولاة السابقون على نصر يأبون قبوله فإذا بابن سيار يرحب به ولا يبالى بما أثاره هذا العرض من حفيظة الفقهاء والمسلمين فإنهم عرضوا الرجوع ومهادنة المسلمين على أساس :-

(١) أن لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الإسلام.

(٢) لا يعدى عليهم فى دين لأحد من الناس .

(٣) لا يؤخذ أسارى المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاضٍ وشهادة عدول.

ولقد برر "نصر بن سيار" موقفه هذا لمن أنكروا عليه صلحه مع الصغد على هذه الشروط بقوله :-

(أما والله لو عاينتم شوكتهم فى المسلمين ونكايتهم مثل الذى عاينت ما أنكرتم ذلك) ومضى نصر بن سيار قدماً فى إضفاء الصبغة الرسمية على صلحة فسير رسولا من عنده إلى الخليفة هشام بن عبد الملك الذى ما إن أطلعه الرسول على كتاب الصلح حتى أبدى معارضته لبنوده فلما رأى رسول نصر ذلك من أمير المؤمنين قال له:-

(جربت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا فأختر لنفسك)

هنا تدخل أحد مستشارى الخليفة في الأمر فقال له : يا أمير المؤمنين تألف القوم وأحمل لهم ، فقد عرفت نكايتهم كانت فى المسلمين فأنفذ هشام هذا الصلح[1].

إنْ من يتأمل الصلح الذى عقده "نصر بن سيار" يجد الرجل لم يخالف شرعاً ولم يفعل إلاما فيه خير للمسلمين والخلافة فإن قبوله عدم التعرض لمن كان مسلما من أهل الصغد ثم ارتد عن دينه لا يعود بالضرر على المسلمين وسلطانهم بخراسان إذ لا خير يرتجى من رجل لم يخالط قلبه الإيمان بل على العكس فإنه إن ظل على إسلامه فى الظاهر فلربما يحدث منه عند الاستعانة به فى حرب ما يلحق الضرر بالمسلمين.

ومثل ذلك قبوله عدم التعرض لمن بيد الصغد من الرقيق الذين تحت أيديهم دون إقامة بيّنه على إسلامهم واسترقاقهم بعد أسرهم

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٩٢
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٥٩.

أمر لا يجافى العدل فالقضاء وحده صاحب الكلمة العليا فى هذا الأمر بمقتضى البينة التى يقدمها إليه المدعى ومثل ذلك أيضاً عدم مطالبتهم بديونهم السابقة فإن ذلك كله إن قورن بالنفع الذى عاد على مسلمى خراسان من مصالحتهم للصغد يجعل المرء يعتقد الصواب فى جانب نصر بن سيار فى حسمه للصراع مع الصغد فإنهم وغيرهم من الترك كانوا ملاذاً للخارجين على سلطة المسلمين بخرسان مثل الحارث بن سريج الذى شجعه على المضى قدماً فى حركته وثورته انشغال ولاة خراسان عنه بصراعهم مع الترك.

٤-بين الحارث بن سريج ونصر بن سيار

ورث نصر بن سيار عن ولاة خراسان السابقين عبء مواجهة الحارث بن سريج الذى قاد ثورةً كبيرةً ببلاد خراسان أرهقت الدولة الأموية من أمرها عسراً فإن هذا الرجل رأى فى الواقع الذى تعيشه هذه الدولة فى كثير من أقاليمها فرصةً مواتية لخروجه على طاعتها ففى سنة ست عشرة ومائة شهدت الدولة قلاقل ببلاد الشام واضطرابات للموالى بسبب قضية الجزية فى خراسان فوجد الحارث بن سريج أنه لا سبيل إلى تجميع الرجال إليه فى أعداد غفيرة إن هو خرج بخراسان إلا بإظهار تأييده للعجم فى موقفهم من ولاة الأمويين فى خراسان الذين آبو إلا أن يأخذوا الجزية ممن أسلم منهم فقاد عربى ثورة موالى ضد دولة عربية تعصبت للعرب على حساب العجم فأنشأ يدعو قاطنى خراسان إلى الكتاب والسنة وإلى المساواة بين العرب والعجم ويذكر أن الحارث فى بدء دعوته كان من الخوارج وأخذ برأى المرجئة غير أنه لم يدع إلى نفسه وإنما دعا إلى العدالة

ونصرة الحق ومحاربة الظلم بالسيف مستفيداً من تذمر الموالى تجاه سياسة الأمويين[١].

وقد انضم إليه أشياع أبى الصيداء زعيم المرجئة مثل بشر ابن جرموذ الضبى ، وأعداد كثيرة من الموالى .

وكان على ولاية خراسان فى تلك الفترة عاصم بن عبد الله بن يزيد الذى وجه إليهم رسله فقيدهم الحارث وسجنهم ، وحينما استطاعوا الخروج من سجنه أمرهم عاصم بن عبد الله أن يخطبوا فى الناس ذاكرين الحارث وخبث سيرته .

لما رأى الحارث بن سريج أن الناس قد التفوا حوله فى جموع كثيرة سار بهم من الفارياب إلى بلخ وعليها "نصر بن سيار" فلقى الحارث فى عشرة آلاف وهو فى أربعة آلاف فقاتلهما فانهزم أهل بلخ.

وتبعهم الحارث فدخل مدينة بلخ وخرج نصر بن سيار منها وأمر الحارث بالكف عنهم ، واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله بن خازم [٢]

ترك الانتصار الذى أحرزه الحارث على نصر بن سيار أثراً عظيماً فجمع اتباعه ليستشيرهم فيما ينبغى عليهم فعله بعد هذا الظفر

---

[١]ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٨٣.

ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٣٢، ٣٣ ، ٣٥.

[٢] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٤٦.

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٩٤، ٩٥.

النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٣٩.

فأشار عليه جُلهم بالبقاء حيث هو بعد ماضم إليه الجوزجان وعللوا ذلك بقولهم (مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير ، ولو لم يلقوك إلا بعبيدهم لا نتصفوا منك ، فأقم فإن أتوك فقاتلهم وإن أقاموا قطعت المادّة عنهم)

لم يرق للحارث بن سريج هذا الرأى فصمم على المسير إلى مرو ممنياً نفسه بحيازتها منتهزاً فرصة اضطراب واليها عاصم بن عبد الله فسار إليها بمن معه من دهاقين خراسان وهناك دارت معركة كبيرة بين عاصم وبينه انكشفت عن هزيمة أتباع الحارث هزيمة ساحقة فكانوا بين قتيلٍ أو غريقٍ أو أسير.

ومع ذلك منع عاصم بن عبد الله أصحابه من ملاحقة الفلول التى مضت مع الحارث موليةً الأدبار[١] ولم يعرف السبب الحقيقى لكف عاصم عن قتال الحارث إلا إذا كان قد أحس بقوة خصمه من جهة والمهمة الملقاة على عاتقه لحماية خراسان من جهة أخرى خاصة وأن المسافة بين خراسان وحاضرة الخلافة الأموية بعيدة والمدد لا يمكن وصوله بالسرعة المرتجاة[٢] والذى يؤكد لك أن عاصماً لم يكن جديراً بمحاربة الحارث بن سريج أنه قبل إبرام صلح بينهما.

---

[١] خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٤٦.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣١٣.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٣٤٩ ، ٤٤٠.
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٥٢.
[٢] ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٣٤.

اتفقا فيه على أن ينزل الحارث أى كورخراسان شاه وعلى أن يكتبا جميعاً إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ، فإن أبى اجتمعا عليه . فختم على الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى بن حضين أن يختم وقال هذا خلع لأمير المؤمنين[1].

وإذا كان نصر بن سيار قد حارب الحارث بالسيف فانهزم حين كان ببلخ فإنه استمر بعد ذلك فى مناهضته له بسيفه ثم بلسانه خلال ولاية عاصم ليجعل الناس ينفضون عنه ، فبين لهم أن الحارث بثورته تلك قد أطمع أعداء المسلمين فيهم وأنه ينبغى عليه إن كان جاداً فى دعوته أن يصرف همته إلى هؤلاء حتى يدفعهم عن المسلمين أو ينشر فيهم تعاليم الدين فقال :-

فامْنَحْ جهادَكَ مَنْ لم يَرْجُ آخِرَةً وكن عَدوّاً لقومٍ لايُصَلّونا

واقْتُلْ مُواليهَمُ مِنّا ونَاصِرَهُمْ حيناً تكفِّرهُمْ والعَنْهُمْ حينا

والعَائبينَ علينا دينَنَا وَهُمُ شَرُّ العِبادِ إذا خابَرْتَهُمْ دِينا

والقائلينَ سبيلُ الله بغْيَتَنا لَبعْدَ ما نكَبُوا عَمَّا يقُولونا

فاقتلهم غَضَباً لله منتَصراً مِنهُم به وَدَعَ المِرتَاب مَفْتونا

ارْجاؤُكمُ لَزّكمْ[2] والشِّرْكَ فى قَرَنٍ

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٠١، ١٠٢

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٣٧.

[2] لَزّ الشئ بالشئ لزاً وألزه أى الزمه إياه ، وتستعمل بمعنى الملاصقة ابن منظور : لسان العرب مادة لزز.

فأنتم أَهْلُ إشراكٍ ومَرجُونا [١] ...الخ

ولما وقف هشام بن عبد الملك على الخطر الذى شكله الحارث ابن سريج على واليه بخراسان عجل بعزله وأرسل أسد بن عبد الله والياً عليها كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

اضطلع هذا الوالى بأمر مناهضة الحارث فى ظرف بالغ الصعوبة فقد أحاط به الأعداء من كل مكان وحين سار برجاله إلى الترمذ[٢] .

وجد الحارث بن سريج محاصراً لها فخرج أهل المدينة لقتالة ورده عن بلدهم وكان الحارث قد وضع لهم كميناً فتبعوه ، ونصرا بن سيار مع أسد جالس ينظر المعركة فأظهر الكراهية ، وعرف أن الحارث قد كادهم وظن أسد أنما ذلك من نصر شفقة على الحارث حين ولى ، وأراد معاتبة نصر ، وإذا الكمين قد خرج عليهم فانهزموا[٣]

من هذا الموقف الذى رأيته يتضح لك أن أسد بن عبد الله القسرى حين جاء للمرة الثانية لم يشأ الإفادة من فكر نصر الحربي فكان يعامله بحذر ويقدم سوء اعتقاده فيه على مادونه ، وما

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٠١.

(٢) بفتح التاء وكسر الميم مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقى متصلة العمل بالصغانيات.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٤٠ ، ٤٤١.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٠٦.
ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٨٨، ١٨٩.
الذهبى : العبر جـ ١ ص ١١١.

ذلك إلا للعصبية القبلية التى جعلت الحارث وأمثالـه يحدثـون فـى خراسان من القلاقل والاضطرابات ما عجل بنهاية الدولة الأموية.

وعلى كل حال فإن الواليين السابقين على نصر لم يتمكنا مـن حسم الصراع مع الحارث بن سريج لصالح الدولة الأمويـة إلـى أن جاء نصر فأدرك أن الحارث بتحالفه مع الترك زاد من خطرهم علـى المسلمين فى خراسان فأراد أن ينهج ساسية جديدةً مع هذا الخـارج لعلة يدفع بها خطره عن خراسان خاصة ، وعن الدولة الأموية عامـة لاسيما وأن الحارث قد أتصل بالكرمـانى المنـاوى لنصـر وكذلـك الشيبانى ليجعل منهما وسيلة ضغط علـى عـامل الدولـة الأمويـة بخراسان أو يستطيع بهما هزيمة نصر وطرده عن خراسان والحلـول محله.

ويبدو لى أن هذه التطورات التى أشرت إليها لم تغب عن ذهـن الخليفة الأموى الجديد يزيد بن الوليد فكتب إلى الحارث يعده ويمنيـه ويسأله العودة وهو آمن من بلاد الترك إلى مرو فوافق فعل الخليفـة مع الحارث نهج نصر وسياسته.

فأحسن نصر استقبال الحارث بن سريج حين وصل إلى مـرو فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فتلقاه نصر وأجرى

عليه رزقاً كل يوم خمسين درهماً وأطلق نصر من كان عنـده من أهله ، وبعث إليه بفرس وفرش ، فباع الحارث ذلك وقسمة فـى أصحابه ، وكان يجلس على برذعة ، وتثنى لـه وسـادة غليظـة

وعرض عليه نصر أن يوليه ويعطيه مائة ألف فلم يقبل وقال : لست من أهل اللذات وإنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنة فإن فعلت ساعدتك وإنى خرجت من هذا البلد منذ ثلاث عشرة سنة انكاراً للجور وأنت تريدنى عليه.[1]

ومع ذلك جمع الحارث بن سريج الأعوان حوله من جديد فانضم إليه ثلاثة آلاف رجل من قبيلة تميم والأزد وغيرهما.

وحتى يستمر ممسكاً بخيوط اللعبة السياسية بخراسان كتب إلى الكرمانى يذكر له : (إن أعطانى نصر العمل بالكتاب وما سألته عضدته وقمت بأمر الله ، وإن لم يفعل أعنتك إن ضمنت لى القيام بالعدل والسنة).[2]

فهو بهذه المقولة يجعل من نفسه رقيباً على الوالى وفى ذلك كما ترى زوال لهيبة سلطة نصر ومكانته فى أعين الرعية ، ليس هذا فحسب بل هو يشجع الكرمانى على المضى قدما فى مناوءته لنصر فوعده الحارث النصرة إن هو أعطاه حق المراقبة عليه إذا ما آل أمر البلد إليه .

ومن الطبعى ألا يتحقق ذلك إلا بعد صراع داخلى تراق فيه الدماء بخراسان . وهذا ما يسعى إليه الحارث الذى حالف كل القوى المناوئة بخراسان بغض النظر عن ما إذا كانت منتمية للدين الحنيف أم لا مثلما كانت حاله مع الترك غير المسلمين إذ ذاك.

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٠٩.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧١٧ ، ٧٢٢.
عبد الشافي عبد اللطيف : العالم الإسلامي فى العصر الأموى ص ٥٢٥.
[2] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٢٧.

ذلك أنه لما استخلف مروان بن محمد جدد لنصر بن سيار الولاية على خراسان فثار الحارث بن سريج عليه ونقض الأمان على زعم أن الذى أمنه يزيد بن الوليد قد غربت شمسه عن الخلافة ولا يأمن على نفسه مروان بن محمد وطالب الحارث الناس ببيعته فوافته جموعهم فأرسل نصر إليه كبار رجال ولايته على رأسهم صاحب شرطته فناشدوه الاستمرار فى الجماعة وذكروه بإحسان نصر إليه فأبى إلا المضى قدماً فى انتقاضه على أميره لاعتقاده أنه صار صاحب الكلمة العليا فى خراسان فأرسل إلى نصر يطلب منه إقالة صاحب شرطته وتعيين بشر بن "بسطام البرجمى" عوضاً عنه (١)

ولقد بلغ الهوان والضعف بنصر مداهما حين قبل تشكيل هيئة تحكيم تتولى الحكم بينه وبين الحارث بن سريج لأنه بذلك يسوى بينه وهو ذو سلطان وبين خارجى نبذ الطاعة وتحالف مع أعداء المسلمين ، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضى به الحكمين من الأسس السياسية لتدبير أمور الإقليم وما يختارونه من العمال فيوليهم الثغرين ، ثغر سمرقند وطخارستان ، ويكتب إلى من عليهما ما يرضونه من السير والسنن

ويبدو لى أن الذى ألجأ نصر إلى قبول التحكيم بينه وبين الحارث أن ذلك كان فى وقت أرجف فيه دعاة العباسيين فى خراسان أنه يظهر فى هذه الآونة صاحب الرايات السود الذى يديل دولة الأمويين فاهتبل الحارث هذه الأراجيف فزعم أنه صاحب الرايات السود الذى يتحدث الناس عنه هنا وهناك فأراد نصر أن يبطل دعوته

(١)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٠.

تلك فأرسل إليه يقول : إن كنت تزعم وأنكم تهدمون ســـور دمشــق وتزيلون أمر بنى أمية ، فخذ منى خمسمائة رأس ومـــائتى بعــير ، وأحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر ، فلعمرى لئــن كنــت صاحب ما ذكرت إنى لفى يدك ، وإن كنت لست ذلـــك فقــد أهلكــت عشيرتك فقال الحارث : قد علمت أن هذا حق ولكن لا يبايعنى عليـــه من صحبنى ، فقال نصر فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ، ولاهـــم مثل بصيرتك وأنهم هم فساق ورعاع ، فأذكرك الله فى عشرين ألفـــاً من ربيعة واليمن سيهلكون فيما بينكم .

وعرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النـــهر ويعطيــه ثلثمائة الف ، فلم يقبل ، فقال له نصر : فإن شئت فابدأ بالكرمـــانى فإن قتلته فأنا فى طاعتك، وإن شئت فخل بينى وبينه فإن ظفرت بـــه رأيت رأيك، وإن شئت فسر بأصحابك فإذا جـــزت الــرى فأنــا فـــى طاعتك.(١)

إن من يتأمل هذا العرض الذى عرضه نصر على الحارث ابـــن سريج يدرك أن الوالى بذل له ما وسعه حتى يجنـــب نفســه خــوض معركة ضده فى هذا الوقت الذى كثر فيه أعداء الدولة الأموية وبلـــغ فيه الضعف مداه بالخليفة الأموى ، فهو إذن يعلم مقدمـــاً أن جابـــه الأمر بقوة السلطة وعزيمة القائد الحربية لن يجنى إلا الهزيمة التـــى قد تعجل به من خراسان فلا هو بمستطيع حشد العدد والعتاد اللازمين لمجابهة عشرات الألوف التى انضمت للحارث بن ســـريج ومناوئيـــه الآخرين ، ولا هو بالرجل الذى يقبل الانسحاب من هذا الميدان معلنـــا

---

(١)ابن الأثير : الكـــامل جــــ ٥ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣=

عن عجزه تدبير، الأمور، فقبوله للمفاوضات مع الحارث وعرضة عليه هذه التنازلات كان أمراً لا بد منه بل قل إن شئت كان بمثابة الورقة الأخيرة التى لم يعد يملك سواها ، فلا يلام نصر والحالة هذه فى عرضه الأخير الذى عرضه على الحارث بن سريج الذى نجح فى تجنيد بعض عمال نصر معه فلما وقف نصر على أن عددا من رجال ولايته قد ظاهروا الحارث عليه جمعهم نصر إليه وأجلسهم عن يساره وجعل المخلصين من معاونيه عن يمينه وقال لهم أحمد الله وأذم من على يسارى ، وليت خراسان فكنت يا يونس بن عبد ربه ممن أراد الهرب من كلف مئونات مرو ، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ويجعلهم فى الرجالة ، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردت المسير إلى الوليد فمنكم من رفع ألف ألف وأكثر وأقل ثم ما لأتم الحارث على ، فهلا نظرتم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزمونى مؤاسين على غير بلاء وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه فاعتذر القوم إليه فقبل عذرهم [١] أدرك نصر بن سيار أنه لا مناص من حرب تدور بينه وبين الحارث بعد ما أعلن المحكمون رأيهم بخلع نصر بن سيار و جعل اختيار والى خراسان إلى المسلمين يختارون على أساس مبدأ الشورى [٢] من يرونه كفأًلها فأبى نصر قبول هذا الرأى الذى يعنى إقراره بزوال خلافة الأمويين الذين جعلوه واليا على هذا الإقليم ، وزاد من تلبد

=النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٥٢٣.

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٤٣.

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧٢٩.

ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٣٦.

الأجواء بين ابن سريج وابن سيار هذا الشحن المعنوى الذى عبأ به الأول الناس فأمر بقراءة سيرته فى المساجد والتجمعات فأتته جموعهم مرحبةً به ترى فيه منقذاً لهم من تعصب الأمويين عليهم ليس هذا فحسب بل إن أحد من كلفوا بقراءة سيرة الحارث استطاع قراءتها عند باب نصر بن سيار الذى أمر بحشد طاقاته العسكرية بعد علمه بذلك لخوض الحرب ضد الحارث بن سريج فولى عاصم بن عمير قيادة جيشه فسار إلى الحارث لتدور بين الفئتين حرب ضروس انتهت جولتها الأولى بانتصار الحارث بن سريج ودخوله مرو ثم ما لبثت الحرب أن صارت فى صالح نصر والذين معه فألحقوا هزيمةً بالحارث بن سريج[١] الذى أوى برجاله المنهزمين إلى الكرمانى [٢] فأنشأ الأخير يلعب دوراً بارزاً فى الصراع بين "نصر بن سيار" و"الحارث بن سريج" وحتى يقف القارئ على الدوافع التى جعلت الكرمانى يؤازر الحارث على نصر يحسن بى الإلماع إلى ما كان بين نصر والكرمانى من علاقات جعلت الأخير يقف من نصر موقف العداء بعد أيلولة أمر خراسان إليه.

٥-بين نصر والكرمانى

كان جديع بن على بن شبيب بن برارى بن حنيم المعنى[٣] المنسوب إلى كرمان مسقط رأسه ترباً لنصر بن سيار قبل توليته على خراسان

---

[١] خليفة بن خياط تاريخه ص ٣٨٣ ، ٣٨٤

[٢] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣، ٣٣٤.

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧٢٩.

[٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٧.

وكلاهما عمل على تهيئة الأجواء لنفسه وجذب الأنظار إليه حتى يصبح فى يوم ما والياً على الإقليم .

ولقد رأيت فيما سلف من القول أكثر من رواية ذكرت الكرمانية مع الرجال المرشحين لهشام بن عبد الملك حتى يختار من بينهم والياً على خراسان ، فلما أصبح نصر والياً على خراسان حنق عليه جديع بن علىّ وأنشأ يعمل على إثارة القلاقل فى وجهه، ولكى ينجح فى بلوغ مأربه راح يتلمس الأسباب التى تسوغ له الثورة على نصر ابن سيار والتى من بينها تأخر نصر فى إخراج العطاء من بيت مال خراسان على ما جرت عليه عادة أهل الإقليم وذلك بسبب أن الوليد ابن يزيد حين آلت إليه خلافة الأمويين فى ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة [١]

سار إليه يوسف بن عمر والى العراق فاشترى لنفسه منه تبعية الإقليم الذى يحكمه نصر ، وكتب يوسف إلى نصر يطلب منه إرسال الهدايا إليه حتى يبعث بها إلى الوليد فقام نصر بتقسيم عبء تدبير هذه الهدايا على عماله وأهل خراسان فلم يدع بها جاريةً ولا عبداً ولا برذوناً فارهاً إلا أعده واشترى ألف مملوك وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل ، وقال بعضهم : كان قد أعد خمسمائة وصيفه ، وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورءوس السباع والأيايل وغير ذلك ؛ فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه، فسرح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق [٢] فكتب إليه الوليد يأمره أن

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٠.

(٢) بالفتح كوروا سعة كثيرة البلدان والعمارة بين أول حدودها ونيسابور ستون فرسخا)ياقوت معجم البلدان جـ٢ ص ٤٢٢

يبعث إليه ببرابط[١] وطنابير [٢] إلا أن شيئا من هذه الهدايا لم يصـــل إلى الخليفة الذى قضى أجله ونصر يتأهب إلى ارسال الهدايا إليه [٣].

فكان من الطبعى أن يـــؤدى هـــذا إلـــى حـــدوث تذمـــر بيـــن الخراسانيين حين تأخر عطاؤهم بسبب الأزمة المالية التى تسبب فيها الإنفاق على تدبير هذه الهدايا فقاموا بالمسجد يوم الجمعة يطـــالبون نصرا بالعطاء فرأى ابن سيار أن الفتنة قد اطلت برأسها وأن رجـــالا ينفخون فى نارها فحذر الخراسانيين من غائلتها وقـــال لـــهم : إنـــى لمكفر ومع ذاك لمظلم ! وعسى أن يكون ذلك خيراً لى إنكم تغشـــون أمراً تريدون فيه الفتنة فلا أبقـــى الله عليكـم ، والله لقـــد نشـــرتكم وطويتكم ، وطويتكم ونشرتكم ، فما عندى منكم عشرة وإنى وإيـــاكم كما قال من كان قبلكم.

اسْتَمسِكُوا أصحابنَا نحدُو بكمْ   فقد عرفنا خَيركم وَشَرَّكمْ

فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم ليتَمَنينّ الرجل منكم أنه يخلـــع من ماله وولده ولم يكن رآه . يا أهل خراسان أنكم غمطتم الجماعـــة وركنتم إلى الفرقة أسلطان المجهول تريدون وتنتظـــرون ! إن فيـــه لهلاككم معشر العرب [٤] فاهتبل الكرمانى هذا الأمر فراح يشيع فـــى أتباعه الأزد أن خراسان مقبلة على فتنة بعد ما آلت لابن سيار فقـــال لهم : انظروا لأموركم رجلا فقالوا : أنت لنا فلما وقف نصـــر علـــى

---

[١] البربط : العود ، أعجمي ليس من ملاهى العـــرب فأعربتـــه حيـــن ســـمعت به ، وفى حديث على بن الحسين لا قدِّست أمَّـــة فِيـــها الـــبَرْبَط.
ابن منظور : لسان العرب مادة بربـــط.
[٢] الطبري : تاريخ الرســـل والملـــوك جـــ ٧ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.
[٣] ابن الأثير : الكـــامل جـــ ٥ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨
ابن الجوزى : المنتظـــم جـــ ٤ ص ٧١٦ ، ٧١٧.
[٤] الطبرى : تاريخ الرســـل والملـــوك جـــ ٧ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦.
ابن الأثير : الكـــامل جـــ ٥ ص ٣٠٢،٣٠٣.
النويرى : نهايـــة الأرب جـــ ٢١ ص ٤٩٦ ، ٤٩٧.

جلية ما يدبر له من وراء ظهره دعا مستشاريه ليستنصحهم عن السبيل الذى يسلكه فى تألف الكرمانى إليه واتقاء خطره فمنهم من قال له : أرسل إليه فاقتله أو فاحبسه فقال نصر لا ، ولكن لى أولاد ذكور وإناث فأزوج بنى من بناته وبنيه من بناتى فأبوا قبول ذلك من نصر فقال لهم ابعث إليه بمائة ألف فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئا ويعلمون به فيتفرقون عنه قالوا لا هذه قوة له قال نصر فندعه على حاله يتقينا ونتقيه[1]

ومن الأسباب التى جعلت الكرمانى يعمد إلى إثارة القلاقل فى وجه نصر والدولة الأموية أنه كان يطمح إلى أن يولى مروان ابن محمد أحد ولديه السيوف فينال بذلك ثأر بنى المهلب فلما لم يحقق له الخليفة ما تمناه أزمع النيل من نصر والخليفة بإثارة الفتن الداخلية فى الإقليم ، والذى زاد من تصميمه على إثارة الاضطرابات فى وجه نصر بن سيار أن الكرمانى ونصراً قبل ولاية الأخير كانا متصافيين حيث أحسن الأول إلى الثانى فى ولاية أسد بن عبد الله القسرى فلما تولى نصر خراسان لم يحفظ الكرمانى صحبته

ومن ثم حنق الكرمانى على ابن سيار فلما أوقف الكرمانى عصمة بن عبد الله الأسدى على طويته فى أمر نصر قال له :-

إنها بدء فتنة فتجن عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق "سباع بن النعمان الأزدى" و"الفرافصة بن ظهير البكرى"

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٧.
ابن الأثير : الكامل جـ ص ٣٠٤.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٩٧ ، ٤٩٨.

فإنه لم يزل متغضباً على الله بتفضيله مضر علـى ربيعـة [١] ومـن الأسباب التى أثارت الفتنة بين الكرمانى وابن سيار أن الأول كـاتب عامل جرجان يخبره بأمر منصور بن جمهور الذى آلت إليـه ولايـة العراق وما كان من موقفه من نصر بن سيار فأغضب ذلـك نصـراً على الكرمانية [٢].

وكان منصور بن جمهور قد تولى العراق وخراسان بعد عـزل يزيد بن الوليد ليوسف بن عمر عنها ومنصور بن جمهور هذا جـاء إلى العراق وما تبعها من الأعمال مثل خراسان وهو يريد إعلاء شأن اليمنية على حساب غيرها من القبائل فلما علم نصر بن سيار بعـزل منصور بن جمهور له عن خراسان تصدى له وأبى تسليم البلد إليـه حتى جاءته ولاية البلد من عبد الله بـن عمـر بـن عبـد العزيـز الذى استبدله الخليفة الأموى يزيد بن الوليد بمنصور بن جمـهور [٣] وسواء أصحت هذه الأسباب أم لم تصح فإن نصراً أزمع على إلقـاء القبض على الكرمانى حتى يجنب خراسان فتنةً تأكل بنارها الأخضـر واليابس لو ظل جديع بن على على حاله فى موقفه من أمـيره ابـن سيار فلما تمم نصر ذلك ودخل عليه الكرمانى قال له : يا كرمانى ألـم يأتنى كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعت وقلـت شـيخ خراسـان وفارسها فحقنت دمك؟ قال بلى . قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك مـن

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملـوك جـ ٧ ص ٢٨٧.
ابن الاثير : الكـامل جـ ٥ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥.
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملـوك جـ ٧ ص ٢٨٧.
ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم السياسـى فـى العصـر العباسـى الأول ص ٢٧.
(٣) الطبرى : تاريخ الرسـل والملـوك جـ ٧ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠.
حسين عطوان : الأمويـون والخلافـة : ص ٢٢١.
ثريا حافظ : الخراسـانيون ودورهـم فـى العصـر العباسـى الأول ص ٢٥ ، ٢٦.

الغرم وقسمته فى أعطيات الناس ؟ قال : بلى قال : ألم أ روس ابنك "علياً" على كره من قومك ؟ قال بلى : قال فبدلت ذلك إجماعا على الفتنة.

قال الكرمانى : لم يقل الأمير شيئا إلا وقد كان أكثر منه وأنا لذلك شاكر ، وقد كان منى أيام أسد ما قد علمت فليستأن ويتثبت فلست أحب الفتنة [١]

وعندما وقفت الأزد على اعتقال زعيمهم تمالئوا فيما بينهم على إخراجه سراً من سجنه ليقودوا به ثورةً على المضرية التى اعلى نصر كعبها على الأزد واليمنية [٢] فلما نجحوا فى تحقيق مأربهم وأخرجوا الكرمانى من سجنه كادت تحدث معركة داخلية بين القبائل بسبب ما كان بين نصر والكرمانى فإن العصبية القبلية بلغت بهما مدى بعيداً فى العداوة إلى حد أن نصراً تخلى عن حلمه وحكمته فى سياسته فى مثل هذه الأوقات الحرجة، فخطب الناس بعد هروب الكرمانى من سجنه خطبةً أدت إلى اتساع الهوة بينه وبين الأزد أكثر من ذى قبل بل جعلت غيرهم ينضمون إليهم فقال عن الكرمانى : ولد بكرمان وكان كرمانيا ثم سقط إلى هراة فكان هرويا ، والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت ولا فرع نابت ثم ذكر الأزد فقال : إن يستوثقوا فأذل قوم ، وإن يأبوا فهم كما قال الأخطل:-

---

[١] النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٩٨.

[٢] اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٣٣.

ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧.

ضَفَادِعُ فى ظلماءِ ليلٍ تَجاوَبتَ فَدلَّ عليها صَوتُها حَيةَ البحر

ثم ندم على ما فرط منه ، فقال أذكروا الله ، فإن ذكر الله شفاء ذكر الله خير لا شر فيه يذهب الذنب وذكر الله براءة من النفاق.

ولقد أثمرت السفارات بين الرجلين فجنبت خراسان حرباً فعلية فى ذلك الوقت الذى عرض فيه نصر أمر الكرمانى على كبار رجال خراسان فإنه رأى أن الأجدى له ولولايته نفى الكرمانى عن خراسان بيد أن هذا الرأى لم يلق قبولاً لدى صاحب شرطة نصر "سلم بن الأحوز الذى قال لأميره إن أخرجته نوهت باسمه وذكره وقال الناس : أخرجه لأنه هابه ، فقال نصر : إن الذى أتخوفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوفه وهو مقيم ، والرجل إذا نفى عن بلده صغر أمره فأبوا عليه فكف عنه وأعطى من كان معه عشرة عشرة وأتى الكرمانى نصراً فدخل سرادقه فآمنه [1]

كان هذا الآمان على غرار سوابقه فقد نقضه الكرمانى حين غضب علي نصر بن سيار لما خطب فى الخراسانيين ونال من منصور بن جمهور المعزول عن العراق وأطرى واليه الجديد "عبد الله بن عمر بن عبد العزيز" فاعتزل الكرمانى نصراً وسارت الرسل للإصلاح بين الرجلين من جديد فمما قاله "عقيل بن معقل الليثى" لنصر أيها الأمير أنشدك الله أن تشأم عشيرتك إن مروان بالشام تقاتله الخوارج والناس فى فتنة والأزد سفهاء وهم جيرانك قال فما اصنع إن عملت أمراً يصلح الناس فدونك ، فقد عزم أنه لا يثق بى .

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٩٠ ، ٢٩١.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٥٠٠ ، ٥٠١.

فأتى عقيل الكرمانى فقال أبا على قد سننت سنة تطلب بعدك من الأمراء إنى أرى أمراً أخاف أن تذهب فيه العقول ، قال الكرمانى إن نصراً يريد أن آتيه ولا آمنه ونريد أن يعتزل ونعتزل ونختار رجلا من بكر بن وائل ، نرضاه جميعا فيلى أمرنا جميعا حتى يأتى أمر من الخليفة وهو يأبى هذا فقال : يا أبا على ، إنى أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر فأت أميرك وقل ما شئت تجب إليه ولا تطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه، فقال الكرمانى إنى لا اتهمك فى نصيحة ولا عقل ولكنى لا أثق بنصر ، فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص . قال : فهل لك فى أمر يجمع الأمر بينكما ؟ تتزوج إليه ويتزوج إليك قال لا آمنة علي حال قال ما بعد هذا خير ، وإنى خائف أن تهلك غداً بمضيعة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عقيل : أعود إليك ؟ قال لا ، ولكن أبلغه عنى وقل له : لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد، منا مالا بقيه بعده ، فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة وأسفك الدماء فيها [1] وكان الحارث بن سريج قد أوى هذا الوقت إلى الكرمانى ليكونا يداً واحدة على نصر ابن سيار الذى أيقن أن حسن السياسة والكياسة يفرضان عليه الاستمرار فى بذل المحاولات مع الكرمانى حتى يتألفه ويباعد بينه وبين التحالف مع الحارث بن سريج فأرسل نصر إلى الكرمانى ليأتيه فلما جاءه كلمه فى التقارب بينهما حتى يحقنا دماء المسلمين بخراسان وبينما هما كذلك شجر خلاف بين أتباعهما فحسب الكرمانى أن هذه مكيدة من "نصر بن سيار" أراد منها إلقاء القبض عليه فترك مجلس نصر فلما علم الحارث بن سريج ذلك اهتبلها فرصة فأرسل

---

(١)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣.

إلى نصر يقول له : (إنا لا نرضى بك إماما ، فأرسل إليه نصر : كيف يكون لك عقل وقد أفنيت عمرك فى أرض الشرك ، وغزوت المسلمين بالمشركين !أتراني أتضرع إليك أكثر مما تضرعت !)[١]

أصبحت خراسان بعد الذى كان من أمر الكرمانى والحارث بن سريج ميدان حرب تقارعت فيه سيوف المسلمين فى صراع لم يستفد منه إلا دعاه العباسيين وغيرهم من الخارجين على الدولة الأموية فلما وقعت الحرب بين نصر من جهة والكرمانى والحارث بن سريج من جهة أخرى كادت تنتهى بإحراز نصر انتصاراً حاسما فى هذه المعركة لولا أن بعض الموالين للكرمانى أشاعوا فى الناس أن ابن سيار قد قتل فانفضت المضرية عن نصر ومن معه فلم يجد مناصا من هروبه عن مرو فتركها ليدخلها الكرمانى الذى خطب الناس فآمنهم بعد ما هدم الدور ونهب الأموال ولاسيما من كان منهم خرج مع نصر من أهل خراسان [٢] فأنكر الحارث عليه ذلك فهم الكرمانى به ثم تركه[٣].

لما رأى الحارث بن سريج أن الكرمانى أنشأ يميل عن المبادئ التى دعا الحارث الناس إليها أراد أن يفعل به مثلما فعل قبلاً بنصر ابن سيار فأرسل الحارث إلى الكرمانى يدعوه إلى الكتاب والسنة ونشر العدل وتطبيق الشورى فلم يقبل الكرمانى منه ذلك فدخل مع الحارث فى معركة انتهت بقتل ابن سريج ، وهكذا يصفو الجو بمرو للكرماتى [٤] ولقد قال نصر بن سيار حين علم بمقتل الحارث ابن

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥.
(٢) الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٤٠ ، ٣٤١.
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦.
ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٤٥.
(٤) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٨٣ .
الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢.
=

سريج أبياتا أظهر فيها المقتول بأنه جلب الذل والفرقة إلى خراسان وأشعل فيها نيران العصبية القبلية فلم تجن البلاد من اقامته على أرضها إلا البوار والخسران :-

يا مدخلَ الذل على قومِه	بُعداً وسُحقاً لك مِنْ هالِكِ
شُؤمُك أَرْدَى مضراً كلَّها	وغضَّ من قومِك بالحارِكِ
ما كانتِ الأزدُ وأشياعُها	تَطْمعُ فى عمرو ولا مالك
ولا بنى سَعْد إذا أَلجَمُوا	كل طِمِرٍّ لونه حالِك [1]

لم يكن من المعقول أو المقبول أن يترك "نصر بن سيار" "الكرمانىُ ينعم بإقامته فى مرو دون أن يجرد الحملة تلو الأخرى عليه حتى يستطيع نصر العودة إلى حاضرة مصره من جديد غير أن ابن سيار وهو يبذل هذه المحاولات لاسترداد قصبة خراسان من الكرمانى وجد أن عقبة كؤود تحول بينه وبين بلوغ مأربه ممثلة فى أبى مسلم الخراسانى [2] الذى أخذ دوره فى الحياة السياسية بين الخراسانيين يتعاظم يوما بعد آخر ليجنى فى نهاية الأمر ثمرة الصراع الداخلى بين نصر ومناوئيه بخراسان.

= ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ / شاكر التاريخ الإسلامى جـ ٤ ص ٣٠١.

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٨٤.

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٤٢.

ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧.

(٢) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٥٢٩.

ومن ثَّم فإنه يحسن بي الالماع إلى هذه الشخصية التي كان وجودها بخراسان إيذاناً بانهيار الدولة الأموية كي يستطيع القارئ تصور مدى الأهوال والعقبات التي ألمت بنصر وهو بخراسان يدافع عن حكم تهرأت أوصاله.

٦-بين نصر وأبي مسلم

"ظهر عبد الرحمن بن مسلم" وقيل "عثمان الخراساني" القائم بالدعوة العباسية على مسرح الأحداث بخراسان حين تلقفه نقباء العباسيين المقيمين بالكوفة فراقهم رجاحة عقله فأعلموا به إبراهيم الإمام الذي قال لنقباء دعوته عن أبي مسلم حين طالبوه أن، يرسل من عنده رجلاً يتولى أمر الدعوة بخراسان إني قد جربت هذا الأصبهاني وعرفت ظاهرة وباطنه فوجدته حجر الأرض فأدنى أبا مسلم إليه وكلفه بقيادة الدعوة في هذه البلاد [1] النائية عن حاضره الخلافة الأموية.

كان أبو مسلم عند حسن ظن إمامه فيه فأحسن إختيار المكان الذي يدبر منه أمر الدعوة فنزل بقرية بالين وهي بعيدة عن أنظار نصر بن سيار فلما أخذ أبو مسلم يبث دعوته بخراسان راحت أخباره تترامى إلى الكرماني والشيباني ونصر فأما الأولان فقد أظهرا عدم مبالاة بأمر الرجل ولا أشياعه إذ هو يدعو إلى خلع "مروان بن محمد"

---

(١) الأمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبه جـ ٢ ص ١٣٧
ابن الوردي : تاريخه جـ ١ ص ١٧٩.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧.
النويري : نهاية الأرب جـ ٢٢ ص ١٩

وهذا ما يوده الكرمانى ليصفى به حساباته مع الخليفة الذى حرمـــــه وبنيه الولاية والشيبانى لأن من مذهبه التصدى للخلفـــاء الأمويين وجعل الخلافة شائعةً فى المسلمين دون توريثها بين أفراد فرع بعينـه وأما نصر بن سيار فإنه أدرك عظم الخطر الذى يمثله أبو مسلم فبادر من فوره إلى مخاطبة الشيبانى وكان من بين من نـاوأوه بخراسـان قائلاً له: إن شئت فكف عنى حتى أقاتله ، وإن شئت فجامعنى علـى حربه حتى أقتله أو أنفيه فهم شيبان أن يفعل لولا أن أبا مسلم حيـن علم بتحركات ابن سيار أزكى عيونه هنا وهناك بقصد السـعى إلـى إجهاض الخطة التى أعدها نصر لمواجهة أبى مسلم[1] وهى ما تـزال فى مهدها فكان أبو مسلم يبعث رسله إلى شيبان بكتب يعـده فيـها النصرة ويأمره أن يجعل طريقه عبر مضر كى تقف على ما فى كتـاب أبى مسلم إلى شيبان حتى يزيد الهوة بين اليمنية والمضريـة فـإن كتاب أبى مسلم فيه : رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولاخير فيهم فـلا تثقن بهم ولا تطمئن إليهم فإنى أرجو أن يريك الله مـا تحـب ولئـن بقيت لا أدع لهم شعراً ولا ظفراً ويرسل رسولاً آخر فى طريـق ثـانٍ بكتاب فيه ذكر المضرية وإطراء اليمن بمثل ذلك حتى صـار هـوى الفريقين جميعاً معه[2].

ومن ثَّم أبىّ الشيبانى إلا مناهضة "ابن سـيار" بـالرغم ممـا عرضه عليه نصر من خيارات لو تدبرها لوجد أنـها تقيـه وحليفـه

---

(١)الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٣،٣٦٤
ابن الأثير: الكامل جـ٥ صـ٣٦٧
الخضرى:الدولة العباسية صـ٣١
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩

الكرماني من خطر هذا الخراساني الذي جاء من مكة حاملاً المعـاول لهدم كل صرح يقف في سبيل إنجاز مهمته بغض النظر عن هويتـه ، ولم يكتف أبو مسلم بذلك بل إتصل بالكرماني الـذي رأى القارئ مراحل صراعه مع نصر فوعده النصرة[١] فلما علم نصر بذلك بعـث إلى الكرماني يقول له: ادخل إلى مرو واكتب بيننا كتاباً[٢] بالصلح وهو يريد أن يفرق بينهما غير أن شيئا من ذلـك لـم يتـم بسـبب الوشاة[٣] الذين أوغروا صدور كلا الفريقين على بعضـهما فـدارت معركة بين اتباعهما فلما رآها أبو مسلم أنهكت قواتهما كتب إليـهما يقول : إن الإمام قد أوصاني بكما ولست أعدو رأيه فيكما وكتب إلـى الكور باظهار الأمر فكان أول من لبس السـواد (شـعار العباسـيين) "أسيد بن عبد الله" بنسا ونادى: يا محمد يا منصور وسود معه مقـاتل ابن حكيم" و"ابن غزوان"، وسود أهل أبيورد وأهل مرو الـروذ وقـرى مرو[٤] والذى شجع أبا مسلم على المضى قدما فى ذلك أن المعركـة أسفرت عن قتل نصر للكرماني وصلبه على ميدان مرو[٥]

استثمر أبو مسلم نتيجة هذه المعركة لصالحه فجعل من بنـى جديع بن على المعروف بالكرماني وسيلةً يفصم بها عرى التحـالف الذى كان شيبان على وشك إتمامه مع نصر ليواجها سوياً أبا مسـلم

---

[١] ابن أعثم: الفتوح جـ٨ صـ١٦٠

[٢] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٧٠

[٣] عبد الشافى عبد اللطيف: العالم الإسلامى فى العصر الأموى صـ٥٢٥

[٤]الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩

[٥]خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٨٨ اليعقوبى: تاريخه جـ٢ ص٣٤٠، الإمامه والسياسه المنسوب لابن قتيبة جـ٢ ص١٣٩ ،النويرى: نهاية الأرب حـ٢١ ص، ٥٢٩ ، ابن حبيب المحبر ص٤٨٤

فقال لعلى بن الكرمانى (إنك موتور قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأى شيبان وإنما تقاتل لثأرك ، فامنع شيبان من صلح نصر ، فدخل ابن الكرمانى على شيبان ، فكلمه فثناه عن رأيه فأرسل نصر إلى شيبان : إنك لمغرور ، وأيم الله ليتفاقمن هذا الأمر حتى تستصغرنى فى جنبة فبينما هم فى أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبى إلى هراة وعليها عيسى بن عقيل الليثى، فطرده عنها ، فقدم عيسى على نصر منهزما وغلب النضر على هراة[١].

والجدير بالذكر أن "نصر بن سيار" الذى حمل على كاهله عبء مواجهة الكرمانى وبنيه والشيبانى ومن معه وأبى مسلم الخراسانى لم يكن عنده من القوى العسكرية التى يستطيع بها التصدى لهؤلاء فرادى أو مجتمعين فقد كاتب الخليفة مروان بن محمد كتاباً أطلعه فيه على أحوال خراسان وما ينتظرها من سوء المآل فقال له:-

أرى جَذَعَاً[٢] إن يُثْنِ لم يَقْوَرَيِّضُ[٣] علية،فبادِرْ قَبْلَ أن يثْنى الجَذَعْ

وكان مروان مشغولا عنه بغيره من الخوارج بالجزيرة الفراتية وغيرها منهم الضحاك بن قيس الحرورى وغيره فلم يجبه[٤] فلما استبطأ "نصر بن سيار" جواب خليفته على كتابه ورأى أن أبا

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٤،٣٦٥

(٢) أرى شيئا صغيرا إن يترك كبر ولم يقدر الإنسان عليه.

(٣) الريض من الدواب التى لم تقبل الرياضة ولم تمهر المشية ولم تذل لراكبها، والريض من الدواب والإبل ضد الذكور ابن منظور: لسان العرب مادة روض

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣ ص١٤٩

مسلم الخراسانى يزداد قوة عند كل يوم تشرق شمسه عليـــه وهـــو بخراسان معاودة الكتابة إلى الخليفة لعله يظفر من هــذه المحاولـــة الأخيرة بمدد عسكرى يتقوى به وهو يجابه أعداءه الذين حـــاصروه من كل مكان فضمّن نصر بن سيار كتابه إلـــى الخليفـــة قـــول أبـــى مريم[١]

أرى خَلَلَ الرماد وميضَ نارٍ ... ويوشك أن يكون لها ضرامُ

فإن النار بالزندين تُورى ... وإن الحرب أولُها كلام

لئن لم يُطفِها عقلاء قوم ... يكون وقودها جُثَثٌ وهام

أقول من التعجّب ليت شعرى ... أأيقاظٌ بنى أمية أم نيام

فإن كانوا لحينهُم نياماً ... فقل قوموا فقد حان القيام[٢]

ولقد جاء كتاب الخليفة إلى نصر مخيباً لآماله التـــى علقـــها على أمير المؤمنين إذ قال له فيه: الشاهد يرى ما لا يـــرى الغـــائب

---

[١] عبد الله بن إسماعيل البجلى الكوفى وكان الرجل منقطعـــاً إلـــى نصـــر بـــن سيار وله مكتب بخراســـان .

ابن خلكان : وفيات الأعيـــان جـــ٣ ص١٤٩

[٢] ابن خلكان :وفيات الأعيـــان جـــ٣ صـــ١٤٩،١٥٠ ذكـــر الطـــبرى فـــى جـــ٣ صـــ٣٦٩ ثم الزركلى فى الأعـــلام جـــ٨

صـــ٢٣ ما يفهم منه أن هذه الأبيات لنصر بـــن ســـيار فلـــم ينســـباها إلـــى أبى مريم مثل ما فعل ابن خلكـــان.

فاحسم الثؤلول [١] قبلك فلما قرأها نصر قال لأصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده[٢]

لما استيقن نصر بن سيار من عدم نصرة مروان له ولىَّ وجهه شطر عامل العراق لعله يجد عنده من المدد ما لم يجده عند أمير المؤمنين فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يقول له:-

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه وقد تبينت ألا خير فيِ الكذب

أن خُراسان أرّض قد رأيتُ بها بيضا لو أفْرَخ قد حُدِّثتَ بالعَجَب

فراخُ عامَيْنِ إلا أنها كبَرتْ لماَ يَطْرنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغب

فإن يَطرنَ ولم يجتل لهن بها يُلهِبْنَ نيرانَ حَرب أيَّما لهَب[٣]

كان موقف يزيد بن عمر بن هبيرة من نصر بن سيار على غرار موقف مروان فإن والى العراق قال حين وصله كتاب ابن سيار لا غلبة إلا بكثرة وليس عندى رجل[٤].

---

[١] واحدة الثاليل وهو بمعنى المحكم " يريد من نصر احكام أمر البلد ودرء أبواب الخطر لصالح الدولة

ابن منظور لسان العرب مادة ثأل

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩

الإمامة والسياسة المنسوب لإبن قتيبة جـ٢ صـ١٣٨

[٣] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩،٣٧٠

على أدهم: مقالة بمجلة الثقافة عدد ٥٨ صـ١١

[٤] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٧٠

مما تقدم يرى القارىء أن نصر بن سيار بلغ بـــه الضعـف مبلغه وهو يواجه أبا مسلم الخراسانى فقد تخلت عن نصر بن سـيار دولته التى يمثلها ويستمد منها سلطانه بخراسان فى الوقـــت الـذى استطاع فيه أبو مسلم نشر دعوته بالإقليم وجعل السواد الأعظم مــن رجالات القبائل العربية المقيمة بخراسان يتخلون عــن نصـرة ابـن سيار بغض النظر عن الأسباب التى كانت وراء موقف كل واحد منـهم من عامل الأمويين على خراسان صحيح أن مروان بن محمــد وهــو الرجل القوى جاءت خلافته فى وقت كانت فيه المعارضـــة لسـلطان الأمويين قد إنتشرت هنا وهناك كما رأى القارىء إلا أنه ليـس فـى إستطاعتى أن أدفع عن الخليفة الأموى مسئولية ما أصاب نصر ابـن سيار من ضعف وهو يواجه أبا مسلم بعد الذى عرفه الخليفة الأمـوى من أمر زعيم الدعوة العباسية بخراسان وانه يدعـــو إلـى إبراهيـم الإمام وهذا كما يرى القارىء يعنى أن بنى هاشم قد حققوا نجاحا فـى تنظيم دعوتهم التى أرادوا بها إدالة سلطان الأمويين.

أما عامل الخليفة فى العراق فإن موقفه من ابن سـيار كـان غاية فى الخذلان فالرجل يستطيع نصرة ابن سيار لو أراد لكنه اعتقـد خطأً أن بقاءه فى عمله ومحافظته على قوة رجاله فى هـــذا الوقـت الذى بلغت فيه القلاقل مداها فى أقاليم الدولة الأمويـــة سـيكفل لـه المحافظة على سلطانه ، ومن ثمّ لم يستجب ابن هبيرة فى هذا الوقت إلى إستغاثة ابن سيار به،الجأت هذه الظروف التى تعيشها خراســان "نصراً ابن سيار" إلى مكاتبه أبى مسلم الخراسانى ليحكم بينه وبين علـى بن جديع الكرمانى الذى ما فتىء يحشد الحشود حتى يزلـــزل الأرض من تحت قدمى "نصر بن سيار."

وفعل ابن الكرماني نظير ذلك مع أبي مسلم فأشـــخص إليـــه الرسل حتى ينقلوا له رغبته في معاونة أبي مسلم له وهـــو يواجـــه "نصر بن سيار ".

إهتبل أبو مسلم الخراساني هذه الفرصة فكتب إلى ابن سيار وعلى الكرماني بالحضور إليه حتى يعرض أمرهما على شيعته ليختـارﻭا أي الرجلين فينصروه على صاحبه وأوعز أبو مسلم إلى شيعته أن يميلوا عن ابن سيار ويفضلوا عليه عليا ابن الكرماني[1] فلما اجتمعا إلـــى أبي مسلم في ملأ من شيعته فعلوا ما أراده منهم أبو مســـلم فخـــرج "نصر بن سيار" وهو مزمع الاستمرار في مواجهة اعدائه بما لديـــة من امكانيات في خراسان فتصدى إلى علي ابن الكرماني الـــذي أراد منازلة ابن سيار حتى ينال ثأر أبيه منه فجابه نصراً بجموع كثـــيرة ظاهرها أبو مسلم بالعدد والعتاد فخاضوا معركـــةً ضـــد ابـــن ســـيار أسفرت عن غروب شمس ولايته عن خراسان فقـــد خـــرج مـــن دار الإمارة ودخل أبو مسلم الخراساني مرو لتسع خلـــون مـــن جمـــادى الأولى سنة ثلاثين ومائة وهو يتلو قول الله تعالى:- "ودخل المدينـــة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شـــيعته وهذا من عدوه[2] .فأتاه على بن جديع الكرماني فسلم عليه بـــالأمره

[1] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٧٧،٣٧٨.
ابن الأثير: الكامل جـ٥ صـ٣٧٨
ابن الجوزي: المنتظم جـ٤ صـ٧٣٩
النويري: نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢١،٢٢
الخضري: محاضرات في تاريخ الدولة العباسة صـ٣١

[2] سورة القصص آية ١٥

وأعلمه أنه معه على مساعدته وقال مرنى بأمرك فقال: أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمرى[1].

أنشأ أبو مسلم الخراسانى بعد دخوله مرو يعمل على التخلص من وجهاء خراسان الذين قد يشكلون خطراً عليه وعلى دعوته لما لهم من مكانة فى قبائلهم أو بحكم سلطانهم الذى ما يزالون يمثلونه من الناحية الشرعية دون العملية مثل ابن سيار فإن هروبة من مرو أن جعل أبو مسلم صاحب السلطان الفعلى إلا أن ابن سيار ما يزال من الناحية الشرعية والياً للخلافة الأموية على هذا الإقليم فرأى أبو مسلم ضرورة التخلص من ابنى الكرمانى وملاحقة "نصر بن سيار" حتى يتأكد من نجاح الدعوة العباسية فى خراسان ومنها إلى سائر أرجاء الدولة الإسلامية فدبر أبو مسلم الخراسانى مؤامرةً لعثمان وعلى ابنى الكرمانى ففرق بينهما بأن أشخص عثمان ابن الكرمانى عاملا له على بلخ واستبقى عليا إلى جواره فلما قدم عثمان بلخاً إلتقت به المضرية قوم "نصر بن سيار" فى معركة انجلت عن هزيمته فلما قدم أبو مسلم نيسابور قرر التخلص من ابنى الكرمانى فأمر أبا داود خالد بن إبراهيم وهو من نقباء الدعوة العباسية الاثنى عشر[2] بمقتل عثمان بن الكرمانى فاغتالة أبو داود وهو فى الطريق إلى الختل التى كان عهد بها أبو مسلم إليه فى حين قتل أبو مسلم فى ذلك

(1) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٧١،٣٧٨،٣٧٩.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ صـ١٥٠
ابن خلدون: تاريخه جـ٣ صـ٢٠٩
ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ١ صـ ٢٩٣.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ صـ٧٤٠.

اليوم علياً ابن الكرمانى(١)

وهكذا ترى أبا مسلم ينجح فى التخلص من عقبـــة كـؤود كانت لا مراء ستقف فى سبيل تحقيق الإستقرار له فى خراسان وهـو لا يبالى بما قدمه له الكرمانى ثم بنوه من تسهيلات كانت السبب فـى ترسيخ أقدامه على أرض خراسان وعلو مكانته بين أهليها وهو بذلك يجعل سلوك كل وسيلة توصله لغايتـــه منـــهاجاً لـــه فـــى علاقاتـــه بالمحيطين به .

ولقد رأى القارىء الكريم غير مرة نصراً يحذر الكرمانى ثم الشيبانى وغيرهما من أبى مسلم الخراسانى الذى كـــان يقـف لابـن سيار بالمرصاد كى لا ينجح فى إبرام تحالف مع أحدهمـا أو كليـهما فأضعف أبو مسلم الوالى حين دخل فى صراع مع الرجليـــن ليجنـى وحده ثمرة هذه الصراعات بعد ما قتل نصر الكرمانى واستمالة أبـــى مسلم ولديه اللذين حسبا أن هروب نصر من مرو ودخول أبى مســلم إليها سيجعلهما من ذوى السلطان ، ومن ثمَّ يكونان بمثابـــة إمتـداد لأبيهما فى خراسان فإذا بسيوف أبى مسلم الخراسانى تغيبهما عـــن الحياة التى حتى ينفرد بالسلطة التى لا يحب صاحبها مزاحمـــة أحـد مهما كانت الظروف والأسباب.

فإذا ما ولى القارىء وجهه شطر الشيبانى الذى كـــان نـاوأ نصراً بالأمس يجده قد ولى خراسان دبره بعـد مـا رأى عليـا ابـن الكرمانى يرتمى فى أحضان أبى مسلم الخراسانى ناقضـــاً التحـالف المبرم بينهما ضد نصر بن سيار حتى يزيلاه عن السـلطان ويجعـلا الأمر شورى فى أهلها.

---

(١) النويرى : نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦.

أرسل أبو مسلم إلى الشيبانى يدعوه إلى طاعته فأبى ، ومن ثمَّ أرسل أبو مسلم جيشاً لمناهضته فتمكنوا من قتله(١)

وأما نصر بن سيار ثالث الرجال فى خراسان فإن أبا مسلم حين صفت له مرو أرسل إلى نصر لاهز بن قريظ بكتاب يطلب فيه أبو مسلم من نصر مبايعته على كتاب الله وسنة رسوله والدعوة للرضا من آل محمد .

فلما وجد نصر بن سيار أنه لا طاقة له بأبى مسلم ورجاله أظهر لرسوله إستعداده للقدوم عليه ومبايعته بعد أن يعد نفسه للقائه واستمهله نصر ليلةً فقبل ثم جاء لاهز بن قريظ نصراً بأمر من أبى مسلم يطلب منه الوفاء بما كان وعد به من قدومه علي الخراسانى ومبايعته فاستمهل نصر بن سيار رسول أبى مسلم ريثما يتوضأ للصلاة فبينما هو كذلك إذا بابن قريظ يسمع نصراً قول الله تعالى: (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين)(٢) فدخل نصر منزله وأعلم ابن قريظ ومن معه أنه ينتظر عود رسوله من عند أبى مسلم ، وأقام حتى جنه الليل فخرج من خلف حجرته ومعه تميم ابنه والحكم بن نميلة النميرى وإمرأته المرزبانة(٣) ،

---

(١)ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٤٠

(٢) سورة القصص آية ٢٠

(٣) كلمة فارسية مؤلفة من لفظين هما مرز بمعنى حد وحدود دولة وبان بمعنى رئيس وحاكم ، وإذا ألحقت بإسم تعنى حارس أو حامى وأصلها البهلوى مرزبان فيكون إطلاقها فيما يعتقد والحالة هذه على زوجة الوالى أو القائد يشبه إلى حد كبير ما نراه فى عصرنا من إطلاق لقب السيدة الأولى على أزوج رؤساء الدول.ابن منظور:لسان العرب مادة مرزبان /حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف جـ٣ ص ١٠٧٧

وانطلقوا هرباً ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله فوجدوه قد هرب فلما بلغ أبا مسلم هربه سار إلى عسكر نصر وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتفهم ، وفيهم سَلم بن أحوز صاحب شرطة نصر والبخترى كاتبه وابنان له وآخرين بلغوا أربعة وعشرين رجلاً من صفوة أتباع ابن سيار فأوسعهم وثاقاًوسار أبو مسلم فى رجال معه يريدون اللحاق بنصر فلم يظفروا إلا بامرأته المزربانة[١] أم بلج بنت قديد بن منيع المنقرى التى خلف أبو مسلم نصراً عليها فظلت معه حتى توفى عنها فتزوجت بعده عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى الذى تولى خراسان بعد ذلك[٢] ونجح نصر بن سيار فى الوصول إلى سرخس[٣] ومعه ثلاثة آلاف رجل من أشياعه فلما وقف أبو مسلم على السبب الذى جعل نصر بن سيار يلوذ بالفرار أدنى لاهز بن قريظ إليه فقال له تدغل فى الدين وقتله[٤].

ومضى أبو مسلم فى ملاحقته لنصر فسير إليه قحطبة بن شبيب فالتقى بجيش ابن سيار وعليه ولده تميم بن نصر فى معركة إنتهت بهزيمة قوات ابن سيار وقتل ولده ومعه نحو من سبعة عشر

---

[١] خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٠

ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٣٩،٧٤٠ ، ابن الوردى: تاريخه جـ١ صـ١٨٠

النويرى: نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٤.

[٢] ابن حبيب المجبر صـ٤٥٠

[٣] بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة وآخره سين مهملة ، مدينة قديمة من نواحى خراسان كبيرة واسعة وهى بين نيسابور ومرو يفصلها عن كليهما ست مراحل.

ياقوت: معجم البلدان جـ٥ صـ٣٧

[٤] النويرى نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٤

ألفاً وغنم ابن قحطبة وجيشه أموالاً عظيمة[١]. فلما بلغ نصـــر بـن سيار ما حل بولده وجيشه هرب إلى قومس وتفرق عنـــه أصحابـة فسار إلى نباته بن حنظلة [٢]بجرجان[٣]

أحسن نباته بن حنظلة استقبال نصـــر وراح كـلا الرجليـن يعملان على حشد الطاقات للدفاع عن البقية الباقيه من أملاك الدولـة الأموية بخراسان فحفر خندقين عند الجوزجان وجورجان.

فلما رأى الخراسانيون المنضمون إلى ابـن قحطبـة العـدد والعتاد اللذين حشدهما نصر بن سيار و ابن حنظلة دب الرعب فـي افئدتهم فأدرك القائد العباسى أن الجند إن قاتلوا على غير معنويـات مرتفعة لحقت بهم الهزيمة فأ نشأ ابن قحطبة يعبئ جنده معنوياً فقـام فيهم خطيباً وقال :-

(إن الإمام وعدكم النصر عليهم وقد عهد إلى أنكم تلقونـــهم فينصركم الله عليهم)[٤]

---

[١] خليفة بن خياط: تاريخـه صــ٣٩٠،٣٩١
ابن كثير: البداية والنهاية جــ١٠ صــ٣٥

[٢] هو من بنى بكر بن كلاب وكان فارس أهل الشـام وكـان علـى المنجنيـق يوم الكعبة وولى حرجان والرى لمروان فقتله قحطبـة بـها وقتـل معـه ابنـه حيه بن نباته وكان له ابن يقال له محمـد قتلـه يزيـد بـن عمـر بـن هبـيرة صبراً فى ذى الحجة سـنه ثلاثيـن ومائـة ابـن قتيبـة: المعـارف ص٣٧٠ ، ٤١٨

[٣] ابن الجوزى : المنتظـم جــ٤ ص٧٤٠،٧٤١ .
النويرى : نهاية الأرب جــ٢٢ ص٢٧

[٤] النويرى : نهايـة الأرب جــ٢٢ ص٢٨

فلما التقت الفئتان العباسية بقيادة ابن قحطبة والأموية بقيادة نباته وابنى سيار مشى النصر فى ركاب الفئة الأولى فقتل العباسيون عشرة آلاف من الشاميين ودخلوا جرجان التى لم يستطيعوا السيطرة عليها إلا بعد ترويع أهلها بقتلهم ثلاثين ألفا من ساكنيها(١)

وبهذه النتيجة إزداد موقف نصر سوءاً على سوء فسار إلى حوار(٢) فلم يجد أمامه إلا الكتابة إلى خليفته مروان بن محمد ثم إلى أمير العراق "يزيد بن عمر بن هبيرة" الذى حبس رسول نصر بن سيار إلى مروان وقد كان يحمل الأموال والأمتعة إلى ابن هبيرة التى حازها نصر بن سيار من جيوش الدعوة العباسية حين خاض معها آخر معاركه على مقربة من الرى على الرغم من قلة رجاله فلما وقف نصر بن سيار على ما فعله ابن هبيرة مع رسوله قال : أبى يتلعب ابن هبيره أيشغب على بضغابيس قيس أما والله لأدعنه فليعرفن أنه ليس بشىء ولا ابنه الذى تربص له الأشياء(٣).

فلما علم مروان بحرج موقف "نصر بن سيار" أمر يزيد بن هبيرة بإرسال المدد إليه فأشخص والى العراق جيشا من ثلاثة آلاف رجل عليهم ابن عطيف غير أنه لم يغن عن نصر بن سيار فتيلا فالقائد أخذ يتلكأ فى الوصول إليه لنجدته فمكث طويلا فى الرى(٤)

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٤١
النويرى نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٧ ، ٢٨
(٢) بضم أوله وآخره راء مدينة كبيرة من أعمال الرى يفصلها عنها نحو من عشرين فرسخا
ياقوت: معجم البلدان جـ٣ صـ٢٥١ ، ٢٥٢
(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٤٠٣
(٤) خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٦
ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٤٢ =

ولعل السبب الذى جعل ابن هبيرة وقائده يقفان هـــذا الموقــف مـــن نصربن سيار راجع إلى أن ابن هبيرة لم يرد لقائده وجيشه الدخــول فى مواجهة حربية مع جيوش الدعوة العباسية تلافيا لهزيمـــــة قــد تلحقهم فتزيد من حرج موقفهم فى بلاد العراق

وعلى كل حال فإنه لم يقدر لنصر بن ســيار خــوض غمـــار معركة حربية ضد جيوش أبى مسلم الخراسانى بعد ما جـــاءه مــدد والى العراق حيث وافاه أجله المحتوم وهو بالرى إثر مرض ألم بـــه فمات بساوة لإثنتى عشرة ليلة مضت من شوال سنة إحدى وثلاثيـــن ومائة للهجرة عن عمر بلغ خمسا وثمانين سنة(١).

إهتبل قحطبة وفاة نصر بن سيار فأوغل فى ملاحقة أتباعـــه فضرب حصارا على نهاوند(٢) أربعة أشهر نال فيـــه ســاكنوها مـــن الضيق ما نالهم إلى حد أنهم أكلوا أوراق الأشجار الأمر الــذى ألجــأ مالك بن أدهم إلى طلب مصالحة قحطبة الذى ما إن دخلهـــا حتـــى أعمل السيف فى أتباع" نصر بن سيار"على زعم أنهم غير داخلين فــى

حالة عمال نصر وانتبا عه بعد وفاته

=النويرى: نهاية الأرب جـــ٢٢ صـــ٢٩

عبد القادر البغدادى: خزانة الأدب جـــ٢ صـــ٢٢٣

(١) خليفة بن خياط: تاريخه صـــ٣٩٦

الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـــ٧ صـــ٤٠٣ ، ٤٠٤

ابن كثير: البداية والنهايــة جـــ١٠ صـــ٣٧ ابــن خلكــان وفيــات الأعيــان جـــ٣ ص ١٥٠

عبد القادر البغدادى: خزانة الأدب جـــ٢ صـــ٢٢٣

(٢) بفتح النون الأولى وتكسر والـــواو مفتوحــة ونــون ســاكنة ودال مهملــة ، وهى مدينة عظيمة فى قبلـــة همــذان بينــهما ثلاثــة أيــام ــ يــاقوت: معجــم البلدان جـ٨ صـــ٤٠٩

الصلح الذى أبرمه مع مالك وأوقف على مداخل المصر من تلقف كل خراسانى نابه كان شايع نصراً فضرب أعناقهم ليس هذا فحسب بل إنه قطف رءوس بنى نصر بن سيار الذين كانوا فى نهاوند زمن الحصار[1].

ولما قامت الدولة العباسية وحان الوقت الذى جلس فيه أبو جعفر المنصور على أريكة خلافتها لم ينس ولى عهده عيسى ابن موسى ما كان لنصر بن سيار من مواقف كافح فيها ضد دعاة هذه الدولة فأنشأ يتلمس أخبار عمال نصر وبنيه الذين تواروا عن الأنظار بعد وفاته حتى ظفر عيسى بن موسى بواحد من ولد "نصر بن سيار" فقتله بالكوفة فلما بلغ ذلك الأمر "أبا جعفر المنصور" أنكره وأعظمه فكتب إليه:

أما بعد فإنه لولا نظر أمير المؤمنين وإستبقاؤه لم يؤخرك عقوبة قتل "ابن نصر بن سيار" واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال فى مثله،فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربى وأعجمى ، وأحمر وأسود ، ولا تستبدن على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة فى أحد قبله تباعة فإنه لا يرى أن يأخذ الله أحداً بظنة قد وضعها الله عنه بالتوبة ، ولا بحدث كان منه فى حرب أعقبة الله منها سلماً ستر به عن ذى غلة وحجز به عن محنة ما فى الصدور وليس ييأس أمير

(١) خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٧

المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر كما أنه لا يأمن إدبار مقبل إن شاء الله والسلام[١].

فأنت ترى أبا جعفر المنصور يعطى ولى عهده درساً فى السياسة التى ينبغى للإمام أن يسوس بها أمته فلا يظل ملاحقاً لعقب من غلبه ما دام لم يبدر منهم شئ من عداوة وبغضاء للنظام العباسى الجديد وذلك هو العدل الذى يحفظ للجبهة الداخلية أمنها ويجعل الخليفة يصرف جل همه إلى النهوض بالأعباء الأخرى التى ألقاها المنصب على كاهله.

ولقد جنى من تواطأ من عمال نصر بن سيار مع العباسيين من بنى هاشم ودعاتهم ثمار تواطئهم بعد غروب شمس نصر وشروق شمس العباسيين الذين غرسوا فى أفئدة المسلمين أنهم ما خرجوا على الأمويين إلا لنيل وتر العلويين ، ومن ثمّ فإن أبا مسلم الخراسانى لما إستقامت الأمور لخليفته السفاح أنشأ يلاحق من حاربوا يحيى بن زيد بخراسان حتى يقتلهم به[٢] إن وجدهم أو يستصفى أموالهم إذا ما نجوا من بين يديه فلاذ من بقى منهم بخراسان إلى بلاد تحميه أو بأماكن تواريه عن أعين أبى مسلم بخلاف داود بن طهمان الذى كان واخوته كتاباً[٣] لنصر بن سيار، لأنه كان حين ظهر يحيى بن زيد يطلّع بدور الجاسوس على نصر

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٨ صـ ٦٢:٦٣

(٢) المسعودى: مروج الذهب جـ٣ صـ٢٢٢

ابن حبيب: المحبر صـ٤٨٤

(٣) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٥٥.

ابن سيار" فكان ينقل إلى يحيى وأصحابه ما يسمع من نصر ، فـأتى داود بن طهمان ابا مسلم مطمئنا لما كان يعلم مما جرى بينه وبينه ،فآمنه أبو مسلم ولم يعرض له فى نفسه ، وأخذ أمواله التى استفاد أيام نصر ،وترك منازله وضيّعه التى كانت له ميراثا بمرو [١]

وهكذا رأى القارئ "نصربن سيار" ظهر فى زمن سادته الفتن والاضطرابات فكان مثله كمثل من يعوم فى وجه التيار فيصادف عقبات لا قبل له بها ، وفى يقينى أن الأمر لو اطرد على نهجه أيام عبد الملك بن مروان والوليد وعمر بن عبد العزيز ، لكان لامثال نصر جهد أكبر وثمرا أنضج والشاعر يقول :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم[٢]

نعم لم يأت نصر فى زمن الشبيبة بل جاء فى زمن الهرم حين قامت الفتن بين الخوارج والاموية وبين القيسية واليمنية وبين العلوية والمروانية ناهيك عن وجود تلك الفتن والخلافات بين أفراد الأسرة الأموية الحاكمة وكلها فتن تزحزح الجبال الرواس وتهدم ما اجتمع من كلمة الأمة الإسلامية.

فى هذا الجو الكريه كان ظهور" نصر بن سيار"وكان لابد أن يجد العوائق المانعة من النشاط ، فبدل أن يمتد به الأمل إلى أرض جديدة يضمها إلى الإسلام أصبح كرجال أهل جيله منتميا إلى الأموية يدافع عنها وله خصوم كبار

(٢)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ،ص١٥٤ ، ص١٥٥

(٢) هذا البيت للمتنبى من قصيدة مطلعها:-

ختاما نحن نسارى النجمة فى الظلم وما ثراه علي خُف ولا قِدم

جـ٢ ص ٣٨٦

أمثال أسد بن عبد الله والكرمانى والحارث بن سريج وأبى مسلم فلقى من هؤلاء شراً مستطيراً مما عجل بنهاية ولايته فى خراسان.

ويمكن للمرء إلتماس الأسباب التى جعلت الإخفاق يمشى فى ركاب نصر بن سيار وهو يحاول السيطرة على الفتن الداخلية فى مصره وهى كما أرى تتلخص فيما يلى:-

(١)التنافس المحموم الذى كان بينه وبين تربه جديع ابن على الكرمانى فإن هذا الأمر جعل نصراً ينفق كثيراً من وقته من أجل السيطرة عليه ، ولا مراء فى أن ذلك قد كان على حساب أمور أخرى كان بالإمكان لنصر بن سيار أن ينهض بها حتى يجعل إقليمه يحيا حياةً مزدهرةً تجعله بمنأى عن الصراعات الداخلية التى لم يجن منها الخراسانيون إلا البوار.

(٢)إن نصر بن سيار لما استوى على كرسى الولاية لم يمكث طويلاً وهو يدبر أمر إقليمه حتى توفى هشام بن عبد الملك فجاء من بعده خلف كانوا على النقيض منه فشغلهم التنافس الأسرى عن العناية بأمور الكثير من أقاليم الدولة الإسلامية ومنها خراسان. ليس هذا فحسب بل إن بعضهم عكف على الملاهى والشهوات ونسبت إليه أقوال وأفعال تجعل الناس ينفضون عن الخليفة الأموى إذ ذاك.

ومن هؤلاء الوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، فزالت هيبة السلطان فى أعين الثائرين الذين لم يجدوا مقاومةً تذكر وهم ينشرون مبادئهم فى أرجاء خراسان.

(٣)إن تعصب بعض ولاة الأمويين فى خراسان للعرب بسبب أمور تتعلق بأشخاصهم والقبائل التى ينتمون إليها كان هو الآخر بمثابة عقبة كؤود حالت بين نصر بن سيار وبين تآلف العجم الذين قطنوا خراسان وأولئك الذين خضعوا لها إدارياً فكلما قام نصر بعمل يدنى منه هؤلاء صدر عن والى العراق صاحب الأمر على خراسان ما ينفر هؤلاء من حكم الأمويين وأميرهم نصر بن سيار مثلما رأيته من يوسف بن عمر حاكم العراق من الكتابة إلى نصر بن سيار فى تنحية العجم عن وظائفهم فى الإدارات المالية وقصرها على العرب فذلك بلا ريب أوغر صدور هؤلاء على عامل الأمويين وعجّل بإنضمامهم إلى كل ثائر منّى نفسه باهتبال الضعف الذى تمر به الدولة للقيام بثورة لعله يحقق بها مكسباً سياسياً يعود عليه وعلى قبيلته بالنفع .

٤)تآمر يزيد بن عمر بن هبيرة على نصر بن سيار كان هو الآخر من الأسباب الجوهرية التى مكنت أعداء الدولة الأموية فى هذا الإقليم فلقد رأى القارىء الكريم مُطل الوالى فى إرسال المدد إلى نصر بن سيار حتى يستطيع به التصدى لأبى مسلم الخراسانى وأبناء الكرمانى فى وقت تمكن فيه ابن سيار من إحراز الإنتصارات على الجند الخراسانية الذين إلتقوه ورجاله على مقربة من الرى فلم يهتم بالغنائم التى أرسلهاابن سيار إليه فأظهر وقائده أنهما يريدان إستنقاذ نصر ورجاله فى حين أن واقع أمرهما كان على النقيض من ذلك فمات نصر وهو ينتظر المدد المرتجى دون أن يأتيه. تاركاً للتاريخ الحكم له أو عليه خلال مدة إقامته بخراسان سواء تلك التى كان فيها عاملاً لولاتها أو حاكماً لها فالتاريخ قاضٍ يصدر الحكم الفصل فيما

كان من جليل الأحداث والأعمـــال دون مجاملـــة لحـــاكم أو إنحيـــاز لمحكوم.

"وسبحان من له الدوام والملك والملكوت الذى يغير ولا يتغير"

" ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينـــا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنـــا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا علـــى القـــوم الكافرين " .

تم بحمد الله

الأربعاء ٢٩ من رجب ١٤١٩هـ
١٨ من نوفمبر ١٩٩٨م

د/ محسن سعد عبد الله
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنصورة
جامعة الأزهر

ثبت المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم:

ابن الأثير: عز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى ت ٦٣٠هـ

٢-الكامل فى التاريخ

ط دار صادر بيروت ١٩٧٩م عدد الأجزاء ١٣ جزء

٣-أسُد الغابة

ط/مجددة إشراف مكتب البحوث والدراسات دار الفكر ١٩٩٥م عدد الأجزاء ٦.

أحمد : أمين

٤-ظُهر الإسلام : دار الفكر العربى / بيروت لبنان ط الخامسة ١٩٦٩م

أحمد : شلبى

٥-موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

مطابع سجل العرب ط الأولى ١٩٨٣ الجزء الثامن

أحمد : عطية الله

٦-القاموس الإسلامى نشـــر مكتبــة النهضـــة المصريـــة ١٩٦٣م
عدد ٥ أجزاء

الأصفهانى : أبو الفرج الأصفهانى ت ٣٥٦

٧-مقاتل الطالبيين

شرح وتحقيق السيد أحمد صقر. دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان .

٨-الأغانى

تحقيق على محمد البجاوى. دار العودة ــ بيروت / دار إحياء التراث
العربى ط١٩٧٠ الجزء ١٧ فقط

ابن أعثم الكوفى: العلامة أبى محمد ت نحو ٣١٤هـ ٩٢٦م

٩-الفتوح

ط الأولى ١٩٧٥م عدد الأجزاء ٨

البغدادى: عبد القادر عمر

١٠-خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون

الناشر: مكتبة الخانجى للطبع والنشر (بدون) الجزء الثانى

البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ

١١-فتوح البلدان

نشر وتحقيق : صلاح المنجد. ط/ ١٩٥٦م ،٣ أقسام فى مجلد واحد

ابن تغرى بردى: جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتـــابكى ٨١٣ ، ٨٧٤

١٢-النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ط الأولى ١٩٩٢م الجزء الأول

ثريا حافظ عرفة:

١٣-الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول

ط الأولى ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية ١٩٨٢م

الجهشيارى: أبو عبد الله محمد بن عيدوس الكوفى ت ٣٣١هـ

١٤-الوزراء والكتاب

القاهرة ١٩٨٠ ط الثانية

ابن الجوزى: جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ

١٥-المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم تحقيق د/ سهيل زكار

ط ١٩٩٥م عدد الأجزاء ١٣ جزء

ابن حبيب أبو جعفر محمد

١٦-المحبر

اعتنى بتصحيحه د / ايلزه ليختن ستيتر

ط / دار الأفاق الجديدة ــ بيروت (بدون)

حسن الباشا

١٧-الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية

ط ١٩٦٥ ، ١٩٦٦م عدد الأجزاء ٣ أجزاء

حسين عطوان

١٨-الأمويون والخلافة

دار الجيل ط الأولى ١٩٨٦م

الخضرى : محمد بك

١٩-محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية

تحقيق الشيخ / محمد العثمانى

دار القلم بيروت ــ لبنان

ط الأولى ١٤٠٦هـــ ١٩٨٦م

ابن خلدون: عبد الرحمن المغربى ت ٨٠٨هـ

٢٠-تاريخه المسمى ديوان المبتدأ و الخبر فى تاريخ العرب والـبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر

إعداد خليل شحادة. دار الفكر ط الثالثة ١٩٩٦م

ابن خلكان : أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبـــى بكــر ٦٠٨ـ٦٨١

٢١-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق : إحسان عباس

دار صادر بيروت. عدد الأجزاء ٨ أجزاء

خليفة بن خياط : ت ٢٤٠هـ

٢٢-تاريخه

تحقيق أكرم ضياء العمرى

دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٨٥

الذهبى : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ

٢٣-سير أعلام النبلاء تحقيق محب الدين أبـــى ســـعيد / ط الأولـــى ١٩٩٧ عدد الأجزاء ١٧

٢٤-العبر فى خبر من غبر

حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد

دار الكتب العلمية بيروت ـلبنان عدد الأجزاء ٣ أجزاء

الزركلى : خير الدين

٢٥-الأعلام لأشـــــهر الرجـــال والنســـاء مـــن العـــرب المتعربيـــن والمستشرقين

دار العلم بيروت ـ لبنان ط ١٩٧٥م

السيوطى : الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمـــن بـــن أبـــى بكـــر ٩١١هـ

٢٦-تاريخ الخلفاء

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط الأولى ١٩٥٢

شاكر: محمود

٢٧-تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر

الجزء الأول قارة آسيا شارك فى تأليفه د/ إسماعيل أحمد ياغى

دار المريخ ـ الرياض ط ١٩٩٣

٢٨-التاريخ الإسلامى

المكتب الإسلامى ـ بيروت

ط السابعة ١٩٩١ عدد الأجزاء ٩ أجزاء

الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ

٢٩-تاريخ الرسل والملوك

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

ط ٤ دار المعارف عدد الأجزاء ١٠ أجزاء

ابن عبد الحق : صفى الدين عبد المؤمن البغدادى ت ٧٧٩هـ

٣٠-مراصد الإطلاع تحقيق وتعليق : على محمد البجاوى

ط الأولى ١٩٥٥م عدد الأجزاء ٣ أجزاء

عبد الشافى : محمد عبد اللطيف

٣١-العالم الإسلامى فى العصر الأموى

ط الأولى ١٩٨٤م

العشرى : بكر محمود

٣٢-خراسان بين دعاة العباسيين وولاة الأمويين

مكتبة الأشول للطباعة

ط الأولى ١٩٩٦م

على : أدهم

-مجلة الثقافة عدد٥٨٠ فى ٦ / ٢ /١٩٥٠م

٣٣_ مقال تحت عنوان من الأدب " نصر بن سيار "

أبو العنين فهمى محمد

٣٤-أفغانستان بين الأمس واليوم

دار الكتاب العربى للطباعة

فرع مصر ط ١٩٦٩

ابن قتيبة : أبى محمد عبد الله بن مسلم ت ٢١٣-٢٧٦هـ

٣٥-المعارف

حققه: د/ ثروت عكاشة. ط الثانية دار المعارف - مصر ١٩٦٩م

٣٦-الشعر والشعراء

تحقيق وشرح محمود شاكر. دار التراث ط ثالثة ١٩٧٧م عدد الأجزاء ٢ جزء

٣٧-الإمامة والسياسة المنسوب إليه

مؤسسة الوفاء

ابن كثير : أبى الفداء الحافظ ت ٧٧٤هـ

٣٨-البداية والنهاية .

ط جديدة منقحة ١٩٧٨م

دار الفكر بيروت عدد الأجزاء ١٤ جزء

كى لسترنج

٣٩-بلدان الخلافة الشرقية

ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد

مؤسسة الرسالة. ط الثانية ١٩٨٥م

المتنبى: أحمد بن الحسين

٤٠-ديوان المتنبى شرح الشيخ نصيف اليازجى

دار صادر بيروت (بدون)

المجلد الثانى

ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصارى سنة ٧١١هـ

٤١-لسان العرب ط دار المعارف .

المسعودى : أبى الحسن على بن الحسين المسعودى ت ٣٤٦هـ

٤٢-مروج الذهب معادن الجوهر

تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللحام

ط الأولى ١٩٩٧م عدد الأجزاء ٤ أجزاء

النرشخى : أبى بكر محمد بن جعفر ٢٨٦-٣٤٨هـ

٤٣-تاريخ بخارى

عربه عن الفارسية وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوى / نصـــــر الله مبشر الطرازى ط الثالثة دار المعارف القاهرة .

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ٦٧٧ ، ٧٣٣ هـ

٤٤-نهاية الأرب

تحقيق محمد جابر عبد العال / إبراهيم مصطفى

ط ١٩٨٤م الهيئة المصرية العامة للكتاب

ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ

٤٥-تاريخه . دار الكتب العلميـــــة ــ بـــيروت ــ لبنـــان ط الأولـــى ١٩٩٦م عدد الأجزاء ٢جزء

ياقوت : الإمام شهاب الدين أبى عبد الله بن عبد الله الحموى الرومـى ت ٦٢٦هـ

٤٦-معجم البلدان

ط الأولى ١٩٩٧م ــ ٤ مجلد ٨ أجزاء

يسرى : الجوهرى

٤٧-آسيا الإسلامية . ط ١٩٨٠م دار المعارف

٤٨-جغرافية الشعوب الإسلامية

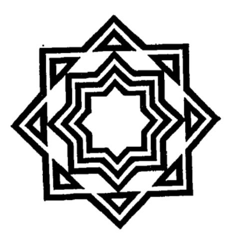
الناشر منشأة المعارف ــ اسكندرية. ط ١٩٨١

اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت نحـــو ٢٨٤هــ

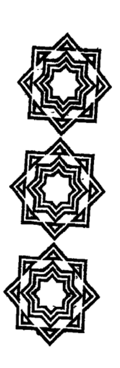
٤٩-البلدان

دار إحياء التراث العربى. ط الأولى ١٩٨٨م

٥٠-تاريخه. ط ١٩٩٢م دار صادر بيروت عدد الأجزاء ٢ (بدون)



فهرس الجزء الأول



شركة
حكاية للطباعة
كفر الشيخ تقسيم القضاه ☎ ٠٤٧/٢٣٦٣٢٧

رقم الإيداع
١٩٩٩/٦٢٠٤

رقم الإيداع
٦٢٠٤/١٩٩٩م

مطبعة
حكـــاية
كفر الشيخ ☎ ٠٤٧/٢٣٦٣٢٧